

الجزء الثاني

من

إعلاء الشريعة
بنازع
خلاب الشهاب

تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي عن
الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٢ هجرية و ١٩٢٤ ميلادية

طبع في المطبعة العامية في مدينة حلب على نفقة مؤلفه

حقوق الطبع محفوظة له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ٥٤١

ذكر ولاية نور الدين محمود الشهيد بن زنكي على حلب

قال في الروصتين قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر لما راهق نور الدين ل نرم خدمة والده الى ان انتهت مدته على قلعة جبر وسيره في صبيحة الأحد الملك البارسلان ابن السلطان مسعود الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه فقال لهم ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فمهي له وانتم في خدمته وان تأخر فأنا اقرر امور الشام وانوجه اليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها سابع ربيع الآخر ورتب النواب في القلعة والمدينة قال ابن ابى طي الحلبي لما اتصل قتل اتابك بأسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيمة نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر الموصل وعول على تقديم اخيك سيف الدين وقصده الى الموصل وقد انضوى اليه جل العسكر وقد انفذ الي جمال الدين وارادني على اللحاق به فلم اعرج عليه وقد رأيت ان اصيرك الى حلب وتعلمها كرسى ملكك ونجتمع في خدمتك عساكر الشام وانا اعلم ان الأمر يصير جميعه اليك لأن ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وامر ان ينادى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها سابع ربيع الأول [تقدم آنفا سابع ربيع

الاخر ولما دخلوا الى حلب جاء اسد الدين الى تحت القلعة ونادى واليها واصعد نور الدين اليها وقرر امره ومشى احواله فكان نور الدين يرى له ذلك واسد الدين يمن بأنه كان السبب في توليته ثم ساق في الروضتين ما قام به الوزير جمال الدين من التدابير في تقرير سيف الدين غازي اخي نور الدين في الملك لبلاذ الموصل الى ان قال ولما استقر سيف الدين في الملك اطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان بديار بكر كالمدن وحيزان واسمرد وغير ذلك فان المجاورين لها تغلبوا عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح امر السلطنة وتحليفه وتقرير امر البلاد عبر الى الشام لينظر في تلك النواحي ويقرر القاعدة بينه وبين اخيه نور الدين وهو بحلب وقد تأخر عن الحضور عند اخيه نور الدين وخافه فلم يزل يرأسه ويستميله فكلما طلب شيئا اجابه اليه استماله لقلبه واستقرت الحال بينهما على ان يجتمعا خارج العسكر السيفي ومع كل واحد خمسمائة فارس فلما كان يوم الميعاد بينهما سار نور الدين من حلب في خمسمائة فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس فلم يعرف نور الدين اخاه سيف الدين حتى قرب منه حين رآه عرفه فترجل له وقبل الأرض بين يديه وامر اصحابه بالعود عنه فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا وبكى فقال له سيف الدين لم امتنعت من المجئ الي ا كنت تخافني على نفسك والله ما خطر بيالي ما تذكره فلمن اريد البلاد ومع من اعيش ومن اعتضد اذا فعلت السوء مع اخي واحب الناس الي فاطمأن نور الدين وسكن روعه وعاد الى حلب فتجهز وعاد بمعسكره الى خدمة اخيه سيف الدين فأمره سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال لا غرض لي في مقامك عندي وانما غرضي ان يعلم الملوك والفرنج اتفاقنا فمن يريد السوء يكف عنه فلم يرجع نور الدين وانزم الى ان قضيا ما كانا عليه وعاد

كل واحد منهما الى بلده قلت ومن قصيدة لابن منير في نور الدين
 ايا خير الملوك ابا وجدا * وانفهم حبالليل صاد
 علوا وغلوا وقال الناس فيهم * شوارد من ثناء او احاد
 وما اقتسموا ولا عمدوا بنام * بمنصبك القسيمي العمادى
 وهل جلب سوى نفس شعاع * تقسمها التامى والتعادى
 نفي ابن عماد الدين عنها الا * شكاة فأصبحت ذات العما
 تبخر في كسا عدل وبذل * مدحجة التهائم والنجاد
 وفي عمرائها داود منه * يهذب حكمة آيات صاد
 تجاوزت النجوم فأين تبقى * ررق فلاخوت من ازدياد

قال في الروضتين قال ابن ابى طى في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب
 اتصل خبر مقتل اتابك بصاحب انطاكية البيمند فخرج في يومه بعساكر انطاكية
 وقسم عسكره قسمين انفذه الى جهة حماه وقسمها اغاربه على جهة حلب وعاث
 في بلادها وكان الناس آمين فقتل وسبى عالماً عظيماً وتمادى حتى وصل الى صلدي
 ونهبها ووصل الخبر الى حلب فخرج اسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من
 العسكر وجد في السير فقاته الفرنج وادرك جماعة من الرجالة يسوفون الأسرى
 فقتلهم واستغنوا كثيراً مما كانت الفرنج اخذته وسار مجباً عن طريق الفرنج الى
 ان شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد الى حلب مظفراً .
 وقال فيها ايضاً وردت الاخبار في ايام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن
 جوسلين جمع الأفرنج من ناحيته وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقه من
 النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض
 نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف اليه من التركمان وغيرهم زهاء

عشرة آلاف فارس ووقعت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من ارمن الرها والنصارى من قتل وانهزم الى برج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من وجوه اصحابه واحدق بهم المسلمون وشرعوا في القب عليهم حتى تعرب البرج فانهزم ابن جوسلين في الخفية من اصحابه واخذ الباقيون وعق بالسيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان فيه اسير من المسلمين ونهب منهاشي كثير من المال والاثاث والسبي وانكفأ المسلمون بالغنائم الى حلب وسائر الأطراف وقال ابن الأثير لما قتل زنكى كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته غرب الفرات في تل باشر وما جاورها فراسل اهل الرها وكان عامتهم من الأرمن وواعدم يوما يصل اليهم فيه فأجابوه الى ذلك فسار في عسكره اليها وملكها وامتنت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وجد في قتالهم فبلغ الخبر نور الدين وهو بحلب فسار اليهم بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها وسبي اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخربت وخت من اهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالواصل فجهر العساكر الى الرها فوصل العسكر وقدم ملكها نور الدين فبقيت في يده ولم يعارضه فيها اخوه سيف الدين

سنة ٥٤٢

ذكر ملك نور الدين محمود مدينة ارتاح وغيرها

قال ابن الأثير في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلد

الفرنج ففتح من مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصر ما بولة وبسرفوث وكفرلانا
وكان الفرنج بعد قتل زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما
رأوا من نور الدين هذا الجد في اذل امره علموا ان ما ملوه بعيد وخاب ظنهم واملم

سنة ٥٤٣

انهزام نور الدين في وقعة بينه وبين صاحب انطاكية
قال في الروضتين في حوادث هذه السنة . وردت الاخبار في رجب من ناحية
حلب بأن نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال
الافرنجية وقصد افامية وظفر بمدة من الحصون والمعاقل الافرنجية وبعدة وافرة
من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فنال
من عسكره واتقاله وكراهه ما اوجبهه الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره
وعاد الى حلب سالماً في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة
وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً بحيث جدد ما ذهب له من الزك وما يحتاج
اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد .

❦ ذكر وقعة يغرى وانهزام الفرنج فيها ❦

قال ابن الأثير في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكي الفرنج بمكان
اسمه يغرى (هو ارض في العمق) وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليفروا
عليها فلم نور الدين فصار اليهم في عسكره فالتقوا بيغرى وافتتلوا قتلاً شديداً
اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم واسر جماعة من مقدميهم ولم
ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين
والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم .

قال في الروضتين وفي هذه الوقعة يقول القيسراني من قصيدة اولها

يأليت ان الصدود مصدود * اولا فليت النوم مزود
الى متى تعرض عن مكرم * في خده للدمع اخدود
قالوا عيون البيض بيض الظي * فليت ولكن هذه سود
تخاف منها وهي في جفنها * والسيف يخشى وهو مغدود
رج الى المدح فقال

وليف لانتى على عيشنا ال * محمود والسلطان محمود
فليشكر الناس ظلال المنى * ان رواق العدل ممدود
ونيرات الملك وهاجة * وطالع الدولة مسعود
وصارم الاسلام لا يثنى * الا وشلو الكفر مقدود
مناقب لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه ضيغم * عليه تاج الملك مقود
نال المعالي مالكا حاكما * فهو سليمان وداود
ترتشف الافواه اسيافه * ان وصاب العز مورود
وكم له من وقعة يومها * عند ملوك الشرك مشهود
والقوم لما مرهق صرعة * او موقوف بالقدر مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها * قالت لهم هية عودوا
طالب بشار ضمتته الظي * فكل ما يضمن مردود
والكر والفر سجالات الوغى * فطارد طوراً ومطرود
وانما الافرنج من بنيتها * عادوا وقد عاد لها هود
قد حصص الحق فاجاهد * في قلبه بأيات محمود

فكلم مصر بك مستفتح وكل ثمر يك مسدود

وقال ايضاً قصيدة في نور الدين وانشده اياها بظاهر حلب وقد كسر الفرنج
على يفرأ وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين اولاً بهذا
الموضع اولها

تفي بضمانها البيض الحداد * وتقضي دينها السمر الضماد
وتدرك نارها من كل باغ * فوارس من عزائمها الجلال
ويقتل حومة الهيجا همام * يشذ بضبعه المسبح الشداد
اظن ان نار الحرب تجبو * ونور الدين في يده الزناد
وجند كالمنقور على صقور * اذا تقضوا على الابطال صادوا
اذا اخفوا مكيدتهم اخافوا * وان ابدوا عداوتهم ابادوا
ونصرة دولة حاميت عنها * وهل يخشى وانت لها عماد
وانت تتل القوافي ما تلتها * بأئب ما يؤنبها سناد
جرت بالنصر اقلام العوالي * وليس سوى النجيع لها مداد
وطالت ارؤس الاعلاج خصباً * فنادي السيف قد وقع الحصاد
احطت بهم فكان القتل صبراً * ولا طعن هناك ولا طراد
وللابرس فوق الرمح رأس * توسد والسنان له وساد
رجل للسلام ففرسوه * وليس سوى القناة له جواد
نضيض المقتلين ولا نعام * وعارها وليس به سهاد
فسر واستوعب الدنيا فتوحاً * فلا نهض هناك ولا وهاد
وزر بين الوغى مثنوى حبيب * فمن عن باب مسلمة زياد
ولا في باب فارس غير ثكلي * بفارسها يضيء بها الحداد

لأنطاكية يحمي ذراها . وقد دانت لسلطتك البلاد
واذعنت الممالك واستجابت مليّة لدعوتك العباد
ووقعة انب هذه كانت عظيمة وقد أكثر ذلك الشمرها لها وسيأتى ذكرها قريباً
ان شاء الله تعالى . قال في الروضتين قال ابو يعلى التميمي وفي رجب من هذه
السنة ورد الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن اتابك امر بأبطال
خير العمل في اواخر تأذين الفداة والظاهر بسب الصحابة وانكر ذلك انكاراً
شديداً وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الأمر على
الأسمايلية واهل التشيع وضاعت له صدورهم وهاجوا وهاجوا ثم سكنوا
واجمعوا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة اه اقول قد
تقدم في ترجمة سيف الدولة بن حمدان ان اول الناذين بحمي على خير العمل كان
في ايامه في سنة ٣٤٧ وذكرنا ثمة ابطال نور الدين لذلك وامره بالأقصار
على الأذان المشروع وان ذلك كان لما فتح نور الدين المدرسة الكبيرة
المعروفة بالحلاوية .

سنة ٥٤٤

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب
الموصل وخلف ولداً ذكرنا قريباً عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجة
ابنة اخيه قطب الدين مودود فلم تطل ايامه وتوفي في عتفوان شبابه فانقرض
عقب سيف الدين

(ذكر وقعة انب وقتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة فيها انفذ نور الدين محمود الى معين
الدين (صاحب دمشق) يعلمه ان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلاد وظهر

يطلب بهم الأفساد في الأعمال الخلبية وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب
للقائه والحاجة ماسة الى معاضدته فندب معين الدين مجاهد الدين زان بن مامين
في فريق وافر من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته
ومناصحته وبقي معين الدين في العسكر بناحية حوران قال وفي صفر من السنة
وردت البشائر من جهة نور الدين بما اولاه الله تعالى وله الحمد على حشد الفرنج
المخذول ولم يفلت منهم الا من اخبر بيوارهم وتمجيد دمارهم وذلك ان نور الدين
اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارس مقاتلة سوى الاتباع والسواد فنهض
بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بأب وهم في نحو اربعمائة فارس والف راجل
فقتلهم وغنمهم ووجد البرنس مقدمهم صريحا بين جماعته وابطاله فمرف وقطع
رأسه وحمل الى نور الدين وكان هذا من ابطال الفرنج المشهورين بالفروسية
وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلقه مع اشتهاار الهية وكثرة السطوة والتناهي
في الشر وذلك يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في
العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حماتها والذايين عنها ولم يبق فيها غير
اهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلدهم وترددت المراسلات بينه وبينهم في طلب
التسليم اليه وايمانهم وصيانة اموالهم فوقع الاجتماع منهم بان هذا الأمر لا يمكنهم
الدخول فيه الا بعد انقطاع آمالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم
وحملوا ما امكنهم من التحف والمال ثم استمهلوا فأمهلوا ثم رتب نور الدين
بعض العساكر للأقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض في بقية العساكر
لمنازلتها ومضايقتها فالتمسوا الأمان فأومنوا على انفسهم وسلموا البلاد في ثامن
عشر ربيع الأول وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكية وقد انتهى
الخبر بنهوض الفرنج من السواحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها فأقتضت

الحال مهادة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرب من الاشغال الحلبية لعموم اقرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعافل وغيرها المغامر الجمة وفصل عنه الأمير مجاهد الدين بران في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الوقعة ولمن في جملته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة واصابة الرأي والمعرفة بمواقف الحروب . وقال ابن ابي طي حمل اسد الدين على حامل صليب الفرنج وقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به وعاد المسلمون بالفنائم والأمسى وكان لأسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحه بها بعض الشعراء الحلبين بقصيدة يقول فيها

ان كان آل فرنج ادركوا فلجا * في يوم - يغرا ونالوا منية المظفر
ففي الخطيم خطمت الكفر منصلتا * ابا المظفر بالصمصامة الذكر
نالوا يغرا في ابا وانتهيت لنا * على الخطيم نفوس المعشر البتر
واستقودوا الخيل عريلا واستقدت لنا * قوامص الكفر في ذل وفي صفر
وقال ابن الأثير سار نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج فخره وخرب
ربضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن انب فخره فاجتمعت الفرنج مع
البرنس صاحب انطاكية وساروا اليه ليرجلوه عن انب فلم يرحل بل لقيم
وتصاف الفريقان واقتتلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في
الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس وانجلى الحرب عن هزيمة للفرنج
ذوى التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلف ابن صغيرا وهو يميند فبقي مع
امه نانطاكية فزوجت امه نوحه باخو واقام معها نانطاكية يدبر الجيش ويقودهم

ويقاتل بهم الى ان يكبر بيمند ثم ان نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة اخرى وهزمهم وقتل فيهم وامر وكان في الأمرى البرنس الثاني زوج ام بيمند فلما اسره تملك بيمند انطاكية بلد ابيه وتمكن منه وبقي بها الى ان اسره نور الدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة على ما ذكره ان شاء الله تعالى واكثر الشعراء مدح نور الدين وتهنئته بهذا الفتح وقيل البرنس فمن قال فيه القيسراني الشاعر من قصيدة يشده اياها يحسر الحديد الفاصل بين عمل حلب وعمل انطاكية اولها

هذي الغزائم لا ما تدعى القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت * تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صاغت يابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبنى كل شاهقة * حتى ابنتى قبة اوتادها الشهب
لله عزمك ما امضى وهمك ما * انضى اتساعا بما ضاقت به الحقب
ياساهد الطرف والأجفان حاجة * وثابت القلب والأحشاء تضطرب
اغرت سيوفك بالأفرنج راجفة * فوآد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * اودى بها الضلبي وانحطت بها الضلبي
قل للطفاة وان صمت مسامعها * قولاً لهم القنا في ذكره ارب
ما يوم آتب الأيام دائلة * من يوم يغرا بعيد لا ولا كشب
اغركم خدعة الآمال ظنكم * كم اسلم الجهل ظنا غره الكذب
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى * وكان دين الهوى مرضاته النضب
طهرت ارض الأعادي من دماهم * طهارة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قاده * فالجوب تضرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلها تقر لها * قولهم خانن الركب والجنب

- والتمتع فوق صتال البيض منعقد * كما استقل دخان تحتته لهب
والسيف هام على هام بمركبة * لا البيض ذوذمة منها ولا اليلب
والنبيل كالوبل هطال وليس له * سوى القسي وايد فوقها سحب
وللظبي ظفر حلو مذاقته * كأنما الضرب فيما بينهم ضرب
وللأسنة عما في صدورهم * مصادر أفلوب تلك ام قلب
خانوا الخانات رماح الطعن ايديهم * فاستسدها وهى لانبغ ولا غرب
كذلك من لم يوق الله مهجته * لاقى العدى والقنا في كفه قصب
كانت سيوفهم اوحى حتوفهم * يارب خائنة منجاتها العطب
حتى الطوارق كانت من طوارقهم * ثارت عليهم بها من تحتها النوب
اجسادهم في ثياب من دماهم * مسلوبة وكان القوم ما سلبوا
انباء ملحمة لوانها ذكرت * فيما مضى نسيت ايامها العرب
من كان ينزرو بلاد الشرك مكتسبا * من الملوك فنور الدين محتسب
ذوغرة ما سمت والليل معتكر * الا تمزق عن شمس الضحى الحجب
افعاله كاسمه في كل حادثة * ووجهه نائب عن وصفه اللقب
في كل يوم لفكرى من وقائمه * شغل فكل مديحي فيه مقتضب
من باتت الأسد امرى في سلسله * هل يأسر الغلب الا من له الغلب
فلمكوا سلب الأبرنس قاله * وهل له غير انطاكية سلب
من للشقي بما لاقى فوارسه * وان يساثرها من تحتته قتب
عجبت للصعدة السمراء مثمرة * برأسه ان اثمار القنا محجب
سما عليها سمو الماء ارقهه * انبوبة في صمود اصلها صبيب
ما ذارت هذبات التاج مفرقه * الا وهى منه لا تاج ولا عذب

إذا القنطرة ابنت في رأسه نفقا * بدا لتعليها من نحره سرب
 كنا نعد حى اطرافنا ظفرا * فلكنك الظهى ما ليس نحتسب
 عمت فتوحك بالعدوى معافها * كان تسام هذا عند ذا جرب
 لم يبق منهم سوى بيض بلا روق * كما التوى بعد رأس الحية الذنب
 فانهمض الى المسجد الا نهى بذى لجب * يوليك اقصى النى فالقدس مرتقب
 واثنى لوجك في تطهير ساحله * فانما انت بحر لجه لجب
 يامن اعاد ثمرور الشام ضاحكة * من الظهى عن ثنور زانها الشنب
 ما زلت تلحق عاصيها بطائعها * حتى ائت وانطاكية حلب
 حلت من عقابها ايدى معافها * فاستجالت الى ميثاقك الهرب
 وايقنت انها تشاو مراكرها * وكيف يثبت لاجوق ولا طنب
 اجريت من ثمر الاعماق انفسها * جرى الجفون امترها بارح حصب
 وما ركزت القما الا ومك على * جسر الحديد هزير غيله اشب
 فاسعد بما نلت من كل صالحة * يأوى الى جنة المأوى لها حسب
 ان لا تكن احد الابدال فى فك الة * قوى فلا تمارى انك القطب
 فلو تناسب افلاك السماء بها * لكان بينكما من عفة نسب
 هذا وهل كان فى الاسلام مكرمة * الاشهدت وعباد الهدى غيب
 وله فيه من قصيدة اخرى

الا لله درك اى در * صريح جاء بالكرم الصريح
 وعسكرك الذى استولى مسيحا * على ما بين فامية وسيح
 ووقعتك التى بنت الدوالي * صوادر عن قتيل او جريح
 بانى يوم ابرزت المذاكي * من النقع النزالة فى مسوح

غداة كأنما العاصي احمرأوا * من الدم عبرة الجفن القريح
وقد وافاك بالابرنس حنف * اتيج له من القدر المتيج
قتلت اشحهم بالنفس اذلا * يحود بنفسه غير الشحيح
ملائت بهم ضرائحهم فأمسوا * وليس سوى القشاعم من ضريح
وعدت الى ذرا حلب حميداً * سمو البدر من بعد الجنوح
فأن جليت بفرتك الليالي * فكم لسناك من زمن مليح
رويدك تسكن الهيجا فوافا * بحيث تريح من تعب المريح
فانت وان ارحت الخيل وقتا * فهمك غير هم المستريح
وقال احمد بن منير يمدحه ويذكر ظفره بالبرنس واصحابه وحمل رأسه الى
حلب وانشده اياها ايضاً يحمسر الحديد .

اقوى الضلال واقفرت عرصاته * وعلا الهدى وتبلجت قسامته
وانتاش دين محمد محموده * من بعد ما غلبت دما عبراته
ردت على الاسلام عصر شبابه * وثباته من دونه وثباته
ارسى قواعده ومن عماده * صعدا وشيد سوره سوراته
واعاد وجه الحق ابيض ناصعا * اصلاته وصلاته وصلاته
لما تواكل حزبه وتخاذلت * انصاره وتقاصرت خطواته
رفعت لنور الدين نار عزيمة * رجعت لها عن طبعها ظلماته
ملك مجالس لهوه شداته * ومشوقه بين الصفوف شداته
تفرى بمحشة اليراع بنانه * ان لذ حشنة الكؤوس لداته
وبروقه نثر العدى قاف دما * لا الثمر يعبق في لثاته
فصبوحه خمر الطلى وغبوقه * نطف النفوس تدبرها نشواته

فتح تعممت السماء بفخره * وهفت على اغصانها عذباته
سبقت على الأسلام بيض حجوله * واختال في اوضاعها جبهاته
وانهل فوق الابطحين غمامه * وسرت الى سكينها نفحاته
لله بلجة ليلة عصت به * واليوم ذبح وشيه ساعاته
حط القوامص فيه بعد قماصها * ضرب يوصل في الطلى صعقاته
نبذوا السلاح لضيغم عاداته * فرس الفوارس والقنا غاياته
لمحرب صمرية غضباته * لله معتمدية غزواته
تحيا لضيق صفاده اسراؤه * وتفيض ماء شؤونها نعماته
بين الجبال خواضعا اعناقها * كالزود نابت عن براه حداته
نشرت على حلب عقود بنودهم * حال الربيع تناسقت زهراته
روض جناه لها مكر جياده * واستوارت حمالة حملاته
متساندين على الرحال كما انتشى * شرب امالت هامه فهواته
لم تثبت الآجام قبل رماحه * شجراً فروع اصوله ثمراته
فليحمد الاسلام ما جدحت له * شربات غرس هذه مخباته
وسقى صدا ذاك الحيا صوب الحيا * خير الثرى ما كنت انت نباته
نصب السرير ومال عنه ومهدت * لمقر منصبك السرى سراته
ماضر هذا البدر وهو مخلق * ان الكواكب في الذرى ضراته
في كل يوم تستطيل قناته * فوق السماء وتعتلي درجاته
وترى كشمس في الضحى آثاره * مجدأ وألسنة الزمان رواته
اين الألى ملثوا الطروس زخارفا * عن نرف بحر هذه قطراته
غدقوا باعناق المواطل ماله * من جوهر فأتتهم فذاته

لو فصلوا سبطا ببعض فتوحه * سخرت بما افتعلوا لهم فعلاته
 تمسى قنانيه بنات قيونه * فوق القوانس والقنا قيناته
 صلتان من دون الملوك تقرأها * حركاته وتينمها يقظاته
 قعدت بهم عن خطوه همامهم * وسمت به عن خطوهم همامه
 سكنوا مسجفة الحجال واسكنت * زحل الرحال مع السها عزماته
 لو لاح للطائي غرة فتحه * بآت بجمل تأوه بآته
 اوهب للطبري طيب نسيمه * لاحتش من تاريخه حشواته
 صدم الصليب على صلابه عوده * فتفرقت ايدي سبا خشباته
 وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة * بالروح مما قد جنت غدراته
 فانقاد في خطم المنية انفه * يوم الخطيم واقصرت ترواته
 ومضى يؤنب تحت انب همه * امست زوافر غيها زفرااته
 اسد تبوأ كالفرنف لجانه * فتبوأ طرف السنان شواته
 دون النجوم منمضا ولطالما * اغضت وقد كرت لها لخطاته
 فجلوته تبكي الاصادق قمته * بدم اذا ضحككت له شماته
 تمشي القناة برأسه وهو الذي * نظمت مدار النيرين قناته
 لو عائق الميوق يوم رفته * لأراك شاهد خفضه اخباته
 ما انقاد قبلك انفه مجرامه * كلا ولا همت لها هدراته
 طيار خلف السرح طال زثيره * نطقت سطاك له فطال صماته
 لما بدا مسود رأيك فوقه * مبيض نصرلك نكست راياته
 ورأى سيوفك كالصوالج طاوحت * مثل الكرين قفلت كثراته
 ولى وقد شربت ظباك كمامه * تحت المعجاج واسمته حماته

ترك الكنائس والكناس لنهاب * بالبيض نهب ما حواه عفانه
غلاب ادوع لايغت عداته * داء المطال ولا تعيش عداته
والآن ملقى بالعرا يقتانه * ما كان قبل يصيده يقتانه
اليوم ملكك القراع قلاعه * متسنا ما استشرفت شرفانه
وغدا تحل لك الحلائل اسهم * متوزعات بينهم نباته
اوطأت اطراف السنايك هامه * فتقاذفت بعنيفها قذفاته
لازال هذا الملك يشمخ شأنه * ابدا ويلفت في الحضيض وشاته
ما اخطتتك يد الزمان فدونه * من شاء فلتسرع اليه هناته
انت الذي تحلى الحياة حياته * وتهب ارواح القصيد هبانه

سنة ٥٤٥

قال في الروضتين قال ابن الأثير فيها سار نورالدين الى حصن افامية وهو
للفرنج ايضا وبينه وبين حماة مرحلة. وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من
احسن القلاع وامنها وكان من به من الفرنج ينيرون على اعمال حماة وشيزر
وينهبونها فأهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والعناء فساد نورالدين اليه وحصره
وضيق عليه ومنع من به القرار ليلا ونهارا وتابع عليهم القتال ومنعهم الاستراحة
فاجتمعت الافرنج من سائر بلادهم وساروا نحوه ليزحزحوه عنها فلم يصلوا
اليه الا وقد ملك الحصن وملاؤه ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع
ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب الفرنج سار نحوه فحين رأوا جده في لقام رجعوا
واجتمعوا ببلادهم وكان قصارهم ان صالحوه على ما اخذ ومدحه الشعراء واكثروا
منهم ابو الحسين احمد بن منير حيث قال في مطلع قصيدة

اسنى المالك ما اطلت منارها * وجعات مرهفة الشفار دثارها

ومنها

في كل يوم من فتوحك سورة * للدين يحمل سفره اسفارها
ومطيلة قصر المنابر ان غدا الـ * خطباء تنثر فوقها تقصارها
همم تجملت الملوك وراءها * بدم العثار وما اقتفت آثارها
وعزائم تستؤزر الآساد عن * نهش الفرائس ان احس اوارها
ابدا تقصر طول مشرفة الذرى * بالمشرية او تطيل قصارها
فغزت افامية فما فهمته * كوبر اجناها الأران بوارها

ومنها

ماض اذا قرع الركاب لبلدة * القت له قبل القراع ازارها
واذا مجانقه ركن لصعبة الـ * ملقاة اسجد كالجدير جدارها
ملاء البلاد مواهباً ومهابة * حتى استرقت آية احرارها
يذكي العيون اذا اقام لعينها * ابدأ ويفضي بالظي ابكارها
اوما الى رمم الندى فاعاشها * وهما لسابقة المني فأزارها
نبوي تشبيه الفتوح كأنما * انصاره رجعت له انصارها
احيا لصرح سلامها سامانها * وامات تحت عمارها عمارها
ان سار سار وقد تقدم جيشه * رجف يقصع في اللهى دعارها
او حل حل حبا القروم بهية * سلب البدور بدارها ابدارها
واذا الملوك تنافسوا درج العلى * اربى بنفس افرعته خيارها
ونهى اذا هيضت تدل لجيرها * وسطى تذلل اذا غنت جبارها
تهدى لمحمود السجايا كاسمه * لولذ فاعلة بها لأبارها
الفاعل الفعلات ينظم في الدجى * بين النجوم حسودها اسمارها

ساع سعا والسباقات وراه * عنقا فمضفر متباه عثارها
ومنها وهي آخرها

لله وجهك والوجوه كانما * حطت بها اوفار هبت وقارها
والبيض تخنس في الصدور صدورها * هبرا وتكتحل الشفور شفارها
والخيل تدلج تحت ارشية القنا * جذب المواضع غاورت آبارها
فبقيت تستجلى الفتوح عرائسا * متمليا صدر العلى ومصدارها
في دولة للنصر فوق لواثها * زبر تنمق في الطلى اسطارها
فالدين مومة رفعت بها الصوى * وحديقة ضمنت يدك ابارها

سنة ٥٤٦

قال في الروضتين ما ملخصه في سنة ٥٤٥ توجه نور الدين الى دمشق وبعد
اخذ ورد بينه وبين صاحبها تقرر في محرم سنة ٥٤٦ الصلح بين نور الدين
واهل دمشق وبذلوا له الطاعة واقامة الخطبة على منبر دمشق بعد الخليفة
والسلطان وكذا السكة ووقعت الايمان على ذلك ورحل عن خيمه عائداً الى حلب

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واس جوسلين

بعد ذلك وفتح عين تاب وعزاز ودلوك ومرعش وغير ذلك

قال في الروضتين قال ابن الأثير سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع
التي شمالي حلب منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرها من الحصون فجمع
جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم ولقوا نور الدين وكان بينهم حرب شديدة
انجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج واخذ جوسلين سلاح داركان
لنور الدين اسيرا واخذ ما معه من السلاح فانفذه الى السلطان مسعود بن قليج

ارسلان السلجوقي صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك سلاح صهرك وسيأتيك بهد هذا غيره فعمظمت الحادثة على نور الدين واعمل الحيلة على جوسلين وعلم ان هو جمع المساكر الإسلامية لقصده جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فأحضر نور الدين جماعة من التركمان وبذل لهم الرغائب من الأقطاع والأموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قتلا واما اسرا فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره واغار على طائفة من التركمان وسمي ونهب فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا معها تحت شجرة فعاجله التركمان فركب فرسه ليقاتلهم فأخذوه اسيرا فصانهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك واخفوا امره عن نور الدين فأرسل جوسلين في احضار المال فأتى بعض التركمان الى نائب نور الدين بمحلب (هو ابو بكر بن الداية كما في الكامل) فاعلمه الحال فسير معه عسكرا اخذوا جوسلين من التركمان قهرا وكان نور الدين حينئذ بمحصر وكان اسره من اعظم الفتوح على المسلمين فإنه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يملون من شجاعته وجودة رؤية وشدة عداوته للملة الإسلامية وقسوة قلبه على اهلها واصيبت النصرانية كافة بأسره وعمظمت المصيبة عليهم بفقده وخلت بلادهم من حاميتها وتفورهم من حافظها وسهل امرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يني بعهد طالما صالحه نور الدين وهادنه فاذا أمن جانبه باليهود والموائيق نكث وغدر فلقبه غدرة وحق به مكره (ولا يحيق المكر السبي الابأهاه) فلما اسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فمنها عين تاب وعزاز وقورس والراوندان وحصن البارة

وتلى خالد وكفّر لانا وكفّر سوب وحصن بسرفوث يجبل بني عليم ودلوك
ومرّش ونهر الجوز وبرج الرصاص قال وكان نور الدين رحمه الله اذا فتح
حصنا لا يرحل عنه حتى يملأه رجالاً وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من نصرة
تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة الى شيء وقال
الشعراء في هذه الحادثة فأكثرُوا منهم القيسراني قال يمدح نور الدين بعد
صدوره عن دمشق واستقرار امرها ويذكر قتل البرنس واسر جوسلين واخذ بلاد
دعما ما ادعى من غره النهى والأمر * فا الملك الا ما جباك به الأمر
ومن ننت الدنيا اليه عناها * تصرف فيما شاء عن اذنه الدهر
ومن راهن الأقدار في صهوة العلى * فان تدرك الشعرى مداه ولا الشعر
اذا الجد امسى دون غايته المنى * فاذا عسى ان يبلغ النظم والنثر
ولم لايلي اسنى الممالك مالك * زعيم يحيش من طلائمه النصر
ليهن دمشق ان كرسي ملكها * حي منك صدراً ضاق عن همه الصدر
الى ان قال

وامست عزاز كأسمها بك عزة * تشق على النسرين لوانها الوكر
فسر واملاً الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنا فقر
كانى بهذا العزم لافل حده * وافصاء بالأفصى وقد قضى الأمر
وقد اصبح البيت المقدس طاهراً * وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقدادت البيض الحداد فروضها * فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمعراج النبي صوارم * مساجدها شفع وساجدها وتر
وان يتيم ساحل البحر مالكا * فلا يحجب ان يملك الساحل البحر
وهي طويله جداً اكتفينا منها بهذا المقدار . وفي هذه السنة فارق صلاح الدين

والده وصار الى خدمة عمه اسد الدين مجلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه
اقطاعاً حسناً وفي جمادى الأولى كتب احمد بن منير من حماة الى نور الدين قصيدة اولها
لعلائك التأييد والتأميل * وللكك التأييد والتكميل

يهنته بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفة على يد الشيخ شرف الدين
ابن ابى عصرون ويصف الفرس الأصفر الأسود القوائم والمعارف والسيف
العربي وساق في الروضتين القصيدة بتمامها

سنة ٥٤٧

(ذكر الحرب بين نور الدين وبين الفرنج بدلولك)

قال ابن الأثير في هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا
نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلولك
فلما قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلولك واقتتلوا اشد
قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم واسر كثير وعاد
نور الدين الى دلولك فلما استولى عليها ومما قال في ذلك احمد بن منير الطرابلسي

اعدت بعصرك هذا الأني * ق فتوح النبي واعصارها
فواطأت يا حذا احدها * واسررت من بدر ابدارها
وكان مهاجرها تابعي * لك وانصار رأيك انصارها
فخذت اسلام سلمانها * وعمر جدك عمارها
وما يوم انب الا كذا * لك بل طال بالبوع اشبارها
صدمت عزيمتها صدمة * اذابت مع الماء احجارها
وفي تل باشر باشرهم * بزحف تسور اسوارها

وان دالكتهم دلوك قد * شددت فصدت اخبارها

سنة ٥٤٩

(استيلاء نور الدين على دمشق وتل باشر)

قال ابن الأثير في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكى مدينة دمشق واخذها من صاحبها عيبر الدين ائز بن محمد بن بورى بن طنتكين اتابك ثم ساق السبب الذى دعاه الى ذلك . وفى هذه السنة او التى بعدها ملك نور الدين محمود قلعة تل باشر وهي شمالى حلب من امنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلماوا انه يقوى عليهم ولا يقدرّون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسير اليهم الأمير حسان المنبجى وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت منبج وهي تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر مايكفيها سنين كثيرة

(سنة ٥٥٠)

قال في الروضتين في هذه السنة ولي نور الدين صلاح الدين الشحنة والديوان بدمشق فافام فيه اياماً ثم تركه وصار الى حلب لأجل واقعة صارت بينه وبين صاحب الديون ابى سالم همام ثم قال تقلا عن ابن ابى طي يحيى بن حميدة الحلبي واستخص نور الدين صلاح الدين والحقه بمخاوصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة قال في المختار من الكواكب المحضية (كان) بالجزيرة رجل من اهل الدين والصلاح

والخير وكان نور الدين يرأسه ويرجع الى قوله قبلته عن نور الدين انه يكثر اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظن انك تلهو وتلعب وتعذب الخيل بنير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يجملى على اللعب بالكرة اللهو واللعب انما نحن في ثغر العدو ونخشى ان يقع صوت فتربك في الطلب ولا يمكننا ملازمة الجهاد ومتى تركنا الخيل صارت لاقدرة لها على ادمان السفر في الطلب ولا معرفة لها بسرعة الانعطاف في المعركة فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب اهـ

سنة ٥٥١ ذكر حصر حارم

قال في الروضتين فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على اهلها وهي من امنع الحصون واحصنها في محور المسلمين فأجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوهم لئلا كان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رأيه فأرسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاولة وترك اللقاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الامتناع عليه ففعلوا ما اشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح على ان يعطوه حصته من حارم فأبى ان يجيهم الا على مناصفة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد وانشد ابن منير قصيدة طويلة بهتته بالعود من غزاة حارم مطلعها

ما فوق شأوك في العلا مزداد * فعلام يقلق عزمك الأجهاد
همم ضربن على السماء سرادقا * فالشهب اطاب لها وعماد
انت الذي خطبت له حساده * والفضل ما اعترفت به الحساد

ومنها

البست دين محمد يا نوره * عزا له فوق السها ساد
ما زلت تسمكه بمياد القنا * حتى تثقف عوده المياد
لم يبق مذ اذهفت عزمك دونه * عدد يراع به ولا استعداد
ان المناير لو تطبق تكلمها * حمدتك عن خطبائها الأعواد

ومنها

ورجا البرنس وقد تبرنس ذلة * حرم بحارم والمصاد مصاد
ضجت ثعاليه فأخرس جرسها * بيض تناسب في الحديد حداد
وسواعد ضربت بهن وبالقنا * من دون ملة احمد الأسداد
يركزن في حلب ومن افنانها * تجنى فواكه امنها بغداد

وختمها بقوله

لا ينفع الآباء ما سمكوا من الـ * مليا حتى ترفع الأولاد
ملك يقيد خوفه ورجاءه * ولقلما تتظافر الأضداد

وقال بهشته بالنصر يوم حارم ايضاً قصيدة اولها (ملكك ماتشاء من الدوام) يقول فيها

حظيت من المعالي بالمعاني * ولاذ الناس بعدك بالأسامي
عزير المتسمى عالي المراقى * بعيد المرتضى غالي المسامى

وهي طويلة ايضاً قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلي توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في رابع والعشرين من صفر عند انتهاء خبر الفرنج اليه بعيشهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفه في طريقه المبشر بظفر عسكره الحلبي بالأفرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم واسرهم ووصل مع المبشر عدة وافرة من رؤس الفرنج المذكورين وطيف بها في دمشق قال وعاد نور الدين

الى دمشق في بعض ايام رمضان بعد تهذيب حلب واعمالها وتفقد احوالها .
قال في الروضتين في هذه السنة والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام [اي بجميع
بلاد الشام] وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة
وانهدام برج افامية واما شيزر فان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه
بحيث قتل منهم العدد الكثير واما كفرطاب فهرب اهلها خوفاً على ارواحهم

(سنة ٥٥٢)

﴿ الزلازل العظمى ﴾

قال في الروضتين فيها ايضا كثرت الزلازل بالشام في صفر وجمادى الأولى
وجمادى الآخرة وترادفت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل اثرت
في حلب تأثيراً ازعج اهلها واقلمهم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي
حماة وكفرطاب وافامية وهدمت ما كان بنى من مهدوم الزلازل . وتتابع
الزلازل في كثير من البلاد بما يطول به الشرح ووردت الأخبار من ناحية
الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر
دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان ومم العدد
الكثير والجم الفقير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير واما شيزر (١) فان
ربضها سلم الا ما كان خرب اولاً واما حصنها المشهور فانه انهدم على واليها
تاج الدولة ابي العساكر بن مقذ ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجاً واما
حلب فهدمت بعض دورها وخرج منها اهلها الى ظاهر البلد وكفرطاب

[١] قال الجلال السيوطي في كتاب الصلصلة في الزلزلة . اما شيزر فلم يسلم منها احد
الامراء وخادم لها وهلك الباقون واما كفرطاب فلم يسلم منها احد وساخت قلعتها
وتل حرب انقسم نصفين فأبدى نواويس وبيوتاً كثيرة في وسطه اه .

واقامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعاقل . ثم حصلت بحلب ايضا فجاءتها زلزلة هائلة فقلقت من دورها وجدرانها العدد الكثير الى ان قال قال ابن الأثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة اخرجت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر فأنها خربا بالمرّة وكذا ما جاورهما حصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا وهلك تحت الهدم من الخلق مالا يحصيه الا الله تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله تعالى منّ على المساهين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الفرنج بغير حصار ولا قتال . قال ولقد بلغني من كثرة المهلكي ان بعض المعلمين بحجة ذكر انه فارق المكتب لهم فجاءت الزلزلة فأخرجت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احديسأل عن صبي كان له في المكتب .

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر بعد خرابها)

قال ابو الفداء ان صاحب شيزر كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يجبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله . فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة تسلم نور الدين القلعة والمدينة وكان ملكه لها ثالث جهادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسائة واستولى على كل من فيها لبني منقذ وسلمها الى محمد الدين ابى بكر بن الداية

قال في الروضتين قرأت في ديوان الأمير الفاضل مؤيد الدولة اسامة بن مرشد
ابن مقذ قصيدة يرثى اهلہ الذين هلكوا بالزلزال بحسن شيزر منها

- ما استدرج الموت قومي في هلاكهم * ولا تحرمهم مثنى ووحدا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب * واحمد الخطب فيهم عز او هانا
واقندى بالوردى قبلى فكم فقدوا * اخا وكم فارقوا اهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم * رغا فحروا على الاذقان اذعانا
وفاجأتهم من الايام قارعة * سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
مانوا جميعاً كرجع الطرف وانقضوا * هل ما ترى تارك للحى انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا * على الحفيظة ان ذلولة لانا
لم يترك الدهر لى من بعد قدومهم * قلباً اجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأونى لقالوا مات اسمعنا * وعاش اللهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرنى * عنهم فيوضح ما قالوه تبياناً
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجبا * للخطب اهلك عماراً وعمرانا
هذي قصورهم امست قبورهم * كذلك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشرى فاذا * ذكرتهم خلتي في القوم سكرانا
لا التقى الدهر من بعد الزلازل ما * حيث الاكسير القلب حيرانا
اخنت على معشرى الاذنين فاصطلمت * منهم كهولا وشباناً وولدانا
لم يحمم حصنهم منها ولا رهبت * بأساً تبادره الاقربان ازمانا
ان افقرت شيزر منهم فهم جعلوا * منيع اسوارها بيضاً وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم * بها لشاهدت اسادا وخفانا
ترام في الوغى اسداً ويوم ندى * غيثاً منيها وفي الظلماء رهبانا

بنو ابي وبنو عمى دى دمهم * وان ارونى مناواة وشنانا
يطيب النفس عنهم انهم رحلوا * وخلفوني على الآثار عجلا
قال ابن الوردي في تاريخه في الكلام على حوادث هذه السنة
اذا ما قضى الله امرأ من * يرد القضاء الذى ينقد
عجبت لشيزر اذ زلزلت * فما لبني منقذ منقذ

﴿ اخبار بني منقذ اصحاب شيزر ﴾

قال ابو الفدا قال مؤيد الدولة اسامة بن مرشد في تاريخه وكان المذكور افضل
بنى منقذ في سنة ثمان وستين واربعائة بدأ جدى سيد الملك ابو الحسن علي
بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر
اقول [القائل ابو الفدا] ويعرف الجسر المذكور فى زماننا يحسّر ابن منقذ وموضع
الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها قال
ابن الاثير وحصن شيزر قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال
منيع لا يسلك اليه الا من طريق واحدة .

قال ابو الفداء رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان فى شيزر وال للروم اسمه دمتري
فلما طالت المضايقة لدمتري المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم فى
تسليم حصن شيزر اليه بافتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمتري
المذكور ومنها بقاء املاك الاسقف الذى بها عليه فأنه استمر مقيما تحت يد جدى
حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجال الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث
سنين فسلم اليهم جدى ما التمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد فى رجب سنة
اربع وسبعين واربعائة واستمر سيد الملك علي بن منقذ المذكور مالكمها الى ان

توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين واربعمئة وتولى بعده ولده ابو المرهف نصر بن علي الى ان توفي سنة احدى وتسعين واربعمئة وتولى بعده اخوه ابو العساكر سلطان بن علي الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلاثة اولاده بالترتلة في هذه السنة المذكورة اعني سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة في يوم الاثنين ثالث رجب اهـ

قال في الروضتين ان الأمير ابا المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن مقنذ بن نصر ابن هشام لما حضره الموت استخلف اخاه الأمير ابا سلامة مرشد بن علي وهو والد اسامة فقال والله لا وليتها ولا اخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن والأدب كثير الإصلاح فولاهما اخاه ابا العساكر سلطان بن علي وكان اصغر منه فاصطحبا اجمل صعبة مدة من الزمان فولد ابو سلامة مرشد عدة اولاد ذكور فكبروا وسادوا منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد الدولة اسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد فحسد اخاه على ذلك فكان كلما رأى صنر اولاده وكبر اولاد اخيه وسيادتهم ساء ذلك وخافهم على اولاده وسعى المفسدون بينهما ففيروا كلا منهما على اخيه فكتب الأمير سلطان الى اخيه شعراً يعاتبه على إشيائه بقلته عنه فأجابه بأبيات جيدة في معناها وكلهم كان اديبا شاعرا فمنها:

ظلمت ابنت في الظلم الا تماديا * وفي الصد والهجران الاتهاميا
شكت هجرنا في ذلك والذنب ذنبها * فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطالما * عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلا * وهيها ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهدوها * وان هي ابدت جفوة وتناسيا

ولما اتاني من قريضك جوهر * جئت المعالي فيه لي والمنايا
وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه * تولى برغمي حين ولي شبابيا
واين من السنين لفظ مفقود * اذا رمت ادنى القول منه عصايا
وقلت اخي يرعى بني واسرى * ويحفظ عهدي فيهم وذماليا
ويجزئهم مالم اكلفه فعله * لنفسي فقد اعدته من تراثيا
فمالك لما ان حنى الدهر سعدتي * وثلم مني صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك مني جفوة وتنائيا
فاصبحت صفر الكف مما رجوته * كذا اليأس قد عني سبيل رجائيا
على انني ما حلت عما عهدته * ولا غيرت هذى السنون وداديا
فلا غرو عند الحادثات فأنني * اراك يميني والائام شماليا
تهن بها عزراء لوقرت بها * نجوم سماء لم تعد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها * كما زان منظوم الآلى النوانيا
وعش بانيا للوجود ما كان واهنا * مشيدا من الأحسان ما كان واهيا
قال وكان الأمر فيه في حياة الأمير بعض السر فلما مات سنة احدى وثلاثين
وخمسةائة قلب اخوه لأولاده ظهر المجن وباداهم بما يسوؤهم وتمادت الأيام بينهم
الى ان قوى عليهم فإخرجهم من شيزر وكان اعظم الأسباب في اخراجهم
ما حدثت به عن مؤيد الدولة اسامة بن مرشد قال كنت من الشجاعة والأقدام
على ما علمه الناس فينا انا بشيزر واذا قد اتاني انسان اخبرني ان بدجلة بغار بها
اسدا ضاريا فركبت فرسى واخذت سيفي وسرت اليه لأقتله ولم اعلم احدا من
الناس لثلا منع من ذلك فلما قربت من الأسد نزلت عن فرسي ووطته ومشيت
نحوه فلما رآني قصدني ووثب فضربت بالسيف على رأسه فانفلق ثم اجهزت عليه

واخذت رأسه في مخلاة فرسي وعدت الى شيزر ودخلت على والدتي والقيت
الرأس بين يديها وحدثتها الحال فقالت يا بنى تيمهنر للخروج من شيزر فوالله
لا يمكنك عمك من المقام ولا احداً من اخوتك وانتم على هذه الحال من الأقدام
والجراة فلما كان الغد امرعى بأخراجنا من عنده والزمننا به الزمانا لأمهلة فيه
فتفرقنا في البلاد فقصدوا الملك العادل نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عهم
فلم يمكنه قصده ولا الاخذ بشارهم واعادتهم الى اوطانهم لاشتغاله بمجهاد الفرنج
ولخوفه من ان تسلم شيزر الى الفرنج وبقي في نفسه وتوفي الأمير سلطان وولى
بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فأشتد ما في نفسه وهو ينتظر
الفرصة فلما خربت القلعة بالزلزلة ولم يسلم منها احد كان بالحصن فبادر اليها
وملكها و اضافها الى بلاده وعمرها واسوارها واعادها كأن لم تخرب وكذلك
فعل بمدينة حماة وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كأحسن
ما كانت

ذكر وصول ولد السلطان مسعود للزول على انطاكية

﴿ ونجى العادل نور الدين الى حلب ومرضه وما جرى بسبب ذلك ﴾
قال في الروضتين نال الرئيس ابو يعلى وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة توأصت
الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير للزول على انطاكية و اوجبت
الصورة تقرير المهادنة بين نور الدين وملك الفرنج وتكررت المراسلات بينهما
والأقترحات والمشاجرات بحيث فسد الأمر ولم يستقر على مصلحة ووصل
نور الدين الى مقر عزه في بعض عسكره وافر باقيه ومقدميه مع العرب بأزاء
اعمال المشركين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين الى ناحية حلب واعمالها

لتجديد مشاهدتها وامعان النظر في حمايتها عند امعات المشركون فيها وقربت
عساكر ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه في عساكره
من دمشق الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليه بتجمع احزاب الفرنج وقصدهم
لها وطعمهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابة لها وما هدمت من
الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من
سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليهم العدد
الكثير والجُم الغفير من رجال المعافل والأعمال والتركمان وخيم بهم بازاء جمع
الفرنج بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام
على الفساد فلما مضت ايام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء مرض
حاد فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين امير اميران
محمد واسد الدين شيركوه واعيان الأشراف والقدمين واوحى اليهم بما اقتضاه رأيه
واستصوبه وقرر معهم كون اخيه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والساد
لثمة فقده لأشتهار بالشهامة وشدة البأس يكون مقبلا محلب ويكون اسد الدين
الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الفرنج وتواصلت الأراجيف بنور الدين فقلقت
النفوس وازمجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الأعمال وطعم الافرنج
فقصدوا مدينة شيزر وهجموها وحاصوا فيها فقتلوا واسروا ونهبوا وتجمع
من عدة جهات خلق كثير من رجال الأسماعية وغيرهم وظهروا عليهم فقتلوا
منهم واخرجوهم من شيزر واتفق وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والى
القلعة بمجد الدين في وجهه الأبواب وعصى عليه فتارت احداث حلب وقالوا
هذا صاحبنا وملكننا بعد اخيه فرحفوا في السلاح الى باب البلد وكسروا
اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل في البلد وقامت الأحداث على

على والى القلعة باللوم والأنكار والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جعلتها إعادة رسمهم في التأذين مجي على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر فأجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره وانفذ والى القلعة اليه والى الحابسين يقول مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان الى ما فعل حاجة فقليل الذنب في ذلك للوالى وصعد الى القلعة من شاهد نور الدين حيا يفهم ما يقول وما يقال له فانكر ما جرى وقال انا اصفح للأحداث عن هذا الخط ولا أؤاخذهم بالزلل وما طلبوا الاصلاح حال اخى وولي عهدى من بعدى وشاعت الأخبار وانتشرت البشائر في الأقطار بعافيته فأنست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والأزعاج وتزايدت العافية وصرفت الهمم الى مكائبات المقدمين بالعود الى جهات الاعداء وكان نصرة الدين قدولى مدينة حران وما اضيف اليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الأخبار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية نور الدين واعتزاه على استدعاء العساكر الإسلامية للجهاد سارع بالنهوض من دمشق الى حلب ووصل اليها في خيله فاجتمع بنور الدين فاكرم اقباه وشكر مسعاه وشرعوا في حماية الأعمال من شر من جاورهم من الأعداء اهـ

قال في الزبد والضرب لما اذن نصرة الدين محمد بن زنكى للشيعة ان يزيدوا في في الأذان حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر على عادتهم من قبل مالوا اليه لذلك واثارت فتنة بين السنة والشيعة ونهبت الشيعة مدرسة ابن ابي عصرون وغيرها من آذر اهل السنة ثم ترجع نور الدين الى الصلاح فذهب امير اميران محمد بن زنكى الى حران فلما قال للصاحب كمال الدين وسير نور الدين الى قاضى حلب جدى ابي الفضل هبة الله ابن ابي جرادة وكان يلى بهما القضاء

والخطابة والامامة وقال له تمضى الى الجامع وتصلى بالناس ويعاد الأذان على ماكان عليه فنزل جدى وجلس شمالية الجامع تحت المنارة واستدعى المؤذنين وامرهم بالأذان المشروع على رأي ابي حنيفة فخافوا فقال لهم هاأنا اسفل منكم ولى اسوة بكم فصعد المؤذنون وشرعوا فى الأذان فأجتمع تحت المنارة من عوام الشيعة خلق كثير فقام القاضى اليهم وقال يا اصحابنا وفقكم الله تعالى من كان على طهارة فليدخل وليصلى ومن كان محدثا فليجدد وضوءه ويصلى فأن المولى نور الدين محمد الله تعالى فى عافية وقد تقدم بمايفعل فانصرفوا راشدين فانصرفوا وقالوا ايش تقول لقاضينا ونزل المؤذنون وصلى بالناس وسكنت الفتنة اه

اقول ذكر ابن الأثير خبر مرض العادل نور الدين فى حلب ومجئ اسد الدين شيركوه اليه من دمشق فى حوادث سنة ٥٥٤ والأصح ان ذلك كان فى سنة ٥٥٢ كما قدمناه نقلا عن الروضتين وقد مرض العادل نور الدين فى سنة ٥٥٤ ايضا كما سيأتى فأشبهه على ابن الأثير هذه بتلك ونحن نذكر ايضا عبارة ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٥٤ لأن فيها زيادة فوائد على ما تقدم

قال فى هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب مرضا شديداً ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الأصغر اميران (محمد) فجعم الناس وحصر القلعة وشيركوه وهو اكبر امراء بمحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليمتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فأن كان نور الدين حيا خدمته فى هذا الوقت وان كان قد مات فأنا فى دمشق نقبل ما نريد من ملكها فعاد الى حلب مجددا وصعد القلعة واجلس نور الدين فى شباك يراه الناس وكلهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفى نور الدين قصد حران

ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران في القلعة فللكها نور الدين
وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار
نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد اميرك الجاندار وهو من اعيان
الأمرء وقد توفي وبقي اولاده فتنازلها فشفع جماعة من الأمرء فيهم فغضب
من ذلك وقال هلا شفعم في اولاد اخي لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة
فيهم من احب الأشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم اه

سنة ٥٥٣

ذكر استيلاء الفرنج على حارم

قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى في اوائل المحرم تناصرت الأخبار من
ناحية الفرنج المقيمين بالشام بمضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميه بمجارة
المجانيق الى ان ضف وملك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات في الأعمال
الشامية واطلاق الأيدي في العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم تفرق
العساكر الإسلامية والخلف الواقع بينهم باشتغال نور الدين بعقاييل المرض
العارض له والله المشيئة التي لا تدفع والأقضية التي لا تمنع
وقال وفي صفر ورد الخبر المبشر بنزول نور الدين من حلب للنوجه الى دمشق
ووصل اليها وحصل في ثلثه سادس ربيع الأول سالما في نفسه وحملته ولقي بأحسن
زى وترتيب وتجميل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر
الله تعالى على سلامته وعافينه والدعاء له بدوام ايامه وشرع في تدبير امر
الأجناد والتأهب للجهاد .

ذكر مرض العادل نور الدين وما جرى بسبب ذلك

قال في الروضتين في هذه السنة عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الأرجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا واعيان الأجناد وضاعت صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء يصل اليه لاسيا اخبار الروم والفرنج ولما احس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم اننى قد عزمت على وسمية اليكم بما وقع في نفسى فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطها عاملين انى مشفق على الرعايا وكافة المسلمين من يكون بعدى من الولاة الجاهلين والظامة الجائرين وان اخى نصره الدين اعرف من اخلاقه وسوء افعاله مالا ارتضى معه بتولية امر من امور المسلمين وقد وقع اختيارى على اخي قطب الدين مودود متولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وصحة اعتقاد خلفوا له وانفذ رسله الى اخيه بأعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدا ثم تفضل الله تعالى بأبلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الأمير مجد الدين النائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم في منبج برجل حمال من اهل دمشق ومعه كتب فأنفذ بها الى مجد الدين متولى حلب فلما وقف عليها امر بصلب متحملها وانفذها في الحال الى نور الدين فوجدها من امين الدين زين الحاج ابى القاسم متولى ديوانه ومن عز الدين الى القلعة مملوكه ومن محمد جفرى احد اصحابه الى اخيه نصره الدين امير اميران صاحب حران بأعلامه بوقوع اليأس من اخيه ويحضونه على المبادرة والأسراع الى دمشق

لتسلم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترفوا بها
فأمر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فهرب قبل ذلك
بيومين وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جمبر يجبر بقطع نصرة الدين الفرات
مجداً الى دمشق فأنهض اسد الدين في العسكر المنصور لرده ومنعه من الوصول
فأتصل به خبر عوده الى مقره عند معرفته بعافية اخيه فعاد اسد الدين الى
دمشق ووصلت رسل الملك العادل من ناحية الموصل يجواب ما تحمله الى اخيه
قطب الدين وفارقوه وقد برز في عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلما فصل
عن الموصل اتصل به خبر عافيته فاقام بحيث هو وانفذ وزيره جمال الدين ابا جعفر
محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق ثامن صفر في احسن زى وابهى
تجمل وخرج الى لقائه الخاق كثير قال وهذا الوزير قد امله الله تعالى من جميل
الأفعال وحميد الخلال وكرم النفس وانفاق امواله في ابواب البر والصدقات
والصلوات ومستحسن الآثار في مدينة الرسول عليه السلام ومكة ذات الحرم
والبيت المعظم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره وتضاعف عليه حمده وشكره (١)
 واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقارير ما انتهى الى
عوده الى جهمته بعد الأكرام له وتوفيته حتمه من الاحترام واصحبه برسم قطب
الدين اخيه وخواصه من الملاطفة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الأمير
اسد الدين وقال ابن ابى طى لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب
نور الدين وفيه وجوه الدولة وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفى واكرم
غاية الأكرام واعيد الى صاحبه شاكرًا عن نور الدين وسير معه الأمير اسد الدين
شريكه رسولاً الى قطب الدين بالشكر له والثناء وانفذت معه هدايا سنية

[١] انظر ترجمته في ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٩ وفي ابن خلكان وفي الروضتين

فسار وعاد الى حلب مكرماً فوجد نور الدين عازماً على الخروج الى دمشق لما بلغه من افساد الفرنج ثم انهض اسد الدين في قطعة من العسكر للاغارة على صيدا فسار ومعه اخوه نجم الدين ايوب واولاده ولم يشعر الفرنج الا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل واسر عالماً عظيماً وغنم غنيمة جليلة وعاد فاجتمع بنور الدين على جسر الخشب قتل وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المروضة الأولى وكأن ابن أبي طي جعل المروضتين واحدة بحلب وابو يعلى ذكر ان الأولى بحلب والثانية بدمشق وهو اصح اهـ

سنة ٥٥٥

قال في تحف الأنباء في سنة خمس وخمسين وخمسمائة تاسع ذى القعدة سار ربنلد ملك انطاكية الى البلاد التي اخذها نور الدين من جوسلين ونهب البلاد التي كانت بها الأرمن والسريان فقط فلما رجع الى انطاكية قبل وصوله اليها خرج اليه مجد الدين نائب حلب وصحبته العساكر وحاربوه واخذوه اسيراً ووضع في رجله قياداً واحضره الى حلب اهـ

سنة ٥٥٧

ذكر حصر نور الدين حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكي العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهي للفرنج غربي حلب (قدما اخذهم لها سنة ٥٥٣) فحصرها وجد في قتالها فامتعت عليه بمحصاتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعائهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم ورجالهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه

اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيونه الى المصاف عاد الى بلاده ومن كان معه في هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكنتاني وكان من الشجاعة في الغاية فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله في العام الماضي سائرا الى الحج فلما دخله الآف كتب على حائطه

لك الحمد يا مولاي كم لك منة * علي وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبية عن ظهري

سنة ٥٥٨

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

قال ابن الأثير في هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكي من الفرنج تحت حصن الأكراد [بلدة صغيرة قريبة من طرابلس فوق جبل عال يراها المتوجه من حصن الى طرابلس من بعيد]

وهي الوقعة المعروفة بالبقعة تحت حصن الأكراد محاصراً لها وعازماً على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوماً في خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور الفرنج من وراء الجبل الذي عليه حصن الأكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على كبسة المسلمين نهارة فأنهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فأرسلوا الى نور الدين يرفونه الحال

فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج في ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر النورى فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والأسر وكان اشدّهم على المسلمين الدوقس الرومى فإنه كان قد خرج من بلاده الى الساحل في جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين في زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقدر كب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة في رجله فنزل انسان كرده قطعها فنجّا نور الدين وقتل الكرده فأحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربع فراسخ وتلاحق به من العسكر وقال له بعضهم ليس من رأى ان تقيم ههنا فإن الفرنج ربما حملهم الطمع على المجئ إلينا فتؤخذ ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتى آخذ بشارى وثار الأسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فأعطى الناس عوض ما اخذ جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطي اقطاعه لأولاده واما الفرنج فأنهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لأنها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعا بها ولما رأى اصحاب نور الدين كثرة خروجه قال له بعضهم ان لك في البلاد ادرات وصدقات كثيرة على الفتها والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت بها في هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو النصر الا باو لك فانما تنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاثلون عني وانا نائم على فراشى بسهام لا تخطئ واصرفها الى من لا يقاثل عني الا اذارآني

بسهم قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال كيف
يحل لي ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم
يجبهم وتركوا عند حصن الأكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم اه
اقول دعاني الى ذكر هذه الوقعة بالأصالة وان كان مكانها خارجا عن ولاية
الشعباء لأنها كانت السبب للوقعة التي بعدها علي حصن حارم فذكرناها
تمهيدا لتلك

(سنة ٥٥٩)

ذكر فتح حارم

قال في الروضتين قال العماد الكاتب في سنة تسع وخمسين اغتشم نور الدين
خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه
الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم ووقع في الأسار ابرنس انطاكية وقومص
طرابلس وابن الجوسلين ودوك الروم وذلك في رمضان وقال في الخزينة كانت
نوبة البقية نوبة عظيمة على المسلمين وافلت نور الدين في اقل من عشرة من
عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلاثة اشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم
عشرين الفا واسر من نجا واخذ القومص والابرنس والدوقس وجميع ملوكهم
وكان منحا عظيما وفنحا مبينا قال ابن الأثير والسبب في هذا الفتح ان نور
الدين لما عاد منهزما على ماسبق من غزوة ناحية حصن الاكراد اقبل على الجدد
والاجتهاد والاستعداد للجهات والاخذ بثاره وغزو العدو في عقر داره وليرتق
ذلك الفتق ويمحو سمة الوهن وبعيد رونق الملك فراسل اخاه قطب الدين
بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين ابى بماردين وغيرهم من

اصحاب الاطراف اما قطب الدين انابك فانه جمع عساكره وسار بجداً وعلى مقدمة عسكره زين الدين نائبه واما آخر الدين قرا ارسلان مأنه بلغني عنه انه قال له خواصه على اي شئ عزمت فقال على القعود وأن نور الدين قد تمشف من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي نفسه والناس معه في المهالك وكلهم وافقه على ذلك فلما كان الغد امر بالبدء في العسكر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقتك بالامس على حال ونرى الآن ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقاً ان لم انجده خرج اهل بلادى عن ظاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فإنه كاتب زهادها وعبادها المقطعون عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم ان يحشوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اتباعه واصحابه وهم يقرؤون كتب نور الدين ويكفون ويلعنوني ويدعون علي فلا بد من اجابة دعوته ثم تجهز ايضاً وسار الى نور الدين بنفسه . واما نجم الدين الجي فإنه سير عسكراً فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل عليهما وحصرها وبلغ الخبر الى من بقى من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فحشدوا وجاؤا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوساين وهو من مشاهير الفرنج وابطالها والدوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجمعوا معهم من الرجال ما لا يقع عليه الاحصاء قد ملأوا الارض وحجبوا بقسطنطين السماء فخرض نور الدين اصحابه وفرق نفائس الاموال على شجبان الرجال فلما قارب الفرنج رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقائهم مرتاح وانما رحل طمعاً ان يتبعوه ويشمكن منهم اذا لقوه فساروا حتى نزلوا علي عم وهو على الحقيقة تصحيف ما لقوه من الغم ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله

فعادوا الى حارم وقد حرمتهم كل خير وتبهم نور الدين فلما تقاربوا اصطفوا للقتال وبدأت الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبها عسكر حلب وصاحب الحصن فخر الدين فبددوا نظامهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الأذبار وتبهم الفرنج وكانت تلك الغرة من الميمنة عن اتفاق ورأى دبروه ومكر بالعدو مكروه وهو ان يبعدوا عن راجلهم فيحيل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف ويرغموا منهم الانوف فاذا عاد فرسانهم من اثر المهزمين لم يلقوا راجلا ياجئون اليه ويعود المهزمون في آثارهم وتأخذهم سيوف الله من بين ايديهم ومن خلفهم فكان الأمر على مادبروا فأن الفرنج لما تبعوا المهزمين عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فأفانم قنلا واسرا وعادت خيانتهم ولم يمنعوا في الطلب خوفاً على راجلهم من الطلب فصادفوا راجلهم على الصعيد مغفرين وبدمائهم مضرجين فسقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما رجعوا عطف المهزمون اعنتهم وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد احدث بهم المسلمون من كل جانب فحشد حمي الوطيس وحاربوا حرب من ايس من الحياة وانقضت العساكر الإسلامية عليهم اقضاض الصقور على بغاث الطيور فزقوهم بددا وجعلوهم قددا فالقى الفرنج بأيديهم الى الأسار ومحجزوا بن الهزيمة والفرار واكثر المسلمون فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف واما الامرى فلم يحصوا كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ملوكهم اسروا وهم الذين ذكروا من قبل وسار نور الدين بعد الكسرة الى حارم فلما في الحادى والعشرين من رمضان واثار اصحابه عليه بالاسير الى انطاكية ليلكها لخلوها من يحميها ويدفع عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فأمرها سهل واما القلعة التى لها فني منية لا تؤخذ الا بعد طول حصار واذا ضيقنا عليهم ارسلوا الى

صاحب القسطنطينية وساموها اليه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة ملك الروم
وبث سراياه في تلك الأعمال والولايات فنهبوا وسلبوا واوغلوا في البلاد حتى
بلغوا اللاذقية والسويدا وغير ذلك وعادوا سالمين ثم ان نور الدين اطلق بيمند
صاحب انطاكية بمال جنزبل اخذه منه واسرى كثيرة من المسلمين اطلقهم وقال
الحافظ ابو القاسم كسر نور الدين الروم والأرمن والفرنج على حارم وكان
عدهم ثلاثين الفا قال ووقع بيمند في اسره في نوبة حارم وباعه نفسه بمال
عظيم انفق في الجهاد قلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله لما التقى الجمعان او
قبيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال
يارب هؤلاء عبيدك وهم اولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم اعدائك فأنصر اولياؤك
على اعدائك ايش فضول محمود في الوسط يشير الى انك يارب ان نصرت المسلمين
فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني
انه قال اللهم انصر دينك ولا تنصر محمود من هو محمود الكلب حتى ينصر وجرى
بسبب ذلك منام حسن نذكره في اخبار سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج
عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز انعم الله به على نور
الدين والمسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شيركوه اه
وقال في حوادث سنة خمس وستين بلغني ان اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل
الفرنج عن دمياط في منامه النبي صلى الله وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج
قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني فاذا كرتي
علامة يعرفها فقال له بعلامة ما سجدت على تل حارم قلت يارب انصر دينك
ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد
وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغلس ولا زال يركع فيه حتى يصلي

الصبح قال فتمرضت له فسأني عن امرى فأخبرته بالمشام وذكرت له العلامة
الا اننى لم اذكر لفظة الكلب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها والمخ علي في ذلك
فقلت لها فبكى رحمه الله وصدق الرؤيا فأرخت تلك الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج
بعد ذلك في تلك الليلة اه

سنة ٥٦٢

عصيان غازى ابن حسان صاحب منبج على نور الدين

قال ابن الأثير في هذه السنة عصى غازي ابن حسان المنبجي على نور الدين
محمود بن زنكى وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فأمتنع عليه فيها فسير
عسكراً فخصروه واخذوها منه فاقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن
بن حسان وكان عادلاً خيراً محسناً الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان
اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة اه
قال في الروضتين في حوادث سنة ٥٦٣ كان ابن حسان صاحب منبج قد ساءت
افعاله فبعث اليه نور الدين من حاصره واتزعها منه ثم توجه نور الدين اليها
لتهذيب احوالها ومدحه العباد الكاتب بقصيدة منها يقول

بشرى الممالك فتح قلعة منبج * فليهن هذا النصر كل متوج
اعطيت هذا الفتاح مفتاحاً به * في الملك يفتح كل باب مرتج
وافى يبشر بالفتوح وراه * فانقض اليها بالجيوش وعرج
ابشر فبيت القدس يتلو منبجا * ولمنبج لسواه كالانموذج
ما اعجزت لك الشهب في ابراجها * طابا فكيف خوارج في ابرج
ولقد من يعصيك احقران يرى * اثر العيوس بوجهك المتبلج

لكن تهذب من عصاك سياسة * في ضمنها تقويم كل معوج
فأنهض الى بيت المقدس غازياً * وعلى طرابلس ونابلس عج
قدسرت في الاسلام احسن سيرة * مأثورة وسلكت اوضح منهج
وجميع ما اسنقرت من سنن الهدى * جدت منه كل رسم مبهج
قال العمادوسار نور الدين من منبج الى قلعة النجم وعبر الفرات الى الرها وكان بها
ينال صاحب منبج وهو سيد الرأى رشيد المهج فقله اليها متطعاً وواليا واقام
نور الدين بقلعة الرها مدة

سنة ٥٦٣

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة ذكر العماد ان نور الدين رحل الى حمص
ثم مضى الى حماة ثم شتى في قلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بمدرسة
ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف ابن ايوب وقد عثر فرسه في
الميدان وهو يلعب بالكرة رحمه الله تعالى

لا تنكرن لسابح عثرت به * قدم وقد حمل الخضم الزاخرا
لقى على السلطان طرفك طرفه * فهو هنالك للسلام مبادرا
سبق الرياح بحريه وكففته * عنها فليس على خلافا قادرا
ضغمت فواه اذا تذكر انه * في السرج منك يقل ليثا قادرا
ومنى تطبيق الريح طوداً شاخاً * او يستطيع البرق جوناً ماظراً
فاعذر سقوط البرق عند مسيره * فالبرق يسقط حين يخطف سائرا
واقل جوادك عثرة ندرت له * ان الجواد لمن يقل العائرا
وتوق من عين الحسود وشرها * لا كان ناظره بسوء ناظرا
واسلم لنور الدين سلطان الوردى * في الحادثات ما اضداداً ومؤازرا

فأذا صلاح الدين دام لاهله * لم يحدروا للدهر صرفاً ضائراً
 أقول قدمنا في حوادث السنة الماضية خبر عصيان غازي بن حسان صاحب منبج
 وإن نور الدين توجه سنة ٥٦٣ واخذها منه واقطعها اخاه ينال ابن حسان
 وتوجه منها الى الرها واقام بها مدة قال في الروضتين وقد مدحه العماد الكاتب
 وهو مقيم على الرها في هذه السنة بقصيدة وتحجب له صلاح الدين في عرضها وهي
 ادركت من امر الزمان المشتبهى * وبلغت من نيل الأمانى المنتهى
 وبقيت في كف السلامة آمنة * منكراً بالطبع لا متكرها
 لازلت نور الدين في فك الهدى * ذاعزة للعالمين بها البها
 يابحي العدل الذي في ظلمه * من عدله رعت الأسود مع المها
 محمود المحمود من ايامه * لبهاها ضحك الزمان وقهقهها
 مولى الورى مولى الندى على الهدى * مردى العدى مسدى الجدى معطى اللهها
 آراؤه بصوابها مقرونة * وبمقتضاها دائر فك النها
 متلبس بمحافة وحصانة * متقدس عن شوب مكر او دها
 يامن اطاع الله في خلواته * متأوبا من خوفه متساوها
 ابدا تقدم في المعاش لوجهه * عملاً يبيض في المماد الأوجها
 كل الأمور وهى وامرك مبرم * مستحكم لا تقص فيه ولاوها
 ما صين عنك الصين لو حاولتها * والمشرقان فكيف منبج والرها
 مال الملوك لدى ظهورك رونق * واذا بدت شمس الضحى خفي السها
 ان الملوك لها وانك من غدا * وبماله والملك منه مالها
 شرهت نفوسهم الى دنياهم * وابى لنفسك زهدا ان تشرها
 مانعت عن خير ولم يك نائماً * من لا يزال على الجميل منبها

اخملت ذكر الجاهلين ولم تزل * ملكا بذكر العالمين منوها
 ورأيت إرعاء الرعايا واجبا * تغنى فقيرا او تجبر مدحا
 لرضاهم متحفظا ولما لهم * منقدا ولدينهم متفقها
 وبما به امر الآله امرتهم * من طاعة ونهيهم عما نهى
 عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل * عن رافة لكبيرهم لن تشدها
 باليأس عندك أمل لم يمتحن * بالرد دونك سائل ان يجبهها
 اتعبت نفسك كي تنال رفاهة * من ليس يتعب لا يمشى مرفها
 فقت الملوك سماعة وحماسة * حتى عد منا فيهم لك مشبهها
 ولك الفخار على الجميع فدوهم * اصبحت عن كل العيوب منزها
 واراك تحلم حين تصبح ساخطا * ويكاد غيرك ساخطا ان يسفها
 قال صاحب الروضتين رحم الله العباد فقد نظم اوصاف نور الدين الجلية
 بأحسن لفظ وارفه (١) وهذا البيت الأخير مؤكدا لما نقلناه في اول الكتاب من
 قول الحافظ ابى القاسم بن عساكر في وصف نور الدين انه لم يستمع منه كلمة
 لحش في رضاه ولا في ضجره وقال من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف
 الفاضلة والنعوت الكاملة قال العباد ثم عاد نور الدين الى حلب في شهر رجب
 وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان مولعا بفرب الكرة
 وربما دخل الظلام فلعب بها بالشموع في الليلة المصفرة ويركب صلاح الدين
 مبكرا كل بكرة وهو عارف بأدائها في الخدمة وشروطها المعتبرة قال واقطعه
 في تلك السنة ضيعتين احدهما من ضياع حلب والأخرى من ضياع كفرطاب

(١) اقول العباد الكاتب ليس من الشعراء المجيدين ونثره خير من نظمه

سنة ٥٦٤

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

قال في الروضتين في اول هذه السنة ملك نور الدين رحمه الله قلعة جعبر واخذها من صاحبها شهاب الدين بك ابن علي بن بك العقيلي من آل عقيل من بني المسيب وكانت بيده ويد آبائه من قبله من ايام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع الحصون واحسنها مطلة على الفرات لا يطعم فيها بمحصر وقد اعجز جماعة من الملوك اخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكي والد نور الدين ثم اتفق ان يخرج صاحبها منها يوماً يتصيد فصاده بنو كلب فأخذوه اسيرا واثقوه وحملوه الى نور الدين فتقربوا به اليه ورغب في الانقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة والنف وتهدده فلم يفعل ايضا فسير اليها عسكرا مقدمه الأمير فخر الدين مسعود بن ابي علي الرعفراني فحصرها مدة فلم يظفر منها بشيء فأمدم بعسكر آخر وجعل على الجميع الأمير مجد الدين ابا بكر المعروف بأبن الداية وهو اكبر امراء نور الدين ورضيمه ووالى معاقلة فاقام عليها وطاف حوالىها فلم ير له في فتحها مجالا ورأى اخذها بالحصر متعترا محالا فسلط مع صاحبها طريق اللين واثار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى اذعن على ان يمطى سروج واعمالها والملاحة التي في عمل حلب والباب وبزاة وعشرين الف دينار معجلة فأخذ جميع مائشرطه مصكرها في صورة مختار قال ابن الأثير وهذا اقطاع عظيم جدا لكنه لاحظ فيه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها منتصف المحرم ووصل كتباه الى نور الدين بحاج فسار اليها وصعد القسامة في العشرين من المحرم ثم

سماها نور الدين الى محمد الدين ابن الداية فولاهما اخاه شمس الدين على وكان هذا آخر امر بنى بلك ولكل امر حد ولكل ولاية نهاية يؤتى الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء قال ابن الأثير بلغنى انه قيل لشهاب الدين ايما احب اليك واحسن مقاما سروج والشام ام القلعة فقال هذا اكثر مالا والعز بالقلعة فارقناه اه

وفيهما في سابع صفر من هذه السنة توفي بهاء الدين عمر اخو محمد الدين ابن الداية وفيه وفي اخويه يقول العماد الكاتب من قصيدة

انتم للمحمود كآل محمد * متصادف في الأفعال والاسماء
يتلوا ابا بكر على حسنه * عمر الممدح في سنا وسناء
ويليه عثمان المرجى للعلا * وعليّ المأمول في اللأواء
وتقبل الحسن المجد مجدم * فهم ذوو الأحسان والنعاء
فرعت لمجد الدين اخوته الذرى * دون الورى في المجد والعلياء
من سابق كرما وشمس ساده * شرفا وبدر دجنة وبهاء
سرج الهدى سحب الندى شهب النهى * اسد الحروب ضراغم الهيجاء
يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين على وبدر الدين حسن وبهاء الدين عمر
ومجد الدين هو الأكبر فهم خمسة رحمهم الله تعالى

وفي هذه السنة فتحت الديار المصرية سار اليها اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين مرة ثالثة فهزم العدو وقتل شاورا (وزير مصر) وولي الوزارة مكانه ثم مات فوليها صلاح الدين وساق في الروضتين تفاصيل ذلك

قال ابن خلكان توفي اسد الدين شيركوه بالقاهرة ودفن بها ثم نقل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه رحمه الله وقال ابن شداد

في سيرة صلاح الدين ان اسد الدين كان كثير الأكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شديدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خناق عظيم فقتله في التاريخ المذكور (ثم قال) وشيركوه لفظ اعجمي تفسيره بالعربي اسد الجبل فشير اسد وكوه جبل . ومن آثاره بحلب (المدرسة الأسدية) قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة هي الآن متلاشية كغيرها وهي بالقرب من الشعبية اه
ومن آثاره جامع بالحاضر الساجاني ذكره ابن شداد في الأعلاق الخطيرة قال ووسع بناءه الأمير سيف الدين علي ابن علم الدين سايان بن جندر وبني الى جانبه مدرسة وتربة ودفن بها تقام به الخطبة وهذا الجامع خراب وسد باباه قال في الروضتين وفي هذه السنة احترق جامع حلب واسواق البز واخذ نور الدين في عمارته آخر السنة اه

سنة ٥٦٥

ذكر الزلازل بالبلاد الشامية وغيرها

قال ابن الأثير في هذه السنة ايضا ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها وعمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخرت كثيراً من دمشق وبعليك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهالك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعليك ليعمر ما تهدم من سورها وقلاعها فلما وصلها اناه خبر باقي البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوها من اهلها فجعل بعليك من بعمرها ويحفظها وسار الى

محض ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بمرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بنيرها من البلاد فأنها كانت قد انت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرين يأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فأقام بظاهرها وبأشرف عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فأن الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل واحد منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر اه

قال فى الروضتين قال العماد فى هذه السنة عند وصولنا الى حلب فى الخدمة النورية كنت مقرظا للفضائل الشهرزورية وكان الحاكم بها القاضي محي الدين ابا حامد محمد بن قاضى قضاة الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى وكان كمال الدين قد علق به تنفيذ الأحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والأمكان فى بسط العدل والأحسان وعي الدين ولده ينوب عنه فى القضاء بحلب وبلدانها وبنظر ايضا فى امور ديوانها وبجماعة ومحض من بنى الشهرزورى قاضيان وهما حاكمان متحكمان وكان هذا محي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتى به فى ايام التفقه ببغداد فى المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلاثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد ابن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه بعامه معلما مذهب الطراز وكانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محي الدين وسلبت قراره وغلبت اضطباره وحلبت افكاره فكاتب اليه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصباية مشكيا * لعدا على عدوى الصباية معديا
مات الرجاء فأن اردت حيانه * ونشوره فارح الأمام المحيا

اقضى القضاة محمد بن محمد * من لست منه للفضائل محصيا
 قاض به قضت المظالم نجبها * وغدا على آثارهن معقيا
 ياكاشعا للحق في ايساه * غررا يدوم لها الزمان مغنيا
 لم تنعش الشهباء عند عثارها * لو لم تجدك لطود حلك مرسيا
 رجفت لسطوتك التي ارسلتها * نحو الطغاة لحد عزمك ممهيا
 وتظلمات من شرهم فتملمات * محجل اجازتها عليها مبقيا
 انفت من الثقلاء فيها اذ رمت * انقالها ورأيتك منها ملجيا
 حلب لها حلب المدامع مسبل * ان لاف الخطب القطيع المبكيا
 وبمدل نور الدين عاود افقها * من بعد غيم الغم جوا مصحيا
 اضحى لبهجتها معيدا بعد ما * ذهبت والمعروف فيها مبديا
 لأموورها متديرا لسناتها * منأفا لصلاحها متوليا
 فالشرع عاد بعدله مستظهرا * والحق عاد بظله مستذريا
 والدهر لاذ بعفوه مستغفرا * مما جناه مطرقا مستحيما

قال ابن الأثير في هذه السنة في ذى الحجة مات قطب الدين مودود بن زكي
 اخو نور الدين محمود صاحب الموصل بالموصل ولما اشتد مرضه اوصى بالملك
 بعده لأبنيه الأكبر عماد الدين زكي وعدل عن ابنه الآخر سيف الدين غازي
 وساق ابن الأثير سبب عدوله

سنة ٥٦٦

ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين

قال في الرضتين قال ابن الأثير لما بلغ نور الدين وفاة اخيه قطب الدين وملك

ولده سيف الدين بعده واستيلاء فخر الدين عبد المسيح واستبداده بالأموار وحكمه على سيف الدين انف من ذلك وكبر لديه وشق عليه وكان يفيض عبد المسيح لما يبلغه من خشونته على الرعيه والمبالغة في اقامة السياسة وكان نور الدين رحمه الله ليما رفيقا عادلاً فقال انا اولى بتدبير بنى اخى وملكمهم ثم سار من وقته فعبى الفرات عند قلعة جمبر اول المحرم وقصد الرقة فامتنع النائب بها شيئاً من الامتناع ثم سلمها على شىء اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرر امورها وسار الى الحابور فلكه جميعه ثم ملك نصبيين واقام بها يجمع العساكر فانه كان قد سار جريدة فانه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وديار بكر واجتمعت عليه العساكر وترك اكثر عسكره بالشام لحفظ ثغوره واطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها واقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكاتبه عامة الأمراء الذين بالموصل يحثونه على السرعة اليهم ليساموا البلد اليه واشاروا بترك سنجار فلم يقبل منهم وقام حتى ملك سنجار وسامها الى ابن اخيه الأكبر عماد الدين زنكى ثم سار الى الموصل فأتى مدينة باد وعبر دجلة في مخاضة عندها الى الجانب الشرقى وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل الى ان قال وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جندى وعامى معه لحسن سيرته وعدله وكان به الأمراء يعلمونه على الوثوب على عبد المسيح وتسليم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه وتقريره على سيف الدين ويطلب الأمان وانقطاعاً يكون له فأجابه الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندى بالشام فأتى لم آت لاخذ البلاد من اولادي وانما جئت لأخلص الناس منك واتولى انا تربية اولادى

فاستقرت القاعدة على ذلك وسلمت الموصل اليه فدخلها ثالث عشر جمادى الاولى وسكن القلعة واقر سيف الدين غازى على الموصل وولى بقلعتها خادماً يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزداراً فيها وقسم جميع ماخلفه اخوه قطب الدين بين اولاده بمقتضى الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاءته خلعة من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين واطلق المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وامر ببناء الجامع النوري بالموصل بني واقيمت الصلاة فيه سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة واقام بالموصل نحو عشرين يوماً وسار الى الشام فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها وزاك اسرعت العود فقال قد تغير قلبى فيها فان لم افارقها ظلمت ويمعنى ايضا اني هاهما اكون مرابطاً للعدو وملازماً للجهاد ثم اقطع نصيبين والخابور العساكر واقطع جزيرة ابن عمر سيف الدين غازى ابن اخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد المسيح فقير اسمه وسماه عبد الله واقطعه اقطاعاً كثيراً ثم ساق في الروصتين ما ذكره العماد الكاتب فى ملك نور الدين الموصل الى ان قال لما دخل الموصل جدد مناشير اهل المصاب وتوقيعات ذوى المراتب من القضاء والنقابة وغيرهما وامر بأسقاط جميع المكوس والضرائب وانشأ بذلك منشوراً يقرأ على الناس فيه (قد قطعنا من كنز الأموال باليسير من الحلال فسحقاً للسحت وعقاً للحرام الحقيق بالمتق وبعداً لما يبعد من رضى الرب ويقصى من غل القرب وقد استخرنا الله وتقرربنا اليه وتوكلنا في جميع الاحوال عليه وتقدمنا بأسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لب بعيدة او قريبة وازالة كل جهة مشتبهة مشوبة وشوكل سنة سيئة شنيعة ونفي كل مظلمة مظلمة فظيعة واحياء كل سنة حسنة وانتهز كل فرصة في الخير ممكنة واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الأموال المحظورة خوفاً من عواقبها

الرديثة المخذورة فلا يبقى في جميع ولايتنا جور جائر جاريا ولا عمل لا يكون به الله راضيا ايثار الثواب الآجل على الخطام العاجل وهذا حق لله قضيناه وواجب علينا اديناه بل هي سنة حسنة سنناها ومحجة واضحة بيناها وقاعدة محكمة مهداها وفائدة مغتنمة افدناها اهـ

ثم قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عمارة اسوارها ثم اتى حران وقد اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في خامس رجب وقال ابن شداد دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته قال في الروضتين وصل الخبر بموت الأمام المستنجد بالله الى المظفر يوسف ابن المقتدى بالله ونور الدين مجيم بشرق الموصل بتل توبة وكانت وفاته في ربيع الآخر وبويع ابنه المستضي بالله وكانت خلافة المستنجد احدى عشر سنة وهو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه يقول بعض الأذباء

اصبحت لب بنى العباس كلهم * ان عدت بحساب الجمل الخلفاء
وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية وكان عادلا فيهم كثير الفرق بهم واطلق
من المكوس كثيرا ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديداً على اهل العيث والفساد
والسعاية بالناس

سنة ٥٦٧

ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العبيدية

قال في الروضتين استفتح صلاح الدين ايوب هذه السنة بأقام الخطبة في الجمعة الأولى منها بمصر لبني العباس وفي الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر

خلفاء مصر وتوفي العاضد (آخر الخلفاء العبيدين) بالقصر يوم عاشوراء وانقضت تلك الدولة بانتها ما دام لها من العصر وكان ذلك بأمر من الملك العادل نور الدين محمود وبسط في الروضتين الأخبار في ذلك

ذكر اتخاذ نور الدين الحمام الهوادي

قال في الروضتين في هذه السنة امر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها فاتخذت في سائر بلادها وكان سبب ذلك انه اتسمت بلاده وطالت مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همدان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج ربما نازلوا بعض الثغور فألى ان يصله الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ امر بذلك وكتب به الى سائر بلادها واجرى الجرايات لها ولم يبقها فوجد بها راحة كبيرة كانت الأخبار تأتيه لوقتها لأنه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هو منها في ساعة فتنتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الأخبار اليه فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نزلوا ثغرا له فانه الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعث نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضي الله عنه فما كان احسن نظره للرعايا وللبلاد .

قال الجلال السيوطي في اواخر تاريخه حسن المحاضرة في فصل (ذكر الحمام الرسائل) وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة اعنتي الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء

زائداً حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلاني وقيل انه بيع طير بألف دينار وقد الف القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في امور هذه الحمام كتاباً سماه تمام الحمام وذكر فيه فصلاً فيما ينبي ان يفعله المنطق وما جرت العادة به في ذلك (الى ان قال) والذي استقرت قواعد الملك عليه ان طائر البطافة لا يلهم الملك عنه ولا يغفل ولا يمهل لحظة واحدة فيفوت مهمات لا تستدرك اما من واصل واما من هارب واما من متعدد في الثغور ولا يقلع البطافة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة احد فإن كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ وان كان نائمًا لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبه . ثم ذكر ما قيل فيها من الشعر وما انشأه القاضي الفاضل وغيره فيها من الرسائل وذكر في الروضتين رسالة العماد الكاتب فيها ثم قال وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الأوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة على الأنبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الأمانة لا يتوهم من جهتها خيانة

وقال في الزبد والضرب انخذ نور الدين الحمام الهوادي في سنة سبع وستين وخمسمائة وكتب بذلك الى جميع البلاد فاتخذت في الأبراج وكتب منشوراً لأربابها وانذار اصحابها بالتهديد لمن اصطاد شيئاً .

سنة ٥٦٨

ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم

قال ابن الأثير في هذه السنة في جمادى الأولى هزم مليح بن ليون الأرمني صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك

ان نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهداً لحروبه مع الفرنج ومباشراً لها وكان هذا من جيد الرأي وصائبه فان نور الدين لما قيل له في معنى استخدامه واعطائه الأقطاع في بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل مله واربح طائفة من عسكرى تكون بازائه لثمنه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يحاوره من الأرمن والروم وكانت مدينة آذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فأخذها مليح منهم لأنها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشاً كثيفاً وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من آقاربه فلقبهم مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهمزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع اهل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين من غنائمهم ومن الأسرى ثلاثين رجلاً من مشهورهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستنضي بأمر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لأن بعض جنده فعلوه .

﴿ ذكر إرسال نور الدين للخليفة يطلب منه تقليدا ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة ارسل نور الدين محمود بن زنكى رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحملة رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يحاور ذلك كخلاط وبلاد قلع ارسلان وان يعطى من الأقطاع بسواد العراق ما كان لأبيه زنكى وهو

صريفين ودر ب هارون والتمس ارضاً على شاطئ دجلة يبنيتها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودر ب هارون فاكرم كمال الدين اكراماً لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمس فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله.

قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان واستيلائه على مرعش

قال في الروضتين قال ابن الأثير وفي سنة ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سايجان السلجوقي وهي ملطية وسيواس وقونية واقصرا عازما على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذالنون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصد قلج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريداً فريداً ففسار الى نور الدين مستنجراً وملتجئاً الى ظله فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل للملوك ووعدته النصر والسعي في رد ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد ولاية احد من المسلمين الا ضرورة اما ليستعين بها على قتال الفرنج او للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما فلما قصده ذوالنون راسل قلج ارسلان وشفع اليه في اعادة ما غلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك ففسار نور الدين نحوه فابتدأ بكيسون وبهسنى ومرعش ومرزبان فلما بينهما من الحصون وسير طائفة من عسكره الى سيواس فلكوها وكان قلج ارسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من اطرافها التي تلي الشام الى وسطها خوفاً وفرقا وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه فتوقف نور الدين عن قصده رجاء ان ينصلح الأمر بغير حرب فأتاه من الفرنج ما ازعجه فأجابه الى الصلح وكان في جملة رسالة نور الدين اليه (اننى اريد منك اموراً وقواعد

ومهما تركت منها فلا اترك ثلاثة اشياء احدها ان تجدد اسلامك على يدرسولي حتى يحل لي اقرارك على بلاد الاسلام فأني لا اغنقذك مؤمنا وكان قلعج ارسلان يتهم باعتقاد الفلاسفة والثاني اذا طلبت عسكرك للغزاة تسيره فأناك قد ملكت طرفاً كبيراً من بلاد الاسلام وترك الروم وجهادهم وهادنتهم فأما ان تكون تنجدي بعسكرك لأفانل بهم الفرنج واما ان تجاهد من مجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم

والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي ولد اخي وذكر امورا غيرها فلما سمع قلعج ارسلان الرسالة قال ما قصد نور الدين الا الشناعة على بالزندقه وقد اجبته الى ما طلب انا جدد اسلامي على يدرسوله واستقر الصلاح وعاد نور الدين وترك عسكره في سيواس مع فخر الدين عبد المسيح في خدمة ذي النون فبقى العسكر بها الى ان مات نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد قلعج ارسلان ملكها له وقال في الروضتين قبل ذلك وكتب العماد وهو بمرعش مع نور الدين الى صديق له بدمشق وكان سافر عنها مع نور الدين في اطيب فصولها وهو زمن الشمس

كتابي فديتك من مرعش * وخوف نوابهها مرعشى
وما مر في طرفها مبهر * صحيح النواظر الا غشى
وما حل في ارضها آمن * من الضيم والضر الا خشى
ترغنى نشيوات الغرا * م كائي من كأسه متشى
اسر واعلن برح الجوى * فقاهي يسر ودمعى يشى
بذلت لكم مهجتي رشوة * لخاصكم حبكم مرثى
وكيف يلذ الكرى مغرم * بنار الغرام حشاه حشى
بمرعش ابغى وبلوطها * مضاهاة جلق والشمش

قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة ونمى حديثها الى نور الدين فاستنشدنيها
فأنشدته اياها ونحن ساثرون في واد كبير مع بيتين بدعت بهما في الحال وهما
وبالملك العادل استأنست * نجاحا منى كل مستوحش
وما في الأنام كـريم سوا * هـ فأن كنت تنكر ذا فتش

سنة ٥٦٩

وفاة الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقستقر صاحب
الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن
بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التي انشأها بدمشق عند سوق الخواصين ومن
عجيب الاتفاق انه ركب ثاني شوال والى جانبه بعض الأمراء [هو كما في الروضتين
همام الدين مودود والى حلب في اول دولة نور الدين] فقال له الأمير سبحان
من يعلم هل نجتمع هنا في العام المقبل ام لا فقال نور الدين لاقل هكذا بل
سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فأت نور الدين بعد احد عشر يوماً
ومات الأمير قبل الحول فأخذ كل منهما بما قاله.

ثم قال وكان اسم طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه وكان واسع الجبهة
حسن الصورة مليح العينين وكان قد اتسع ملكه جداً وخطب له بالخرمين الشريفين
وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها. وكان مولده سنة احدى عشرة
وخمسةائة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله.

وقال ابن كثير في وفيات سنة خمسةائة وتسعة وستين ان نور الدين ولد وقت
طالع الشمس يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة احدى عشرة وخمسةائة
بجلب ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل. وهذا سهو فأن والده

رئى ملك حلب فى سنة ائتين وعشرين كما تقدم ولم تقف على ما يفيد انه اتى حلب فى سنة احدى عشر وخمسة .

قال فى المختار من الكواكب المضية واختلف فى تسميته بالشهيد قال بمضمون احب مملوكا وعف فأكده الحب فقتله وقال بمضمون انه مرض وكان مرضه علة الخوايق فأشار عليه بعض الأطباء بالفصد فامتنع وكان مهيباً فما روجع ومات من هذه العلة بقلعة دمشق فأن كان مقصده فى ترك الفصد عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون الفامن امتى يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون الحديث فقد تصدق عليه هذه التسمية وما اظنها الا غلبت عليه كقول الناس فى سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفأؤلا فى حقهم . فأن قلت كيف بقي عليه هذا ولم يبق على غيره قلت لأنه ليس لغيره من الفتوحات كفتوحانه وغزواته وورعه واوقافه وزهده وجمل اوصافه المحمودة وطالما القى نفسه على العدو وجاهد فى الله حق جهاده طالبا للشهادة اهـ

[اقول] السبب الأول يستبعده العقل جداً عن امثال نور الدين فأن التفكير فى الجهاد وتجهيز الجيوش وعمار الأسوار والقلاع وغير ذلك لم يدع فى فواده مكاناً خاليا ليسلك اليه الحب ويتمكن منه تمكنا يقضى به على حياته والذي يترجح عندي فى سبب تسميته بالشهيد ان والده زكى كان يدعى الشهيد لأنه قتل على قلعة جبر كما تقدم فصار يقال لولده محمود نور الدين ابن الشهيد ثم لكثرة الاستعمال حذفت كلمة ابن اختصارا

قال ابن الأثير وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ارفيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا أكثر تحرياً منه للعدل وقد انينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولذا ذكره هنا نبذة لعل يقف

عليها من له حكم فيقتدي به فن ذلك زهده وعبادته وعلمه فإنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة من الأموال المرصدة لمصالح المسامين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فأعطاه ثلاث دكاكين في محص كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسامين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لأجلك وكان يصلى كثيراً بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب في المحراب
وكان عارفاً بالفقه على مذهب ابي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث وسمعه طالباً للأجر واما عدله فإنه لم يترك في بلاده على سمعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل . وفي الروضتين وغيره قال له وزيره موفق الدين خالد بن القيسراني الحلبي اني رأيت اني اغسل ثيابك فافكر ساعة ثم امره باسقاط المكوس وقال له هذا تفسير منامك وكتب الى البلاد بذلك وامر الخطباء ان يسألوا الناس ان يحالوه في المدة الماضية وقال لهم ما اخرجناه الا في جهاد اعداء الاسلام يعتذر اليهم بذلك

قال في المختار من الكواكب المضية وفي بعض التواريخ ذكر المكوس التي ازالها وقدرت فأفردت من ذلك حلب ومعاملها [٩٦] الف دينار ونيف وفي الروضتين [٥٠] الف دينار سمرين [١٣٦٠] ديناراً كهرطاب [٢٠٠٠] دينار عزاز [٦٥٠٠] دينار نبل باشر [٢١٠٠٠] دينار عينتاب [٩٠٨٠] دينار الباب وبزاعة [٣٠٠٠] قلعة النجم [٣٠٠٠] دينار قلعة جعبر [٧٦٠٠] دينار الرها [٨٥٠٠] دينار قال في اوائل الروضتين ناقلاً من خط الصاحب كمال الدين الى القاسم

عمر ابن احمد بن العديم وسامعا له من لفظه قال قال لي والدي دخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف بها ولداً صغيراً ومالا كثيراً فكتب بعض من مجلب الى نور الدين يذكر له انه قدمات هاهنا رجل موسر وخلف عشرين الف دينار او فوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة الى ان يكبر الصغير يرضى منه ويمسك الباقي للخزانة فكتب على رقعته اما الميت فرحمه الله واما الولد فانشاء الله واما المال فنمره الله واما الساعي فلعمه الله قال وبلغتني هذه الحكاية عن غير نور الدين ايضا

ثم قال ناقلًا عنه ايضا وسمعت صقر بن يحيى بن صقر المعدل يقول سمعت مقلدا يعني الدولمي يقول لما مات الحافظ المرادي وكنا جماعة الفقهاء قسمين العرب والأكراد فثنا من مال الى المذهب وارادنا ان نستدعي الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون وكان بالموصل ومنا من مال الى علم النظر والخلاف واراد ان يستدعي القطب النيسابوري وكان قد جاء وزار البيت المقدس ثم عاد الى بلاد العجم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت فتنة بين الفقهاء فسمع نور الدين بذلك فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة مجلب وخرج اليهم محمد الدين ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما اردنا ببناء المدارس الا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة واظهار الدين وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضي الطائفتين ونستدعي شرف الدين ابن ابي عصرون وقطب الدين النيسابوري فاستدعاهما جميعا وولى مدرسة ابن ابي عصرون اشرف الدين ومدرسة النفري لقطب الدين

ثم قال ناقلًا عنه ايضا اخبرنا افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردي قاضي حلب غلام قد جعله

لمجلس الحكم يدعي سويدا يحضر الخوصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار وادعى انه له على نور الدين دعوى فقال الكردي لسويد المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان فجاء سويدا الى باب الميدان فخرج اسماعيل الخرندار فوجد سويدا قادماً اليه قال سيرني تاج الدين يعني القاضي وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد انفذني تاج الدين وقال لي كذا وكذا فضحك اسماعيل الخرندار ودخل على نور الدين ضاحكاً وقال له مستهزئاً يقوم المولى فقال الى اين فقال حضر سويدا غلام تاج الدين الكردي وقال ان تاج الدين ارسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فانكر نور الدين على اسماعيل استهزائه وقال تستهزئ بطلاي الى مجلس الحكم وقال نور الدين يحضر فرسى حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل انني جئت الى هاهنا امتثالاً لأمر الشرع واحتاج في الحضور الى مجلسه الى ساوك هذه الأتزة وفيها الأطليان وهذا وكيل يسمع الدعوى وان توجهت علي يمين احضر ان شاء الله تعالى قال فحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليمين فقال الكردي قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه لامندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر واصلاح الأمر فيما بينه وبينه وارضاه اه

وقال في المختار من الكواكب المضية حكى ان نور الدين كان قاعداً بدمشق على طيارة مشرفة على نهر بردا فوصل اليه كتاب من بلد المعرة يذكر ان جماعة من

اهل المعرة تغلبوا على كروم وزيتون واملاك ذكر انها ليست لهم واسأذن في قبضها فن احضر بيته او حجة سلم اليه ما كان بيده وان لم يحضر بقي في ديوان بيت المال فأمر بكتب مرسوم بذلك فشرع الكاتب يكتب فسمع منشداً يقول

اعدلوا ما دام امركم * نافذا في النفع والضرر

احفظوا ايام دولتكم * انكم منها على خطر

انما يبقى لكم ابدا * طيب ما يبقى من الخبر

فقال السلطان نور الدين (فن جاءه موعظة من ربه) الآية ثم امر بأبطال

ذلك الكتاب وجعل يبكي اه

وقال في الزيد والضرب عمر بلد حلب في زمان نور الدين لعدله وحسن سيرته

حتى ارتفعت الأسعار مع كثرة المغلات لكثرة العالم

وقال ابن خلكان في تاريخه في ترجمته كان ملكا عادلاً زاهداً عابدا ورعاً مستمسكا

بالشرعية مائلا الى اهل الخير مجاهدا في سبيل الله كثير الصدقات بنى المدارس

بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبلبك ومنبج والرحبة

وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ورتب له ما يكفيه وبجدة الجامع الذى على

نهر العاصى وجامع الرها وجامع منبج وبيارستان دمشق ودار الحديث بها ايضا

وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف . وقال ابن الأثير واما

مانعه من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فنهض دمشق وحمص

وحماة وحلب وشيزر وبلبك وغيرها [ثم قال] وبنى الخانات في الطرق وبنى

الخناكحات في جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل

وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم

ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا ويكتبهم بخط يده

وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجمله فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب اهـ

اقول ومن اراد الوقوف على تفاصيل اخباره ومحمود آثاره فعليه بكتاب الروضتين في اخبار الدولتين (النورية والصلاحية فإنه جمع واوعى)

﴿ آثاره الجليلة في حلب ﴾

—o— المدرسة الحلوية —o—

قال في الدر المختب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحلوية كانت كنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين وجعلها القاضي ابو الحسن بن الخشاب مسجدا بسبب ما اعتمده الفرنج من بعثرة قبور المسلمين واحراقهم حين حصارهم حلب في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكانت تعرف بمسجد السراجين فلما ملك نور الدين جعلها مدرسة وجدد بها مساكن يأوى اليها الفقهاء وكان مبدأ عمارتها في سنة اربع واربعين [صوابه ثلاث واربعين كما هو مكتوب على جدار بابها] وهي من اعظم المدارس صيتا واكثرها طلبة واغزرها جامكية قال ومن شرط الواف ان يحمل في كل شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدارس يضع بها طعاما للفقهاء وفي ايلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة وفي الشتاء ثمن لباس لكل فقيه شيء معلوم وفي ايام شرب الدواء من فصلي الربيع والخريف ثمن ما يحتاج اليه من دواء وفاكهة وفي المواليد ايضا الحلوى وفي الأعياد ما يرتفقون به فيها دراهم معلومة وفي ايام الفاكهة ما يشترون به من انواعها بطيخا ومشمشا وتوتانا .

وقال قبل ذلك في باب ذكر المزارات . وشهد بالمدرسة الحلوية الحنفية

يجلب مذبح من الرخام الملكي الشفاف الذي يقرب الصارى عليه القربان وهو من احسن الرخام صورة اذا وضع تحته ضوء يرى من وجهه فمثل عن ذلك قليل ان نور الد محمود بن زكى احضره من افامية سنة اربع واربعين ووضعه في هذه المدرسة وعليه كتابة باليونانية فمربت فكانت (انه عمل هذا الملك فليطانس والنسر الطائر في اربعة عشر درجة من برج العقرب) قال فيكون مقدار ذلك ثلاثة آلاف سنة الى ايام نور الدين الشهيد المذكور

وقيل ان نور الدين المذكور كان يحشو القطايف للفقهاء ويملا هذا الجرن ويجمعون عليه ويأكلونها (١) وهذا الجرن هو الآن بالمدرسة الحلاوية (قلت) وقد شاعدت هذه الرخامة لكنها ليست يجرن فأن الجرن الحجر المقور المتخذ للوضوء والوضع فيه وهذه الرخامة بسيطة طويلة عريضة مربعة الى الطول اقرب الا ان لها حافات عالية عنها مقداراً يسيراً نحو اصبعين او ثلاثة (حاشية بين سطور الدر المنتخب) وقال كاتب هذه الأحرف ابو الين البترونى وقع على هذا الجرن احد جدران المدرسة فانكسر وصار قطعاً واسف الناس عليه لأنه كان غاية في الحسن اهـ

﴿ مدرسو المدرسة من حين بنائها الى سنة ٦٥٠ تقريباً ﴾

قال ابن شداد ولما فرغ نور الدين من بنائها استدعى لها من دمشق الفقيه اقول ولهذا سميت المدرسة الحلوية وقال في الزيد والضرب ان الظاهر في تسميتها بالحلاوية لم تكن لما كان يصنعه من الحلوى ويضعه في الجرن المذكور وانما كان للحلاويين كانوا بحوارها اهاقول انها قبل ان تتخذ مدرسة كانت مسجداً يعرف بمسجد السراجين والظاهر انه سمي بذلك لسراجين كانوا بجانبه ولا يعرف ذلك السوق بسوق الحلاويين وقتئذ فيغلب على الظن في تسميتها بالمدرسة الحلوية ما هو مشهور بين الناس وهو هذه الحلوى التي كانت تصنع للفقهاء وتوضع في هذا الجرن

الأمام برهان الدين احمد بن علي الأصولي السافلي ليجعله نائباً عن برهان الدين البلخي فامتنع من القدوم فسير اليه نائياً فأجابه ولم يزل نائباً الى ان مات ولما مات شئت الناس بعلي موت احمد وتولي تدريسها الإمام الفاضل رضي الدين محمد بن محمد ابو عبد الله السرخسي صاحب المحيط كان قدم حلب فولاه محمود ابن زنكي التدريس وكان في لسانه لكنة فتعصب عليه جماعة من الفقهاء الخفية فصغروا امره عند نور الدين فمات يوم الجمعة آخر جمعة من رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة فولى مكانه اسماعيل الغزنوي البلخي وكان بالموصل ثم ولي صاحب التصانيف البديعة في احكام الشريعة علاء الدين (١) ثم ولي الإمام افتخار الدين عبدالمطلب بن الفضل الهاشمي صاحب الرواية العالية الفاشرة والدراية الزاهية الزاهرة شرح الجامع الكبير شرحاً لطيفاً مستوفياً وقام بما شرط ثم تولي العلامة تاج الدين ابو الممالى واستمر مدرساً الى ان مات ثم ولي تدريسها الإمام العلامة جامع اشقات الفضائل المبرز في معلوماته على الأواخر والأوائل المضيف الى عالي الرواية عظيم الدراية الرافر الحظ من حسن الخط كمال الدين ابو القاسم احمد بن عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم ولم يزل مدرساً حتى كتب عليه الجلاء مع من كتب من اهل حلب اهـ

قال ابن الشحنة في الدرالمستخب ولم يزل المدرسون ينتقلون بها الى ان انصلت الى سيدي الوالد رحمه الله تعالى ثم الي خاصة بتوقيع شربف في سنة اربع وعشرين وثمانمائة . اقول وفي خلال التراجم تجد اسماء من تولى التدريس في هذه المدرسة والذي يظهر ان امرها كان جارياً على السداد الى اوائل القرن الماضي حينما تولاهها احفاد محمد افندي الطرابلسي مفتي حلب فأهمل امر التدريس فيها لأنهم لم يكونوا

[١] هو صاحب دلائم الصنائع في الفقه الحنفي وستأنيك ترجمته

من اهل العلم وتداعت ابنتها الى الخراب وقد ادركنها والأتربة مألثة وسطها
وفي اواخر القرن الماضي كان المتولي عليها الأخوين السيد محمدًا اباالفتح والسيد
محمودًا ابني السيد عبد الوهاب ابن الشيخ مصطفى الطرابلسي ففرغا التولية سنة
١٢٩٤ الى الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد طلس ولما استلم المدرسة منهما كانت
خرابا يبابا وليس فيها من القديم سوى مكان الصلاة والخراب البديع الذي
في ايوانها . ولم يبق لها من العقارات سوى دارين داخل المدرسة واربع دكاكين
اثنتان عن يمين الداخل الى المدرسة واثنان عن الشمال .

وللمدرسة اراض شجرة لجماعة معلومين في المحلة المعروفة الآن بالتل كانت تعرف
بمناشر الزبل يؤخذ منها بدل زهيد جداً هو عبارة عن عشرة ارطال زيناً ولما
تولى المدرسة الشيخ مصطفى المذكور وجد ان ذلك اجحاف في حقوق المدرسة
فرفع الامر الى والي الولاية وقتئذ جميل باشا فدله والي يد العاية الى ان
تمكن من استرداد تلك الاراضى بعد محاكمات دامت سنين ولما تم له ذلك باشر
بتحكيروها بأجر مثلها في ذلك الوقت ومن هذه الواردات صار يعمر المدرسة
ويشترى لها بفاضل الغلة عقارات ولما توفي سنة ١٣١٥ جرى ولده الشيخ
محمد الذي صار متولياً عليها على تلك الطريقة وبقي الى ان توفي سنة ١٣٣٣
وآلت التولية الى ولده محمد الذي هو في قيد الحياة الآن ولصغر سنه قام بأمر
التولية عنه عمه الشيخ عبد الوهاب افندي لجرى على تلك الطريقة الى ان
عمرت المدرسة جميعها وفرشت بالرخام في اماكنها كافة واصبح فيها من الحجر
اثنا عشرة حجرة للطلاب وعين في هذه السنة وهي سنة ١٣٤٢ لكل طالب
مائتي قرش رائجة . وصار للمدرسة من العقارات اثنان وستون عقاراً وقد اطلعتني
المولى اليه على دفترين احدهما محرر سنة ١٠٧٩ وفيه ذكر العقارات الموقوفة

على المدرسة والاحكار التي كانت تأخذها من كثير من الدور والخوانيت
والبسانين والاراضى وعلى هذا الدفتر امضاء وختم القاضي تقيب زاده السيد
محمد سعيد الحجازي المولى بالمحكمة الشافعية

ودفتر آخر محرر سنة ١٢١٩ وفيه ايضاً ذكر ذلك ومعظم هذه الاماكن
لا تتناول المدرسة اليوم منها شيئاً وقد تغلبت الايدي منذ سنين طويلة عليها
ولو كانت باقية على حالها لكان المدرسة من الربع مبالغ طائلة والله في خلقه شؤون
-o- المدرسة العسرونية -o-

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة ان هذه المدرسة كانت داراً لأبي
الحسن علي بن ابى الثريا وزير بني دمرداش فصيرها الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكى بعد انتقالها اليه بالوجه الشرعي مدرسة وجعل فيها مساكن
للمرتبين بها من الفقهاء وذلك في سنة خمسين وخمسمائة واستدعى لها من جبل
بناحية سنجار الشيخ الأمام شرف الدين ابا سعد عبد الله بن ابى السرى محمد
ابن هبة الله بن المطهر بن علي بن ابى عصرون بن ابى السرى النعمي الحديثي ثم
الموصلي الشافعي وكان من اعيان فقهاء عصره ولما وصل الى حلب ولي تدريسها
والنظر فيها وهو اول من درس بها فعرفت به وصنف كتباً كثيرة في المذهب
والخلاف والفرائض مشهورة في ايدي الناس اهـ

اقول اذا كانت المدرسة بنيت سنة ٥٥٠ كما ذكره هنا فيكون قد استدعى من
الشام لامن سنجار لأنه كما في ترجمته في ابن خلكان قدم الى حلب سنة ٥٤٥
وتوجه منها الى الشام في اوائل سنة ٥٤٩ ثم عاد الى حلب وبقي في هذه البلاد
الى سنة ٥٧٠ فتوجه فيها الى الشام وتوفي فيها سنة ٥٨٥

واذا كان بناؤها سنة ٥٤٥ فيكون قد استدعى من سنجار لأنه في هذه السنة

قدم الى حلب كما نقلناه عن ابن خلكان . ويظهر ان الأصح ان بناءها سنة ٥٤٥ لأن ابن أبي عصرون والقطب النيسابوري استدعيا في آن واحد كما قدمناه في ترجمة نور الدين

— ﴿﴾ المدرسة النفرية وهي المدرسة النورية ﴿﴾ —

قال في الدر المنتخب المدرسة النفرية لا ادري من المنسوب اليه هذه المدرسة ثم قال المدرسة النورية انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة اربع واربعين وخمسمائة وقال في المخار من الكواكب الماضية ومن جملة اوقافه بحلب المدرسة النورية المعروفة بالنفرية .

وقال في الزبد والضرب لما بنى نور الدين المدرسة النفرية ولاها القطب اليسابوري واسمه كما في ابن خلكان مسعود بن مسعود النيسابوري الطريثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين . وتولي كما في ابن خلكان تدريس المدرسة التي بناها اسد الدين شيركوه وكانت وفاته في دمشق سنة ٥٧٨

— ﴿﴾ المدرسة الشعبية ﴿﴾ —

قال في الدر المنتخب كانت هذه مسجدا اول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب ويعرف بالنضاري كما تقدم فلما ملك نور الدين حلب وانشأ المدارس بها وصل الشيخ شعيب بن ابي الحسن بن الحسين بن احمد الفقيه الأندلسي فصيرت له مدرسة فعرفت به ولم يزل مدرسا بها الى ان توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة في طريق مكة فلت وهي يومئذ جامع يقام فيه الخطبة اه

اقول هي في حلة باب انطاكية قبالة الباب المذكور يكتنفهما من طرف اليمين سوق الصباغين ومن طرف الشمال الرقاق الذي في آخره حمام بزدار وهي الآن

مسجد تقام فيه الصلاة

﴿ خانقاه القصر ﴾

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد خانقاه القصر وهي تحت القلعة انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وسميت بهذا الأسم لأنه كان مكانها قصر من بناء شجاع الدين فانك وكان مبدأ عمارتها في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

﴿ خانقاه القديم ﴾

قال في الدر المنتخب انشأها نور الدين ايضا وتولى النظر على عمارتها شمس ابو القاسم الطرسوسى

﴿ البيارستان ﴾

قال في الدر المنتخب البيارستان النورى بناه الملك العادل نور الدين محمود داخل باب انطاكية بالقرب من سوق الهواء [في محلة الجلوم الكبرى في النرفاق المعروف الآن بزقاق البهرمية] يقال ان الملك العادل نور الدين تقدم الى الاطباء ان يختاروا من حلب اصبح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيارستان بها فذبجوا خروفاً وقطعوه اربعة ارباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً فلما اصبحوا وجدوا احسنها راحة الربع الذي كان في هذا القطر فبنو البيارستان فيه ووقف عليه قرية معمرها ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمس افدنة من مزرعة كفرنايا وثلاث مزرعة الخالدى وطاحونها من المطبخ وثمن طاحون اعربية ظاهر باب الجنان وثمانية افدنة من مزرعة ابو مدايا من عزاز وخمسة افدنة بمزرعة الحيره من المطبخ واثني عشر فدانا من مزرعة الفرزل من المعرة وثلاث قرية بيدت راعل من الغربيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء هو الآن معروف بسوق الكمرك منها ثلاثة تمام والباقي شركة الجامع الكبير واحكار ظاهر باب انطاكية وباب

الفرج وباب الجنان اه

اقول هو الآن خراب لم يبق منه سوى بابه وجدران اطرافه ياوي اليه الفقراء من الغرباء ومن الغريب ان معتمد ايطاليا آدولف هولدر فوق باب البيارستان المذكور قنطرة جعل طرفها تحت اطراف قصر داره التي هي تجاه البيارستان المذكور حفظاً للقصر وذلك منذ خمس عشرة سنة وكان ذلك في ليلة واحدة ولم يتطعم لذلك عزان غايته ان المنولي على البيارستان رفع الأمر الى الحكومة والى المجلس البلدى فلم يلنفت اليه وكان الحادثة لم تكن فله الامر . الا انه بعد ذلك ابتلى بالأمراض والاستقام ولم يطب عيشه الى ان مات

ومن آثاره تجديد بناء الجامع الاعظم والنوسيع فيه

يحذر بنا قبل الكلام على ذلك ان نذكر تأسيس بناء هذا الجامع وما حصل فيه الى ان نصل الى هذا التاريخ .

قال في كراسة عندي (يظهر انها من كنوز الذهب لأبي ذر) ما ملخصه ان اباعبيدة لما فتح حلب صالح اهلها على موضع المسجد الجامع فاخطه الصحابة رضي الله عنهم وكان بستاناً للكنيسة التي هي الخلاوية والجب الذي فيه كان دولاباً للبستان ثم جدهه سليمان بن عبد الملك ولم يذكر ابن العديم في ترجمة سليمان ان سليمان بنائه وقال في مكان آخر وبلغني ان سليمان هو الذي بناه كما رأيته بخط ابن عشاير وقد كان هذا الجامع يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وباهى سليمان في بناءه ما عمل اخوه الوليد في جامع دمشق وقيل انما بناه الوليد وانه قتل اليه آلة كنيسة قورص وكانت هذه الكنيسة من عجائب الدنيا يقال ان ملك الروم بذل في ثلاثة اعمدة كانت فيها سبعين الف دينار فلم يسمح الوليد بذلك ويقال ان بني العباس نقضوا ما كان فيه من الرخام

والآلات الى جامع الأنبار لما تقضوا آثار بني امية من بلاد الشام وعلى باب الحجازية حجر من الرخام الأبيض يقال ان عمر بن عبد العزيز جلس عليه ولا يجلس هناك مهموم في الغالب الا انفرج همه ببركته وهذه الحجر يبلغ طولها نصف ذراع وعرضها اقل من ذلك اقول ولما وسع باب الحجازية وجد الدرج الذي امامه وذلك سنة ١٣٢٦ وقلعت الاحجار التي كانت امام الباب تفتتت هذه فوضعت في كيس من الكتان ومعه زجاجة في داخلها ورقة كتب فيها قصتها وقد وضع ذلك الكيس في البنيان وراء الحجر المقوش فوق باب الحجازية .

قال في الدر المستخب ولما دخل نفقور حلب في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة احرق الجامع والبلد ورحل من حلب وعاد سيف الدولة اليها من قنسرين ورم بعض المسجد ولما مات سيف الدولة وتولى ولده ابو المعالي سعد الدولة شريف بنى فيه قرعويه غلام ابيه قبة الفوارة التي في وسط الجامع وفي هذه القبة جرن رخام ابيض في غاية الكبر والحسن وفي دور حافة الجرن مكتوب [هذا ما امر بعمله قرعويه غلام سيف الدولة في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة]

اقول الكتابة كانت قدر نصف ذراع وقد كان اثر النقش باقياً وقد محي هذا الاثر سنة ١٣٠٢ حينما ردم الحوض وذلك في زمن والى النولاية وقتئذ جميل باشا وباليتم ابقوا هذا الاثر وان كان قليلاً

قال في الكراسية. والماء ينصب من هذا الجرن الى بركة مقطعة من الرخام الأصفر ثم يسيل الى بركة من رخام اصفر قطعة واحدة وهي من عجائب الدنيا والعمود الذي في وسط الجامع رؤى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عنده وفي اعلاه صحن من الحديد كان يوضع فيه البخور قديماً ويوضع فيه تارة زيت وحب قطن لينقي على الجامع

واما الشرقية فبناها بنو عماد الدين وكانوا اصحاب طرابلس قديما وكان فيها
آبار الخزن الغلات المتحصلة من ربيع كنيسة هيلانة وهي الخلاوية وشاهدت
جباً في الحجازية الى جانب البركة وانما سميت حجازية لانها منزل اهل الحجاز
(ثم قال) وعلم ان الدخول الى هذا الجامع والصلاة فيه تزيل الكرب وتفرج
المهموم وهذا مشاهد مرئى كيف لا وقد بنى في ايام عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كما تقدم وخطب فيه الصالحون والاخيار كعمر بن عبد العزيز وسليمان بن
عبد الملك واخيراً خطب فيه الخطيب ابو يحيى عبد الرحيم الغاري ابن نبانة
صاحب الخطب المشهورة التى وقع الأجماع انه ما عمل مثلها وقصة رؤياه للنبي
صلى الله عليه وسلم وتقله فى فيه مشهورة واقام ثمانية عشر يوماً لا يطعم ولا
يشرب لبركتها

ولأبي بكر الصنوبري الشاعر المشهور الشاعر المتنبي قصيدة طويلة يمدح فيها
حلب ذكرها يافوت في معجمه ومما قاله فيها في مدح هذا الجامع

حلب بدر دجي * انجمها الزهر قراها
حبذا جامعها الـ * جامع للنفس تقاها
موطن يرسى ذوو * البر لمرساة جباها
سهوات الطرف فيه * فوق ما كان اشتهاها
قبلة كرمها الله مـ * بنور وحبها
ورآها ذهباً فى * لازورد من رآها
ومراقى منبر اعظم * شئ مرتقاها
وذرى مثذنة طالت * ذرى النجم ذراها
ولفوراته مالا * تراه بسواها

قصعة ماعدت الكعب ولا الكعب عداها
 ابداً يستقبل السحب بسحب من حشاها
 فهي تسقى الغيث ان لم يستها اوان سقاها
 كفتها قبة يضحك عنها كنفها
 قبة ابداع بانيتها بناء اذ بناها
 ضاهت الوشي تقوشاً فحكته وحكاها
 لو رآها مبتى قبة كسرى ما ابتناها
 فندا الجامع سرو يتساهى من تناها
 حياء السارية الخضراء منه حياها
 قبلة المستشرق الأعلى اذا قابلتها
 حيث يأتي حلقة الآداب منا من اماها
 من رجالات حبا لم يحلل الجهل حباها
 من رآها من سفیه باع بالعلم السفاهها

وهي السارية الخضراء كان يجتمع فيها المشتغلون بالأدب يقرؤون عندها وذهبت في
 الحريق وما زالت حلقة الأدب لقراءة النحر واللغة معقودة يجامع حلب ليلاً ونهاراً
 وكذلك لقراءة القرآن العزيز وما فتى على هذه الحالة وكان مشرق العابد يقرأ
 فيه الفقه على مذهب الأمام أبي حنيفة وذلك قبل ان تبنى المدارس مجلب

واعلم ان هذا الجامع كان قديماً يدرس فيه على المذاهب الأربعة ولكل مذهب
 مكان مخصوص وبه المحدثون وازباب الفتاوى ولهم معاليم على ذلك وامره
 منتظم الى محنة تيمور والآن قد زالت المسميات وبقيت الأسماء كما قال الأول
 مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

قال ابن شداد زاويتان بالجامع المذكور وقفهما العادل نور الدين لتدريس مذهب مالك واحمد وزاوية بالجامع لتدريس الحديث وقفها العادل نور الدين وانما اغفل المذهبين لأنها كان يدرس فيها قبل نور الدين وقرأت بخط صاحب الملفظ ابراهيم بن عيسى الفقيه المالكي المغربي يلقب بالحجة فقيه حسن فاضل عارف بالأصول ومذهب مالك قدم علينا حلب قبل الستمائة وولي التدريس بزاوية المالكية بالمسجد الجامع ودام يدرس بها مذهب مالك الى ان توفي بعد الأربعين والستمائة بحلب . ﴿ آثار نور الدين فيه ﴾

قال في الدر المختب في الكلام على المسجد الجامع . لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة اربع وستين وخمسمائة في ايام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى احرقته الأسمايلية واحترقت الأسواق التي حوله فاجتهد نور الدين في عمارته وقطع الأعمدة الصفر من بعادين وتقل اليه عمد مسجد قسرين لأن العمد الرخام التي كانت فيه كانت قد تفطرت وتنخرت من حريق النار وسقطت وكانت قواعد العمد في صحن الجامع مع شيء من الرأس وهي في ارضه فجملت وبني بعضها فوق بعض في الغربية التي فيه وكان النصف القبلي من الشرقية التي في قبلي الجامع الآن الملاصقة لسوق البز عن يمين الداخل من الباب القبلي سوفا موقوفا على الجامع ولم يكن المسجد على التبريع فأحب نور الدين محمود ان يضيف ذلك الى الجامع فاستفتى في ذلك الفقيه علاء الدين ابا الفتح عبد الرحمن بن محمود الزنوى فأفتاه يجوزاه فنقض السوق و اضافه الى الجامع فاتسع به وحسن في مرأى العين ووقف عليه نور الدين اوقافا كثيرة

﴿ نواب نور الدين بحلب وآثارهم ﴾

قدمنا ان نور الدين محمود ملك دمشق سنة ٥٤٩ هـ ويظهر من خلال الحوادث انه

فى سنة ٥٥٣ او ٥٥٤ اتخذها دار ملكه ومقره وكان يتردد الى الشهباء الى هذه البلاد للغزو والنظر فى شؤونها الى حين وفاته وكان ينوب عنه فى الشهباء كما تراه فى خلال الحوادث الأمير مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيعه واكبر امرائه وهذا قد توفي فى سنة خمس وستين وخمسمائة وبعد وفاته قام بأمر النيابة بعده اخوه الأمير علي الملقب شمس الدين ولما توفي الملك العادل نور الدين كان هو القابض على زمام الأمور بالشهباء وكان الى القلعة جمال الدين شاذبخت الخادم الهندى عتيق نور الدين

﴿ المدرسة المجدية الجوانية ﴾

قال فى الدر المنتخب هذه المدرسة منسوبة الى مجد الدين بن الداية وهى بالقرب من ضريح النبى بلوقيا بمحلة بزى وقد خربت ولم يبق منها عين ولا أثر فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة

﴿ المدرسة المجدية البرانية ﴾

قال فى هذه المدرسة المجدية البرانية منسوبة اليه ايضا لكن دثرت بالكلية بحيث لم يبق لها عين ولا أثر ولكن البقعة التى كانت بها تعرف الآن بالمجدية (دار الحديث)

وقال فيه ومن دور الحديث دار انشأها مجد الدين بن الداية

خانقاه

وقال فيه خانقاه بمرصة الفراتي انشأها مجد الدين ابو بكر محمد بن الداية بن محمد بن نوشتكين وكانت وفاته سنة خمس وستين وخمسمائة

﴿ خانقاه ايضا ﴾

وقال فيه خانقاه انشأها الأمير مجد الدين بن الداية بمقام ابراهيم عليه السلام

— المدرسة الشاذنجية —

قال في الدر المنتخب هذه المدرسة انشأها الامير جمال الدين شاذنجت الخادم الهندي الاتابكي كان نائباً عن نور الدين محمود بجلب واول من درس بها موفق الدين ابو الشناء محمود بن النحاس ثم عمر بن العديم قال ابن الشحنة ولم يزل المدرسون ينتقلون بها الى ان اتصلت الى سيدى الوالد ومن بعده الي بورود توقيع شريف بأسمي بعرض الامير سيف الدين قصره نائب حلب ولم تزل بيدي حتى نزلت عنها لولدي ابى الين محمد وابى محمد عبد البر مع ما نزلت لهما عنه من الوظائف بجلب عند استقرارى في قضاء الديار المصرية اه

اقول موقع هذه المدرسة في وسط السوق المعروف بسوق الزرب [محرف عن الضرب] وهو يبتدىء من آخر سوق العبي ويخرج منه الى تجاه القلعة ومكتوب على بابها

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذه المدرسة على اصحاب الامام
 - ٢ الاعظم سراج الامة ابى حنيفة رضى الله عنه في ايام
 - ٣ الملك الظاهر غازي بن يوسف عز نصره العبد الفقير الى رحمة
 - ٤ ربه شاذنجت عتيق الملك العادل محمود بن زنكى في سنة تسع وثمانين وخمسمائة
- وفي شمالى المدرسة حجرة كبيرة في وسطها ضريح يقول الناس انه قبر رجل اسمه الشيخ معروف وقد اشتهرت هذه المدرسة الآن باسمه وهو عندنا غير معروف ولهذه الحجرة نافذة كبيرة مطلة على السوق كتب في اعلاها ما كتب على الباب ولها من الأوقاف خمس حوانيت في نفس السوق ونصف دار في محلة ساحتبه وقد اخرج المتولي على المدرسة محمد رضا الخواجكى حانوتين من المدرسة من ابوانها واخبرنى ان مجموع ريع هذه الحوانيت مع نصف الدار اربعين ايرة عثمانية ذهباً

وهو يعمر الآن حجرتين صغيرتين عن يسار القبلة وحجرة كبيرة عن يمينها .
وعمراب القبلة بديع جداً وفيه علمودان من الرخام الابيض وهو يقارب في
هندسته المحراب الذي في مدرسة الفردوس والمحراب الذي في جامع البهرمية
وقد كتب على اعلا المحراب (عمل الى الرجا وعبد الله ابني يحيى رحمه الله)
وقال في الدر المنتخب (في صحيفة ١٢١) عود الى ما ذكره ابن شداد من
المدارس الحنفية التي بظاهر حلب (المدرسة الشاذليية) تقدم لنا اسم بانيتها
واول من درس بها موفق الدين ابوالشنا محمود بن النحاس باعتبار شرط الواقف
ان من درس في الجوانية (التي قدمنا ذكرها) كان اليه التدريس في البرانية
الا ان يرى الواقف ان يفرق بينهما ثم انتقل تدريسها الى كل مدرسي الجوانية
المقدم ذكرهم قلت قد دثرت هذه المدرسة ولم يبق لها عين ولا اثر وباع من
كان ناظراً عليها من بني العديم حجاتها لعلم الدين بن الجالى الوزير اهـ

❦ ذكر ولاية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين ❦

قال في الروضتين قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح
اسماعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشر سنة وحلف له الامراء والمقدمون
بدمشق واقام بها واطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب
له بها وضرب السكة باسمه فيها وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن المقدم اهـ
قال في الزيد والضرب لما توفي نور الدين كان والى قلعة حلب جمال الدين
شاذلي الخادم الهندى عتيق نور الدين وهو الذي بنى المدرسة لأصحاب ابى
حنيفة بجلب فوصله كتاب الطير بوفاة نور الدين فامر في الحال بضرب الدبابات
والكوسات والبوقات واحضر المقدمين والاعيان والفقهاء والامراء وقال قد

وصل كتاب الطائر يجبر ان مولانا الملك العادل قد ختن ولده وولاه العهد بعده ومشي بين يديه فاطهروا السرور بذلك وحمدوا الله تعالى فقال تحلفون لولده الملك الصالح كما امر الملك العادل بأن حلب له وان طاعتكم له وخدمتكم كما كانت لأبيه خلف الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم في ذلك اليوم ولم يترك احداً منهم يزول من مكانه ثم قام الى مجلس آخر ولبس ثياب الحداد وخرج اليهم وقال يحسن الله عزاكم في الملك العادل فأمر الله تعالى قد نقله الى جنات النعيم فاطهروا الحزن والكآبة والأسف والبكاء واستقر الملك الصالح وتوجه المؤيد بن العميد وعثمان بن زردك وهمام الدين الى حلب في الرابع والعشرين من شوال لأثبات مافي خزائن حلب وختمها بختم الملك الصالح

ذكر ملك سيف الدين صاحب الموصل البلاد الجبورية

قال ابن الاثير كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر لحجة الفزاة والمراد غيرها فصار سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشيكن الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان في المقدمة فهرب جريدة واما سيف الدين فأخذ كل ماكان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فلكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحراني فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها

وكان بها خادم خصي اسود لنور الدين فسلمها وطلب عوضها قلعة الرعفران من احمال جزيرة ابن عمر فأعطيتها ثم اخذت منه ثم صار الى ان يستعطي ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فلكمها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى رأس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها وكان شمس الدين على بن الداية وهو اكبر الامراء النورية مجلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور الى سيف الدين ليمتعه من اخذ البلاد لفالج كان به فأرسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه خوفاً من ان يغلب على الامراء كما سيأتي ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذي اقر له الملك بعد ابيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يحن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامراء قال له الرأي ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرائه وهو امير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلقندار قد ملكت اكثر ماكان لأبيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليتقضي الله امرأ كان مفعولاً اهـ

ذكر ماكان من الامور بين صلاح الدين وبين امراء

—*— دمشق بعد وفاة الملك العادل نور الدين —*—

قال في الروضتين قال ابن الاثير لما توفي نور الدين قال الامراء منهم شمس الدين ابن المقدم وحسام الدين الحسيني بن عيسى الجراحي وغيرهما من اكابر الامراء قد علمتم ان صلاح الدين من ممالك نور الدين ونوابه والمصلحة ان

نشاوره فيما نفعله ولا تخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويعمل ذلك حجة علينا. وهو اقوى منا لأن له مثل مصر وربما اخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلم يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا فقال فلم يمض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح بهتته بالملك ويعزله بأبيه وارسل دنائير مصرية وعليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لو لعمه فلما سار سيف الدين غازي بن عمه قطب الدين وملك الديار الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا اعلامه الحال كتب الى الملك الصالح يقتبه حيث لم يلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر في خدمته ويمنعه وكتب الى الامراء يقول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم مقامى لو يثق اليه مثلى ثقته بي ليسلم اليه مصر التي هي اعظم ممالكه ولاياته ولو لم يجعل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمة مولاي وابن مولاي دوني فسوف اهل الى خدمته واجازى انعام والده بخدمة يظهر اثرها وافابل كلا منكم على سوء صنيعه واهمال امر الملك الصالح ومصلحه حتى اخذ بلاده فاقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء لم يمكنوه من السير الى حلب لثلا يغلبهم عليه شمس الدين علي بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما تأخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو وأخوته مجلب وامرها اليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنع البلاد من سيف الدين ابن عمه وارسل الى الامراء يقول لهم ان سيف الدين قد ملك الى الفرات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما اخذ منه والا عبر سيف الدين الفرات الى حلب

ولا تقوى على منعه فلم يرسلوه ولا مكمنوه من قصد حلب

سنة ٥٧٠

ذكر جى* الملك الصالح الى حلب وما جرى من الاثومر

قدما ان سيف الدين غازى لما اتى الى البلاد الجزرية كان معه من الأمراء سعد الدين مكشكش وان هذا لما بلغه وفاة نور الدين هرب جريذة

قال في الروضتين لما هرب سعد الدين سار الى حلب وتمسك بمجدة شمس الدين بن الداية واخوته واستقر بينهم وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار الى دمشق فاخرج ابن المقدم عسكريا لينهبه فعاد منهزما الى حلب فأخلف عليه شمس الدين ابن الداية ما اخذ منه وجهزه وسيره الى دمشق وعلى نفسها فنجى برافض فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح والأمراء واعلمهم ما فى قصد الملك الصالح الى حلب من المصلحة فاجابوا الى تسييره فسار اليها وكان مسير في الثالث والعشرين من ذى الحجة ودخل حلب يوم الجمعة ثاني محرم سنة سبعين وخمسمائة ولما وصلها وصعد الى قلعتها قبض الخادم سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى ابن الخشاب رئيس حلب قال ابن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ولا جرى من ذلك الخلف والوهن شئ* وكان امر الله قدرا مقدورا فاستبد سعد الدين بتدبير امر الملك الصالح اسماعيل فخافه ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق وكاتبوا سيف الدين ليساموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه من وراء ظهره فلا يمكنه الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار ما اخذه بيده وبقي الملك الصالح

بجانب وسعد الدين بين يديه يدبر امره وتمكن منه تمكناً عظيماً يقارب الحجب عليه

[ذكر سبب قبض الخادم سعد الدين على ابناء الداية]

والفتنة بين اهل السنة والشيعة

قال في الروضتين وفي السيرة الصلاحية وفي المختار من الكواكب المضيه لامات نور الدين كان متولى قلعة حلب شاذ بن محمد الخادم النورى وكان شمس الدين على اخو محمد الدين بن الداية اليه امور الجيش والديوان والى اخيه بدر الدين حسن الشحنة وكان بيده ويد اخوته جميع المعافل التى حول حلب فلما بلغ عليا موت نور الدين حدثته نفسه بأمر وصعد الى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد وتحزب الناس بمحلب اهل السنة مع بنى الداية والشيعة مع ابن الخشاب ونهبت الشيعة دار قطب الدين بن العجمى ودار بهاء الدين ابن امين الملك فانزل الأمير على بن محمد بن الداية والى القلعة جماعة من القلميين وامر اهل السنة ان يرجعوا الى دار ابي الفضل ابن الخشاب رئيس الشيعة فرجموا اليها ونهبوها واختفى ابن الخشاب واتصلت هذه الأخبار بمن في دمشق من الأمراء فنظروا في المصلحة فعملوا ان يسيره الى حلب اصلىح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح فجهزه وسيره وعلى نفسها تجني براقش وساروا الى حلب في الثالث والعشرين من ذى الحجة وسار معه مع الملك الصالح سعد الدين كمشتكين وجرديك واسماعيل الخازن وسابق الدين عثمان بن الداية وقد وكلت الجماعة به وهو لا يعلم وساروا الى حلب وخرج الناس الى لقاءهم وكان حسن بن الداية قد رتب في تلك الليلة جماعة من الحلبيين ليصبح ويصلبهم فلما خرج الى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه

عليه ترجل ليخدم هو وجماعة من اصحابه فتقدم جرديك واخذ بيده وشتمه وجذبه فاركبه خلفه رديفا وقبض سابق الدين اخوه في الحال وتخطفت اصحابهم بهميمهم واحتيط عليهم وساروا مجدين حتى سبقوا الخبر الى القلعة وصعدوا عليها وقبضوا على شمس الدين على ابن الداية من فراشه وحمل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله احد ممالك نور الدين المعروف بالجفنية فركله برجله ركلة دحاه بها على وجهه فانشقت جبهته ثم صفدوا جميعا في جب القلعة وقبضوا على جميع الأجناد الذين حلقوا لأولاد الداية واخرجوا جميعا من القلعة

ذكر قتل ابي الفضل ابن الخشاب

قال في الروضتين في حوادث سنة ٥٧٠ قال ابن ابي طي في اولها ضمن القطب العجمي ابو صالح وابن امين الدولة لجرديك ان قتل ابن الخشاب ردوا عليه جميع ما نسب له في دار ابن امين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه واخذ خاتمه اماناً لأبن الخشاب ونودي عليه فخصر وركب الى القلعة في جمع عظيم فصعد اليها والشيعة تحت القلعة وقوف فقتل وعلق رأسه على احد ابراج القلعة ثم رمى برأسه الى البلد وسكنت الفتنة وبقي الملك الصالح اسماعيل في القلعة

(ذكر مجيء السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب)

من مصر الى الشام وحمص وحماة وملكه لهذه البلاد ثم بعثه الى حلب وحصره لها وعوده عنها

قال في الروضتين قال ابن الأثير لما خاف من بدمشق من الأمراء ان يقصدهم مكشكين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بما عامل به بني الداية راسلوا سيف الدين غازي ليساموها اليه فلم يجبهم فغلبهم الخوف على ان راسلوا صلاح الدين

يوسف بن ايوب بمصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن اشبه
اباه فا ظلم فلما اتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل دمشق سلمها
اليه من بها من الأمراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وإنما
اظهر اني انما جئت لأخدمه واسترد له بلاده التي اخذها ابن عمه وقال
القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية لما تحقق السلطان صلاح الدين وفاة
نور الدين وكان ولده طفلاً لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو الله
عن البلاد تجهز للغروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع كثير
من المساكر وخلف في الديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظم امورها
وسياستها وخرج هو سائراً مع جمع من امله واقاربه وهو يكتب اهل البلاد
وأمرائها واختف كلمة اصحاب الملك الصالح واختلف تدابيرهم وخاف بعضهم
من بعض وقبض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقيين من فعل ذلك
وسببا لتغير قلوب الناس عن الصبي فاقتقر الحال ان كاتب شمس الدين بن المقدم
السلطان ووصل مطالباً بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى امره وتربية حاله
فيقوم له ما اعوج من امره فوصل دمشق ولم يشق عليه عصا ودخلها بالتسليم
يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة سبعين وتسلم قلعتها وكان اول دخوله الى
دار ابيه واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس مالا
طائلاً وظهر الفرح والسرور بالدمشقيين وظهروا الفرح به وصعد القلعة
واستقر قدمه في ملكها اه

قال في الروضتين قال ابن ابي طي لما انصل بن في حلب حصول دمشق للملك
الناصر وميل الناس اليه وانعكافهم عليه خافوا واشفقوا واجمعوا على مرارسته
فحملوا قطب الدين ينال بن حسان رسالة ارعدوا فيها وارقوا وقالوا له هذه

السيوف التي ملكتك مصر بأيدينا والرماح التي حوت بها قصور المصريين على اكتافنا والرجال التي ردت عنك تلك العساكر هي تردك وعما تصدبت له تصدك وانت فقد تعديت طورك وتجاوزت حدك وانت احد غلمان نور الدين ومن يجب عليه حفظه في ولده

قال ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولاً تلقاه بموكبه وبمنفسه وبالغ في اكرامه والأحسان اليه ثم احضره بعد ثلاثة لسماع الرسالة منه فلما فاه ابن حسان بتلك الشقاشق الباطلة والتمويهات العاطلة لم يعره السلطان رحمه الله طرفاً ولا سمعاً ولا رد عليه خفصاً ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتغاضيا وترك جوابه احساناً وتجايفاً وجرى في ميدان اريحته واستن في سنن مرثوته وخاطبه بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم اني وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتهذيب الأمور وحيطة الجمهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين وكف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لأخذ الملك لنفسك ونحن لا نطاولك على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وفت الأكباد وايتام الأولاد فلم يلتفت السلطان لمقاله ونزايد في احتماله واوماً الى رجاله باقامته من بين يديه بعد ان كاد يسطو عليه ونادى في عساكره بالاستعداد لقصد الشام الأدنى [بلاد حلب] ورحل متوجها الى حصص فقسام البلد وقائل القلعة ولم يرتضييع الزمان عليها فوكل بها من يحصرها ورحل الى جهة حماة فلما وصل الى الرستن خرج صاحبها عز الدين جرديك وامر من فيها من العسكر بطاعة اخيه شمس الدين على وانباع امره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن واقام عنده يوما وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه حماة وسأله ان يكون السفير بينه وبين من مجلب فأجابه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي

اخو جرديك بقلعة حماة قال وسار جرديك الى حلب وهو ظان انه قد فعل شيئاً وحصل عند من مجلب يدا فاجتمع بالأمرء والملك الصالح و اشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه الأمرء بالخامرة وردوا مشورته و اشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد الدين كمشتكين في القبض عليه فقبض وثقل بالحديد واخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الحب الذي فيه اولاد الداية قال ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل ودلي الى الحب واحس به اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشتمه اقبح شتم وسبه الأم سب وحلف بالله ان انزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كمشتكين فخصر الى الحب وصاح على حسن وشتمه وتوعده فسكن حسن وامسك وانزل جرديك الحب فكان عند اولاد الداية واسمعه حسن كل مكروه قال وكتب ابى [هو ابوطي وكان من كبار الشيعة] الى حلب حين انصل به قبض اولاد الداية وجرديك وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب قصيدة منها

بنو فلانة اعوان الضلالة قد * قضى بذلهم الأفلاك والفدر

واصبحوا بعد عن الملك في صفد * وقعر مظامة يغشى لها البصر

وجرد الدهر في جرديك عزيمته * والدهر لا ملجأ منه ولا وزر

قال ولم يزل السلطان مقبلاً على الرستن ثم طال عليه الأمر فسار الى جباب اثركان فلقية احد غلمان جرديك واخبره بما جرى على جرديك من الأعتقال والقهر فرحل السلطان من ساعته عائدا الى حماة وطلب من اخى جرديك تسليم حماة اليه واخبره بما جرى على اخيه ففعل وصعد السلطان الى قلعة حماة واعتبر احوالها وولاهها مبارز الدين على ابن ابى الفوارس وذلك مستهل جمادى الآخرة وسار السلطان الى حلب ونزل على اف جبل جوشن فوق مشهد الدكة ثالث الشهر

وامتدت عساكره الى الخناقية والى السعدى وكان من مجلب يظنون ان السلطان لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت فخافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق فارادوا تطيب قلوب العامة فاشير على ابن نور الدين ان يجمعهم في الميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بنفسه انهم الوزر والملجأ فأمر ان ينادى بأجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فنزل الصالح من باب الدرجة وصعد الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا اهل حلب انا ربيكم ونزىلكم واللاجئ اليكم كبيركم عندى بمنزلة الأب وشابكم عندى بمنزلة الأخ وصغيركم عندى يحل محل الولد وخفته العبرة وسبقته الدمة وعلا نحيبه ففتن الناس وصاحوا صيحة واحدة ورموا بمائهم وضجوا بالبكاء والويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد ابيك قتال بين يديك ونبدل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعاء والترحم على ابيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح انه يعيد اليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وان يمهر بمجي على خير العمل والأذان والتذكير في الأسواق وقدام الجنائز باسماء الأئمة الاثنى عشر وان يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الأنكحة الى الشريف الطاهر ابى المكارم حمزة ابن زهرة الحسيني [١] وان تكون المصيبة مرتفعة والناموس وازع لمن اراد الفتنة واشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد ابطله نور الدين رحمه الله فاجيبوا الى ذلك قال ابن طي فأذن المؤذنون فى منارة الجامع وغيره بمجي على خير العمل وصلى ابى فى الشرقية مسبلا وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا فى الاسواق وقدام الجنائز اسماء الأئمة وصلوا على

الأموات خمس تكبيرات واذن للشرىف في ان يكون عقود الحلبين من الامامية اليه وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه اه

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وكانت هذه السنة شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هاجمة الأهوية وكان السلطان قد جعل اولاد الداية علالة له وسبباً يقطع به السنة من ينكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح فامتنع كمشكتين فاشتد حينئذ السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك الصالح لا تنقضي الا بنصب الجبائل للسلطان والفكرة في مخالته وارسال المكروه اليه فاجعوا آرائهم على مراسلة سنان صاحب الحشيشية في ارصاد المتناف للسلطان وارسال من يفك به وضمنوا له على ذلك اموالاً جمة وعدة من القرى فأرسل سنان جماعة من فتاك اصحابه لاغتيال السلطان لجاؤا الى جبل جوشن واختلطوا بالعسكر فعرفهم صاحب بوقيدس لأنه كان مثاعراً لهم فقال لهم ياويلكم كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا العسكر ومثلي فيه تخافوا غائلته فوثبوا عليه فقتلوه في موضعه وجاء قوم للدفع عنه فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر من الحشيشية احدثهم وبيده سكينه مشهورة ليقصد السلطان ويهجم عليه فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغريل امير جاندار فقتله وطلب الباقر فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة قال: ولما فات من حلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كاتبوا قض طرابلس وضمنوا له اشياء كثيرة متى رحل السلطان عن حلب وكان في اسر نور الدين منذ كسرة حارم وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة فلم يقبلها نور الدين فلما كان قبل موت نور الدين سمى له فخر الدين سهود بن الرعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين الف دينار وفسكاه لف اسير واتفق في اول هذه السنة موت ملك الفرنج صاحب القدس وطبرية

وغيرهما فتكفل هذا القمص بأمر ولده المخدم فمظم شأنه وزاد خطره فأرسل الى السلطان في امر الحلبين واخبره الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدأ واحدة فقال لست ممن يرهب بتألب الفرنج وها انا سائر اليهم ثم انهض قطعة من جيشه وامرهم بقصد انطاكية ففزعوا غنيمة حسنة وتعادوا فقصده القمص فنكص راجعاً الى بلاده وحصل الغرض من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القاعة ورتب فيها والياً من قبله [ثم قال] ثم ارسل السلطان الخطيب شمس بن الوزير ابي المضاء الى الديوان العزيز [في بغداد] رسالة ضمنها القاضي الفاضل كتاباً طويلاً رائعاً فائماً يشتمل على تعداد مالمسلطان من الايادي في جهاد الأفرنج في حياة نور الدين ثم فتح مصر واليمن وبلاداً جهة من اطراف المغرب واقامة الخطبة العباسية بها [ثم ساق الكتاب] ثم قال قال العماد الكاتب ولما فرغ السلطان من حمص وحصنها سار الى بعلبك فتساقطها في رابع شهر رمضان قال ابن ابي طى وكان بها خادم يقال له يمن فلما شاهد كثرة عساكر السلطان اضطرب في امره وراسل من بحلب على جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الأمان وسلم بعلبك الى السلطان

ذكر الحرب بين سيف الدين غازي صاحب الموصل

وبين صلاح الدين وانهزام سيف الدين ومحصنة صلاح الدين حلب والاتفاق عليها بينه وبين الملك الصالح اسماعيل نور الدين

قال في الروضتين قال ابن ابي طى لما تسلم السلطان بعلبك وازاح غلها عاد الى حمص ونزل بها فاتصل به ورود عز الدين مسعود اخي سيف الدين صاحب الموصل فبجدة للملك الصالح وكان سبب وروده ان جماعة من امراء حلب لما كان

السلطان نازلاً على حلب اجمعوا آرائهم وكاتبوا سيف الدين والزموه نجدة ابن عمه واخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا الموصل وارسلوا بذلك امين الدين هاشماً خطيب حلب وقطب الدين ينال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف الدين منازل بسنجار وفيها اخوه عماد الدين قد اظهر الانتماء الى السلطان فانجده السلطان بقطعة من جيشه فكسروهم ونهبهم عماد الدين بهم وبمسكره فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين صالح اخاه عماد الدين وحشد عسكره وانفذ يجيهم مع اخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاغتم الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا وخرجوا جميعاً حتى خيموا على حماة واخذوا في حصارها واتصل بالسلطان ذلك فرحل من بعلبك الى حمص وبلغ عز الدين فعاد عن حماة ونزل قريباً من جباب التركمان الى جهة العاصي الى قريب من شيزر وارسل النائب بحماة علي بن ابي الفوارس يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع اوزار القتال وسأله مسكابة السلطان فيما يجمع الكلمة ويلم شعث الفرقة فكتب ابن ابي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم ابو صالح ابن العجمي وسعد الدين كمشكين لطلب الصلح فاجابهما السلطان الى ما ارادا وتقرر على انه يرد اليهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً للملك الصالح فلما عين سعد الدين اجابة السلطان الى الصلح والنزول عن جميع الحصون التي اخذها حمص وحماة وبعلبك طمع في جنانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل الى اخذها فقام سعد الدين من بين يديه نافرا وكان ذلك برأى ابي صالح ابن العجمي لأنه كان معه فاجتهد السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج

الى عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماة وحدثه مادار بينه وبين السلطان وهون عليه ابو صالح امر السلطان واخبره بقلته من معه وكان السلطان لما كوتب في امر الصلح سار في خوف من اصحابه فلما عادوا بذلك طعموا في جانبه وعولوا على لقائه وانتهاز الفرصة في امره فكتب باق اصحابه واستعد لحربهم وسار الى ان نزل على قرون حماة واخذ في مدافعة الايام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في الناطف للأحوال فلم ينجع فيهم حال وكانوا في كل يوم يعزمون على لقائه وقتاله فيبطل عزيمتهم بمراسلة يفتعلها تسويقاً للاوقات وتقضيماً للزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيئته قد ملأت صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة ونالوا منه الغرض قال وفي يوم الاحد تاسع عشر رمضان التقوا ولم يكن بعد قد وصل للسلطان من عسكره احد فتجمع اصحاب السلطان كردوساً واحداً واخذوا يحدون بمة ويسرة ويدافعون الاوقات رجاء ان يتصل بهم بعض العسكر وضربى عسكر حاب والعسكر الموصل على اصحاب السلطان حين شاهدوا قلتهم واجتماعهم وكاد اصحاب السلطان يولون الادبار فوصل تقي الدين عمر عند الحاجة اليه لتمام السعادة للسلطان فانه لو تأخر ساعة لانكسر عسكره فوصل تقي الدين في عسكر مصر وجماعة من الامراء وهم غير عالمين بالحرب وقيامها فلما رأوا الناس في الكر والضرب والهبر حملوا جميعاً بعد ان افرقوا في الميمنة والميسرة فصدوا عسكر الموصل صدمة ضمضة بهم وكان السلطان في هذه المدة قد كتب جماعة من عسكرهم واستفسدهم اليه وحمل اليهم الأموال وهذا هو الذي ابطأ بهم الى ان وصلت عساكره والا فلو كان عسكر حلب نصح لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما اشتد القتال لم ينصح الجماعة التي كاتبها السلطان بل كانوا مثبطين مخوفين لمن قرب منهم ثم

انهم بعد ذلك انهزموا وتبعهم عسكر السلطان واستباحوا اموالهم وخيامهم وامر السلطان اصحابه ان لا يوغلوا في طلبهم ولا يقتلوا من رأوه منهزماً ولا يدفقوا على جريح ورحل حتى نزل في منزلتهم ثم سار من وقته مجداً حتى نزل بمرج قراحصار ولم يزل هناك حتى عيد عيد الفطر فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وان يقر الملك الصالح على ما في يده وما هو جار تحت حكمه من الشام الأسفل الى بلد حماة فلم يرض بذلك فجعلوا له مع حماة المعرة وكفرطاب فرضي بذلك وحلف على نسخة رأيتها وعليها خطه قال وكان في جملة الذين انه متى قصد الملك الصالح عدو حضر بنفسه وجيوشه ودافع عنه وان لا ينير الدعاء له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولايته وولاية اصحابه وان تكون السكة بأسمه ولما حلف السلطان والملك الصالح وامراؤه عاد السلطان قاصداً دمشق فاما وصل الى حماة وصلت اليه رسل الخليفة المستضيء ومعهم الشريقات الجليلة والأعلام السود وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام وفي هذه الخلع يقول ابن سعدان الحلبي

يا ايها الملك العزيز فضله * لقد غدوت بالعلي مليا
كفى امير المؤمنين شرفا * انك اصبحت له وليا
طارحك الود على شحط النوى * فكنت ذاك الصادق الوفيا
اولاك من لباسه زخرفة * لم يولها قبلك آدميا
ناسبت الروض سنا وبهجة * حتى حكته روتقا وديا

(سنة ٥٧١)

الحرب بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازي
صاحب الموصل وانهزام هذا منه واستيلاء الصلاح على منجع

ثم اعزاز ثم محاصرته لحلب والصلح بينه وبين الملك الصالح
اسماعيل بن نور الدين واهدائه اعزاز الى ابنة نور الدين

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة قد سبق ذكر الصلح الذي جرى بين
السلطان والحلبين فلما سمع المواصلة عتبا عليهم وبنحوهم ونسبهم الى العجلة في
ذلك وسلوك غير طريق الحزم فحملهم على التقص والتكث وانفذوا من اخذ عليهم
الموائيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ له مواصلة من السلطان
عهده ويكشف ايضا ما عنده فلما خلا به طالبه السلطان بنسخة الرأي فلفظ
واخرج من كفه نسخة يمين الحلبين لهم وناولها اياه فناملها واخفى سره وما ابداه
واطلع على ما انفقوا عليه وردھا اليه وقال لعلھا قد تبدلت فعرف الرسول انه
قد غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الحلبيون للمواصلة
ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون امراً الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم وعرف
من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفاء مرفوض وشاع الخبر عن المواصلة
بالخروج في الربيع فكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نائبه بمصر يعلمه بذلك
ويأمره ان يأمر العساكر بالاستعداد للخروج في شعبان قلت وفي كتاب
فاضلي جليل الى بغداد عن السلطان [يطالع بان الحلبين والموصلين لما وضعوا
السلاح وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد ان كانت البلاد في ايدينا على استخدام
عسكر الحلبين في البيكارات الى الكفر وعرضنا عليهم الامانة فحملوها والايمان
فبدلوها وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل بمحض من قهساء بلده وامراء
مشهده يميناً جعل الله فيها حكماً وضيقة في نكثها المجال على من كان حنيفاً مسلماً
وعاد رسوله ليسمع منا اليمين فلما حضر واحضر نسختها اوماً بيده ليخرجها
فاخرج نسخة يمين كانت بين الموصلين والحلبين مضمونها الاتفاق على حربنا

والتداعي الى حربنا والتساعد على ازالة خطبنا والاستنفار لمن هو على بعدنا
وقربنا وقد حلف بها كمشتكين الخادم مجلب وجماعة معه يميناً نقضت الأولى
فرددنا اليمين الى يمين الرسول وقتلنا هذه يمين عن الايمان خارجه وارادت عمرأ
واراد الله خارجه وانصرف الرسول عن بابنا وقد نزهنا الله ان يصكون اسمه
معرضاً للحنث العظيم والنكث الذميم وعلمنا ان الناقد بصير والآخذ قدبر
والمواقف الشريفة النبوية اعلاها الله مستخرجة الاوامر الى الموصلي اما بكتاب
مؤكد بان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه واما ان تكون الفسحة واقعة لنا في
تضييق خنائه [اه ثم قال ابن شداد [في السيرة الصلاحية] لما وقعت الوقعة
الأولى مع الحبسين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على سنجار محاصر
اخاه عماد الدين يقصد اخذها منه ودخوله في طاعته وكان اخوه قد اظهر الانتماء
الى السلطان صلاح الدين واعنصم بذلك واشتد سيف الدين في حصار المكان
وضربه بالمنجنيق حتى انهدم من سورته ثلث كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه
وقوع هذه الوقعة فخاف ان يبلغ ذلك اخاه فيشد امره ويقوى جأشه فراسله
في الصالح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق
فيها وسار حتى اتى الفرات وعبر باليرة وخيم على جانب الفرات الشامي وارسل
كمشتكين اليه وجرت مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مراراً حتى استقر
اجتماعه بالملك الصالح وسمحوا به وسار ووصل حلب وخرج الصالح الى لقائه
بنفسه فالتقاه قريب القلعة واعتنقه وضمه اليه وبكى ثم امره بالعود الى
القلعة فعاد اليها وسار هو حتى نزل بعين المباركة واقام بها مدة وعسكر حلب
يخرج الى خدمته في كل يوم وصعد جريدة واكل فيها خبزاً ونزل وسار راحلاً
الى تل السلطان ومعه جمع كبير واهل ديار بكر والسلطان رحمه الله قد انفذ في

طلب المساكر من مصر وهو يرقب وصولها وهؤلاء يتأخرون في امورهم وتدابيرهم
 وهم لا يشعرون ان في التأخير تدميرا حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه الله حتى
 اتى قرون حماة فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليك ووجهوا من كشف
 الاخبار فوجدوه قد وصل جريدة الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسقى
 فلو اراد الله نصرتهم لقصدوه في تلك الساعة لكن صبروا عليه حتى سقى خيله
 هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبىة القتال واصبح القوم على مصاف وذلك
 بكرة الخميس العاشر من شوال فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم
 وانكسرت ميمنة السلطان بأبن زين الدين بن مظفر الدين فانه كان في ميمنة
 سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما من كبار
 الامراء منهم الأمير فخر الدين عبد المسيح فن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين
 الى حلب فاخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك
 هو رحمه الله عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فانهم
 كانوا قد ابقوا النقل على ما كان عليه والمطابخ قد عملت ففرق الاصطبلات ووهب
 الخزائن واعطى خيمة سيف الدين لعز الدين فرخشاها

ثم نقل في الروضتين ما ذكره العماد الكاتب في كتاب البرق الشامى في تاريخ
 الدولة الصلاحية في هذه الوقعة فقال

قال العماد رحلنا في شهر رمضان من دمشق مستأنفين فعبنا العاصى لله طائعين
 والى المسار مسارعين فاعرجنا على البلد ولا انتظرنا ما وراءنا من مدد ونزلنا
 الغسلة وجزنا حماة وخيمنا في مرج بوقبيس وجاء الخبر انهم في عشرين الف
 فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم [سيأنيك مافيه نقلا عن ابن
 الأثير] وانهم موعودون من الفرنج بالنجدة وانهم يزيدون في كل يوم قوة

وشدة وما كان اجتمع من عسكرنا سوى الف فارس فرتب السلطان عسكره وقوى بقوة قلبه قلبه وامد الله بحزب ملائكته حزيه ولما وصل المواصلة الى حلب اطلقوا من كان في الأسرى من ملوك الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك وجوسلين خال الملك وقرروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما عيونا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان فعبنا العاصي عندشيزر ورتبنا العسكر واعدنا الأتقال الى حماة ثم وصف الوقعة الى ان قال وركب السلطان اكتافهم فشل مثيرهم وآلافهم حتى اخرجهم من خيامهم واشرقهم بمائهم ووكل بسرdaq سيف الدين غازي ومضاربه ابن اخيه فرخشااه وركض وراءه حتى علم انه تعداه ووقع في الأسر جماعة من الأمراء المقدين ثم من عليهم بالخلع بعد ان تقاهم الى حماة واطاعهم ثم نزل في السراaq السيفي فسلمه بمخزائنه ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسخه فبسط في جميع ذلك ايدي الجود وفرقتها على الحضور والشهود وابقى منها نصيبا للرسل والوفود ورأى في بيت الشراب في السراaq الخاص طيوراً من القماري والبلابل والهزار والبيغا في الأقفاص فاستدعى احد الندماء مظفر الأقرع فأنسه وقال خذ هذه الأقفاص واطلب بها الخلاص واذهب بها الى سيف الدين فأوصلها اليه وسلم منا عليه وقل له عدالى اللب بهذه الطيور فهي سليمة لانوقمك في مثل هذا المحذور وقال ولما كسر القوم ولوا مدبرين الى حلب فلم يقف بعضهم الى بعض وظنوا ان العساكر وراءهم ركضا وراء ركض فتبعجت خيولهم وتموجت سيولهم وما صدقوا كيف يصلون الى حلب ويفلقون ابوابها ويسكنون اضطرابها واما سيف الدين فإنه ركض في يومه من تل السلطان الى بزاعة وجاوز في سوقه الاستطاعة وفرق وفارق الجماعة اه

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة في اثناء الكلام علي هذه الواقعة . سار صلاح الدين من دمشق الى ناحية حلب ليلقي سيف الدين فالتقى المسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فألقوا نفوسهم الى الأرض ليس فيهم حركة فأشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى في هذه الساعة غدا بكرة نأخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر السيفي اعلامهم في وهدة من الأرض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يشبوا وانهزموا لم يلو اخ على اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب فزل وترك بها اخاه عز الدين مسعودا في جمع من العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو (ثم قال) وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامى في تاريخ الدولة الصلاحية ان سيف الدين كان عسكره في هذه الواقعة عشرين الف فارس ولم يكن كذلك انما كان على التحقيق يزيدون على ستة الآف فارس اقل من خمسمائة فأنتى وقفت على جريدة العرض وترتيب العساكر المصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي لذلك والكاتب له اخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد ان يعظم امر صاحبه بأنه هزم بستة آلاف عشرين الفا والحق احق ان يتبع ثم ياليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون الف فارس اه

اقول وفي قوله انه لم يقتل سوى رجل واحد نظر لما سيأنيك عن ابن ابى طي

وقال في الروضتين قال ابن أبي طي في وصف هذه الوقعة ان ميسرة سيف الدين انكسرت فتحرك الى جانبها ليكون رداً لها ومددا فظن باقي العسكر انه قد انهزم فانهزموا لحقق ما كان وهما فساد على وجهه لا يلوى على شيء وتبعهم السلطان فهلك منهم جماعة قتلا وغرقا واسر جماعة كثيرة من وجوههم وامراتهم ثم رجع وامر اصحابه برفع السيف على الناس وترك التعرض لمن وجد منهم بقتل او نهب وفرق ما وجد في خزائن سيف الدين وسير جواريه وحظاياه الى حلب وارسل اليه بالاقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الذ من مقاساة الحرب ووجد السلطان عسكر الموصل كالحانة من كثرة الخمر والبرابط والعيدان والجنوك والمغنيين والمغنيات قال واشتهر انه كان مع سيف الدين اكثر من مائة مغنية وان السلطان ارى ذلك لعساكره واستعاذ من هذه البلية وكان انفذ الأمراء الذين اسرهم الى حماة ثم ردهم وخلق عليهم وارسلهم الى حلب

ثم قال قال ابن أبي طي واما سيف الدين فإنه امتدت به الهزيمة الى بزاغة فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من اصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار الى الموصل وصار باقي عسكر حلب الى حلب في سابع شوال (تقدم عن ابن شداد ان الوقعة كانت في عاشر شوال فلعله كانت في ثلثه ووصول المنهزمين الى حلب في سابعه وما في ابن شداد سهو من النساخ) في اقبح حال واسوءه عراة حفاة فقراء يتلاومون على نقض الأيمان والعهود وخاف اهل حلب من قصد السلطان لهم فأخذوا في الاستعداد للحصار وجاء السلطان وخيم عليها اياما ثم قال الرأي ان نقصد ماحولها من الحصون والمعاقل والقلاع فنفتحها فانا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان امرها فصبوا رأيه فزلوا على بزاغة

فتسلمها بالأمان وولاهما عز الدين خشتين الكردي وكان ذلك في الثاني والعشرين من شوال ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان فيها الأمير قطب الدين ينال بن حسان والسلطان لاينال به احسان بل كان في جر عسكر الموصل اليه اقوى سبب ولا يحاذنه ولا يحفظ معه شرط ادب ويواجهه بما يكره فسلم القلعة بما فيها وقوم ما كان سلمه بثلاثمائة الف دينار منها عين ونقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنسوج وغلات. وسامه على ان يخدم فأبى وانف وكبرت نفسه فغضب سره وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فأقطعهم الرقة فبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين .

ثم قال قال ابن ابي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن صعد اليه وجلس يستعرض اموال ابن حسان وذخائره فكان في جملة امواله ثلثمائة الف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والأسلحة والذخائر ما يناهز الي الف دينار فخان من السلطان التفاتة فرأى على الاكياس والآنية مكتوبا يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل له ولد يحبه ويوثره اسمه يوسف كان يدخر هذه الاموال له فقال السلطان انا يوسف وقد اخذت ماخبي لي فتعجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على اعزاز ونصب عليها عدة مجانيق وجد في القتال وبذل الاموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع رفيع فحاصره ثمانية وثلاثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فأن الفيلض حلمهم على مهادنة الفرنج واطلاق ملوكهم الذين تعب نور الدين رحمه الله في اسرهم فرأى السلطان ان يحتاط على المعافل ويصونها صون العقائل فتسلمها حادي عشر ذي الحجة بعد مدة حصارها المذكور قال واغار عسكر حلب على عسكرنا

في مدة مقامنا على عزاز فأخذوا على غرة وغفلة ماتعجلوه وعادوا فركب أصحابنا في طلبهم فما أدركوا الا فارسا واحدا فأمر السلطان بقطع يده بمحسّم جرده فقلت للمأمور وذلك بمسمع من السلطان تمهل ساعة لعله يقبل مني شفاعة ثم قلت هذا لا يحل وقدرك بل دينك عن هذا يحل وما زلت اكرر عليه الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته ورحم وامر بحسبه وسرني سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن اسد الدين وقال ما هذا الفشل والونا وان سكتم انتم فما اسكت اناسا ودمدم وزبحر وغضب وزأر وقال لم لا يقتل هذا الرجل ولما ذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتمطّعه وتلا عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى واطلق سراحه وتم في نجاته نجاحه اهـ

(ذكر وثوب الحشيشية على السلطان صلاح الدين)

مرة ثانية قصد اغتياله

قال في الروضتين كانت الوثبة الأولى عليه وهو على حلب وقد تقدم وهذه كانت حادى عشر ذى القعدة وهو على اعزاز يحاربها وكان للأمير جاولى الأسدى خيمة قريبة من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وترتيب المهمات وحض الرجال والحث على القتال ثم قال قال ابن ابي طي لما فتح السلطان حصن بزاغة ومينج ايتن من بحلب بخروج مافي ايدهم من المعافل والقلاع فمادوا الى عادتهم في نصب الجبائل للسلطان فكانوا سنانا صاحب الحشيشية [هو من الاسماعيليه وكان مقامه في مصيات بلدة صغيرة بالقرب من حماة وهي الآن من اعمالها ولازال سكانها من الاسماعيليه] مرة ثانية ودرغوه بالاثمال والمواعيد وحملوه على انفاذ من يفتك بالسلطان فارسل لعنه الله من

اصحابه فجأؤا بزي الأجناد ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وابلوا فيها احسن البلاء وامنزجوا باصحاب السلطان لعلمهم يحدون فرصة يتتهزونها فيينا السلطان يوماً جالسا في خيمة جاولى [وقد قدمنا اسباب جلوسه فيها] والحرب قائمة والسلطان مشغول بالظر الى القتال اذوثب عليه احد الحشيشية وضربه بسكين على رأسه وكان رحمه الله مخترزا خائفا من الحشيشية لا يتزع الزردية عن بدنه ولا صفائح الحديد عن رأسه فلم تصنع حربة الحشيشي شيئا لمكان صفائح الحديد واحس الحشيشي بصفائح الحديد على رأس السلطان فمد يده بالسكينة الى خد السلطان فخرحه وجرى الدم على وجهه فتتعمع السلطان لذلك ولما رأى الحشيشي ذلك هجم على السلطان وضرب رأسه ووضع على الأرض وركبه ليجره وكان من حول السلطان قد ادركهم دهشة اخذت بعقولهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين بازكوج وقيل انه كان حاضرا فاخترط سيفه وضرب الحشيشي فقتله وجاء آخر من الحشيشية ايضا يقصد السلطان فاعترضه الأمير منكلان الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى منكلان فخرحه في جبهته وقتله منكلان ومات منكلان من ضربة الحشيشي بعد ايام وجاء آخر من الباطنية لفصل في سهم الأمير علي بن ابي الفوارس فهجم على الباطني ودخل الباطني فيه ليضربه فاخذه علي تحت ابطه وبقيت يد الباطني من ورائه لا يتمكن من ضربه فصاح علي اقتلوه معي واقتلوني معه فجاء ناصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه وما زال يخضخضه فيه حتى سقط ميتا ونجا ابن ابي الفوارس وخرج آخر من الحشيشية منهزما فاقبىه الأمير شهاب الدين محمود خال السلطان فكذب الباطني عن طريق شهاب الدين فقصدته اصحابه وقطعوه بالسيف واما السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه سائل على خده واخذ من ذلك الوقت

في الاحتراس والاحتراز وضرب حول سرادقه برجاً من الخشب كان يجلس فيه وينام ولا يدخل عليه الا من يعرفه وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخاف الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فألجأت الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد الى خيمته واخذ في قنال عزراز فقائلها مدة ثمانية وثلاثين يوماً حتى عجز من كان فيها وسألوا الأمان فتسلمها حادي عشر ذى الحجة وصعد اليها واصلاح ماتهم منها ثم اقطعها لأبن اخيه تقى الدين عمر وكانت عزراز اولاً للجفنية غلام نور الدين فلما ملك السلطان منبج اخذها منه الملك الصالح وقواها لعله يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان من امر عزراز حقد على من مجلب لما فعلوه من امر الحشيشية فسار حتى نزل على حاب خامس عشر ذي الحجة وضربت خيمته على رأس الياروقية فوق جبل جوشن (هى قرية الانصاري) وجي اموالها واقطع ضياعها وضيق على اهاها ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها بل كان يمنع ان يدخل اليها شئ او يخرج منها احد وكان سعد الدين كمشكين في حارم وكانت اقطاعه في يدنوابه وكان انزعها من يد اولاد الداية بعد ان عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها ان السلطان لما نزل على اعزاز خاف كمشكين ان يتقل منها الى حارم فخرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم كمشكين على كونه خارجاً في حارم وخاف ان يجري بين السلطان وبين الأمراء الحلبيين صلح فلا يكون فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال ويقول لو فسخ لى في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمة واصلحت الأمر على ما يرومه السلطان وراسل ايضا الملك الصالح والأمراء مجلب يقول لهم قد حصلت خارجاً وقد بلغنى امور ولا بد من طلبي من الملك

الناصر ليأذن لي في الصيرورة اليكم فأن الذى قد حصل عندى لايمكتى الكلام فيه فراسل الملك الصالح في الأذن له في الدخول الى حلب فأذنوا له وطلبوا الرهائن منه فأنفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن ابى المضا الخطيب والعماد كاتب الأتشاء وانفذوا من حلب الى السلطان رهينة بنصرة الدين بن زنى و العماد الكاتب قال لما حصلنا داخل حلب اخذنا برأى العدل ابن المعجمى وجعلنا في بيت ومنع مناغلمانا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا فى انكدعش وفى تلك الليلة دخل كمشتكين الى حلب فلما اصبخوا احضرت انا وابن ابى المضا الى مجلس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود وجماعة من ارباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن المعجمى فأخذ يتحدث بلمغته و يترجم بلكنته ويفضرب صفحا عنى ويوهم الجماعة انى وانى

وما درى النمر بأنى امرؤ * اميز التبر من الترب

قد عارك الأهوال حتى غدا * بين الورى كالصارم المضرب

قد راضه الدهر فلو امه * بمخطبه مساريع للخطب

قال وعرضت نسخة اليمين علينا وصرفنا ولم يلتفت اليها فاما صار الى السلطان واخبره بما جرى في حتهما من الهوان علم ان ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كمشتكين الى حلب فاطلق نصرة الدين وقاتل اهل حلب ولم يزل منازلا لحلب الى انسلاخ سنة احدى وسبعين .

سنة ٥٧٢

﴿ ابقاء حلب واعمالها للملك الصالح ﴾

قال في الروضتين دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة والسلطان مقيم بظاهر

حلب فمرف أهلها ان العقوبة اليمية والعاقبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل ولاذوا بالتوسل وخاطبوا في التفضل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا وعف وكفي وكف وابقى للملك الصالح حلب واستقرى كل عثرة لهم واقالها وارادله الاعزاز فرد له عزاز وقال ابن شداد اخرجوا اليه ابنة لنور الدين صغيرة سألت منه عزاز فوهبها اياها قال ابن ابي طي لما تم الصلح وانعدت الأيمان عول الملك الصالح على مراسلة السلطان وطلب عزاز منه فاشار الأمراء عليه بانفاذ اخته وكانت صغيرة فاخرجت اليه فاكرمها السلطان اكراما عظيما وقدم لها اشياء كثيرة واطلق لها قلعة عزاز وجميع ما فيها من مال وسلاح وميرة وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح اخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائما وقبل الأرض وبكى على نور الدين فسألت ان يرد عليهم عزاز فقال سمعا وطاعة فأعطاه اياها وقدم لها من الجواهر والنحف والمال شيئا كثيرا وانفق مع الملك الصالح ان له من حماة وما فتحه الى مصر وان يطلقو الملك الصالح اولاد الداية (وقد تقدم ذكر حبسهم في جب القلعة) قال العماد وحلفوا له على كل ما شرطه واعتذروا عما اسخطه وكان الصلح عاماً لهم وللدواصلة واهل ديار بكر وكتب في نسخة اليمين انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقيون عليه يداً واحدة وعزيمة متفاددة حتى ينيء الى الوفاء والوفاق ويرجع الى مرافقة الرفاق اه ثم توجه السلطان صلاح الدين من حلب الى حصن مصياث وبعد ان اخذ ثاره من سنان الأسماعيلي توجه الى دمشق ثم الى مصر وبسط في الروضتين الكلام في ذلك

ذکر قتل کمشتکین وحصص الفرنج حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتکین وكان المتولى لأمر دولته الحاكم فيها وسبب قبضه انه كان يجلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن العجمي وكان مقدما عند نور الدين فلما مات نور الدين تقدم ايضا في دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه يجلب و صار كل من كان بمحسد كمشتکین انضم الى ابي صالح ونفوا جنسانه وكثروا سواده وكان عنده اقدم وجراة فصار واحد الدولة يجلب ومن يصدر الجماعة عن رأيه وامره فينما هو في بعض الأيام في الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجزوانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تمحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت حارم لسعد الدين قد افطمه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليأمر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فأمرهم بذلك فامتنعوا فمذب كمشتکین واصحابه يرونه ولا يرحمونه فأت في العذاب واصر اصحابه على الامتناع والعصيان فلما رأى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة في جمادى الأولى على ما ذكره ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبي قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلام

فلم يزالوا كذلك الى بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فأجابوه حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشاً فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بمحاصر الفرنج وصاروا كأنهم طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستتاب بها مملوكا كان لأبيه اسمه سرخك اهـ

سنة ٥٧٥

ذكر محاصرة قليج ارسلان لرعبان ثم انهزامه من تقى الدين عمر

قل في الروضتين قال ابن ابى طي اتصل بالسلطان صلاح الدين ان قليج ارسلان قد طمع في اخذ رعبان وكيسون فلما دخل دمشق وصله رسوله يطلبها منه ويدعى ان نور الدين بن زنكى اغتصبها منه وان الملك الصالح قد انعم عليه فاغتاز السلطان وزجر الرسول وتوعد صاحبه فماد الرسول واخبر قليج ارسلان فغضب وسير عسكرا الى رعبان فحاصرها وسمع السلطان فندب تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس فسار فلما قارب رعبان اخذ معه جماعة من اصحابه مقدار مائتي فارس وتقدم عسكره وسار حتى اشرف على عسكر قليج ارسلان ليلا فرآهم وقد سدوا الفضاء وهم قارون آمنون وادعون فقال تقي الدين لأصحابه هؤلاء على ما ترون من الطمأنينة والأمن والغفلة وقد رأيت ان نعمل الساعة فيهم بمدان تتفرق في جوانب عسكرهم ونصيح فيهم فانهم لا يشبتون لنا فأجابوه الى ذلك فانفذ واحدا من اصحابه الى باقى عسكره وامرهم ان يشفروا اطلابا وان يعمل في كل طلب قطعة من الكوسات والبوقات فاذا سمعوا الصيحة ضربوا

بكوساتهم وبوقلتهم وجدوا في السير حتى يلحقوا به ففعلوا ما امرهم ثم انه حمل في عسكر قليج ارسلان وخرج اصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قليج ارسلان ثلاثة الآف فارس فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع حوافر الخيل وجلبة الرجال واصطكاك اجرام الحديد هالهم ذلك وظنوا ان قد فوجئوا بعالم عظيم فلم يكن لهم الا ان جالوا في كواكب خيولهم عريا وطلبوا النجاة واخذتهم السيوف فتركوا خيامهم واتقاهم مجالها واكثر بقي الدين فيهم القتل والاسر وحصل على جميع ما تركوه فلما اصبح جمع المأسورين ومن عليهم بأموالهم وكراعهم وسرحهم الى بلادهم اه

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وفيها احرق الأسماعيلية اسواق حلب وافنقر اهلها بذلك وكانت احدى الجوائح التي اصاب حلب واهلها اه

سنة ٥٧٦

﴿ ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمني ﴾

فقال ابن الأثير في هذه السنة قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمني بعد فراغهم من امر قليج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الأرمني كان قد استمال فوما من التركمان وبذل لهم الأموال فأمرهم ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لأنها مضائق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبي حريمهم واخذ أموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الأسود وبث الغارات على بلاده لخفاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخر به واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر

واقوات ففتحها وانتفع المسلمون بما غنموه فأرسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من الأسرى والسبي وأعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فأجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة اهـ

سنة ٥٧٧

(ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين)

قال في الروضتين قال ابن شداد كان مرضه بالقولنج وكان اول مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين منه اغلق بلب قلعة حلب اشدة مرضه واستبدعى الأمراء واحداً واحداً واستحلقوا لعز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه توفي رحمه الله وكان موته وقع عظيم في قلوب الناس. وقال ابن أبي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر سقاه سما في عنقود غيب وهو في الصيد وقيل الذي سقاه ياقوت الاسدى في شراب وقيل انه اطعمه خشكنا نكة وهو في الصيد قال ودفن بالمقام الكبير الذي في القلعة وحزن الناس له حزنا عظيما وكان من احسن الناس صورة واليقم اعطافا قلت وبلننى انه كان يقال ان ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات نوز الدين رحمه الله فانه سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من اجزائه بالنار وولده جزؤه فأت فبل ان يطول عمره على احسن سيرة وحالة رحمها الله. قال ابن الأثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء خرا تداويا بها فقال لا افعل حتى استفتى الفقهاء وكان عنده علاء الدين الكاساني [صاحب كتاب بدائع الصنائع] الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة يعتقد فيه اعتقادا حسنا ويكرمه فاستفتاه فافتاه مجواز شرها فقه آل

له ياعلاء الدين ان الله سبحانه وتعالى قد قرب اجلى ايوخره شرب الخمر قال
لا والله قال والله لالقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمة علي قلت (القائل صاحب
الروضتين) يحتمل انه ذكر له ان من العلماء من ذهب الى جواز ذلك لانه كان
يري ذلك فان مذهبه بخلافه والله اعلم

ثم قال ابن الأثير فلما ايس من نفسه احضر الأمراء كلهم وسائر الأجناد
واستحلفهم لأبن عمه اتابك عز الدين وامرهم بتسليم مملكته جميعها اليه فقال له
بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها من البلاد من همدان الى الفرات
فلو اوصيت بحاجب للمولى عماد الدين ابن عمك لكان احسن ثم هو تربية والدك
وزوج اختك وهو ايضا عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الأعراق
وطهارة الأخلاق والخلال التي تفرد بها فقال ان هذا لم ينب عني ولكن قد
علمتم تغلب صلاح الدين على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ومعى فبان سامت
حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين فان ملكها صلاح الدين
فلا يبقى لأهلنا معه مقام واذا سلمتها الى عز الدين امكنه ان يحفظها لكثرة
عساكره وبلاده وامواله فاستحسن الحاضرون قوله وعلموا صحته وعجبوا من
جودة رأيه مع شدة مرضه ومن اشبه اباه فاضلم . وفي مختصر تاريخ الذهبي
كان تدبير امر حلب الى والدة الملك الصالح والى شاذبخت وخالد بن القيسراني
ثم ان الصالح مرض بالقولنج جمعتين ومات في رجب وتأسفوا عليه واقاموا
عليه المآتم وبالغوا في النوح وكان امراً منكراً . وكان دينا عفيفا عادلا متحيبا
الى العامة متبما للسنة ولم يبلغ عشرين سنة ذكر العفيف بن سكرة اليهودى وكان
يطبه قال قلت له يامولانا والله شفاؤك في قدح خمر وانا احمله اليك سرا فلانعلم
والدتك ولا اللالا ولا احد فقال كنت اظنك عاقلا . نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم يقول ان الله لم يجعل شفاء امي فيما حرم عليها وتقول لا انت ، ههنا وما
يؤمنى ان اشربه واموت وهو في جوفى اه
زاد في الزبد والضرب بعد العبارة المتقدمة والله لو قال ملك من الملائكة ان
شفاءك في الحرم لما استعملته

قال ابن المديم في ترجمته كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب وكان لموته وقع
عظيم في قلوب الناس وكان رحمه الله قدره احسن تربية وكان ديناً عفيفاً ورعاً كريماً
محبوباً الى قلوب الرعية لعدله وحسن طريقته ولين جانبه لهم قال لي والدي رحمه
الله ان اليوم الذي مات فيه انقلبت المدينة بالبكاء والضحج ولم ير الا بالك عليه
مصعب به قال لي ودفن بقلعة حلب ولم يزل قبره بها الى ان ملك الملك الناصر
حلب وتسلم قلعتها فحول قبره الى الخانقاه التي انشأها والدته تحت القلعة قال ولما
حول ظهر من الناس من البكاء والتأسف كيوم مات قال ووجد من قبره عند نبشته
شبيهه براهمة المسك رحمه الله وحكى لي ذلك ايضاً غير والدي وكان رحمه الله على صغر سنه
كثير الاتباع للسنة والنظر في العواقب توفي ولهم من العمر ثمان عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة
قال في الزبد والضرب نقلاً عن ابن شداد انها انشأت الخانقاه المذكورة في سنة
ثمان وسبعين وخمسائة وانها بنت الى جانبها تربة دفنت فيها ولدها الملك الصالح
قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة بعد ان ذكر نظير ما تقدم وجعلت
ام الملك الصالح بها فراء عيانا ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غربي حلب
ولاية عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر

من شعبان الى شوال من سنة ٥٧٧ هـ ولاية عماد الدين

زنكي بن مودود بن زنكي في الحرم من سنة ٥٧٨

قال في الروضتين لما توفي الملك الصالح ارسل دزدار حلب وهو شاذنجت ولسائر

الأمراء الى اتابك عز الدين يدعونه الى حلب ليسلموها اليه فورد الخبر ومجاهد الدين قايماز قد سار الى ماردين لمهم فقهي القاصدين عندها فأخبروه الخبر فصار اتابك مجدا فلما وصل الى المنزلة التي بها مجاهد الدين اقام معه وارسل الى حلب يستحضر الأمراء فحضروا كلهم عنده وجددوا اليمين له فصار حيثثا الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفرات كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فصار عنها هاربا الى مدينة حماة ونادوا بشعار اتابك وكان صلاح الدين بمصر فأشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واعلموه فيها وفي غيرها من البلاد الشامية واعلموه عبة اهلها للبيت الاتابكي فلم يفعل وقال بينا يمين فلا تغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار منها الى الرقة فأقام بها وجاءه رسول اخيه عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ منه عرضها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين وقال ان سلمت الي حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حيثث الجماعة بتسليمها اليه وكان اكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فانه لج في تسليمها الى عماد الدين ولم يمكن اتابك عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده فوافقه وهو كاره فسلم حلب الى اخيه وتسلم سنجار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايس من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز من القاهرة الى الشام فلما سمع اتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الأمراء الأكابر مال الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه فلما رأى اتابك ذلك لم يثق بعده الى احد من امرائه اذ كان ذلك الأمير اوتقم في نفسه فعاد الى الموصل قال ابن شداد لما توفي الملك الصالح سارعوا الى اعلام عز الدين مسعود بن

قطب الدين بذلك وبما جرى له من الوصية اليه وتحليف الناس له فسارع سائرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان فكان اول قادم من امرائه الى حلب بمظفر الدين بن زين الدين وصاحب سروج ووصل معها من حلف الأمراء له وكان وصولهم في ثالث شعبان وفي العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرها وتزوج ام الملك الصالح في خامس شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لأجل السلطان والح عليه الأمراء في طلب الزيادات ورأوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق عطنه وكان صاحب امره مجاهد الدين قايمز وكان ضيق العطن لم يعتد مقاساة امر الشام فرحل من حلب طالب الرقة وخلفه ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فأتى الرقة ولقيه اخوه عماد الدين عن قرار بينهما واستقر مقايضة حلب بسنجار وحلف عز الدين لأخيه عماد الدين على ذلك في حادى عشرى شوال وسار من جانب عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين صعد عماد الدين الى قلعة حلب اه. قال في الروضتين قال العماد كان قصد السلطان صلاح الدين اصلاح حال الملك الصالح وانه القائم مقام ابيه فصده عنه بمالكيه فأخذت بلادهم بلجاجهم ومرضت دولته لسوء علاجهم فافتنع بحلب الى ان توفي ووصل ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب فجمع ظاهره وباطنه واخذ خزائنه ودفائه واخلى كنياته ثم عرف انه لا يستقر بها امر فرغب اخاه عماد الدين زكى صاحب سنجار في تويضها له بحلب فمال الى بذله ورغب



ذكر حصص صاحب ماردين قلعة البيرة ومسير صاحبها

مع صلاح الدين

قال ابن الأثير كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الأرتقي وهو ابن عم قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمر تاش بن ايلغازي بن ارتقي صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فبات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فأذن له في ذلك فسار عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان يتجده ويرحل العسكر المازداني عنه ويكون هو في خدمته كما كان ابوه في خدمة نور الدين فأجابه الى ذلك وارسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من امر الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يلبثوا منها غرضاً امرهم بالرحيل عنها وعادوا الى ماردين فسار صاحبها (ابن شهاب الدين الأرتقي) الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

سنة ٥٧٨ هـ

ذكر خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية

وحجته الى الديار الحلبية واستيلائه على البلاد الجزرية

قال في الروضتين لما سمع السلطان في مصر بمرض الملك الصالح اسماعيل بن نور

الدين كتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وهو يتولى له المبرة وحماة وامره بالتأهب للنهوض وكتب الى ابن اخيه عز الدين فرخشاہ وهو نائبه بدمشق يأمره بتنفيذ عسكر الى جهة اخيه تقي الدين على اظهار قاعدة النظر في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا ارسلان والتوجه لفصلها قال [فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب المتقدم وباطنها لهذا السبب المتأخر وقد كوتب الولد تقي الدين ان يتوجه الى منبج على الظاهر والباطن المذكورين وان يحفظ المغازي ويرابط الفرات ويمنع المعابر ولنا بالس وقلة جعفر ومنبج وتل بآشر وهي جمهور الطرق بل كلها وقد اوعزنا الى تقي الدين بأن يكون حمام حماة في حلب وحمام دمشق في حماة والى الأجل ناصر الدين بأن يكون حمام دمشق في حمص وحمام حمص في حلب وولدنا عز الدين يؤمر بان يكون حمام بصري في دمشق وقد بعثنا نجابين يكونون منيخين ببصري فأن تحققت الوفاة فنحن اسبق من الجواب قولاً وفعلًا ووعدًا ونجحًا فالعلة مزاحمة والعسكر مستريحة والظہر قد استعد والمصلحة في الحركة ظاهرة وحجج انتقاد المتقدين في هذه القضية ساقطة

ثم قال ولما سمع بوفاته تحرك عزمه وندم على الزوح من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وكذلك شحذ عزائم نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الاستعداد وحملهم . وكان الفرنج بانطاكية قد اغاروا على حارم واتوا من السبي والنهب بالمعظائم واغار عسكر حلب على الراوندان وهي في عمل صلاح الدين ورسولهم عند الفرنج يستنجدهم وينفروهم به وراسلوا الحشيشية (الباطنية) فكتب السلطان صلاح الدين كتابا الى الخليفة في بغداد يشرح الحال باللفظ العمادي وكان في جملة الكتاب ما معناه ان حلب

من جملة البلاد التي اشتمل عليها تقليد امير المؤمنين المستفي بأمر الله له وانما
 تركها في يد ابن نور الدين لأجل ابيه والآن فليرجع كل الى حقه وليتبع برقه
 ثم كتب اليه في كتاب آخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستيلائه عليها
 (كما تقدم) فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بها متمديا وغود الخلفاء لا تحمل
 والسيوف في اوجه اوليائهم لا تسل وانه ان فتح باب المنازعة ادنى من ندامه
 وابعده من سلامه وخرق ما يعى على الراقع وجذب الرداء فلم تن فيه الا حيلة
 الخالع وليس الاستيلاء بحجة في الولايات لطالها ولا الدخول في الدار
 بموجب ملك غاصبها الا ان تكون البلاد كالديار المصرية حين فتحها الخادم
 واهله حيث الجمعة مسترية والخلافة في غير اهلها غريبة والعقائد لغير الحق
 مستجيبة فتلك الولاية اولى من منعها من فتحها وكان سلطانها من ادخل في
 كان شيطانها واما حلب فان الكلمة فيها عالية والمنابر فيها بالاسم الشريف
 حاله فانما تكون لمن فلدها لا لمن توردها ولن بالحق تسلمها لا لمن بالباطل
 تسلمها ولو كانت حلب كما كانت مصر لدخلها الخادم ولم يشاور ولولجها ولم
 يناظر ولكنه اتى البيوت من ابوابها واستمطر القطار من سحابها (ثم ذكر ان
 المواصله راسلوا الملاحدة الحشيشية واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين وواسطة
 بينهم وبين الفرنج ووعدهم بقلاع من يد الاسلام تقلع وضياع من في المسلمين
 توضع وبدار دعوة حلب ينصب فيها علم الضلالة فيرفع ويا للمجب من الخضم
 يهدم دولة حق وهي تبنيه ومن العبد يبني ملكها بنفسه وماله وذويه وهي
 تراقب اعلاه فيه ودعواه في رسائلهم وغوائلهم ليست بدعوى لا يقوم شاهدا
 ولا هي بشناعة لا يهتدى فائدها بل هذا رسولهم عند سنان صاحب الملاحدة
 ورسولهم عند القمص ملك الفرنج وهذه الكتب المواصله بذلك قد سبرت .

ولاستيجاب الولاية طرق اما السبق الى التقليد فللخادم السابق واما العدالة
والمعدل فلو وقع الفرق لوقع الحق واما بالاثار بالطاعة فله فيها ما لولا معونة
الخالق فيه لقصرت عنه ايدي الخلق ومضى استمرت المشاركة في الشام افضت
الى ضعف التوحيد وقوة الاشتراك وترامت الى اخطار يعجز عنها خواطر
الاستدراك واحوجت قابض الأعنة الى ان يعاينها الجدد ويرساها العراك وطريق
الصالح والمصالحات الأيمان والمشار اليهم (يعني اصحاب الموصل) لا يلتزمون
دبقتها ولا يوجبون صفقتها وكفي بالتجريب ناهيا عن الغرر ولا يلدغ المؤمن
الامرء واذا اجتمعت في الشام ايد ثلاث يدعارية ويد ملحدة ويد كاذبة نهض
الكفر بثليثه وقصرت عن الإسلام يد مغيبه ولم ينفع الخادم حينئذ تصحيح
حسابه وتصديق حديثه وما يريد الخادم الا من تكون عليه يد الله وهي الجماعة
ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ولا يتوخى الا ما يقوم به الحجة
اليوم ويوم تقوم الساعة) ومن كتاب آخر (قد احاط للعلم بما طالع به اولاً عند
وفاة نور الدين رحمه الله ان التقليد الشريف المستضيئ لما وصله بالبلاد وكان قد
فتح اكثرها فلاعاً وامصاراً وحصونا ودياراً ولم يبق الا قصبة حلب وهو على
اخذها عدل ولد نور الدين عن القتال الى النوال وعن الزال الى الاستئزال
وقصد القصد الذي ما اوجبت المحافظة ان يتلقى بالرد فافره على الولاية فرعاً
لا اصلاً ونائباً لا مستقلاً وسلم اليه البلاد ويده الغالبة لا المغلوبة وسيوفه السالبة
لا المسلوقة ومشى الامر معه مستقيماً ومائلاً وجائراً وعادلاً الى ان قضى نحبه ولقي
ربه فبدأ من المواصلة نقض الأيمان والابتداء بالمعدوان والتعرض للبلاد والتصرف
فيها بغير حجة يكون عليها الاعتماد فطالع الديوان بالقضية واستشهد بدلالات
قوانينه الجليلة في هذا التقليد الذي تهادته المحاضر واشاعته المسابر وسيرت الى

الشرق والغرب نسخه وغلت الأيدي التي تحدث انفسها انها نسخه اه
فان في الروصتين بعد عود السلطان صلاح الدين من الأسكندرية الى مصر وذلك
في ذي القعدة من سنة ٥٧٧ هـ شرع في الإستعداد لسفر الشام فجمع العساكر
والسلاح واستصحب نصف العسكر وابقى النصف الآخر يحفظ ثغور مصر
ولمصر قراقوش بآتمام الاسوار الدائرة على مصر والقاهرة قال وكان السلطان عشية
توديعه لاهل مصر جالساً في سرادقه ينشده بيناً في الوداع فأخرج احد مؤدي
اولاده رأسه وانشد مظهراً له فضله ورافما به محله

تمتع من شميم عرار نجد * فابعد العشية من عرار
فلما سمعه حمد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر
بعضنا الى بعض ولا يقضي العجب من مؤدب ترك الادب فكانه نطق بما هو
كائن في الغيب فإنه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى لقي بنجح المني والمنية
قال ابن الأثير وكان مسيره من مصر الى الشام في خامس المحرم وتبعه من التجار
واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير
فلما سار جمل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه
عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاتقال مع اخيه تاج الملوك بوري
الى دمشق وبقى هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم
واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا اقدم على
الدخول منه ثم سار فأتى دمشق فوصلها حادي عشر صفر من السنة واقام بها اياما
يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى طبرية وجارب من تجمع فيها من الافرنج
فكسروهم وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وكان قد واعد اسطول مصر
ان يتجهز الى بلاد الساحل فبلغه الخبر انه وصل الى بيروت فبادره السلطان

بمسكره جريدة قبل ان يفوت فلما وصل رأى ان امر بيروت يطول وكان قد سبى الأسطول منها وسلب وظفر من غنيمتها بما طلب فاغار السلطان على تلك البلاد ورجع واعاد فرخشاہ الى دمشق ورحل الى بلبك ومنها الى حمص (١) قال في الروضتين ثم رحل السلطان الى حماة واستصحب معه ابن اخيه تقي الدين فلما قرب من حلب اقبل مظفر الدين كوكبري بن كوجك صاحب حران حيثئذ فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جملة الاعوان و اشار عليه ان يعبر الفرات ويمر ما وراءها ويترك حلب الى ما بعد ذلك لثلاثا تشمله عن غيرها فاستصوب السلطان رأيه وعبر الفرات .

وقال ابن ابى طي في اول السنة اراد مظفر الدين بن زين الدين وكان اليه شحنة حلب الاستيلاء على قلعة حلب بأن يهجمها فلم يتمكن وظهر امره وبعد هذه الوقعة اجتمع الأخوان عز الدين وعماد الدين على الرقة وتحالفوا على بساط واحد وسلم عماد الدين ما كان بيده من سنجار وغيرها الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فسار اليها ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار الى الفرات فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على جباب التركمان و اشار على السلطان بعبور الفرات والاستيلاء على بلاد الشرق وتأخير امر حلب ففعل ورحل عن حلب بعد ان اقام عليها ستة ايام واقام على تل خالد ثلاثة ايام ثم رحل الى البيرة وفيها شهاب الدين محمد بن الياس الأرمني فنزل اليه وقبل الأرض بين يديه وسأله الصمود الى قلعة البيرة فأجابه وقدم له مفاتيح القلعة فردها اليه ووعد باستخلاص ما كان صاحب ماردين رده عليه ورحل السلطان الى سروج فنزل اليه صاحبها ابن مالك مستأمناً فأعاده

الى بلده وارسل صاحب ماردين في رد ما كان تغلب عليه من اعمال البيرة ففعل
ثم اخذ الرها ثم الرقة ثم سلم الرها الى ابن زين الدين والرقة الى صاحب الرها
لأنه سأل ان يكون في خدمة السلطان وقال القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية
نزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين فاقام
ثلاثة ايام ورحل في الحادى والعشرين منه يطلب الفرات واستقر الحال بينه
وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب حران وكان قد استوحش من
من جانب الموصل وخاف من مجاهد الدين فالتجأ الى السلطان وعبر اليه قاطع
الفرات وقوى عزيمته على البلاد وسهل امرها عنده فعبّر الفرات واخذ الرها
ونصيبين ومروج ثم شحن على الخابور واقطعه اهـ

قال ابن الأثير لما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوكة اصحاب الأطراف
ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فأجابته نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب
الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرت بينها لما كان نور الدين عنده بالشام
فأنه استقر الحال ان صلاح الدين يمحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح
الدين الى مدينة الرها فحصرها في جمادى الأولى وقتلها اشد قتال فحدثني بعض
من كان من الجند عد في غلاف رمح اربعة عشر خرقة وقد خرقة السهام ووالى
الزحف عليها وكان بها جيش منقطع وهو الأمير خضر الدين مسعود الزعفراني
فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطالب الأمان وسلم البلد وصار في
خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزداد الذى
بها على مال اخذه فلما ملكها سلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على
حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعا قطب الدين ينال ابن حسان
المنبجى فسار عنها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور

قرقيسيا وماكسين وعرابان فلك جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيين فلك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فلكها ايضا واقام بها ليصلح شبانها ثم اقطعها اميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وارادوا تخريب جامعها فأرسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان خربتكم الجامع جددنا عمارته واخرنا كل بيعة لكم في بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه من يتمصب لعز الدين بالعود فقال يخرجون قرى وملك عوضها بلاداً ونعود نعمرها وتقوي على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال اه ثم حصر صلاح الدين الموصل ثم سار منها الى سنجار فلكها ثم ملك آمد وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان على ما استقرت القاعدة بينهما وبسط ابن الأثير القول في ذلك وكان ملكه لا آمد في المشرق الا ولى من المحرم سنة ٥٧٨ قال في الروضتين وفي فتح آمد يقول سعيد بن محمد الحريري الحلبي من نصيدة في السلطان

رمى آمدًا بالصفان فاذغت * له طساعة آكامها ووعورها

فما عز ناديهما ولا اعتاص نغرها * ولا جاش طاميهما ولا رد سورها

وانزلت بالكروه ابن تيسان نخرجها * كما انزل الزباء كرها نصيرها

نهضت لها حتى اذا انقاد صعبها * تقضى على طول الشمامس نفورها

سمحت بها جوداً بان ظل برهة * يفاورها طوراً وطوراً ينيورها

وملكت ما ملكت منها تحولا * وكان قليلا في ندادك كثيرها

وان بلاداً انجذبتك ملوكها * لأجدر ان يرجو ندادك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فيا ساكني الرعاء من سفح آمد * ارى عارضاً ينهل بالموت هاطله
لئن غضبت يوماً عليكم عروشها * فهذا ابن ايوب وهذى معافله
ولو رامها يوماً سواه لقطعت * اباهره من دونها واباجله
وابن تيسان كان مدبر آمد ورئيسها والقائم بأمرها . (وقول بن سعيد وملكت
ماملكت) يشير به الى ما وهبه صلاح الدين من الخزائن والذخائر التي وجدت
بها وكانت شيئاً كثيراً لا يدخل تحت الحصر، الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان
الذي سلمه آمد كما تقدم .

(سنة ٥٧٩)

ذكر استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعينتاب وحلب

قال في الروضتين ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات لقصد حلب وولايتهما
فتسلم في طريقه تل خالد بالعرب ولم تكن منهم بالقرب فافر اهلها فيها ثم نزل
على عيتاب فبادر صاحبها ناصح الدين محمد بن خمارتكين الى خدمة السلطان
فاعاده الى مكانه بالأحسان وقال ابن ابى طي تسام السلطان تل خالد في اربع
عشر المحرم وسلمها الى بدر الدين دلدرم ثم سار الى حلب فنزل عليها في سادس
عشر المحرم وكان اول نزوله في الميدان الأخضر وسير المقاتلة يقاناون وبياسطون
عسكر حلب ببايقوسا وباب الجنان غدوة وعشية وفي يوم نزوله جرح اخوه
تاج الملوك وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرج وخرب قلعة اعزاز في
تاسع جمادى الاولى سنة ثمان وسبعمين وخرب حصن كفرلانا واخذها من
بكمش فإنه كان قد صار مع السلطان وقاتل وباشر فلم يقدر عليها وجرت غارات
من الفرنج في البلاد بحكم اختلاف العساكر . قال ولما نزل السلطان على حلب

استدعى العساكر من الجوانب فاجتمع خلق كثير وقتلها قتالا شديدا وتحقق
عماد الدين زكى انه ليس له به قبل وكان قد ضرس من اقتراح الأمراء عليه
وجبههم اياه فاشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له مع السلطان في اعادة
بلادهم وتسليم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشعر احد من الرعية ولا من العسكر
حسب الامر ثم اعلمهم واذن لهم في تدبير انفسهم فانفذوا عنه عز الدين جرديك
وزين الدين بك فبقوا عنده الى الليل واستخلفوه على العسكر وعلى اهل البلد
وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الأخضر
ومتدموا حلب وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقام عماد الدين بالقلمة يقضى اشغاله
ويتمل اقشته وخزائنه الى يوم الخميس ثالث عشر صفر. وفيه توفي تاج الملوك
اخو السلطان من الجرح الذي كان اصابه وشق عليه امر موته وجلس للنزاه
قلت وكان اصغر اولاد ايوب ذكر ابن القادسي ان مولده سنة ست وخمسين
في ذي الحجة فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وانشد له شعرا وقال العماد
الكاتب في كتاب الخريدة انه لم يبلغ العشرين سنة وله نظم لطيف وفهم شريف
ثم قال القاضي ابو المحاسن [هو ابن شداد]

وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزاه وسار معه بالميدان الأخضر
وتقررت بينهما قواعد وانزله عنده بالخيمة وقدم له مقدمة سنية وخيلا جميلة وخلع
على جماعة من اصحابه وسار عماد الدين من يومه الى قرا حصار سائر الى سنجار
واقام السلطان بالخيم بعد مسير عماد الدين غير مكترث بأمر حلب ولا مستعظم
لشأنها الى يوم الاثنين سابع عشرين صفر ثم صعد في ذلك اليوم قلعه حلب مصرورا
منصورا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنية وكان قد تخلف لأخذ ما تخلف
لعماد الدين من قماش وغيره وقال العماد وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين

زنكى بن مودود الذى كان صاحب سنجار وقد تحصن بكثرة الأجناد والعدد واراد
مقابلة السلطان ومقاتلته واراد السلطان ان يظفر بها دون ذلك من القتال وعداوة
الرجال لكن الشباب وجهال الأصعب راموا القتال واحبوا الزال وتقدموا
واقدموا والسلطان ينهائم فلا ينتهون وكان فيهم تاج الملوك بورى اخو السلطان
فطعن في فخذه ثم مات بعد ذلك بأيام بعد فتح البلد وكان السلطان قد صنع
ذلك اليوم وليمة لعماد الدين زنكى وكان السلطان اول ما نزل على حلب نزل في
صدر الميدان الأخضر وذلك في زمن الربيع الأنصر ثم رحل ونزل على جبل
جوشن ونهى عن القتال وقال نحن هاهنا نستمل البلاد وما علينا من الحصن
الذى بلغ منه هذا العناد وانفذ رسل الترهيب اليهم ففكر عماد الدين زنكى في
امره ورأى ان الصواب مصالحة السلطان فانفذ سرّاً اليه حسام الدين طمان
وصالحه وحلفه على ان يسلم اليه حلب ويرد عليه بلده سنجار ففعل وزاده
الخابور ونصيبين والرفة وسروج واشترط عليه ارسال المسكر في الخدمة للفرقة
وقال ابن الأثير نزل صلاح الدين في الميدان الأخضر واقام به عدة ايام ثم انتقل
الى جبل جوشن فزل بأعلاه واطهر انه يريد ان يبني مساكن له ولأصحابه
وعساكره واقام عليها اياما والقتال بين المسكرين كل يوم وكان عماد الدين
زنكى ومعه المسكر النورى وهم مجدون في القتال فلما رأى كثرة الخرج كأنه
شح بالمال فخصر يوما عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيئا فاعتذر بقله المال عنده
فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الأموال واو باع حلي نسائه
فقال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الأمير طمان اليازوقى
وكان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين
والخابور والرفة وسروج وجرت الميّن على ذلك وباعها بأوكس الأثمان اعطى

حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فزل عنها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما أتى به حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماءً وناداه انت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعه المكره (هو قولهم يا حمار بع حلب بسنجار) واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان مزارع لا تثبت قدمه بتسليمها وكان على شفا جرف واذا اراد الله امراً فلا مرد له اهـ

قال في الروضتين وفي آخر يوم السبت ثامن عشر صفر نشر سنجق السلطان الاصفر على سور قلعة حلب وضربت له البشار وفي ذلك الوقت تخفى عماد الدين وخرج من القلعة ليلاً الى الخيم واخذ في اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح واثاث وكان استناب الأمير حسام الدين طمان في القلعة حتى توافى رسله بتسليم سنجار ونصيبين والخابور الى نوابه واعطى السلطان طمان الرقة لوساطته في امر عماد الدين وكان السلطان شرطانه ما يريد من حلب الا الحجر فقط واذن لعماد الدين في اخذ جميع ما في القلعة وما يمكنه حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيئاً وباع في السوق كل ما لم يتمكن من حمله واطلق له السلطان بغالا وجمالاً وخيلاً برسم حمل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الأحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة في الميدان الأخضر واحضرها جميع الأمراء ومقدمي حلب فقال وبينما السلطان على لذته بالدعوة والاخذ والعطاء والأنعام والحباء حضر اليه من عرفه وفاة اخيه تاج الملوك بسبب الضربة التي اصابته على حلب فلم يتنير لذلك ولا اضطرب ولا اقطع مما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الأحسان وامر بستر ذلك وتوعد عليه ان يظهر وكظم حزنه واخفى رزيقه وصبر على مصيبتيه ولم يزل على طلاقته وبشاشته الى وقت العصر وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة

وتفرق الناس فحيث قام رحمه الله واسترجع وبكى على أخيه ثم أمر به فمسل وكفن وصلى عليه وأمر به فدفن بمقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم جمعه بعد ذلك إلى دمشق ودفنه بها. قال وكان تاج الملوك شابا حسن الشباب مليح الأعطاف عذب العبارة حلو الفكاهة مليح الرمي بالقوس والطنن بالرمح وكان شجاعا بأسلا مقداما على الأهوال وكان قد جمع إلى ذلك الكرم واليقين في الأدب وله ديوان شعر حسن متوسط منه

يا هذه واماني النفس قربكم * ياليتها بلغت منكم امانيتها

ان كانت العين مذكارتكم نظرت * الى سواكم فاختتها امانيتها

قال في المختار من الكواكب المضية نقلا على صاحب قال بعض من كان في صحبته دخلت اليه في صبيحة اليوم الذي جرح فيه فوجده متكئاً على جنبه وبين يديه دواة وقد وضع ورقة بيضاء على الأرض وهو يكتب فيها قال فجلست قليلاً فرمى بالورقة الى فاذا فيها

اسكان مصر لعل الزمان * علي بقربكم عائد

اما تذكرون فتى شوقه * الى قربكم ابدأ زائد

جريحا طريحا بل الطيب * ويسأم من سقمه العائد

نحبا لكم كان يرجوكم * بآمد لا سقيت آمد

فلم انهيها لقطع الفرات * وعأوده عقله الشارد

واصبح في حلب راجيا * زمانكم ليته عائد

رماد الزمان بأحدائه * كأن الزمان له حاسد

قال فقرأتها الى ان وصلت الى قوله رماه الزمان بأحدائه آلتني لقوله بأحدائه فقلت بأمولانا اعوذ بالله من احداث الزمان ولقد اشتبهى المملوك ان يغير هذه

اللفظة فد القلم وكتب . رماه الزمان بريب المنون فتطيرت بها وانصرفت ثم قال . كان صلاح الدين يقول ما اخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك بوري وبوري اسم تركي معناه بالعربية ذئب وهو اصغر اولاد ايوب وله ديوان شعر ومن نظمه في مملوك له وقد اقبل من جهة المغرب على فارس اشهب

اقبل من اعشقه راكباً * من جانب الغرب على اشهب
فقات سحبانك يا ذا العلى * اشرفت الشمس من المغرب
وله يا حياتي حين يرضى * ومماتي حين يسخط
آه من ورد على * خديك بالمسك منقط
بين اجفائك سلطان * على ضيفي مسلط
قد تهربت وان برح * بي الشوق وافرط
فلعل الدهر يوما * بتلاق منك يغلط

وله

ايا حامل الرمح الشبيه بقده * ويا شاهراً من لحظه مرهفا عضبا
ضع الرمح وانعم ماسلت فرجا * قتلت وما حاولت طعنا ولا ضربا
قال في الروضتين ولما انقضت تنزية السلطان بأخيه خلم على الناس في اليوم الرابع وفرق في وجوه الحلبين الأموال وفي سادس عشري صفر ورد اصحاب عماد الدين واحضروا العلام بتسليم سنجار ونصيبين والخابور ففي ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل منها الأمير طمان واصحابه ولما سلمها الى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه اصحابه وامرائه وخرج الى خدمة السلطان ظاهراً وركب السلطان الى لقائه فاجتمعا عند مشهد الدعاء الذي بظاهر حلب من جهة الشمال فتسالما ولم يترجل احد منهما لصاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب

الدين فترجل للسلطان وترجل السلطان له واعتقه وعادا فركبا وسار هو وابوه في خدمة السلطان الى الخيم بالميدان الأخضر فأجلس السلطان عماد الدين معه على الطراحة وقدم له مقدمة عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب من المنايا والأطلس والمعتق والمعرس وغير ذلك وعشرة جلود قندس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قباء ومائة كمه وحجرتين عربيتين باداتهما وبفتلتين مسروجتين وعشرة اكاديش وخمس قطر بقال وثلاث قطر بحال عربيات وقطار بجنت. ولما فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام فلما اصاب منه عماد الدين نهض للركوب وخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه الى قريب من بابل وودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده. قال في الروضتين ولأبي الحسن

ابن الساعاتي في مدح السلطان عند ارادة فتح حلب قصيدة منها

ما بعد لقيالك للعافين من امل * ماك الملوك وهذى دولة الدول
فانهض الى حلب في كل سابقة * سروجها قلل تنفي عن القل
ما فتحها غير اقلد الممالك و ال * ادعى اليه جميع الخلق والممل
وما عصت منعة لكونه غضب * علام اهملتها اهمال مبتذل
غارث وحقك من جاراتها فشكت * ما باله فيصاصي غير محتفل

وللقاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة

بدولة الترك عزت دولة العرب * وبأبن ايوب ذلت بيعة الصلب
ان العواصم كانت اي عاصمة * لنفسها بتعاليتها عن الرتب
جليسة النجم في اعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهي لم تغب
ومناقته كمشوق تمنعه * احلى من الشهدا واشهي من الضرب
فر عنها بلا غيظ ولا حقن * وسار عنها بلا حقد ولا غضب

تطوي البلاد واهليها كتابه * طيا كما طوت الكتاب للكتاب
ارض الجزيرة لم تظفر ممالكها * بمالك فطن او سائس درب
ممالك لم يديرها مديرها * الا برأى خضي او بعقل صبي
حتى اتاها صلاح الدين فانصلحت * من الفساد كما صحت من الوصب
وقد حواها واعطى بعضها هبة * فهب الذي يهب الدنيا ولم يهب
ومد رأت صده عن ربعمها حلب * ووصاه لبلاد الفير بالحلب
غارت عليه ومدت كف مقتدر * منها اليه وابدت وجهه مكشوب
واستمطفته فوافتها عواطفه * واكشب الصلح اذ نادته عن كشب
وحل منها بأفق غير منخفض * للصاعدين وبرج غير منقلب
فتح الفتوح بلامين وصاحبه * ملك الملوك ومولاها بلا كذب
وقال ابن ابي طي وكان كثيراً من الشعراء يحرضون السلطان على فتح حلب
منهم ابو الفضل بن حميد الحلبي له من قصيدة

يا بن ايوب لا برحت مدى الدهر * رفيع المكان والسلطان
حلب الشام نحو مراكك ولهي * وله الصب ريع بالهجران
وقال ابن سمدان الحلبي من قصيدة

دونك والحسنة ام القرى * ونارها الاشهب والطود الانهم
واركب الى العليا كل صعبة * ابيت لنا وخلاك كل ذم
وارم فكل الصيد في جوف الفرا * لا صارم السهم ولا نابي الحكم
مد الى اخت السها زورة * لا فرق يقيبها ولا ندم
فيالها شماء مشمخرة * تطارح البرق وساحات الديم
ايه صلاح الدين شد أزرها * واعزم عليها فالترمان قد عزم

ودونك المنعة من قبائها * وبابها المغلق في وجه الأئمة
قال في الروضتين وفي يوم الاثنين سابع عشر صفر ركب السلطان وصعد قلعة
حلب وكان صعوده إليها من باب الجبيل وسمع وهو صاعد إلى قلعة حلب يقرأ
(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) الآية وقال والله ما سررت بفتح
مدينة كسروى بفتح هذه المدينة والآن قد تبينت اننى املك البلاد وعلمت
ان ملكى قد استقر وثبت. وقال صعدت يوما مع نور الدين رحمه الله تعالى إلى
هذه القلعة فسمعه يقرأ (قل اللهم مالك الملك) الآية قال ولما بلغ السلطان
إلى باب عماد الدين قرأ (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها)
ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع
القلعة ثم عاد إلى المخيم وأطلق المكوس والضرائب وسامح باموال عظيمة وجلس
للهناء بفتح حلب وأنشده جماعة من الشعراء منهم يوسف البراعى له من قصيدة
شرفت بسامي مجدك الشهباء * وتجللتها بهجة وضياء
القت إليك قيادها وبها على * كل الملوك ترفع واباء
ومنهم سعيد بن محمد الحريرى له من قصيدة وتقدم بمضها
وصبحت شهباء المواسم مصلتا * قواضب عزم لا يفل شهيرها
فأعطيت منها غاربا فيك راغبا * وعاد يسيرا فى يديك عسيرها
واوطأت منها اخمصيك تنوفا * يعز على الشعرى العبور عبورها
ورد إليها روح عدلك روحها * وكان رميا لا يرجى نشورها
قال وقال والدى ابو طي النجار من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زيد * ت جلالا بيوسف وجمالا
هى اس الفخار من قال أعلا * ها تعالى لحامة وتقالا

وعمل الملاء من حل فيها * تاه كبرا وعزة وجلالا
من حواها مملكا ملك الأثر * ض اقتسارا سهولة وجبالا
فافتقرعها مهنا * بمحل * سمك الأنجم الوضاء وطالا

قال وحدثني من الحلبيين منهم الركن بن جهيل العدل قال كان الفقيه بمجد الدين بن
جهيل الشافعي الحلبي قد وقع اليه تفسير القرآن لابي الحكم المغربي فوجد فيه
عند قوله تعالى (الم غلبت الروم) الآية ان ابا الحكم قال ان الروم يغلبون في
رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت المقدس ويصير داراً للإسلام
الى آخر الأبد واستدل على ذلك باشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان
حلب كتب اليه المجد بن جهيل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين
فيه الزمان الذي يفتحه فيه واعطى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى
عليها لم يتجاسر على عرضها على السلطان وحدث بما في الورقة لمحبي الدين ابن
الزكي القاضي الدمشقي وكان ابن زكي الدين واثقا بعقل ابن جهيل وانه لا يقدم
على هذا القول حتى يحققه ويتق به فعمل قصيدة مدح السلطان بها حين فتح
حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب
ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح بيت المقدس خرج اليه
المجد بن جهيل مهماً له ففتحه وحدثه حديث الورقة فتعجب السلطان من
قوله وقال قد سبق الى ذلك محي الدين بن زكي الدين غير اني اجمل لك حظاً
لا يزاحك فيه احد ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء واهل الدين ثم ادخله
الى القدس بعد ما خرج الفرنج منه وامره ان يذكر درساً من الفقه على الصخرة
فدخل وذكر درساً هناك وحظي بما لم يحظ به غيره ..

قال ابن خلكان في ترجمة محمد بن ابي الحسن على الملقب محي الدين المعروف بابن زكي الدين لما فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله مدينة حلب انشده القاضي محي الدين المذكور قصيدة باثية اجاد فيها كل الاجادة وكان من جملتها بيت وهو متداول بين الناس وهو

وفتحك القلعة الشهباء في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب
فكان كما قال فان القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقيل لمحي الدين من اين لك هذا فقال اخذته من تفسير ابن برجان [١]. ولما وقفت انا على هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل اتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الأصل ولا ادري هل كان من اصل الكتاب ام هو ملحق به وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى قرره من قوله بضع سنين اه
وقال في الروضتين وقد رأيت انا ذلك في كتابه ذكر في تفسير اول سورة الروم ان البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وثمانين واربعمائة وأشار انه يبقى بايديهم الى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة قال ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة وهذا الذي ذكره ابو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة ثم ذكر ما تكلم عليه شيخه ابو الحسن علي بن محمد في تفسيره

(١) تقدم ان الذي وقف على ذلك في تفسير ابن برجان هو الفقيه محمد الدين بن جهل الشافعي الحلبي وكتب بذلك ورقة الى عيسى الفقيه هذا ولم يوصلها الى صلاح الدين وحدث بما فيها لمحي الدين ابن الزكي في قوله تعالى (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)



ذكر فتح صلاح الدين لمحارم

قال ابن الأثير لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح في التسليم وقال له اطلب من الانقطاع ما اردت ووعدته الاحسان فاشتط في الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمي بهم فسمع من معه من الأجناد انه يرسل الفرنج لحافوا ان يسلمها فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزداراً بعض خواصه .

قال في الروضتين قال ابن طي كاتب الوالي بمحارم الفرنج واستدعاه اليه مطعماً لهم في الأستيلاء على حارم بشرط ان يعصموه من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم بما عزم عليه فنامروا بينهم في القبض عليه وكان هذا الوالي ينزل من القلعة ويصعد اليها في اموره ولذاته فانفق انه نزل منها لبعض شأنه فوثب اهل القلعة لما خرج واغلقوا بابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه في اشياء كثيرة منها ولاية بصري وضيفة يملكه اياها ودار العفيفي التي كان نجم الدين ايوب والد السلطان يسكنها وحمام العفيفي بدمشق وثلاثون الف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتغالى في العوض فانفذ اليه السلطان وتوعده وتهدهه فكانت الفرنج يطلب نجدتهم وقيل ان تقيب القلعة اراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويتحصل منه شيئاً فكانت السلطان بالعمل على الوالي فكتب اليه السلطان بتتبع ذلك ووعدته بأشياء سكني اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي

وقيل ان النقيب واهل القلعة لما اغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بمكاتبة الفرنج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقذفوه بالحجارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الأحوال افذتقي الدين الى حارم ليتسامها فامتنع النقيب واهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما اشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلميين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضروا عند السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضراً فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالى وكذبوا عليه حتى فوتوه ما كان السلطان وعده به وما قلت هذا الا عن تجربة فأني لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى من كذبهم في حقي وتخرضهم عليّ أمور كدت بها اهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا ارى ان السلطان يقرهم في القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وامر لهم بما كان وعدم به وافضل عليهم وولى في القلعة ابراهيم بن شرويه وقال لأبن الداية ان بين ايدينا امكنة نريد اخذها متى لم نف ونجزل العطاء لم يثق بنا احد وبات السلطان بقلعة حارم ليلتين وعاد الى حلب في ثالث ربيع الأول ثم اعطى العساكر دستورا فصار كل منهم الى بلده واقام يقرر قواعد حلب ويدبر امورها ورجفت انطاكية بعد ذلك رعبا فأرسل صاحبها جماعة من اسارى المساهين وانقاد وسارع الى امان السلطان

تقرير الملك صلاح الدين لقواعد حلب وترتيب امورها
وتوليته عليها ولده الملك الظاهر غازي

قال في الروضتين لما عاد صلاح الدين من حارم الى حلب في ثالث ربيع الاول رتبها وقرر ولده الظاهر غازي سلطانا بها وقرر له في كل شهر اربعة آلاف

درهم وعشرين كمة وبقاء وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين اركش الأسدي وولى حسام الدين بيمرك الخليفة شحنة حلب وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد دمشقي ودار الضرب فضرب الدرهم الناصري الذي سكنه خاتم سليمان ونقل الخطابة من بنى المديم الى ابي البركات ابن الخطيب هاشم بسفارة القاضي الفاضل وولى القضاء لمحى الدين ابن زكى الدين الدمشقي فاستناب فيه ابن عمته ابا البيان بناء البانياسى وولى الجامع والوقوف لاثني على بن العجمي وولى قلعتها سيف الدين يازكوج وافرعين تاب على صاحبها واعطى تل خالد وتل باشر بدر الدين دلدردم بن بهاء الدولة بن ياروق واعطي قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جندر وكشف السلطان عن حلب المظالم وازال المكوس .

وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام القاضي الفاضل عن السلطان (وانتهى الينا ان بمدينة حلب رسوماً استمرت الأيدي على تناولها والألسنة على تداولها وفيها بالرعاة ارفاق وبالرعايا اضرار ولها مقدار الا عند من كل شيء عنده بمقدار منها ما هو في المعاش المطلوبة وقد رأينا بنعمة الله ان نبطلها ونضعها ونعطلها وندعها ونضرب عليها بأفلامنا ونسلك ما هو اهدي سبيلا ونقول ما هو اقوم قبلا ونكره ما كره الله ونحظر ما حظر الله ونأجره سبحانه فإنه من ترك شيئاً لله عوضه الله امثاله واربح متجرة في الرعية اليوم بما يوضع عنهم من اصرها ولنا غدا بمشيئة الله ما يرفع من اجرها فعلى كافة اوليائنا والمتصرفين من قبلنا ان لا يهروا اليها يداً ولا يردوا ولو بلغ الظم منهم مورداً ولا يثقلوا ميزان المال فتخف ميزان الأعمال ولا يرغبوا في كثير المحرام فإن الله ينفى عنه بقليل الحلال وليعلم ان ذلك من الأمر المحكم والقضاء المبرم والعزم المثمم .

وفي منشور اهل الرقة بمثل ذلك . ان اشقي الأمراء من سمن كيسه واهزل

الحلق. وابعدهم من الحق من اخذ الباطل من الناس وسماه الحق . ومن ترك لله شيئا عوضه ومن اقرض الله قرضا حسنة وفاه ما اقرضه . ولما انتهى امرنا الى فتح الرقة اشرفنا منها على سحت يؤكل وظلم مما امر الله به ان يقطع وامر الظالمون ان يوصل فأوجبنا على انفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم بأسرها . ويلقوا الرعايا من بشار ايام ملكتنا بأسرها . ونعتق بلد الرقة من رقها . ونثبت احكام المعدلة فيها بمحو هذه الرسوم وعقها . وقد امرنا بأن تسد هذه الأبواب وتعطل . وتنسخ هذه الأسباب وتبطل وتستعطر سحائب الحصب بالعدل وتستنزل ويعني خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعها جميع الأغنياء والمساكين مساحة ماضية الاحكام مستمرة الايام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ باللغة التام موصولة على الاحقاب مسنونة في الاعقاب ملعونا من يطمح اليها ناظره وتتناولها يده ويمسك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده .

﴿ الكتب التي ارسلها السلطان صلاح الدين الى الجهات ﴾
يعلم بها استيلائه على حلب

قال في الروضتين ومن كتب فاضلية [اي من انشاء القاضي الفاضل عن لسان السلطان] تسلمنا مدينة حلب وقلعتها وسلم وضعت بها الحرب اوزارها وبانت بها الهمم اوطارها وعوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لأنه مشروط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومخلط بالجملة فهو احد الأولياء في مغيبه ومخضره وعوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فهو صرف بالحقيقة اخذنا فيه الدينار واعطينا الدرهم ونزلنا عن

المنيجات واحرزنا العواصم وسرنا انها انجلت والكافر المحارب والمسلم هو المسلم واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في مواقف الفزرو والمصابرة فانتظم الشمل الذى كان نثيرا واصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشغب واخذ اللهب واتصل السبب واخذت النزاة الأهب ووصلت الى غاية همه الطلب والألفة واقعة والمصلحة جامعة وأشعة انوار الاتفاق شائعة

كتاب آخر

فتحنا مدينة حلب بسام ما كشفت مجرمتها قناعا وتسامنا قلعيتها التى ضمنت ان نتسلم بعدها بمشيئة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه به الخدمة في الجهاد بالعدة الوفيرة فهمى بيدنا بالحقيقة لأن مرادنا من البلاد رجالها لا اموالها وشوكتها لازهرتها ومناظرتها للعدو لانصرتها وان يعظم في العدو الكافر نكايتها لا ان تمذق بالولي المسلم ولايتها والأوامر بحلب نافذة والرايات بأطراف قلعيتها آخذة وجاء اهل المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤملون وامنوا ماسكانوا يحذرون وعوض صاحبها ببلاد من الجزيرة على ان تكون العساكر مجتمعة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاد بأيدينا لناغمها ولنيرنا مغرمها وفي خدمتنا ما لا نسمح به وهو عسكرنا وفي يده ما لانضن به وهو درهمنا شرطنا على عماد الدين النجدة في اوفائها والمظاهرة على العداة عند ملاقاتها فلم يخرج منا بلد الاعاد اليها عسكره وانما استتبنا فيه من يحمل عنا مؤنته ويدبره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافة ونتمثل قوله سبحانه وتعالى (وقالوا المشركين كافة كما يقاثلونكم كافة)

كتاب آخر

نشمر الامير بما من به من فتح مدينة حلب التى هي مفتاح البلاد وتسلم قلعيتها

التي هي احد مارست به الأرض من الأوتاد فله الحمد واين يقع الحمد من هذه
المنة ونسأل الله الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية وهي الجنة وصدرت هذه البشرى
والموارد قد امضت مصادرها والاحكام في مدينة حلب نافذة في يادها وحاضرها
وقلمتها قد اناف لواؤنا على انفها وقبضت على عقبه بكفها واعتذرت من لقائه
امس برشقها ورأينا ان نتشغل بما بورك لنا فيه من الجهاد وان نوسع المجال
فيما نضيق به تقلب الذين كفروا في البلاد .

كتاب اخر حين فتح تل خالد

نزلنا تل خالد يوم الثلاثاء نائى عشر المحرم وكان قد تقدمنا الأجل تاج الملوك
اليها واناخ عليها وقابلها وقتلها وعالجها ولو شاء لعاجلها ولما اطلت عليها راياتنا
القى من فيها بيده وانجز النصر صادق وعده وارسلتها حلب مقدمة لفتحها وقد
انعم الله علينا بنعم لاختصها تعداداً ولا نستقصيها اعتدادا ولا نستوعبها ولو كان
النهار طرساً والبحر مداداً . ورايتنا المنصورة قد صارت مفناطيس البلاد تجذبها
بطبعها وسيوفنا قد صارت مفاتيح الأمصار تفتحها بنصر الله لاجدها ولا يقطعها
من كتاب آخر الى الخليفة فى بغداد

قال في الروضتين قال العماد ورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان
احدهما ان الأسطول المصرى غزا فى خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة ايام
وقد ظفر ببطشة مقاعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون عرجا من خيالة
وتجار . والثانية ان الفرنج الداروم نهضوا فنذر بهم والى الشرفية فخرج اليهم فالتقوا على
ماء يعرف بالمسيلة فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عطشا لأن
الفرنج كانوا قد ملكوا الماء فأرواهم الله بماء السماء قلت وكتب الفاضل عن
السلطان الى بغداد بهاتين البشارتين وبفتح حلب وحارم كتابا شافيا اوله . ادام

الله ايام الديوان العزيز ولا زالت منازل مملكته منازل التقديس والتطهير والوقوف بأقصى المطارح من ابوابه موجبا للتقديم والتصدير والامة مجموعة الشمل بأمامته جمع السلامة لاجمع التكسير. الخادم ينهى ان الذي يفتتعه من البلاد ويتسلمه اما بسكون التغمذ او بحركة ما في الأعماد انما يعده طريقا الى الأستنفار الى بلاد الكفار ومحسبه جناحا يكتنه به المطار الى ما يلاسه الكفار من الاقطار [وبعد ان ذكر البشارتين] ذكر تسلمه حلب وانه لا يؤثر الا ان تكون كلمة الله هي العليا لا غير وثغور المسلمين لها الرعاية ولا ضير ولا تختار الا ان تغدو جيوش المسلمين متحاشدة على عدوها لا متحاشدة بعثوها ولو ان امور الحرب تصاحبها الشركة لما عزم عليه ان يكون كثير المشاركين ولا اساءه ان تكون الدنيا كثيرة المالكين وانما امور الحرب لا تحتمل في التدبير الا الوحدة فاذا صح التدبير لم يحتمل في اللقاء الا العدة فموض عماد الدين من بلاد الجزيرة سنجار وخابورها ونصيبين والرقه وسروج على ان المظالم تموت فلا ينشر مقبورها والمساكر تنشر راية غزوها فلا يطوى مشورها واجاب الخادم عماد الدين الى ماسأل فيه من ان يصلح المواصلة مهما استقاموا لعماد الدين لأنه لم يثق بهم وان كان لهم اخا ولم يطمئن الى مجاورتهم الى ان يضرب بينه وبينهم من عنايته برزخا فليالح الآن عذر الأجنبي اذا لم يثق ولتكن هذه نصيحة من عوتب في شكره بحسن الظن فلم يثق ومن شرطه على المواصلة المودنة بعسكرهم في غزواته والخروج من المظالم فازاد على ان قال سالوا مسالما وحاربوا كافرا واسكنوا لتكون الرعية ساكنة وأظهروا ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة (١) الجهاد في سبيل الله (٢) والكف عن مظالم عباد الله (٣) والطاعة لخليفة الله هي مراد الخادم من البلاد اذا فتحها ومنعها من الدنيا اذا منعها والله العالم

انه لا يقاتل لعيش الين من عيش ولا لغضب بملأ العيان من نزع ولا طيش ولا يريد الا هذه الأمور التي قد توسم انها تلزم ولا ينوى الا هذه النية التي هي خير ما يسطر في الصحيفة ويرقم

وكتب الخادم هذه الخدمة بعد ان بات بحلب ليلة وخرج منها الى حارم وكانت استحضرت مملوكا لا يملكه دين ولا عقل غرما هذبته نفس ولا اهل فاعقد ان يساهمها الى صاحب انطاكية يسر الله فتحها اعتقادا صرح بفعله وشهره بكتبه ورسله وواطأ على ذلك نفرا من رجال يعرفون بالسيمة ولا يعرفون خالقا الا من عرفوه رازقا ولا يسجدون الا لمن يرونه في نهر النهار ساجدا وفي بحر الظلام غارقا فشعر به من فيها من الأجناد المسامين فشدوه ومن تابعه على فعله وظفر به المملوك عمر ابن اخيه في ضواحي البلد فأخذه وارسله الى قلعة حلب وسار الخادم اليها فتساهلها ورتب بها حامية ورابطة ولم يعمل على انها للعمل طرف بل انها للمقد واسطة والخادم كما طالع بماضيه الذي حازه الامس المذكور يطالع بمستقبله الذي ينجزه بمشيئة الله الغد المشكور فهو متأهب للخروج نحو الكفسار لا تسأم رايته النصب ولا جبهة سيره الرفع ولا جيشه الجر ولا يصفى الى قول خاطر الراحة المفند لا تنفروا في الحر ولا يحجب دعوة الفراش الممهدة ولا يمرج على الظل الممدد ولا دمية القصر المشيد ولا يعطف على رحانة فؤاد يفارقه حولا ويلقاه يوما ولا يقيم على زهرة ولد استهل فتى ذكره الفطر على راحته قال اني نذرت للرحمن صوما اه

رجوع السلطان صلاح الدين من حلب الى دمشق

قال في الروضتين قال القاضي ابن شداد لم يقم السلطان في حلب الا الى يوم

السبت الثاني والعشرين من ربيع الآخر وانشأ عزمنا على الغزاة فخرج ذلك اليوم الى الوضيحي مبرزاً نحو دمشق واستنفض المساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماة فوصلها ثم رحل في بقية يومه ولم يزل يواصل بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الأولى فأقام بها متأهباً الى السابع والعشرين ثم ذكر غزوته لعين جالوت وبسط القول في ذلك

ذكر تولية السلطان صلاح الدين اخاه الملك العادل

ابا بكر بن ايوب على حلب

قال في الروضتين كان الملك العادل نائباً بمصر فلما فتح السلطان حلب كتب العادل اليه يطلبها منه مع اعمالها ويدع الديار المصرية فكتب السلطان اليه ان يوافيه الى الكرك فإنه سائر الى فتحه فإشار القاضي الفاضل على السلطان ان يستنيب في الديار المصرية موضع اخيه العادل ابن اخيه تقي الدين فاستمع به السلطان معه في رجب الى الكرك هذه السنة وحاز في طريقه قبل وصوله اليها غنائم وخيم على الربة ثم حصر الكرك ورماه بالمجانيق صباحاً ومساءً وتناوب عليه الأمراء حتى خرج شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عظمت النكاية في الكفار بأخذ اموالهم وتخريب الديار ووصل الخبر ان الفرنج قد استجمعوا وتجمعوا بالموضع المعروف بالواله على قصد المساهين وخلص الكرك من ايديهم ورأى السلطان ان حصره يطول فعول على الرحيل الى دمشق ووصل العادل الى السلطان وهو بعد على الكرك فجهز تقي الدين الى الديار المصرية واليا عليها وقوى عضده بصحبة القاضي الفاضل له وتولى العادل حلب واعمالها ومنبج وجميع قلاعها فسار اليها في رمضان ورجع منها الى دمشق الملك الظاهر ونواب السلطان

قلت وكتب العادل الى الفاضل يستشيريه في التعوض عن مصر بحلب فكتب اليه
الفاضل كتابا فيه

انما انت كغيث ماطر * حيثما صرفه الله انصرف

قال ابن ابي طي كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع اموره
ويتيمن بمشورته ولا يعلم بأنه اشار على السلطان بأمر يخالفه حدثني قاضي الدين
جمال الدين قال كان السلطان يجمع الامراء للمشورة فان كان العادل حاضرا سميع
من رأيه وان لم يكن حاضرا لم يقطع امرا في المهمات حتى يكتبه بجملة الأحوال
ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثني ابي قال حدثني جماعة قالوا كان السلطان ليس
له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل بمصر وبعد عن السلطان هناك صار
السلطان يتكلف بمكاتبته بالأخبار ويؤخر الأمور الى ان يرد عليه جوابه فيفوته
بذلك كثير من المنافع الحاصلة للدولة وللجهاد فلما حصر البكر في هذه السنة
كتبه بالحضور اليه بعياله وامواله وجميع اصحابه وولى مصر تقي الدين ولما حصل
العادل عند السلطان وقع في نفسه ان يعوضه عن ولاية مصر ثم حار في ولاية
يوليه اياها قال وحدثني عام الدين قيصر الصلاحى قال انما اقدم السلطان العادل
من مصر لأجل ولاية حلب وبذلك كاتبه ولهذا خرج العادل بأمواله وعياله
وانقاله قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله وانقاله كانت
الأموال قد قلت على السلطان وقد حصلت عنده عساكر عظيمة فأحضر العادل
لبلا وقال اريد ان تقرضنى مائة وخمسين الف دينار الى الميسور فقال السمع
والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه يقول اموالى جميعها بين يديك
وانا مملوك واشتهى ان احمل هذا المال الى خدمة السلطان ويكون عوضا عنه
مدينة حلب وقلعتها فأجابه السلطان اننى والله ما اقدمتك الا لأوليك حلب

واذ قد اقترحت ذلك فقد وافق ما عندي فلما اصبح العادل انفذ وسأل السلطان ان يكتب له بمدينة حلب كتاباً ويحمله ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعاً والمال علي له فاعتذر العادل الى السلطان ولما اجتمعا قال له السلطان [اظننت ان البلاد تباع او ما علمت ان البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ورعاة للدين وحراس لأموالهم] او ما علمت ان السلطان ملك شاه السلاجوقي لما وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به احد من القضاة ولا من الفقهاء.. ثم قرر السلطان ولاية العادل لحلب واعمالها الى رعبان الى الفرات الى حماة وكتب له التوقيع وقرر عليه مالا يحمله برسم الزرد خانات وخزانة الجهاد ورجالة من الحلبين ورحل السلطان الى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر امره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقى بالرستن وبانا فيه فكانت ولاية الظاهر بحلب في هذه النوبة نحو ستة اشهر ولما وصل الظاهر الى دمشق اقبل على خدمة والده والتقرب اليه الا ان الأنكسار لخروج حلب عنه ظاهر عليه وهو مع ذلك لا يظهر شيئاً الا الطاعة لو والده والاقبياد الى مرضاته حدثني ابي عن محمد الدين ابن الحشاش قال حدثني الملك الظاهر قال لما بلغني ان السلطان اعطى حلب للملك العادل جرى عليّ ما قدم وما حدث واصابني من السهم ما لم اقدر على النهوض به ووددت اني لم اكن رأيتها ولا دخلت اليها لأنني قلبي احبها وقبيلها وطاب لي هواؤها ولما فارقتها كنت احن اليها واشتاقها قال ودخل العادل حلب في رمضان وخلع على المقدمين والأعيان وكان قد قدم بين يديه كاتبه المعروف بالصنيعة لتسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين بزغش وولى الديوان والأقطاعات شجاع الدين بن البيضاوي صباغ ذقنه وولى

الأنشاء وما يتعلق بأمور السر للصنعة ابن النحال وكان نصرانيا ثم اسلم على يد
العادل فولى ابن النحال الوظائف لجماعة من النصارى وفي ذلك يقول الشاعر
فساق دين المسيح في دولة العا * دل حتى علا على الأديان
ذا امير وذا وزير وذا وا * لي وذا مشرف على الديوان
وفي السيرة الصلاحية للقاضي ابن شداد قال عاد السلطان صلاح الدين من الكرك
الى دمشق مستصحباً اخاه الملك العادل معه لأياسه عن الكرك بعد نزول
الأفرنج عليها فدخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان واعطى اخاه الملك
العادل حلب بعد مقامه بدمشق الى ثاني يوم من شهر رمضان وكان بها ولده
الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج يدبر امره وابن العميد في البلد وكان
الملك الظاهر من احب الاولاد الى قلبه لما قد خصه الله به من الشهامة والفطنة
والعقل وحسن السميت والشنف بالملك وظهور ذلك كله وكان ابر الناس بوالده
واطوعهم له ولكن اخذ منه حلب لمصلحة رآها فخرج من حلب لما دخل الملك
العادل هو ويازكج سائرين الى خدمة السلطان فدخل دمشق الثامن عشر من
شوال فأقام في خدمة ابيه لا يظهر الا الطاعة والأتقياد مع انكسار في باطنه
لا يخفى عن نظر والده اه

ومما يجدر ذكره هنا ما ذكره ابن خلكان في ترجمة محمد ابي السعادات المعروف
بالمسعودي قال حكى ابو البركات الهاشمي الحلبي قال لما دخل السلطان صلاح
الدين الى حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور الى جامع
حلب وقعد في خزانة كتبها الوقف (وكان محلها في الشرقية) واختار منها
جملة اخذها لم يمنعه منها مانع ولقد رأيتوه وهو يحشوها في عدل اه !

ذكر وصف الرحالة ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير
الكناني الأندلسي لما مر به من هذه الديار في هذه السنة
قال في وصفه لمدينة حران

بلد لآحسن لديه ولا ظل يتوسط برّديّه قد اشتق من اسمه هواؤه فلا يألف
البرد ماؤه . ولا تزال تنقد بلفح الهجير ساحاته وارجاؤه . لا تجد فيه مقيلا ولا
تنفس منه الا نفساً ثقيلا . قد نبذ بالعراء . ووضع في وسط الصحراء . فعدم
رونق الحضارة . وتعرت اعطافه من ملابس النظارة . استغفر الله كنى بهذا البلد
شرفا وفضلا انها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم وله
بقاياها بنحو ثلاثة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جارية كان مأوى له واسارة
صلوات الله عليها ومتعبداً لها . ببركة هذه النسبة قد جعل الله هذه البلدة مقراً
للصالحين المتزهدين ومثابة للسائحين المتبتلين لقينا من افرادهم الشيخ ابا البركات
حيان بن عبد العزيز حذاء مسجده المنسوب اليه وهو يسكن منه في زاوية بناها
في قبلته وتتصل بها في آخر الجانب زاوية لأبنه عمر قد التزمها واشبه طريقة
ابيه فما ظلم وتعرفت منه شسنة اعرفها من أخزم فوصلنا الى الشبغ وهو قد
نيف على الثمانين فصالحنا ودعا لنا وامرنا ببقاء ابنه عمر المذكور من رجال
الآخرة ولقينا ايضا بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سامة فلقينا رجلاً من الزهاد
الأفراد فدعا لنا وسألنا ودعنا وانصرفنا وبالبلد سامة آخر يعرف بالكشوف الرأس
لا يغطي رأسه تواضعا لله عز وجل حتى عرف بذلك ووصلنا الى منزله فاعلمنا
انه خرج للبرية سائحاً وبهذه البلدة كثير من اهل الخير واهلها هينون معتدلون
محبون للغرباء مؤثرون للفقراء واهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار

ربيعة الى الشام (١) على هذا السبيل من حب الغرباء و أكرام الفقراء و اهل قراها كذلك فاما يحتاج الفقراء الصماليك . مهم زاداً . لهم في ذلك مقاصد في الكرم مأثورة و شأن اهل هذه البلاد في هذا السبيل عجيب والله ينفعهم بما هم عليه و اما عبادهم و زهادهم و السائحون في الجبال منهم فاكثروا من ان يقيدهم الأحصاء والله ينفع المسلمين ببركاتهم و صوالح دعواتهم بمهنة و كرمه . و لهذه البلدة المذكورة اسواق حافلة الانتظام محيية الترتيب مسقفة كلها بالخشب فلا يزال اهلها في ظل ممدود فتختزن فيها كأنك تحترق داراً كبيرة الشوارع قد بني عند كل ملتقى اربع سكك اسواق منها قبة عظيمة مرفوعة مصنوعة من الجص هي كالمفرق لتلك السكك و يتصل بهذه الاسواق جامعها المكرم وهو عتيق مجدد قد جاء على غاية الحسن وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوارى رخام و تحت كل قبة بئر عذبة و في الصحن ايضا قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل سارية تسعة اشبار و في وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبرا و هذه القبة من بنيان الروم و اعلاها محجوف كأنه البرج المشيد يقال انه كان مخزناً لعدتهم الحربية والله اعلم . و الجامع المكرم سقفه بجوائز الخشب و الحنايا و خشبه عظام طوال لسعة البلاط و سعته خمس عشرة خطوة وهو خمسة ابلة و ما رأينا جامعاً اوسع حنايا منه و جداره المتصل بالصحن الذي عليه المدخل مفتوح كله ابواباً عددهم تسعة عشر باباً تسعة يميناً و تسعة شمالاً و التاسع عشر منها باب عظيم وسط هذه الأبواب يسك قوسه من أعلى الجدار الى اسفله بهي المنظر جميل الوضع كأنه باب من ابواب المدن الكبار و لهذه الأبواب كلها اعلاق من الخشب البديع الصنعة و النقش تنطبق

(١) كان يحيطه من بغداد الى الموصل الى هذه البلاد

عليها على شبه ابواب مجالس القصور فشهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب اسواقه المتصلة به مرآى عجيبا قل ما يوجد في المدن مثل انتظامه ولهذا البلدة مدرسة ومارستان وهي بلدة كبيرة وسورها متين حصين مبني بالحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض في نهاية من القوة وكذلك بنيان الجامع المكرم ولها قلعه حصينة مما يلي الجهة الشرقية منها منقطعة عنها بفضاء واسع بينهما ومنقطعة ايضا عن سورها بجفير عظيم يستدير بها قد شيدت حافته بالحجارة المركومة نجاء في نهاية الرنافة والقوة. وسور القلعه وثيق الحصانة ولهذا البلدة نهير مجراه بالجهة الشرقية ايضا منها بين سورها وجبانتها ومصبه من عين هي على بعد من البلد والبلد كثير الخلق واسع الرزق حاصل البركة كثير المساجد جم المرافق على احفل ما يكون من المدن وصاحبه مظفر الدين بن زين الدين (له ذكر في حوادث سنة ٥٧٨) وطاعته الى صلاح الدين وهذا البلاد كلها من الموصل الى نصيبين الى الفرات المعروفة بديار ربعة وحده من نصيبين الى الفرات مع ما يلي الجنوب من الطريق وديار بكر التي تليها في الجانب الجوفي كما مد وميا فارقين وغيرها مما يطول ذكره ليس في ملوكها من يناهض صلاح الدين فهم الى طاعته وان كانوا مستبدين وفضله يبقى عليهم ولو شاء نزع الملك منهم لفعله بمشيئة الله فكان نزولنا ظاهر البلد بشرقيه على نهيره المذكور واقما مريمين يوم الاثنين ويوم الثلاثاء منه واثر الظاهر منه كان اجتماعنا بسامة المكشوف الرأس الذي فاننا لقاءه يوم الاثنين فلقيناه بمسجده فأبنا رجلاً عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر وكرم لقاء وبر فأنسنا ودعانا لنا وودعناه وانصرفنا حامدين لله عز وجل على ما من علينا من لقاء اوليائه الصالحين وعباده المقربين وفي ليلة الأربعاء التاسع لربيع المذكور كان رحيلنا بعد تهويم

ساعة فأسرنا الى الصباح ونزلنا مريحين بموضع يعرف بتل عبدة وهو موضع صمارة وهذا التل مشرف متسع كأنه المائدة المنصوبة وفيه اثر بناء قديم وبهذا الموضع ماء جار وكان رحيلنا منه عند المغرب وأسرنا الليل كله واجتزنا على قرية تعرف بالبيضاء فيها خان كبير جديد وهو نصف الطريق من حران الى الفرات ويقابلها على اليمين من الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة سروج التي شهر ذكرها الحريري بنسبة ابي زيد اليها وفيها البسانين والمياه المطردة حسبا وصفها في مقاماته فكان وصولنا الى الفرات ضحوة النهار وعبرنا في الزواريق المقلعة المعدة للعبور الى قلعة جديدة على الشط تعرف بقلعة نجم وحولها ديار بادية وفيها سويقة يوجد فيها المهن من علف وخبز فأقننا بها يوم الخميس العاشر لربيع الأول المذكور مريحين خلال ما تكمل القافلة بالعبور واذا عبرت الفرات حصلت في حد الشام وسرت في طاعة صلاح الدين الى دمشق والفرات حد بين ديار الشام وديار ربيعة وبكر وعن يسار الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة الرقة وهي على الفرات وتليها رحبة مالك بن طوف وتعرف برحبة الشام وهي من المدن الشهيرة ثم رحلنا منها عند مضي ثلث الليل الأول واسرنا ووصلنا مدينة منبج مع الصباح من يوم الجمعة الحادي عشر لربيع المذكور والثاني والعشرين ليونيه

وقال في وصفه لمدينة منبج

بلدة فسيحة الأرجاء صريحة الهواء يحف بها سور عتيق تمتد الغاية والأنتهاء جوها
صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النسر عليل نهارها يندى ظله وليامها كما
قليل فيه سحر كله تحف بغريبتها وبشرقيها اسانين ملتفة الاشجار مخلفة الثمار والماء يطرد
فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بابا رمعية شهيدة العذوبة سلسيلة

المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهها كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن انساعا وكبرا واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحتباب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها تنقطع عنها وتنحاز منها ومدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون شافعيون وهى مطهرة بهم من اهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة كما تجده في الأكثر من هذه البلاد فعاملتهم صحيحة واحوالهم مستقيمة وجاداتهم الواضحة في دينهم من اعتراض بنات الطريق سليمة فكان نزولنا خارجها في احد بساينها واقمنا يوما صريحين ثم رحلنا نصف الليل ووصلنا بزاعة ضحوة يوم السبت الثاني عشر لربيع المذكور

وقال في وصفه لبلدة بزاعة

بقعة طيبة الثرى واسعة الذرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافق السفورية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة حصينة رامها احد ملوك الزمن فغاضته باستصعابها فأمر بثلثم بناؤها حتى غادرها عودة منبوذة لعرائها ولهذه البلدة عين معية يحترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساينها خضرة ونضارة وتربك برونقها الأنيق حسن الحضارة ويناطرها في جانب البطحاء قرية كبيرة تعرف بالباب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثمانى سنين قوم من الملاحدة الاسماعيلية لا يحصى عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم حتى داخلت اهل هذه البلاد العصبية وحركتهم الأنفة والحمية

فجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم
وعجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماعهم وكفى الله المسلمين عاديتهم
وشرهم واحاق بهم مكرهم والحمد لله رب العالمين . وسكانها اليوم قوم سنيون
فاقنا بها يوم السبت ببطحاء هذه البلدة مريحين ورحلنا في الليل واسرينا الى
الصباح ووصلنا مدينة حلب يوم الأحد الثالث عشر لربيع الأول والرابع
والعشرين ليونيه

وقال في وصفه لحلب حرسها الله

بلدة قدرها خطير وذكرها في كل زمان خطير خطابها من الملوكة كثير محلها من
النفوس اثير فكم هاجت من كفاح وسلت عليها من بيض الصفاح لها قلعة
شهيرة الأمتناع بانه الأرتفاع معدومة الشبه والنظير في القلاع تزهدت حصانة
ان ترام اوتستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة منحوتة الأرجاء
موضمة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من احكم تقديرها وتديرها وابدع
كيف شاء تصويرها وتدويرها عتيقة في الأزل حديثة وان لم نزل قد طاولت
الأيام والأعوام وشيعت الخواص والعوام هذه منازلها وديارها فأين سكانها
قديما وعمارها وتلك دارملكستها وفنائها فأين امراؤها الحمدانيون وشعراؤها .
اجل فنى جميعهم ولم يأن بعد فنائها فيا عجبا للبلاد تبقى وتذهب املاكها ويهلكون
ولا يقضى هلاكها تخطب بدمهم فلا يتعذر ملاكها وترام فيتيسر بأهون شيء
ادراكها هذه حلب كم ادخلت من ملوكها في خبركان ونسخت ظرف الزمان
بالمكان انث اسمها فتحت بزيئة الغوان ودانت بالندر فيمن خان ونجحت
عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات هيهات سيمهرم شبابها ويمدم
خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وتتطرف في جنبات الحوادث اليها حتى

يرث الله الأرض ومن عليها لا إله سواه سبحانه جلت قدرته وقد خرج بنا الكلام عن مقصده فلنعد الى ما كنا بصدده فنقول ان من شرف هذه القلعة انه يذكر انها كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والنسائم بغنيات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فذلك سميت حلب والله علم وبها مشهد كريم يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالها المشترطة في حصاة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبانة فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظم ابد الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة اهم ولا أكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجبلين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن اعظم من ان ننتهي الى وصفه وسورها الأعلى كله ابراج منتظمة فيها العلى المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية .

واما البلد فوضعه ضخم جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالحشيب فكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا وتستوقف المستوفى تعجبا واما فيساريتهما الخديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرأى الرياضية وأكثر حوانيتها خزائن من الحشيب البديع الصنعة قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب

الجامع المكرم . وهذا الجامع من احسن الجوامع واجملها قد اطاف بصحنه الواسع بلاط كبير متسع مفتوح كله ابواباً قصرية الحسن الى الصحن عددها ينيف عن الخمسين باباً فيستوقف الابصار حسن منظرها . وفي صحنه بئران معيتتان والبلاط القبلي لامقصورة فيه لجاء ظاهر الانساع رائق الانشراح وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها في منبره فما أبرى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه الى المحراب فتجلت صفحانه كلها حسناً على تلك الصفة الغربية وارتفع كالتاج العظيم على المحراب وعلا حتى انصل بسمك السقف وقد قوس اعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية وهو مرصع كله بالعاج والآبنوس وانصل الترصيع من المنبر الى المحراب مع ما يليهما من القبلة دون ان يبتنى بينهما انفصال فتجتي العيون منه ابداع منظر يكون في الدنيا وحسن هذا الجامع المكرم اكثر من ان يوصف

ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فيها في الحسن روضة تجاور أخرى وهذه المدرسة من احفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ومن اطرف ما يلحظ فيها ان جدارها القبلي مفتوح كله بيوتاً وغرفاً لها طيقات يتصل بعضها ببعض وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مشمر عنبا فحصل لكل طاق من تلك الطيقات قسطها من ذلك العنب متديلاً امامها فيمد الساكن فيها يده ويمتنيه متكئاً دون كلفة ولا مشقة

وللبدة سوى هذه المدرسة نحو اربع مدارس او خمس ولها مارستان وامرها في الاحتفال عظيم فهي تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها الانهير مجري من جوفها الى قبليها ويشق ربضها المستدير بها فان لها ربضاً كبيراً فيه من

تتاتي الكلام على هذا المنبر والمنير الذي حمل من حلب الى القدس في حوادث سنة ٨٣٥ هـ

الخانات مالا يحصى عدده وبهذا النهر الارحاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط
ربضه وبهذا الربض بعض بسانين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه داخلاً
وخارجاً فهو من بلاد الدنيا التي لانظير لها والوصف فيه يطول فكان نزولنا
بربضه في خان يعرف بخان ابي الشكر فاقنا فيه اربعة ايام ورحلنا ضحوة يوم
الخميس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية ووصلنا (فنسرين)
قبيل العصر فارحنا بها قليلاً ثم انتقلنا الى قرية تعرف (بتل تاجر) فكان مبيتنا
بها ليلة الجمعة الثامن عشر منه .

❦ كلامه على فنسرين والمرة ❦

قال وفنسرين هذه هي البلدة المشهورة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن
لم تكن بالأمس فلم يبق الا آثارها الدارسة ورسومها الطامسة ولكن قراها عامرة
منظمة لأنها على عرث عظيم مد البصر عرضاً وطولاً وتشبهها من البلاد
الأندلسية جيان ولذلك يذكر ان اهل فنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا
جيان تأنسوا بشبه الوطن وتعللوا به مثل ما فعل في اكثر بلادها حسب ما هو معروف
ثم رحلنا من ذلك الموضع عند الثلث الماضي من الليل فأسرينا وسرنا الى ضحوة
من النهار ثم نزلنا مريحين بموضع يعرف بياقدين في خان كبير يعرف بخان التركان
وثيق الحصانة وخانات هذا الطريق كانها القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد
وهي من الوثاقفة في غاية ثم رحلنا من هذا الموضع وبتنا بموضع بتمني في خان
وثيق على الصفة المذكورة ثم اسحرنا منه يوم السبت التاسع عشر لربيع الأول
المذكور وهو آخر يوم من يونية

ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين يوم الجمعة المذكور بلاد (المرة) وهي
سواد كلها بشجر الزيتون والبن والفسق وانواع الفواكه ويتصل النفاف

بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا
 ذكر مجي الخلع من الخليفة الى السلطان صلاح الدين
 ونزول عسكر الموصل على اربل

قال القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية في شهر جمادى الآخرة وصل رسول
 الخليفة ومعه الخلع فلبسها السلطان والبس اخاه الملك العادل (كان عنده بدمشق)
 وابن اسد الدين خلعا جاءت لهم وفي الرابع عشر من هذا الشهر خلع السلطان
 خلعة الخليفة على ابن قره ارسلان واعطاء دستورا واعطاء العساكر
 وفي هذا التاريخ وصلت رسل ابن زين الدين مستصر خا الى السلطان يخبر ان
 عسكر الموصل وعسكر قزل نزلوا مع مجاهد الدين قايماز على اربل وانهم نهبوا
 واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرم

(سنة ٥٨١)

ذكر مجي السلطان الى حلب وتوجهه الى حران ثم قصده
 نواحي الموصل

قال القاضي ابن شداد ولما سمع السلطان ذلك رحل من دمشق يطلب البلاد
 وتقدم الى العساكر فتبعه وسار حتى اتى حران على طريق البيرة والتقى مع مظفر
 الدين بالبيرة في الثاني عشر من محرم سنة احدى وثمانين وتقدم السلطان الى
 سيف الدين المشطوب ان يسير في مقدمة العساكر الى رأس العين ووصل
 السلطان الى حران الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض
 على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه وحديث كان بلغه عنه
 رسوله ولم يقف عليه وانكره فأخذ منه قلعة حران والرها ثم اقام في الاعتقال

تأديبا الى مستهل ربيع الأول ثم خلع عليه وطيب قلبه واعاد اليه قلعة حران وبلاده التي كانت بيده واعاده الى قانونه في الأكرام والأحترام ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ووعد به ثم رحل السلطان ثانيا ربيع الأول الى رأس العين ووصله في ذلك رسول فليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأسرهم قد اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين وانهم على ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك فرحل السلطان يطلب دنيسر فوصله ثامن ربيع الأول عماد الدين بن قره ارسلان ومعه عسكر نور الدين صاحب ماردين فالتقاه واحترمهم ثم رحل من دنيسر حادى عشر نحو الموصل حتى نزل موضعا يعرف بالاسماعليات قريب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جديدة يحاصر الموصل فبلغ عماد الدين بن قره ارسلان موت اخيه نور الدين فطلب من السلطان دستورا طمعا في ملك اخيه فأعطاه دستورا . اهـ

قال في الروضتين قال العماد دخلت سنة احدى وثمانين والسلطان نجيم بظاهر حماة فسار الى حلب وتلقاه اخوه الملك العادل واجتمعت له بها المساكر فخرج منها في صفر لقصد الموصل فسار وقطع الفرات واقام العسكر ثلاثة ايام للعبور بها وكان السلطان قد سير الى معاقل الفرات وقلعه ونواحيه وضياعه وامر اهله بعمارة كل سفينة في الفرات وزورق ومركب وجمعها من كل مشرق ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو اخو زين الدين يوسف صاحب اربل وقد كان اول من دخل في خدمة السلطان واول ما قصد تلك البلاد في المرة الأولى واقتدى به اخوه وغيره من اصحاب الاطراف في الانثناء الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وآمد وحلب واطهر من المودة فوق ما كان في الحساب وكان كثير الحث للسلطان

على المسير الى الموصل هذه المرة برسوله وكتابه وقال رسوله للسلطان اذا عبرت
الفرات فان مظفر الدين يستدرك كل مافات ويقوم بكل ما يحتاج اليه
في تلك البلاد من النفقات والغرامات والازواد ويقدم يوم الوصول الى حران
خمسين الف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه
ما التزمه الرسول فانرتاب وظن انه مال مع المواصله ووشى الأعداء فيه بذلك
وان نيته قد تغيرت فلف للسلطان انه لم ينير وان ما التزمه الرسول لم يكن
بأمره وهو ابن ماهان فانمزل عنده عن مرتبته وهان قبض السلطان على
مظفر الدين ليتبين امره وشاور فيه اصحابه فاشار بعضهم بأبلاغه وبعضهم
باستبقائه واستثلافه فعفا السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران
ففعل ذلك وهو مسرور ببقاء نفسه ثم اعيدت اليه القلعتان في آخر السنة
رأى السلطان من حركانه المستحسنة اه

ثم بسط في الروضتين الكلام على محاصرته للموصل ثم رحيله عنها الى ميافارقين
ومحاصرتها الى ان ملكها ثم رحيله منها الى خلاط ثم عوده الى الموصل ونزوله
بموضع قريب منها يقال له كفر زمار

قال ابن شداد ومرض السلطان بكفر زمار مرضا شديداً خاف من غائله
فوحل طالباً حران وهو مريض وكان يتجلد ولا يركب خففته فوصل وهو شديد
المرض وبلغ الى غاية الضعف وايس منه وارجف بموته ووصل اليه اخوه العادل
من حلب ومعه الأطباء .

وكان ذلك سبباً للصالح مع المواصله وبسط في الروضتين ما تقرر بينه وبينهم
من الأمور قال ولما امتد زمان مرضه امر ببناء دار عند سراقه فبنيت في
اربعة او خمسة ايام ثم آذن الله بالشفاء وسمى هذه الديار دار العافية للبرء فيها

من سقامه ثم اخلاها من يزل بها ضيقاً وجعلها للآوين اليها وقفا

سنة ٥٨٢

﴿ ذكر عود السلطان من حران الى حلب وتوجهه ﴾

منها الى دمشق

قال القاضي ابن شداد ولما وجد السلطان نشاطاً من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها رابع عشر محرم سنة اثنتين وثمانين وكان يوماً مشهوداً لشدة فرح الناس بعافيته ولقائه فأقام بها اربعة ايام ثم رحل نحو دمشق

(ذكر نقل ملك العادل من حلب الى مصر)

وتولية حلب للملك الظاهر غازي وشرح اسباب ذلك

قال القاضي ابن شداد وفي سابع عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وصل الملك الأفضل على (ابن السلطان صلاح الدين ونائبه بمصر) الى دمشق ولم يكن قد رأى قبل ذلك الشام وكان السلطان رأى رواح الملك العادل الى مصر فإنه كان آنس بأحوالها من الملك المظفر فما زال يفاوضه بذلك وهو على حران مريض وقد حصل ذلك في نفس الملك العادل فإنه كان يحب الديار المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بعافيته سير يطلب الملك العادل الى دمشق فأقام بها في خدمة السلطان فحرت بينهما احاديث ومراجعات في قواعد تقرر الى جمادى الآخرة واستقرت القاعدة على عود الملك العادل الى مصر وتسليم حلب الى الظاهر وكان الملك الظاهر والملك العزيز بدمشق في خدمة والدهما فلما استقرت على ان يكون انا بك الملك العزيز وسلمه والده يربى امره وسلم الملك العادل حلب الى الملك الظاهر ولقد قال لي الملك العادل انه لما استقرت عليه

هذه القاعدة واجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما قلت
 للملك العزيز يا مولاي ان السلطان قد امرني ان اسير في خدمتك الى مصر وانا
 اعلم ان المفسدين كثير وغدا فما نخلو ممن يقول مالا يجوز عني ويخوفك مني فان
 كان لك عزم تسمع قفل لي حتى لا اجي فقال لا اسمع وكيف يكون ذلك ثم التفت
 وقلت للملك الظاهر انا اعرف ان اخاك ربما سمع في احوال المفسدين وانا فالي الا
 انت وقد قنعت منك بمنيج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر كل خير
 ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى حلب واعادها اليه وكان رحمه الله يعلم ان
 حلب هي اصل الملك وجرثومته وقاعدته ولهذا دأب في طلبها ذلك الدأب ولما
 حصلت له اعرض عما عداها من بلاد الشرق وقنع منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد
 فسلما اليه عاملا منه بمخافته وحزمه وحفظه فسار حتى اتى العين المباركة وسير في
 خدمته الشحنة حسام الدين بشارة وواليا شجاع الدين عيسى بن بلاشوا
 فنزل يوم الجمعة بعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة تاسع جمادى
 الآخرة وصعد القلعة ضحوة نهار وفرح الناس به فرحا شديدا ومد على الناس
 من جناح عداه وافاض عليهم وابل فضله. قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة
 وقد بلغني من خير بأحوال صلاح الدين انه انما حملة على اخذ حلب من العادل
 واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بمجران على ما ذكرناه ارجف
 بمصر انه قد مات فجري من تقي الدين حركات من يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي
 صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكاري (١) وكان كبير القدر عنده
 مطاعا في الجند الى مصر وامره بأخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار سريعا فلم

(١) عيسى هذا له ترجمة في ابن خلكان وهو فقيه وامير كان بلبس ثياب الاجناد ويتعمم
 عمامة الفقهاء وقد ذكره القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية في صحيحه ٨٢

يشمر تقي الدين الاوقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه بأمره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتتجهز فخرج واطهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فصار الى الشام فأحسن اليه ولم يظهر له شيئاً مما كان لأنه كان حليماً كريماً صبوراً رحمه الله. واما اخذ حلب من العادل فإن السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سايان ابن جندر بينه وبين صلاح الدين صعبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلاً ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوماً سايان ابن جندر فجري حديث مرضه وكان صلاح الدين قداوصى لكل واحد من اولاده بشيء من البلاد فقال له بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تمضي كأنك كنت خارجاً الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما نستحي يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضعك قال اذا اراد الطائر ان يعمل عشاً لفراخه قصد اعلى الشجرة ليحتمي فراخه وانت سامت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الأرض هذه حلب وهي ام البلاد بيد اخيك وحماة بيد ابن اخيك تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجهم اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكنتم هذا الأمر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميفارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لأولاده فلم ينفعه ما فعل . لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره اهـ . وكانت وفاة الملك العادل سنة ٦١٥ كما ذكره الأثر في حقه احدث

هذه السنة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقال انه كان عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة صبوراً حليماً ذا اناة يسمع ما يكره ويفض عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الحرج وقت الحاجة لا يقف في شيء واذا لم تكن حاجة فلا وملك دمشق سنة ٥٩٢ من الافضل ابن اخيه وملك مصر منه سنة ٥٩٦ وقسم الملك في حياته بين اولاده وبسط ابن الأثير ذلك وقال ابن خلكان في ترجمته ما خلاصته هو ابو بكر محمد بن ابي الشكر ايوب بن شادي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب في حال غيبته في الشام ويستدعى منه الأموال للانفاق في الجند وغيرهم

ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة اعطاها لولده الظاهر غازي ثم اخذها منه واعطاها للملك العادل فانتقل اليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي بن السلطان لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين اخيه صلاح الدين وخرج منها في سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم اعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته وآخر الأمر انه استقل بمملكة الديار المصرية وخطب له مجلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتى عشرة وستمائة وكان ملكاً عظيماً ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازماً في الأمور صالحاً محافظاً على الصلوات في اوقاتها متبعاً لارباب السنة مائلاً الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديسي وذكر اسمه في خطبته وسيبره اليه من بلاد خراسان وكان بالغالب

يصيف بالشام لأجل الفواكه والتلج والمياه الباردة ويشتي في الديار المصرية لا اعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في ارغد عيش وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد حتى يقال انه كان يأكل وحده خروفاً لطيفاً مشوياً وكان له في النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا في دنياه وكانت ولادته بدمشق سنة اربعين وخمسمائة وتوفي سنة خمس عشرة وستائة ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به (هي التي اتخذها الآن المجمع العلمي العربي بدمشق مقراً له واسر فيها مكتبة ومتحفا) ودفن في التربة التي بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله

سنة ٥٨٣

ذكر فتح البيت المقدس وحمل المنبر اليه من حلب

في هذه السنة في رجب فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله البيت المقدس وقد كان اخذ من المسلمين سنة اثنين وتسعين واربعائة فيكون مدة بقائه في ايديهم احدى وتسعين سنة وبسط ابن الاثير وصاحب الروضتين الاخبار في ذلك قال ابن الاثير وصلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى في قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محي الدين محمد بن ابي الحسن ابن الزكي قاضي دمشق (١) ثم رتب فيه صلاح الدين خطيباً واماماً برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محموداً كان قد عمل بمنبر امر الصناعات بالمباغة في تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الاسلام مثله فأمر بأحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات

(١) وخطبته المذكورة في الروضتين وفي ابن خلكان في ترجمة ابن الزكي وهي طويلة بدعية

نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله اه

وقال في الروضتين تقلاعن العماد الكاتب ما خلاصته انه كان مجلب نجار يعرف بالأختري من ضيعة تعرف بأختري لم يلف له في براعته وصنفته قرين فأمره نور الدين بعمل منبر لبیت الله المقدس وقال له اجتهد ان تأتى به على النمت المهندم والنحت المهندس لجمع الصنائع واحسن الأبداع واتمه في سنين واستحق بحق احسانه التحسين وانفق ان جامع حلب في الأيام النورية احترق فاحتجج الى منبر ينصب فنصب ذلك المنبر وحسن المنظر وتولى حينئذ النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب المنبر في الرسم ومن رأى حلب شاهد منه على مثال المنبر القدسي الأحسان. وفي كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الأعظم (ويظهر انها من كنوز الذهب لأبي ذر) قال فيها قرأت في تاريخ الإسلام [للذهبي] وقد كان نور الدين انشأ منبرا برسم الأقصى قبل فتح بيت المقدس طمعا في ان يفتحه ولم تزل نفسه تحدته بفتحه وكان مجلب نجار فائق الصنعة فعلم لنور الدين هذا المنبر على احسن نعت وابدعه فاحترق جامع حلب فنصب فيه ثم عمل النجار المذكور ويعرف بالأختري منبرا آخر شبه ذلك المنبر فلما افتتح السلطان بيت المقدس امر بنقل المنبر فنصب الى جانب محراب الأقصى انتهى وقال قبل نقل كلام الذهبي واما المنبر الذي هو الآن به فعلم في ايام السلطان الملك الناصر محمد وصانعه محمد بن علي الموصلی بتولى محمد بن عثمان بن الحداد (١) وهذا المنبر غير المنبر الذي كنت سمعت ان صانعه كان فلاحا من قرية الأختري من قرى حلب وانه مات قبل تركيبه ومحجز الداس عن تركيبه

(١) والملك الناصر محمد تولى الملك في الديار المصرية ثلاث مرات والمرة الثالثة كانت

سنة ٧٠٩ وبقي الى سنة ٧٤١

فراه ولده في النوم فقال له عجّزتم عن تركيبه قال نعم فأراهم كيفية التركيب
فأصبح ولده وركبه اه

اقول وقد تقدم في حوادث سنة ٥٨٠ وصف ابن جبير المنبر القديم وهذا
قد احترق حينما دخل صاحب سبى الى الجامع واحرق الجانب القبلى منه وذلك سنة
٦٨٤ كما سيأتى وبقي الى ان جدد في ايام الملك الناصر محمد في اوائل القرن الثامن
وهو المارحود الى الآن وهو من خشب الآبنوس بديع الصنعة قد تمخل اجزاءه
قطع رفاق صغار من العاج يدلك على براعة صانعه ورقى تلك الصنعة في ذلك العهد
لكنه على مقتضى وصف ابن جبير له لم يأت مثل المنبر القديم

ومكتوب على تاج بابه (عمل في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ابي الفتح
محمد عز نصره) وتحت ذلك (عمل العبد الفقير الى الله محمد بن علي الموصلى)
وعلى مصراعي الباب (بتولى العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن عثمان الحداد)
وكتب وراء المنبر في اعلا الجدار (امر بعمله المقر العالى الأمير الشمسى قراستقر
الجوكندار الملكى المنصورى عز نصره)

واما المنبر الذي حمل الى القدس الذي هو نظير المنبر السابق فإنه لم يزل باقيا
فيها الى وقتنا هذا وعزمت على اخذه بالمصور الشمسى واثباته هنالتعلم منه صنعة ذلك
المنبر فلم يتسهل لى ذلك وقد كتب لى بالواسطة ماهو مكتوب على ذلك المنبر
قال مكتوب في الجهة الشرقية عن يسار المنبر في اطرافه الاربع بعد البسطة
(امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرباط لأعلاء
دينه العادل نور الدين ركن الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين
ابو القاسم محمود بن زنكى بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز الله انصاره وادام
اقتداره واعلامه في الخافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولته واذل كفار نعمته

وفتح له وعلى يديه واقرب بالنصر والزلفا عيناه (هكذا كتب لي) برحمتك
يارب العالمين وذلك في شهور اربعة وستين وخمسمائة .

ومكتوب على المصراع الايمن من الباب (عمله سليمان معالي رحمه الله) وعلى المصراع
الايسر (عمله حميد بن ظافر رحمه الله)

ومكتوب على الجهة الغربية وهي اليمنى في اطرافه الأربع (ان الله يأمر بالعدل
والأحسان) الخ الآية وقوله تعالى (واوفوا بعهدهم الله) الى قوله (ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة)

ومكتوب على تاج المنبر في الجهة اليمنى في اطرافه الأربع بعد البسملة (في بيوت
اذن الله) الخ الآية وفي الجهة اليسرى اى الملاصقة للجحراب في الأطراف
الأربع ايضا بعد البسملة (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام
الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) الخ الآية . وكتب ثمة (صنعه حميد بن
ظافر الحلبي رحمه الله . وصنعه فضائل وابو الحسن ولدي يحيى الحلبي رحمه الله)
ويظهر ان الكتابة على طرفي الناج والكاتب لم يوضع لي ذلك

(سنة ٥٨٤)

(اتصال القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد)
بالسلطان صلاح الدين وفتح جبلة واللاذقية

قال القاضي في السيرة الصلاحية المسماة بالوادر البوسفية في فصل نزول السلطان
على كوكب . اني كنت حججت سنة ثلاث وثمانين ثم اتفق لي العود من
الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
وزيارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس

فبلغه خبر وصولي فظن اني وصلت من جانب الموصل [لأنه موصل الأهل] في حديث فاستحضرني عنده وبالع في الأكرام والأحترام ولما ودعته ذاهبا الى القدس خرج لي بعض خواصه وابلغني تقدمه اليّ بأن أعود أتمثل في خدمته عند العود من القدس فظننت انه يوصيني بهم الى الموصل وانصرفت الى القدس يوم رحيله عن كوكب الى دمشق وكان دخوله اليها سادس ربيع الأول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي اليها عائداً من القدس فأقام رحمه الله في دمشق خمسة ايام وكان له غائباً عنها اربعة عشر شهرا وفي اليوم الخامس بلغه خبر الأفرنج انهم قصدوا جببلا واغتالوها فخرج مسرعاً ساعة بلوغه الخبر وكان قد سار الى العساكر يستدعيها من سائر الجوانب وسار يطلب جببلاً فلما عرف الأفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين زنكي وعسكر الموصل ومظفر الدين الى حلب فاصدين الخدمة للفرقة فصار نحو حصن الأكراد في طلب الساحل الفوقاني . ولما كان مستهل ربيع الآخر نزل على تل قبالة حصن الأكراد ثم سار الى الملك الظاهر (ولده) والملك المظفر ان يجتمعا وينزلا بتبرين قبالة انطاكية ليحفظ ذلك الجانب وسارت عسكر الشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذه الميزة ووصلت اليه رحمه الله بهذه الميزة على عزم السير الى الموصل متجهرا لذلك فلما حضرت عنده فرح بي واكرمني وكنت قد جمعت له كتاباً في الجهاد (١) بدمشق مدة مقامي فيها يجمع آدابه واحكامه فقدمته بين يديه فأعجبه وكان يلزم مطالعته وما زلت اطلب دستوراً في كل وقت وهو يدافني عن ذلك ويستدعيني للحضور في خدمته في كل وقت ويبلغني على السنة الحاضرين ثناءه علي وذكره اياي بالجميل ثم سار الي مع الفقيه عيسى

وكشف لي انه ليس في عزه ان يمكثني من العود الى بلادى وكان الله قد اوقع في قلبي محبته منذ رأيت به وجهه الجهاد فأحببته لذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الأولى سنة اربع وثمانين وهو يوم دخوله الساحل وجميع ما حكيت به قبل انما هو روايتي عن ائق به ممن شاهده . ومن هذا التاريخ ما سطرت الا ما شاهدته او اخبرني به من ائق به خبراً يقارب الديان . ثم ذكر خبر فتحه الى انطرسوس وما حولها ثم قال وسار يريد جبلة وكان عرض له ولده الملك الظاهر في اثناء طريق جبلة فأنه طلبه وامره ان يحضر معه جميع العساكر التي كانت بنبيرين ووصل الى جبلة في الثامن عشر من جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر حتى اخذ البلد وكان فيه مسامون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يتمتع وبقيت القلعة ممتنعة ونزل العسكر محمداً بالبلد وقد دخله المسامون واشتغل بقتال القلعة فقاتلت قتالاً يقيم عذرا لمن كان فيها وسامت بالأمان في التاسع عشر واقام عليها الى الثالث والعشرين وسار عنها يطلب اللاذقية وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة لما اقام صلاح الدين تحت حصن الأكراد اتاه قاضي جبلة وهو منصور بن ثبيل يستدعيه اليه وكان هذا القاضي عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسامين بمجبة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد الساطان وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الأولى فذل بانطرسوس (ثم ذكر خبر اخذها وخرابها) قال ورحل عنها واتى مرقية وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث احداً نفسه بملكه لها وهى وامتناعه وهو للاسبصار والطريق تحتها فيكون الحصن على يمين المجناز الى جبلة والبحر عن يساره

والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فانفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجده الى فرنج الساحل في ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيم ليمنوا من يجتاز بالسهم فلما رأى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى آخره وجل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جيلة ثامن عشر جمادى الأولى وتسامها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسامها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها تحصنا واجتمعوا بقلعتها لما زال قاضي جيلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الأمان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى ان يطلق الأفرنج رهائنهم من المسلمين من اهل جيلة وكان يميند صاحبها قد اخذ رهائن القاضي ومسلمي جيلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضي رهائن الأفرنج وجاء رؤساء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشقها مسامكا وفيه حصن يعرف ببكسرايل بين جيلة ومدينة حماة فلكه المسلمون وصار الطريق عليه في هذا الوقت من بلاد الأسلام الى العسكر وكان الناس يلتقون شدة في سلوكه وفرر صلاح الدين احوال جيلة وجمل فيها لحفظها الأمير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اه

ذكر فتح اللاذقية

قال القاضي بن شداد سار السلطان عن جيلة يطلب اللاذقية وكان نزوله عليها في الرابع والعشرين وهي بلد مليح خفيف على القلب غير مستور وله ميناء

مشهورة وله قلعتان متصلتان على تل مشرف على البلد فنزل عددا بالبلد واخذ
العسكر منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيها الامن ناحية البلد واشتد
القتال وعظم الزحف وارتفعت الأصوات وقوي الضجيج الى آخر اليوم المذكور
واخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة فإنه كان بلد التجار
ففرق بين الناس الليل وهجومه واصبح يوم الجمعة مقانلا مجتهدا في اخذ
القبوب واخذت القبوب من شمالي القلاع وتمكن منها القب حتى بلغ طوله على
ما حكى لى من ذرعه ستين ذراعا وعرضه اربعة اذرع واشتد الزحف عليهم حتى
صعد الناس الجبل وقاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتحاذفون بالحجارة
باليد فلما رأى عدو الله ما حل بهم من الصغار والبوار استمناثوا بطلب الامان
عشية الجمعة الخامس والعشرين من الشهر وطلبوا قاضي جبلة يدخل اليهم ليقرر
لهم الأمان فأجيبوا الى ذلك وكان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يبخل به
رفقا فعاد الناس عنهم الى خيامهم وقد اخذ منهم التمتع فبانوا الى صبيحة السبت
ودخل قاضي جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بنفوسهم وذرارهم
خلا البغال والذخائر وآلات السلاح والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى
مأمنهم ورقى عليها العلم الاسلامي المنصور في بقية ذلك اليوم واقفا عليها الى
السابع والعشرين اهـ

قال ابن الاثير وكانت عمارة اللاذقية من احسن الأبنية وأكثرها زخرفة مملوءة
بالرخام على اختلاف انواعه فخرّب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا
كثيراً من بيعة التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجائلة المقدار وسلمها
الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من
رآها ينكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والفرامة

ذكر فتح صهيون

قال القاضي ابن شداد رحل السلطان عن اللاذقية طالباً صهيون واستدارت العساكر بها من سائر نواحيها في التاسع والمشرين من جمادى الاولى ونصب عليها ست شبايق وهي قلعة حصينة منيعة في طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة عميقة وايس لها خندق مخفور الا من جانب واحد مقدار طوله ستون ذراعاً او اكثر وهو تفرق حجر ولها ثلاثة اسوار . سور دون ربضها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتها علم منصوب فحين اقبل العسكر الاسلامي شاهده قد وقع فاستبشر المسلمون بذلك وعلموا انه النصر والفتح واشتد القتال عليهما من الجوانب فضر بها بمنجنيق الملك الظاهر صاحب حلب وكان نصب منجنيقاً قريباً من سورها فقطع الوادي وكان صاحب الحجر فام يزل يضر بها حتى هدم من السور قطعة عظيمة يمكن المصاعد في السور اترقى اليه منها ولما كان بكرة الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان وتقدم وامر المنجنوقات ان تتوالى بالضرب وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير والتهيل وما كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على الاسوار التي للرض واشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض ولقد كنت اشاهد الناس وهم يأخذون القدور وقد استوى فيها الطعام فيأكلونها وهم يقاتلون واضم من كان في الربض الى القلعة ويحملون ما امكنهم ان يحملوا من اموالهم ونهب الباقي واستدارت المقاتلة حول اسوار القلعة ولما عاينوا الهلاك استغاثوا بطاب الامان ووصل خبرهم الى السلطان فبذل الامان وانعم عليهم على ان يساموا بأنفسهم واموالهم ويؤخذ من الرجل منهم عشرة دنانير ومن المرأة خمسة وعن الصنيد ديناران وسلمت القلعة واقام السلطان

عليها حتى سلم عدة قلاع كالعيد وفيحه وبلاطينوس وغيرها من القلاع والحصون تسامها النواب اه

وقال ابن الأثير رحل صلاح الدين عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى نمره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبين كثير وهم في الشجاعة بالمثل المشهورة ودام رشق السهام من قسى اليد والجرح والزنبورك والزيار فجرح اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والأمتناع وزحف المسمون اليهم ثانيا جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل فداغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الاول فلكوا منها ثلاثة وغنوا ما فيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتفى الفرنج بالقلعة التي للقلعة فقاتلهم المسمون عليها فنادوا وطلبوا الأمان فلم يجبههم سلاح الدين عليه فقرروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى امير يقال له منكورس صاحب قلعة ابي نبيس لحصنه وجعله من احصن الحصون ولما ملك المسمون صهيون تفرقوا في تلك النواحي فلكوا حصن بلاطينوس وكان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك ايضا حصن العيد وحصن الجماهرتين فانسدت المملكة الإسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الإسلامية على

عقبة بكسرايل شاق شديد لأن الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لأن بعضها بيد الأسماعيلية وبعضها بيد الفرنج اه

ذكر فتح بكاس والشجر وسرمانية

قال القاضي بن شداد ثم رحل وسرنا حتى اتينا سادس جمادى الآخرة بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان المنزل على شاطئ العاصي وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهي على جبل يطل على العاصي فأحرق بها من كل جانب وقابلها قتالا شديدا بالمنجنيقات والزحف المضايق الى تاسع الشهر ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان له قليعة تسمى الشجر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلط عليها المنجنيقات من الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فظهبوا الامان في الثالث عشر وسألوا ان يؤخروا ثلاثة ايام لاستئذان من بانطاكية فاذن له في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني عليها يوم الجمعة سادس عشر ثم عاد السلطان الى النفل وسير ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية فقاتلها قتالا شديدا وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر فانفتحت فتوحات الساحل على جبهة الى سرمانية في ايام الجمع وهي علامة قبول دعاء الخطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر الله لنا الفتوح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحسبات وهن من نواذر الفتوحات في الجمع المتوالية ولم يتفق مثلها في تاريخ اه

وقال ابن الأثير سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتمحصنوا بقلعة الشجر فلك قلعة بكاس بنير

قتال وتقدم الى قلعة الشنفر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى اللاذقية وجبله والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الإسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شيئا الا القليل الذى لا يؤذي فبقى المسلمون اياما لا يرون فيه طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم في هذا الحديث اذ قد اشرف عليهم فرنجى ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة ركاب سبب استمهاهم انهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه ان يرسل عنهم المسلمون فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو قاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضاً فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى امير يقال له قلعج وامره بعمارته ورحل عنه

ولما كان صلاح الدين مشغولاً بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب فحضر سرمينية وضيق على اهله واستنزلهم على قطعة قررها

عليهم فلما انزلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفي اثره وعلى بنياناه
وكان فيه في هذه الحصون من اسارى المسلمين الجمل الغفير فأطلقوه واعطوا
كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة
واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جيلة الى سرمانية مع كثرتها
كان في ست جمع مع انها في أيدي اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان
من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهي جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها
سوى القصير وبفراس ودرب ساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى اهـ

ذكر فتح برزية

قال ابن الأثير رحل صلاح الدين من قلعة الشحر الى قلعة برزية وكانت قد وصفت
له وهي تقابل حصن اقلية وتناصفها في اعمالها وبينها بحيرة تجتمع من ماء الدامى
وعيون تنفجر من جبل برزية وغيره . قال القاضى ابن شداد ثم سير السلطان
جريدة الى قلعة برزية وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل
شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين تحيط بها اودية من
سائر جوانبها وذرع علوها كان خمسمائة ذراع ونيفا وسبعين ذراعا ثم جدد عزمه
على حصارها بعد رؤيتها واستدعى الثقل وكان نزول الثقل وبقية العسكر تحت
جبلها في الرابع والعشرين من الشهر وفي بكرة الخامس والعشرين منه صعد
السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنقات وآلات الحصار الى الجبل فأحدثت
بالقلعة من سائر نواحيها وركب القتال من كل جانب وخرب اسوارها بالمنجنقات
المتواترة الضرب ليلا ونهاراً وفي السابع والعشرين قسم العساكر ثلاثة اقسام
ورتب كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ويسلم القتال للقسم الآخر بحيث

لا يفتر القتال عنها وكان صاحب النوبة الأولى عماد الدين صاحب سنجار مقاتلها قتالا شديدا حتى استوفى نوبته وضرس الناس من القتال وتراجعوا واستلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتمرك خطوات وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن إلا بعض ساعة حتى رقي الناس على الاسوار وهجموا القلعة واخذت القلعة عنوة فاستغنوا الأمان وقد تمكنت الأيدي منهم فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ونهب جميع ما فيها واسر من فيها وكان فداوى إليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة وكان يوما عظيما وعاد الناس إلى خيامهم غانمين وعاد السلطان إلى الثقل فرحا مسرورا واحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلا كبيرا منهم وكان هو ومن اخذ من اهله سبعة عشر نفسا فن عليهم ورق لهم وانفذهم إلى صاحب انطاكية استماله له فأنهم كانوا يتعلقون به ومن اهله اه

وبسط ابن الأنثير خبر فتحها باكثر من ذلك وقال في الآخر واما صاحب برزية فإنه اسره هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم المسكر فأرسل صلاح الدين في الوقت وبحت عنهم واشترام وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم إليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت ترسل صلاح الدين وتعلمه كثيرا من الأحوال التي تؤثر فاطلق هؤلاء لأجلها اه

ذكر فتح درب ساك

قال ابن الأنثير لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فافام عليه حتى وافاه من تحلف عنه من عسكره ثم سار عنه إلى قلعة درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهي

من معافل الداوية الحصينة وقلاعهم التي يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها شيئاً يسيراً فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وفاندوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم الثقابون فتقبوا منها برجاً وعلقوه فسقط واتسع المكان الذي يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجذونه فصبروا واطمروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بأنجادهم وازاحة المسامين عنهم واما بالتخلي عنهم ليقوم عذرهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسامين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الأمان فأمنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بشيابه التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شيء مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

وقال القاضي ابن شداد كان فتحها في الثاني والعشرين منه واعطاها علم الدين ساجان بن جندر وسار عنها في الثالث والعشرين منه اهـ

ذكر فتح بغراس

قال ابن الأثير ثم سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعدان اختلف اصحابه في حصرها فمنهم من اشار ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الأمر كذلك قل المتأملون عليها ويتمتع الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكاً مقابل انطاكية ينثرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من

اهلها ان غفلوا لقرهم منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقابلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئاً لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين قاة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بمحمل الماء اليها فحفف الأمر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فأذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يساموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فأجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الأعلام الإسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واهوال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرّب وكان ذلك مضرة عظيمة على المسلمين فان ابن ليون صاحب الأرمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واثقنه وجعل فيه جماعة من عسكره ينهرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذي لحب وهو الآن بأيديهم اه

﴿ ذكر الهدنة بين صلاح الدين وصاحب انطاكية ﴾

قال القاضي بن شداد كان فتح بغراس ثاني شعبان وفي بقية ذلك اليوم عاد السلطان رحمه الله الى الخيم الأكبر وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج لا غير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا ساموا البلد الى السلطان ورحل يطلب دمشق فسأله ولده الملك الظاهر ان يجاز به فأجابه وسار حتى اتى حلب حادي عشر شعبان واقام بقلعتها ثلاثة

ايام وولده يقوم بالضيافة حق القيام ولم يبق للعسكر الا من ناله من نعمته منال
واكثر ظني انه اشفق عليه والده وسار من حلب يريد دمشق فاعترضه ابن اخيه
الملك المظفر تقي الدين واصمده الى قلعة حماة واصطنع له طعاما حسنا واحضر
له سماع الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية وسار على
طريق بعلبك حتى اتاها واقام بمرجها ودخل الى حمامها ثم اتى دمشق فاقام بها
حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تخلية وقته عن الجهاد معها امكنه وكان
قد بقى له القلاع القريبة من حوران التي يخاف عليها من جانبها وصفد وكوكب
فراى ان يشغل الوقت بفتح المكاين في الصوم

وقال ابن الأثير بعد ان ذكر خبر الهدنة على نحو ما قدمناه واما صلاح الدين
فأنه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر
الشرقية كعماد الدين زنكي ابن مودود وصاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل
وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز
فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكريا المغربي وكان مقيا هناك وكان من عباد الله
الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الأمير عز الدين ابو
الفليته قاسم بن المهنا العاوي الحسيني وهو امير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهدته وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك
برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله
كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان
العمر قصير والأجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج هذه الحصون كوكب
وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها في وسط بلاد الاسلام
ولا يؤمن شر اهلها وان اغفلناهم ندمننا فيما بعد اه

(سنة ٥٨٧)

﴿ ذكر وفاة الأمير حسام الدين ﴾

قال في الروضتين في هذه السنة توفي الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان صلاح الدين بدمشق تاسع عشر رمضان ودفن بالترربة الحسامية المنسوبة اليه

آثاره مجلب

قال في الدرالمستخب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحدادية] انشأها الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن اخت صلاح الدين وهي من الكنائس الأربع التي تقدم ذكرها التي صيرها ابن الحشاش مساجد فهدمها وبنها بناءً وثيقاً فلم يزل يتولاها المدرسون الى ان وصلت الي ونزلت عنها لولدي وهي الآن بيدهما وقال بعده انها الآن معطلة . قال ابن شداد اول من درس بها الفقيه الأمام الحسين بن محمد بن اسعد ثم تولاها فخر الدين يوسف ولم يزل الى ان قتله التتر عند استيلائهم على حلب

﴿ ذكر وفاة الأمير علم الدين ﴾

قال في الروضتين وفي هذه السنة في اواخر ذى الحجة توفي الأمير علم الدين سايمان بن جندر من اكابر امراء حلب وكان في خدمة السلطان في القدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذي اشار بتخريب عسقلان لتتوفر العناية والأهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى الوطن فأدركته المنية بقرية غباغب على مرحلة من دمشق

سنة ٥٨٨

وصية السلطان صلاح الدين لولده المملك الظاهر غازي عند عوده الى حلب بعد عقد الهدنة بين السلطان والفرنج في بلاد الساحل والأذن بعود العساكر الى اوطانهم

قال ابن الأثير في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر وساق سبب الصلح قال القاضي ابن شداد ولما انقضى هذا الأمر واستقرت القواعد اعطى السلطان دستوراً في عود العساكر الإسلامية الى اوطانهم (وكان من جملة عساكره ولده المملك الظاهر غازي) قال ولما كانت بكرة التاسع والعشرين من رمضان توجه المملك الظاهر عز نصره بعد ان ودعه نزل الى الصخرة فضلى عندها وسأل الله تعالى ماشاء ثم ركب وركبت في خدمته فقال لى تذكرت امراً احتاج فيه الى مراجعة السلطان مشافهة فأنفذ من اسنأذن له العود الى خدمته فأذن له في ذلك فخصر واستحضرني واخلى المكان ثم قال موميا لولده

اوصيك بتقوى الله تعالى فانها رأس كل خير وأمرك بما امر الله به فإنه سبب نجاك واحذر من الدماء والدخول فيها والنقلدها فإن الدم لا ينام واوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في احوالهم فانت اميني وامين الله عليهم واوصيك بحفظ قلوب الأمراء وارباب الدولة والأكابر فما بلغت ما بلغت الا همدارة الناس ولا تحقد على احد فإن الموت لا يبقى على احد واحذر ما بينك وبين الناس فانه لا يغفر الا برضاهم وما بينك وبين الله يغفر الله بتوبتك اليه فإنه كريم . وكان ذلك بعد ان انصرفنا من خدمته ومضى من الليل ما شاء الله ان يمضي

وهذا ما امكنتى حكايته وضبطه ولم يزل بين يديه الى قرب السحر ثم اذن له في الانصراف ونهض له ليودعه فقبل وجهه ومسح على رأسه وانصرف في دعة الله ونام في برج الخشب الذي للسلطان وكنا نجلس عنده في الأحيان الى بكرة وانصرف في خدمته الى بعض الطريق وودعته وسار في حفظ الله اه ثم قال بعد ذلك وعاد السلطان بعد الفراغ من تصفح احوال القلاع الساحلية باسرها الى دمشق وكان دخوله اليها في السادس والعشرين من شوال

سنة ٥٨٩

ذكر وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى

كان ابتداء مرضه سادس عشر صفر وذكر القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية تفاصيل ذلك (ثم قال) وكانت وفاته بدمشق بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما وصل القاري الذي كان يقرأ عنده الى قوله تعالى (لا اله الا هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه . وكان يوم لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين وغشى القلعة والبلد والدين من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فداه بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث الا على ضرب من التجوز والترخص الا في ذلك اليوم فأني علمت من نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء لفدي بالنفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء في الايوان الشمالي وحفظ باب القلعة الا عن الخواص والامراء والمعممين وكان يوماً عظيماً وقد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والأسف والبكاء والاستغاثة من ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشد فيه شاعراو يتكلم فيه فاضل وواعظ ثم اشتغل بتفسيه وتكفينه فا امكنا ان ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة

الا بالقرض حتى في ثمن الثوب الذي بلب به الطين وغسله الدولي الفقيه
 ونهضت الى الوقوف على غسله ولم تكن لي قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد
 صلاة الظهر في تابوت مسجى بثوب فوط وكان ذلك وجميع ما احتاج اليه
 من الثياب في تكفينه قد احضره القاضي الفاضل من وجه حل عرفه وارتفعت
 الاصوات عند مشاهدته وعظم من الضجيج والويل ما شغلهم عن الصلاة فصلى
 عليه الداس ارسالاً وكان اول من ام بالناس القاضي عمي الدين ابن الزكي ثم اعيد
 الى الدار التي في البستان وكان متمرضاً بها ودفن في الصفة الغربية منها
 قال في الروضتين ما خلاصته لما توفي السلطان رحمه الله دفن بالقلعة في منزله وما زال
 الأفاضل بن صلاح الدين يتروى موضع ينقله اليه ثم استقرأ حدود الجامع ليكمل
 التربة فيها فوفق لدار كانت لبعض الصالحين وهي في حد المكان الذي زاده
 الأجل الفاضل في المسجد فاشتراها منه وامر بعمارها قبة فعمرت وتقل اليها
 السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين. ثم قال تقياً عن محمد بن القاسي
 المؤرخ انه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد وكان ذلك برأي الفاضل
 ومن كلام بعضهم في وفاة السلطان اغلت الشمس عند الصباح وذهبت روح
 الدنيا الذي ذهب بذهابها كثير من الأرواح وتلك الساعة ظلت لها الابواب
 حائرة وتمثلت فيها السماء مأثره والجبال سائره وانعم سيف الله الذي كان على
 اعدائه دائم التجريد وخفت الارض من جبلها الذي كان يمنحها ان تميد واصبح
 الاسلام وقد فقد ناصره ثاكلاً لوحيده فهو اعظم فاقد لأعظم فقيد وليس
 احد الا وقد سمع عن الخبر واصيب في سواد القلب والبصر اه

ترجمته

هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين

صاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمينية . قال ابن خلكان في ترجمته اتفق اهل التاريخ على ان اياه واهله من دوين [بضم الدال وكسر الواو] وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية [بفتح الراء وكسر الدال] وهي قبيلة كبيرة من الأكراد وقال لى رجل فقيه عارف بما يقول وهو من اهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان وجميع اهلها اكراد روادية . وولد ايوب والد صلاح الدين بها

وشاذى (جد صلاح الدين) اخذ ولديه نجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه وخرج بهما الى بغداد وهناك خدم ولداه مجاهد الدين بهروز بن عبدالله الغياثي شحنة العراق فرأى مجاهد الدين في نجم الدين ايوب عقلاً ورأياً حسناً وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت [١] فسار اليها هو ووالده واخوه اسد الدين ومات ابوه شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد

ثم حصلت وقعة بين الأمام المسترشد وبين مسعود بن محمد ملكشاه السلجوقي وحماد الدين زنكى صاحب الموصل فأرسل المسترشد الى قراجا الساقى وهو صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجد به فأتاه وكبس عسكرهما وانهمزما بين يديه فوصل زنكى الى تكريت فخدمه نجم الدين ايوب واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فأحسن نجم الدين اليهم وبلغ ذلك مجاهد الدين بهروز فسير اليه وانكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فأحسننت اليه واطلقته ثم ان اسد الدين قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرسل مجاهد الدين اليهما فأخرجهما من تكريت فقصدا حماد الدين زنكى وكان اذ ذلك صاحب الموصل

(١) قال ابن خلكان دزدار بضم الدال وسكون الزاى وفتح الدال وهو لفظ اعجمى معناه حافظ القلعة وهو الوالى ودز بالمعجمى القلعة ودار الحافظ .

فأحسن اليهها وعرف لهما خدمتهما واقطم لهما اقطاعاً حسناً وصارا من جملة جنده فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك وذلك في اوائل سنة اربع وثلاثين وخمسمائة جعل نجم الدين دزدارها

ثم قال اتفق ارباب التواريخ ان صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة نكريت لما كان ابوه وعمه بها والظاهر انهم ما انما موابها بعد ولادة صلاح الدين الا مدة يسيرة . ولما قتل زنكى حصر صاحب دمشق مجير الدين ارتقى بن بوردى بعلبك فأرسل نجم الدين ايوب الى سيف الدين غازى ابن زنكى صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهى اليه الحال ويطلب منه عسكرياً ليرحل صاحب دمشق عنه . وكان سيف الدين في ذلك الوقت في اول ملكه وهو مشغول بأصلاح ملوك الأطراف المجاورين له فلم يتفرغ وضاق الامر على من في بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين ايوب الحال وخاف ان تؤخذ قهراً ارسل في تسليم القلعة وطلب اقطاعاً ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من اكبر الامراء واتصل اخوه اسد الدين بمخدمة نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب فقربه نور الدين واقطعه وكان يرى منه في الحرب آثاراً يمجئ عنها غيره لشجاعته وجراته فصارت له حصص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكريه

ولما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق وذلك سنة تسع واربعين وخمسمائة لازم نجم الدين خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السمادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في امور الجهاد حتى تجهز

السير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
ثم توجه اليها سنة اربع وستين وصار اليها بنفسه وماله واخوته واهله ورجاله
ومعه ابن اخوه صلاح الدين وهو كاره للخروج مع عمه ولم يخرج معه باختياره
(وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ولما علم الفرنج بوصول اسد الدين الى
مصر على اتفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكسين واقام اسد
الدين بها يتردد اليه شاور (وزير مصر) في الأحيان ثم تحقق اسد الدين انه
لا سبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فاعمل الحيلة في القبض عليه وقتله
تلك السنة وصار وزير مصر بدله والسلطان صلاح الدين يباشر الأمور مقررأ
لها المكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته وفي الثاني والعشرين من
جمادى الآخرة من السنة المذكورة مات اسد الدين وكانت مدة وزارته شهرين وخمسة
ايام ولما مات اسد الدين استوزر العاضد صاحب مصر صلاح الدين يوسف واستقرت
الأمور بعده وتمهدت القواعد ولما تم له ذلك سير بطلب والده نجم الدين
ايوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقضية يوسف الصديق عليه السلام
فوصل والده اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين

وفي المحرم من سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر
وخطب فيها للأمام المستضيء بأمر الله امير المؤمنين وكان السبب في ذلك
ضعف امر العاضد وتفرق المساكر في اهلهم وكان نور الدين محمود قد كتب
له يأمره بذلك وفي اثناء ذلك توفي العاضد آخر ملوك العبيدين فاستولى صلاح
الدين على قصره وامواله وذخائره وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم
يكن عند الملوك قد جمع على طول السنين ومما الدهور فيه القضيبي الزمرد طوله
نحو فصبه ونصف الحبل اليابوت وغيرهما ومن الكتب المستخبة بالخطوط

المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد وباع السلطان صلاح الدين جميع ذلك . واستقل حينئذ صلاح الدين بأمر مصر ومهد أمورها وجرى أمره فيها على السداد ولما توفي الملك العادل نور الدين بدمشق كما تقدم وعلم صلاح الدين ان ولده الملك الصالح صبي لا يسقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام فنهض حينئذ اليها واستولى عليها وعاد الى مصر سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ثم خرج منها الى الشام في سنة ثمان وسبعين واستمر على الجهاد في سبيل الله الى ان توفي في التاريخ المتقدم رحمه الله

وقال القاضي ابن شداد في القسم الاول من كتابه السيرة الصلاحية الذي ذكر فيه فيه مولده ومنشأه وخصائصه ووصافه واخلاقه المرضية ما خلاصته : اتفق لوالده الانتقال من تكريت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه واقام بها الى ان ترعرع ثم اعطي بعلبك واقام بهامدة فقل ولده اليها واقام بها في خدمة والده يتربى تحت حجره ويرتضع ندي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت لوائح التقدم والسيادة فقدمه الملك العادل نور الدين محمود رحمه الله وعول عليه ونظر اليه وقربه وخصصه ولم يزل كلما تقدم قدما تبتدر منه اسباب تقضى تقديمه الى ما هو اعلى منه

وكان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد اخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ اهل العلم واكابر الفقهاء وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه يعلمها للصغار من اولاده حتى ترسخ في اذهانهم في الصغر وكان شديد المواظبة على الصلاة حتى انه ذكر يوما ان له سنين ما صلى الجماعة وكان ان مرض يستدعى الامام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على

السنن الرواتب وكان له صلوات يصلها اذا استيقظ في الليل والا اتى بها قبل صلاة الصبح . ولقد رأيتہ قدس الله روحه يصلى في مرضه الذي مات فيه قائماً وما ترك الصلاة الا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه واما الزكاة فأنه مات رحمه الله ولم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة . واما صدقة النفل فأنها استرقت جميع ما ملكه من الأموال فأنه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة الا سبعة واربعين درهماً ناصرية جرماً واحداً ذهباً ولم يخلف ملكاً لا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئاً من انواع الأملاك وكان رحمه الله تعالى يحب سماع القرآن العظيم ويستجيد امامه ويشترط ان يكون عالماً بعلم القرآن العظيم متقناً لحفظه . وكان يستقرئ من يحرسه في الليل وهو في برجه الجزئين والثلاثة والأربعة وهو يسمع وكان رحمه الله خاشع القلب رفيقه غزير الدمعة اذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم اوقاته وكان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث اجلالاً له . وان كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه وتردد الى الحافظ الأصفهاني بالأسكندرية وروى عنه احاديث كثيرة . وكان يحب ان يقرأ الحديث بنفسه وكان يستحضرني في خلوته ويخضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأها هو فأذا مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه

وكان رحمه الله كثير التعميم لشعائر الدين يقول بيمت الأجسام ونشورها ومجازاة المحسن بالجنة والمسيء بالنار مصداقاً لجميع ما وردت به الشرائع منشرحاً بذلك صدره مبهضاً للفلاسفة والمطلة ومن يعاند الشريعة

ولقد كان رحمه الله عادلاً رؤوفاً رحماً ناصراً لا يميز على القوى وكان يجلس

للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ويفتح الباب للمتحاضرين حتى يصل اليه كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سفرأ وحضرأ . على انه كان في جميع زمانه قابلاً لجميع ما يعرض عليه من القصص في كل يوم ويفتح باب العدل ولم يرد قاصداً للحوادث والحكومات

وكان يجلس مع الكاتب ساعةً اما في الليل او في النهار ويوقع على كل قصة بما يحريه الله على قلبه ولم يرد قاصداً ابدأ ولا متتلاً ولا طالب حاجة وهو مع ذلك دائم الذكر والمواظبة على التلاوة

وكرمه قدس الله روحه كان اظهر من ان يسطر واشهر من ان يذكر وكان يعطى في وقت الضيق كما يعطى في حال السعة وكان نواب خزائنه يخفون عنه شيئاً من المال حذراً ان يفاجئهم بهم لعلهم بأنه متى علم به اخرجهم . وسمعته يقول في معرض حديث جرى : يمكن ان يكون في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكأنه اراد بذلك نفسه رحمه الله

وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب فما سمعته قط يقول اعطينا وكان يعطى الكثير ويبسط وجهه للعطاء بسطه لمن لم يعطه شيئاً ، واكثر الرسائل كانت تكون في ذلك على لسانى ويدى وكنت اخجل من كثرة ما يطلبون ولا اخجل منه من كثرة ما اطلبه لهم لعلهم يمدم مؤاخذته ذلك وما خدمه احد الا واغناه عن سؤال غيره وقد سمعت من صاحب ديوانه يقول لى قد فجارنا عطاياء فخصرنا عدد ما وهب من الخيل يرجع عكا فكان عشرة آلاف فرس ومن شاهد مواهبه يستقل هذا القدر وكان رحمه الله من عظماء الشجعان قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات لا يهواه امر ولقد رأيت به يعطى دستوراً في اوائل الشتاء ويبقى في شردمة بسيرة

في مقابلة عددهم الكثير. وكان لا بد له من ان يطوف حول العدو في كل يوم مرة او مرتين اذا كنا قريباً منهم ولقد وصل في ليلة واحدة منهم نيف وسبعون مركباً على عكا وانا اعدّها من بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الافوة نفس

وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنينة ويحرق العساكر من الميمنة الى اليسرة ويرتب الأطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاوره

ولقد قرئ عليه جزآن من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ولم يتقل انه سمع بين الصفين فان رأى المولى ان يؤثر عنه ذلك كان حسناً فأذن في ذلك فأحضر جزئه كما احضر من له به سماع فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي تارة ونقف اخرى

ومارأيته استكثر العدو اصلاً ولا استعظم امرهم وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير تذكر بين يديه الأقسام كلها ويرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حدة ولا غضب يمتريه ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف الأکبر بمرج عكا حتى القلب ورجاله ووقع الكؤوس والعلم وهو رضي الله عنه ثابت القدم في نفر يسير حتى انحاز الى الجبل يجمع الناس ويردم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو

ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الأهتمام به ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهما الا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان حبه للجهاد والشفق به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظراً الا

في آتته ولا كان له اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره ويحبه عليه ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب فيها الرياح يمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحية على مرج عكا فلو لم يكن في البرج لقاتله ولا يزيد ذلك الا رغبة ومصابة واهتماماً

ولقد رأيته ليلة على صفد وهو يحاصرها وقد قال لا تام الليلة حتى تنصب لنا خمسة شجانيق ورتب لكل منجنيق قوماً يتولون نصبه وكنا طول الليل في خدمته في انذمفا كهة وارغد عيش والرسا تتواصل تخبره بأن قد نصب من المنجنيق الملائي كذا ومن المنجنيق الفلاني حتى اتي الصباح وقد فرغ منها ولم يبق الا تركيب جازيرها عليها وكانت من اطول الليالي واشدها برداً ومطراً

وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظاً لأسباب العرب ووفائهم عارفاً بسيرهم واحوالهم حافظاً لأنساب خيلهم عالماً بمجائب الدنيا ونواذرها بحيث كان يستفيد محاضره منه مالا يسمع من غيره

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد الا بخير وطاهر السمع فلا يجب ان يسمع عن احد الا الخير وطاهر اللسان فما رأيته ولع بستم قط. وكان حسن العهد والوفاء فما احضر بين يديه يتهم الا وترحم على مخالفيه وجبر قلبه واعطاه وجبر مصابه وان كان له من اهله كبير يعتمد عليه سلمه اليه والا ابقى له من الخير ما يكفي حاجته وسلم الى من يعتني بتربيته ويكملها

فهذه نبذ من محاسن اخلاقه ومكارم شيمه انتصرت عليها خوف الأطلالة اه افول وقد اختصرت كثيراً مما ذكره القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية من احواله ولو ذكرت الجميع لطال الكلام جداً ومن احب الاستزادة من احوال

هذا الرجل العظيم فعليه بهذا الكتاب وبكتاب الروضتين وقد ذكر ابن خلكان في آخر ترجمته ما بساه في مصر والقدس والشام من المدارس والخافاهات وغير ذلك ولم ار فيما رأيت ان له شيئاً من الآثار في حلب ويظهر ان السبب في ذلك انه لم يقم هنا مدة يتسنى له فيها تشييد شئ من المدارس او غيرها بل كانت اقامته فيها في قدمانه اليها اياماً قلائل رحمه الله

ذكر حال اولاد صلاح الدين بعده

قال ابن الأثير لما مات صلاح الدين كان معه بها ولده الأكبر الأفضل نور الدين علي وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة في حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها .

وكان ولده الظاهر غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب سالك ومنبج وغير ذلك وكان بجماة محمود بن تقي الدين عمه فاطاعه وصار معه وكان بمحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الأفضل .

سنة ٥٩٠

ذكر الحاق جبلتة واللاذقية بمملكة حلب

قال ابن الاثير في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها اخوه الأكبر الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين وكنت حيثن بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحص فأرسل الأفضل

الى عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجد به
وكان الأفضل غايته الوائق به والمعتمد اليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار
الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب
وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمد
بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق
واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلما رأى العزيز
اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فأستقرت
القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى
دمشق وطبرية واعمالها الغور للأفضل على ما كانت عليه وان يعطي الأفضل
اخاه الملك الظاهر جبلة واللاذقية وان يكون الملك العادل بمصر اقطاعه الأول
وانفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

سنة ٥٩٥ و ٥٩٦

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب مصر وحصر الأفضل

والظاهر عمهما العادل في دمشق ثم رجوعهما وملك

العادل مصر والصلح بين الظاهر وعمه العادل

قال ابو الفداء ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان
ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر وكان الغالب على دولة
الملك العزيز فخر الدين جهار كس فأقام في الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور
محمد واتفقت الأمراء على احضار احد من بنى ايوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة
بمحذور القاضي الفاضل فاشار بالملك الأفضل وهو حينئذ بصرخدا فارسلوا اليه

فسار محمداً ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان
 عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهوراً ولما وصل الى بليس لقيه اخوته
 وجماعة الأمراء المصرية وجميع الأعيان فاتفق ان اخاه الملك المؤيد مسعوداً
 صنع له طعاماً وصنم له فخر الدين جهار كس مملوك ابيه طعماً فابتدأ بطعام
 اخيه ليمين خلفها اخوه انه يبدأ به فظن جهار كس انه فعل هذا انحرافاً عنه وسوء
 اعتقاد فيه فتغيرت نيته [هذان السطران من ابن الاثير] وفارقه وتبعه عدة
 من المسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردین وادس
 الملك الظاهر الى اخيه الملك الأفضل يشير عليه بقصد دمشق واخذها من
 عمه الملك العادل وان يتنهر الفرصة لاشتغال العادل بمحاصر ماردین فبرز الملك
 الأفضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك
 على حصار ماردین ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الأفضل ودخل دمشق
 قبل نزول الأفضل عليها بيومين ونزل الملك الأفضل على دمشق ثالث عشر
 شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض
 عسكر المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يدم العسكر فتكأثر اصحاب الملك
 العادل واخرجوهم من البلد ثم تحاذل العسكر فتأخر الأفضل الى ذيل عقبة الكسوة
 ثم وصل الى الملك الأفضل اخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق
 ودام الحصار عليها وقتل الأقوات عند الملك العادل وعلى اهل البلد واشرف
 الأفضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك

ثم دخلت سنة ٥٩٦ والمكان الأفضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق
 واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الأفضل والظاهر وسيبه انه كان للملك
 الظاهر مملوك يحبه اسمه ايبيك فبقعد ووجد عليه الملك الظاهر وجداً عظيماً وتوهم انه

دخل دمشق فأرسل من تكشف خبره وأطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فأرسل إلى الظاهر يقول له إن محمود بن الشكري أفسد مملوكك وخمله إلى الأفضل أخيك فقبض الظاهر على ابن الشكري فظهر المملوك عنده فتخير الظاهر على أخيه الأفضل وترك قتال العادل وظهر الفشل في العسكر فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر إلى أواخر صفر ثم سارا إلى رأس الماء ليقيا به إلى أن ينسلخ الشتاء ثم انتفى عزيمتهما وسار الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار في أثر الأفضل إلى مصر ولما وصل الأفضل إلى مصر تفرقت عساكره في بلادهم لأجل الربيع فادركه عمه العادل فخرج الأفضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالساج فانكسر الأفضل وانهمزم إلى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام فأجاب الأفضل إلى تسليمها على أن يعوض عنها ميافاقرين وحاني وسميساط فأجابه العادل إلى ذلك ولم يف له به (ثم قال) ولما استقرت المملكة للملك العادل أرسل إليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر إليه مما وقع منه بسبب أخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وأمره برد بعيرين إلى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل عن منبج وقلة نجم لأبن المقدم عوضاً عن بعيرين فرضي ابن المقدم بذلك لأنهما خير من بعيرين بكثير وتسلمهما عز الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له أيضاً فامية وكفرطاب وخمس وعشرون ضيعة من المرة

وكذلك كاتب الملك الظاهر عمه الملك العادل وصالحه وخطب له مجلب وبلادها وضرب السكة بأسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج إلى البيكار والنزم

سنة ٥٩٧

ذكر اخذ الظاهر منبج وافامية وغيرها

قال ابو الفداء لما دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو عبيد في تحصيل حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب ابيه بها وبالشرق الملك ابراهيم ابن الملك العادل وبميفارقين الملك الاوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن المقدم وصارت البلاد بعده وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب لأخيه شمس الدين عبد الملك ولما استقر شمس الدين بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصي عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالأمان فأعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وارسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل منبج وقلعة نجم على ان يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمن التي في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر منه سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وارسل الملك الظاهر احضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها واحضر معه اصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر

بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضرباً شديداً وبقي يستنيث فأصر فراقوش
 فضربت القنارات على قلعة فامية لثلاثين يوماً ولم يسلم القلعة
 فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه إلى حماة وحاصرها ثلاثين يوماً من شعبان
 من هذه السنة ونزل شمالاً البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف
 من جهة الباب الغربي وقاتل قتالاً شديداً ثم زحف في آخر شعبان من الباب
 الغربي والباب القبلي وباب العميان وجرى فيه قتال شديد وجرح الملك الظاهر
 بسهم في ساقه واستمرت الحرب إلى أيام من رمضان فلما لم يحصل على غرض
 صالح الملك المنصور على مال يجمله إليه قيل إنه ثلاثون ألف دينار صورية ثم
 رحل الملك الظاهر إلى دمشق وبها الملك المعظم بن الملك العادل فبازلها الملك
 الظاهر هو وأخوه الملك الأفضل وانضم إليهما فارس الدين ميمون القصري
 صاحب نابلس ومن وافقه من الأمراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الأخوين
 الأفضل والظاهر أنهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الأفضل ثم يسيران
 ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الأفضل وتسلم دمشق حيث
 إلى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر للملك الأفضل ويصير الشام
 جميعه للملك الظاهر وكان قد تخلف من أكابر الأمراء الصلاحية عنهما فجر الدين
 جهار كس وزين الدين قراجه فأرسل الملك الأفضل وسلم صرخد إلى زين الدين
 قراجه وتقل الملك الأفضل والدته وأهله إلى حمص عند شيركوه وبلغ الملك
 العادل حصار الأخوين دمشق فخرج بعساكر مصر وأقام بنابلس ولم يحسر على
 قتالها واشتدت مضايقة المكيين الأفضل والظاهر لدمشق وتعلق القبايون
 بسورها فلما شاهد الملك الظاهر ذلك حسد أخاه الملك الأفضل على دمشق
 وقال له أريد أن تسلم إلى دمشق الآن فقال له الأفضل إن حريمي حريمك

وم على الأرض وليس لنا موضع نقيم فيه وهب هذه البلدة لك فاجعده
لي الى حين فملك مصر وتأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر
والامراء الصلاحية انما كان لاجل الأفضل فقال لهم الأفضل ان كان قتالككم
لأجلي فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالككم لأجل اخي الملك
الظاهر فأنتم واياء فقالوا انما قتالنا لأجلك وتخلوا عن القتال (قال ابن الأثير)
وكان الناس كلهم يريدون الأفضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احب اليينا
من اخيك فأذن لهم في العود فهرب فخر الدين جهار كس وزين الدين قراجا
الذي اعطاه الأفضل صرخد فنهض من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما
انفسخ الأمر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم
واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكهرطاب وقرى معينة من
المرة ويكون للأفضل سميساط وسروج ورأس العين وحملاين ورحلوا عن دمشق
اول المحرم سنة ثمان وتسعين

سنة ٥٩٨

قال ابو الفداء في هذه السنة بعد رحيل الملك الأفضل والظاهر عن دمشق كما
ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصري مع الملك الظاهر
فاقطعه اعزاز وفيها ضرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه
واقطع منبج بعد ذلك عماد الدين احمد بن سيف الدين علي بن احمد المشطوب (١)
وفيها ارسل قراقوش نائب عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم بفامية الى

[١] قال ابن الوردي في تمة المختصر وكان ذلك بواسطه وزيره بمنبج البرهان ابن ابي
شيبه وعمل موضع القلعة مارستانا وحمامين متلاصقتين وخان سبيل فقال اهل منبج
عنه هتاك الحرم وصان الحيرام

الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط ان يعطى شمس الدين عبد الملك ابن المقدم اقطاعا يرضاه فانطعمه الملك الظاهر الراوندان وكفرطاب ومفردة. المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وتسلم فامية ثم ان عبد الملك عصى بالراوندان فسار اليه الظاهر واستنزله منها وابعدته فلحق عبد الملك بالملك العادل فأحسن اليه .

وفيهما سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة يجمع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه الملك العادل الى حماة بنية قصده ومخاصرته حلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه واهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانزعت منه مفردة المعرة واستقرت لذلك المنصور صاحب حماة واخذت من الملك الظاهر ايضا قلعة نجم وسامت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران وما معها لولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بيمافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلة جعبر الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق واقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلهم في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه اه

(سنة ٥٩٩)

﴿ ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة اخذ الظاهر غازي قلعة نجم من اخيه الأفضل وكانت في جملة ما اخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان ههنا

السنة اخذ العادل من الأفضل سروج وحمالين ورأس العين وبقي بيده ستميساط وقلعة نجم فأرسل اليه الظاهر يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل في اعادة ما اخذ منه فلم يعطه فتهدهده بأن يكون البا عليه ولم نزل الرسل تتردد حتى ساهما اليه في شعبان وطلب منه ان يعوضه قرى او مالا فلم يفعل وهذا من اقيح ما سمع عن ملك يزاحم اخاه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها لأخيه واما العادل فإنه لما اخذ سروج ورأس العين من الأفضل ارسل والدته اليه لتسأل في ردعها فلم يشفعها وردوها خائبة واتقد عوقب البيت الصلاحى بما فعله ابوه مع البيت الأنايكى فإنه لما قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عم نور الدين يسأله ان يعود فلم يشفعها بخيرى لأولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما رأى الأفضل عمه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلعج ارسلان صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون في خدمته ويخطب له ببلاده ويفرب السكة باسمه فأجابه ركن الدين الى ذلك فارسل له خلعاً فلبسها الأفضل وخطب له بسميساط في سنة ستمائة وصار في جملة اه

(سنة ٦٠٠)

قال ابو الفدا في هذه السنة نازل بن لاوون ملك الأرمن انطاكية فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون من انطاكية على عقبه اه

(سنة ٦٠٢)

ذكر الغازة من ابن ليون على اعمال حلب

قال ابن الأثير في هذه السنة توالى الغارة من ابن ليون الأرمنى صاحب الدروب

على ولاية حلب فذهب وحرق واسر وسبى لجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك لجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لأن جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضائق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فأن الطريق منها متعذر جداً فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لأن اباه منهم اخذه فأخذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ ميمون يرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجد فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمل ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمن فانهمزم المسلمون ونال العدو منهم قتل واسر وكذلك ايضا فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل وظفر الأرمن باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشد قتال ثم انهزم المسلمون ايضا وعاد الأرمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بمجآلمهم وحصونهم اهـ



(سنة ٦٠٥)

(قدوم الأشرف الى حلب متوجهاً الى بلاده الشرقية)

قال ابو الفدا في هذه السنة توجه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل (ابن عم الظاهر) من دمشق راجعاً الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وانزله في القلعة وبالنسبة الى اكرامه وقام للأشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والعلوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروقة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لأصحابه واقام على ذلك خمسة وعشرين يوماً وقدم له مقدمة وهي مائة الف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فيها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة اثناب اطلس وثوبان خطاي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة اثناب عتاي خوارزمي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة اثناب عتاي بغدادى وموصلى وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقي ومنها اربعون في كل واحدة منها خمسة اقبية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بعديتها وعشرين اكديشا واربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج والجمع المكفنة وقطارين من الجمال وخلع على اصحابه مائة وخمسين خلة وقاد الى اكثرهم بغلات واكاديش ثم سار الأشرف الى بلاده اهـ

وفى هذه السنة وصل غياث الدين كيخسروا بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الأرميني وارسل اليه الملك الظاهر

نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعات فيها ونهب وفتح حصناً
يمرف بفرقوس اه

الكلام على نهر حلب المسمى بقويق وعلى قناة حلب
واصلاح مجراها من حيلان الى حلب في هذه السنة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة امر الملك الظاهر صاحب حلب بأجراء القناة
من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالاً كثيرة وبقي البلد يمرى الماء فيه اه
ويحذر ان تتكلم هنا على نهر حلب واصل منبعه ونتبع ذلك بالكلام على قناتها
ثم نذكر تفاصيل الأعمال التي قام بها الملك الظاهر غازي في اجراء القناة من
حيلان الى حلب في هذه السنة فنقول

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد اما نهرها فاسمه نهر قويق وله مخرجان
شاهديهما وبين حلب وبينهما اربعة وعشرون ميلاً احدهما في قرية يقال لها
الحسينية بالقرب من اعزاز يخرج الماء منها من عين كبيرة فتجري في نهر
ويخرج بين جبلين حتى يقع في الوطاة التي قبل الجبل المعتمد من بلد اعزاز شرقاً
وغرباً والمخرج الأخير يجتمع من عيون ماء من سنياب ومن بعض قرى حولها
من بلد الراوندان فتجمع مياه تلك الاعين وتجري في نهر خارج من قم فيج
سنياب فيقع في الوطاة المذكورة ويجتمع النهران فيصيران نهرًا واحدًا في بلد
اعزاز وهو نهر قويق ثم يجري الى دابق ويمر بمدينة حلب ويمده عيون قبل
وصوله اليها وتدور به الأرحاء بقرية مالد من شمالي حلب ثم يمده عيون اخر
بعد ان يتجاوز حلب ايضاً منها عين المباركة فيقوي بها ويزيد ويسقي في طريقه
مواضع كثيرة حتى يتهي الى قنسرين ثم يمر في المطع فيفيض في الأجم وحكى

جماعة ان نهر فويق يغيض في المطخ ويخرج الى بحيرة افامية وان فويقاً اذا مد في الشتاء احر ماء افامية فاستدلوا بذلك على ما ذكروه والمسافة بين مغيضه وافامية مقدار اربعة عشر ميلاً

قال وقال ابو الحسين بن الماري في كتابه المسمى بالحافظ مخرج فويق نهر حلب من قرية تدعى سنياب على سبعة اميال من دابق يمر الى حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الأحمر اثني عشر ميلاً ثم يغيض في الأجمة فن مخرجه الى مغيضه اثنان واربعون ميلاً والمرج الأحمر هذا هو المعروف الآن بمرج تل السلطان وانما عرف بذلك لأن السلطان البارسلان السلجوقي خيم به مدة فنسب اليه

وقال ابن الخطيب ان نهر حلب كان يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف ومنبعه من بلاد عينتاب وغوره في المطخ قلت (القائل ابن الشحنة) ورأيت له نبعا بقرية يقال لها اريق بين حلب وعينتاب والظاهر انه من منابع كثيرة وقال يافوت فويق نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات (صوابه سنياب كما تقدم) وسألت عنها بحلب فقالوا لا نعرف هذا الاسم انما مخرجه من شاذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر في دساتيق حلب وبعد ان ذكر ما قاله ابو الحسين الماري قال وماؤه اعذب ماء واصحه (على قوله) الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا زور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب الخبز وقد وصفه شعراء حلب بما الحثوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً وقد احسن القيسراني محمد بن صغير في وصفه في قوله

رأيت نهر فويق * فسأني ما رأيت

فلو ظلمت واسقي * ت ماءه ما رويت

ولو بكيت عليه * بقدره ما اشتفيت

وقال في السانامة هذا النهر ينبع من قرية يقال لها جاعديفين من اعمال عيتاب
ويجري الى حلب وقبل وصوله اليها بنحو ثلاث ساعات عند قرية تعرف بحيلان
اقتطع منه قدر ثلثيه واتخذ له مجرى مخصوص بقناة مغطاة وادخل الى البلدة .
وبعد حيلان يتصل بالبقية الباقية من النهر عين يقال لها عين التل وعين يقال
لها عين البيضاء ويسقي الجميع بساتين حلب وما فضل منه يمر بقرية يقال لها
خان طومان وبعد ذلك ينفض في اراضى المطبخ
وفي زمن الشتاء حين كثرة الماء وقيضانه تجتمع المياه بعد قرية يقال لها تل
الطوكان وهي بعد قرية خان طومان وتشكل هناك بحيرة ومتى اقبل الصيف
تجف . واسم هذا النهر في القديم شالوس . وسبب تسميته بقويق ان احدر رؤساء
عشائر التركان واسمه قويق من اهل القرن الرابع اصلح مجاري هذا النهر في
شال متعددة فنسب اليه (١)

الكلام على قناة حلب

قال في الدر المنتخب وهذه القناة تأتي من حيلان قرية شمالي حلب وفيها عين جمع
ماؤها وسبق الى المدينة وقيل ان الملك الذي بني حلب وزن ماءها الى وسط
المدينة وبني المدينة عليها وهي تأتي الى مشهد العافية تحت بعادين وتركب بعد
ذلك على بناء محكم رفع لها لانخفاض الأرض في ذلك الموضع ثم تمر الى ان
تصل الى قرية بابلي وهي ظاهرة في مواضع ثم تمر في جباب قد حفرت لها
الى ان تنتهي الى باب القناة وتظهر في ذلك المكان ثم تمتد تحت الأرض
الى ان تدخل باب الأربمين وتنقسم في طرق متعددة الى البلد (قال) ولأهل

[١] سيأتي في حوادث سنة ٧٣١ ذكر اتصال نهر الساجور بنهر حلب

حلب صهاريح في دورهم يأتي إليها الماء من القناة إلا ما كان من الأماكن المرتفعة من البلد كالعقبة وقلعة الشريف فأن صهاريحهم من المطر وكان الذي حفرها أجراها إلى الكنيسة التي جددتها هيلانة التي هي المدرسة الحلاوية قال وقيل إن هذه القناة دثرت وإن عبد الملك بن مروان جردها في ولايته والذي أدخلها إلى حلب الشيخ الأمين ابن العيص الذي تغلب على قنسرين ولم يدخلها داره حتى لا يقال عنه أنه فعل ذلك لحظ نفسه وقيل إن هذه القناة إسلامية والصحيح أنها رومية وكانت لا تدخل في قديم الزمان إلا إلى الجامع فقط . قال ابن شداد في أيام نور الدين محمود ابن زكي أخرج منها قطعة إلى المطهرة التي هي غربي الجامع بسوق السلاح قلت (القائل ابن الشحنة) هذا السوق الآن سوق امتعة وجانبه الغربي وقف على المدرسة الحلاوية وجانبه الشرقي وقف على الجامع قال وعمل منها قسطل إلى رأس الشعيبة وأخرج نور الدين قطعة أخرى منها إلى الخشابين وساق منها إلى الرحبة الكبيرة داخل باب قنسرين ثم انقطع ذلك كله بعد وفاة نور الدين ولم ندرك من القناة شيئاً سوى قسطل الخشابين فقط . قال وكان يدخل إلى حلب قناة من جهة باب قنسرين ولما عمل الشيخ متعب الدين بن الأسكافي المصنع الذي في المسجد الذي هو شمالي مسجد المحصب رأيت هذا الطريق وقد نسيت فاستدلت بذلك على صحة ما قيل ورأيت جماعة من الصناع يقولون إن القناة إسلامية جلبها إلى حلب ابن العيص حين حبس في حلب وكانت هذه القناة قد سد طريقها لطول المدة ونقص مناسيع عيونها فكثرها الملك الظاهر وحرر طريقها إلى البلد وسد مخارج الماء منها فكثر ماؤها وجرى في القنوات والقساطل

اصلاح الملك الظاهر غازى لمجرى قناة حلب

قال لما كانت سنة خمسة وستمائة سیر الملك الظاهر غياث الدين غازى الى دمشق فاحضر صناعاً وخرج بنفسه واوقفهم على اصل هذه القناة التى تخرج من حيلان وامرهم باعتبار الماء الخارج منها واعتبار ما يصل منه الى حلب فاخبروا ذلك فرأوا ان مقدار الخارج من اصل القناة مائة وستون اصبعاً بمقدار الداخل الى حلب عشرون اصبعاً لا غير وضمنوا له ان يكفوا جميع سكان حلب وشوارعها ودورها ومدارسها وربطها وحماماتها ويفضل منه كثير يصرف الى البساتين والأراضي فشرع الملك الظاهر في ذلك وبدأ أولاً بأصلاح المجرى من حيلان الى حلب وباشر ذلك بنفسه واحضر اليها جميع الأمراء فحضر خيامهم على حافتها ثم امر بذرعها من حيلان الى باب حلب فكانت المسافة خمسة وثلاثين الف ذراع بذراع النجارين وهو ذراع ونصف قلت (القاتل ابن الشحنة) ولعله كان في ذلك الحين كذلك واما الان فهو ذراع وسدس قال ثم قسم ذلك قطعاً على الأمراء وعين امكل امير صناعاً وفملة وحمل اليهم الكلس والزيت والأحجار والآجر فاصلحت جميعها وجدد طريقها الى البلد وكلس مخارج الماء فيه فكثرت وكانت منكشفة لاسقف لها فقطع لها الطوابق من الصخور الصلبة وطبقها جميعها الا مواضع جعلها بردم تنقيتها وشرب الماء منها واجرى جميع المجرى الى باب حلب في ثمانية خمسين يوماً ولما اتصلت بالبلد امر ببناء القساطل واجرى الماء فيها حتى عمت أكثر البلد واتخذ البرك في الدور ووصل ماء القناة في ايامه الى مواضع من البلد لم يسمع بوصولها اليها حتى انها سقيت الى الحاضر الساجاني (الكلاسة والمغاير وما بينهما وما كان عامراً في تلك النواحي) فقال ابو المظفر محمد بن محمد الواسطي المعروف بابن سنينة بمدحه لما فعل من هذه المكرمة التى

عم نفعها وشاع برها وصنعها

روي نرى حلب فعادت روضة انفا وكانت قبله تشكو الظما
احيا موات ترابها فكأنه عيسى بأذن الله احيى الأعظما
لاغرو ان اجرى القناة جداولاً فلفطالما بتمنائه اجرى الدما

ذكر القساطل التي بنيت في حلب على اثر ذلك

قال ابن شداد لما اتصلت القناة بالبلد امر ببناء القساطل فأول قسطل بني القسطل الذي بباب الأربعين تحت الرباط الذي بناه شهاب الدين طفلر الانابك من رأس خندق الروم وصورته حوض طوله عشرون ذراعاً ورأساه المشرق والمغرب قبتان وفيه انبوبان مقدار الأصبع ثم ساق هذه القناة الى باب النصر وعمل حوضاً كبيراً قريباً من عشرين شهراً بثلاث انابيب ومن القسطل الى بحسيتا وعمل فيها قسطين وهناك تنتهي الى المعقبة ثم ساق من اصل القناة من باب الأربعين الى الطريق الآخذ الى مدرسة ابن ابي عصرون وجامع الحيات. قسم يأخذ الى السويقة وقسم يأخذ الى البلد وما يليه وهذا الطريق الآخذ الى بلاط فيه قسطل في رأس العقبة قدام درب الملك ثم يسير الى رأس درب الديلم وهناك قسطل ثم الى الدرب المعروف بالبازيار ثم الى رأس درب بني الزهرة والطيوربين وهناك قسطل ثم الى درب شراحيل وهناك قسطل ثم الى عند حمام اوران وهناك قسطل (الظاهر موغان وهي حمام البيلوني التي خربت سنة ١٣٣٥ لتعريض الجادة) ثم الى وسط اسد الله وهناك قسطل ثم الى باب الجنان الى عند مسجد القصير وهناك قسطل ثم يعود الى الطريق الآخذ الى سويقه اليهود ثم الى باب النصر وعمل حوضاً كبيراً يفيض ثم الى السويقة عند دار الصبغ وعمل قسطل وبني

المسجد المعلق وهناك انتهى

ثم ساق من اصل الماء من المقسم الذى تحت القلعة ثم الى اسواق حلب وقصبة البلد مصنعة في الأرض وجعل ماء القناة جميعها تجتمع في تلك المصنعة ثم جعل فيها مقاسم يخرج الماء على السوية فيتفرق في حلب على السواء فأخرج منها طريقاً الى الجامع وما يضاف اليه وطريقاً الى كتاب الاسود وما يليه وطريقاً الى باب العراق وما يليه وطريقاً الى القطيعة (لعله القصية) وما يليها

واما طريق الجامع فبنى عليه في رأس دار العدل قسطلاً ثم الى رأس الصاغة تحت المسجد المعلق قسطلاً واخذ منه الى حمام العفيف التى عند حبس الدلبة ثم اخذ من قسطل راس الصاغة الى رأس سوق النطاعين ثم الى شرق الجامع وبني هناك قسطل وفيه ينقسم الماء ثلاثة اقسام

قسم منه فوارة الجامع وقسم يشق وسط الجامع ويصير الى المطهرة الغربية وما يتصل بها وقسم ياخذ الى باب قنسرين وما يليه فإنه يخرج الى رأس سوق العطارين العتيق ورأس المربعة وينقسم هناك قسمين قسم يأخذ الى الحشابين وقسم يأخذ الى الدركاء فاما قسم الدركاه فيصير الى المطهرة الصغيرة المعروفة بتل فيروز ورأس سوق العطر

واما قسم باب قنسرين فينقسم الى الزجاجين فيصير الى رأس درب اسد الدين الآخذ شمالي سوق الاساكفة والبرز وهناك قسطل ثم الى عند مسجد المجن ثم الى درب البيارستان وهناك قسطل يفيض فيه ثلاث انايب ليلاً ونهاراً

واما طريق باب قنسرين فيصير الى رأس درب ابن ابى الأسود وهناك قسطل ثم يصير الى عند المسجد المعروف بأبن الاسكافي وهناك قسطل ثم يصير الى الرحبة التى عند المسجد المحصب وهناك قسطل

ثم يتقسم الماء هناك ثلاثة اقسام قسم يأخذ الى الطيريرة قدلم المسجد المعروف بصني الدين طارف (قبل جامع الرومي) في رأس درب المساسيخ (لعله المسالخ) وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق وقسم يأخذ الى باب قنسرين وقسم يأخذ الى جرن الأصفر عند المسجد وهناك قسطل (١)

واما القسم الذي يأخذ الى باب قنسرين قسطل يفيض الماء منه بثلاثة انابيب ثم يخرج منه الماء الى ظاهر البلد تحت برج الغنم مقابل سوق الأعلى وهو بعد عدة قساطل وهو آخر الطريق ثم يدخل منه هناك الى درب البنات وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق اهـ (٢)

قال ابن الخطيب ان الملك الظاهر وقف عليها اوقافا لعمارتها واصلاحها ولكن هذا الوقف لا يعرف اليوم . (قال) وسبق الماء منها في زماننا الى خارج باب المقام الى القرب من المدرسة الجمالية وانقطع بعد الفتنة التيمورية او قبلها بقليل قلت وقد اجرته انا الى تربة آشق تمر في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة اهـ

(سنة ٦٠٩)

قال ابو الفداء في سنة ثمان وستمائة ارسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينهما من الأحن وفي هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر العقد وكان المهر خمسين الف دينار وتوجهت من دمشق

(١) رفع هذا القسطل سنة ١٣٣٨ حينما بني خان آل الجلي وله حجرتان كبيرتان من الحجر الاصفر طول الواحدة ازيد من ذراعين ونصف وعرضها ذراع لم يزل الملاقتين على قارة الطريق (٢) بعض هذه الاسماء قد تغيرت الآن انما بالتأمل القليل تعرف اما كنهها

في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر للثقاها وقدم لها اشياء كثيرة نفيسة
(سنة ٦١٠)

ذكر بناء باب اليهود وتسميته باب النصر

قال في الزبد والضرب وفي سنة عشر وستائة اتم الملك الظاهر بناء باب اليهود
بجلب وكان قد شرع في هدمه وحفر خندقه وتوسعته وبناءه بناءً حسناً وغيره
عن صورته التي كان عليها وبنى عليه برجين عظيمين وسماه باب النصر قالت
وقد ذكر ابن شداد انه كان يعرف قديماً بباب اليهود لأن اليهود تجاوزوه
بدورهم ومنه يخرجون الى مقابرهم

وفيهما في خامس عشر ذي الحجة ولد له الملك العزيز محمد من ابنة عمه الخاتون
صنيفة خاتون فصربت البشار وزينت حلب وعقدت القباب اه
قال ابو الفداء في هذه السنة في رمضان توفي بجلب فارس الدين ميمون القصري
وهو آخر من بقي من كبراء الأمراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء
بمصر كان قد اخذه السلطان صلاح الدين من هناك اه
(سنة ٦١١)

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي دلدرد بن ياروق صاحب تل بasher وولي تل
بasher بعده ابنه فتح الدين

(سنة ٦١٣)

ذكر وفاة الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها
توفي الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب صاحب حلب مولده بالقاهرة

سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان ملكاً مهيباً له سياسة وفطنة ودولته معمورة بالعلماء والفضلاء مزينة بالملوك والأمراء وكان محسناً إلى الرعية وحضرمعظم فتوحات والده وكان محباً للعلماء يجزا للشعراء اعطاء والده مملكة حلب سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ودفن بقلعه حلب ثم بني له الطواشي طنبريل مدرسة تحت القلعة وعمر فيها تربة ونقله إليها اه

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة فيها في جمادى الآخرة توفي الملك الظاهر غازي وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالاً وكان شديد السيرة ضابطاً لأمواره كلها كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من أهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء وأهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويحرم عليهم الجارية الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لأن الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليقمى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولا إلى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله أي حاجة إلى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادي فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب وحلف فانفق في تلك الأيام ان توفي الملك الظاهر والرسول في الطريق ولما عهد الظاهر إلى ولده بالملك جعل انايبكه ومربيه خادما روميا اسمه طنبريل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفي

الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة في الناس وعدل فيهم وازال كثيرا من السنن الجارية واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر ان يتعرض اليه فلما توفي ملكها كيكافوس السلجوقي ملك الروم كما نذكره انتقلت الى شهاب الدين وما اقيح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم في ولاية امور المسلمين احسن سيرة منه فآله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغني عنه كل حسن وجهيل اه

وقال ابو الفداء لما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الأولى من هذه السنة ابتداء الملك الظاهر المذكور حى حادة ولما اشتد مرضه احضر القضاة والأكابر وكتب نسخة يمين ان يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين احمد بن غمازي وبعدهما لأبن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين وحلف الأمراء والأكابر على ذلك وجعل الحكم في الأموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم واعذق به جميع امور الدولة وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة اقطع الملك الظاهر خضر المعروف بالمستمر كفر سودا واخرج من حلب في ليلة بالتوكيل واخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائبا وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفي في ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة فكان عمره اربعا واربعين

سنة وشهورا وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم افسر عنه وهو الذي جمع شمل البيت الناصري الصلاحي وكان ذكيا فطنا اه

وقال ابن خلكان في ترجمته كان الظاهر يكنى ابا الفتح و ابا منصور ايضا ويلقب بغيث الدين وكان ملكا مهيبا حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على احوال رعيته واخبار الملوك عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء مجيزا للشعراء اعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنين وثمانين وخمسائة بعد ان كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتعرض عنها غيرها كما قد شهر . ويحكى عن سرعة ادراكه اشياء حسنة منها انه جلس يوماً لعرض العسكر وديوان الجيش بين يديه وكان كلما حضر احد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه لينزاهه حتى حضر واحد فسأله عن اسمه فقبل الارض فلم يفتن احد من ارباب الديوان لما اراد فعاودوا سؤاله فقال الملك الظاهر اسمه غازي وتأدب الجندي ان يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم السلطان وعرف هو مقصوده وله من هذا الجنس شي كثير لاجابة الى التطويل فيه .

وفي الزيد والفرس لما مات الظاهر كتم خبر موته حتى دفن في الحجرة التي جنب داره الكبيرة التي انشأها بالقلمة وكان له في كل دار بحلب مأتم وعزاء والس مأتمهم عليه واحد * في كل دار أنة وزفير

قال ابن خلكان ورثاه شاعره الشرف راجح بن اسماعيل بن ابي القاسم الاسدي الحلي وكنيته ابو الوفاء بهذه القصيدة ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمد واخاه الملك الصالح صاحب عين تاب وما قصر فيها وهي

سل الخطب ان اصغى الى من يخاطبه * بمن عقلت انسابه ومخالبه
نشدتك عاتبه علي نائباته * وان كان ينأى السمع عن يعاتبه

لي الله كم ارى بطرفي ضلالة * الى افق بعد قد تهاوت كواكبه
 فالي ارى الشهباء قد حال صباحها * على دجي لا تستير غياضه
 احقاهى الفاى الغياث بن يوسف * ابيع وعادت خائبات مواكبه
 نعم كورت شمس المدامح وانطوت * سماء العلى والنجح ضافت مذهبه
 فمن يخبرى على ذلك الطود هل وهت * قواعده ام لان للخطب جانبه
 اجل ضمضعت بعد الثبات وزعزعت * برمح المنايا العاصفات مناكبه
 وغيض ذلك البحر من بعد ما طمت * وطمت لفيان البلاد غواربه
 فشلت يمين الخطب اى مهند * برغم العلى سلت وفلت مضاربته
 لئن حبس الغيث الغياثي قطاره * فقد سحبت في كل قطر سحائبه
 فأني يلذ العيش بعد ابن يوسف * اخوامل اكدت عليه مطالبه
 فلا ادركت نيل العلا طالبانه * ولا بركت في ارض بمن ركاثه
 ولا انتجعت الا بعيش حقيقه * من الجذب لاثنى عليه حقائبه
 مضى من اقام الناس في ظل عدله * وآمن من خطب تدب عقاربته
 فكم من حمى صعب اباحت سيوفه * ومن مستباح قد حتمته كناثبه
 اري اليوم دست الملك اصبح خاليا * اما فيكم من مخبر اين صاحبه
 فن سائلي عن سائل الدمع لم جرى * لعل فوآدي بالوجيب يحاوبه
 فكم من ندوب في قلوب نضيجه * بنار كربوب اجبتها نواديه
 اسلم ولم يحطم صدور رماحه * بذب ولم يثلم بضرب قواضيه
 ولا اصطدمت عند الختوف كمانه * ولا ازدهمت بين الصفوف جناثيه
 ولا سيم اخذ النار يوم كرميه * بشق منار النقم فيها سلاهبه
 فيا ملبسى ثوباً من الحسن مسبلاً * يحسن بى ان التسلي سالبه

خدمتك روض المجد تصفو ظلالة * على وحوض الجود تصفو مشاربه
 وقد كنت تدنني وترفع تجلسي * لمفروض مدح ما تمداك واجبه
 فما بال اذني قد تمادى ولم يكن * اذا جئت يشيني عن الباب حاجبه
 ارى الشمس اخفت يوم فقدك نورها * فلا كان يوما كاشف الوجه شاحبه
 فكيف نبا سيف اعتزامك او كبا * جواد من الحزم الذي انت راكبه
 فن لليتامي يا غياث يغيشهم * اذا الفيت لم يقع صدى العام ساكبه
 ومن ملوك كت ظلا عليهم * ظليلا اذا ما الدهر نابت نوائبه
 ايا تاركي القبي العدو مسالما * متى ساءنى بالجد قمت الاعبه
 سقت نهرك الغر الفوادي وجاده * من الفيت ساريه الماث وساربه
 فان يك نور من شهابك قد خبا * فيا طالما جلى دجى الليل ثاقبه
 فقد لاح بالملك العزيز محمد * صباح هدى كنا زمانا نراقبه
 فنى لم يفته من ابيه وجده * اباء وجد غالباً من يغالبه
 ومن كان في المسمى ابوه دليله * تدانى له الشأو الذي هو طالبه
 وبالصالح استعلى صلاح رعية * لها منه رعي ليس يقطع راتبه
 لحسب الورى من احمد ومحمد * مليكان من عادهما ذل جانبه
 هما احرزوا علياء غازي بن يوسف * وما ضيعا المجد الذي هو كاسبه
 فأفق الورى لولا هما كان مظالما * مشاركته من بعده ومغاربه
 ستحمي على رغم الليالي حماهما * عوالى فنا تردى الاسود ثماله
 فكمن من ملم جال موقع خطبه * فساءت مباديه وسرت عواقبه
 فيا قري سعدا ظلا على الدجا * فولى وما لوى على الأرض هاربه
 اجمكت في الشهباء عهد ابيكما * ومسادحه ام تستقل نجائبه

فأن شتتا بعد الغياث اغثما * مصاب سهام فوقتها مصائبه
كان لم اف اجلو التهانى امامه * وتضحك في وجه الأمانى مواهبه
فهشمتا ما نلما وبقيتا * لأعلاء ملك ساميات مراتبه

آثار الملك الظاهر غازي مجلب

المدرسة الظاهرية وهي المشهورة بالسلطانية

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة المدرسة الظاهرية وهي المعروفة
الآن بالسلطانية تجاه القلعة مشتركة بين الشافعية والحنفية وكان الملك الظاهر
قد أسسها وتوفي سنة ثلاث عشرة وستائة ولم تتم وبقيت مدة بعد وفاته حتى
شرع فيها شهاب الدين اتابك الملك العزيز فعمرها وكلها سنة ثلاثين وستائة
ومنقوش على بابها أنها وقف على الطائفتين الشافعية والحنفية اه
قال ابن شداد درس بها القاضي بهاء الدين بن شداد وهو اول مدرس بها وولى
نظرها القاضي زين الدين ابو محمد عبد الله الأسدي قاضي القضاة مجلب وكان
يدرس بها المذهبيين اه

المكتوب على بابها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين هذه المدرسة قد امر بعمارها وانشائها في
ايام السلطان الملك العزيز غياث الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المظفر
غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين منقذ بيت الله المقدس من
ايدى الكافرين اسكنه محال رضوانه وفسائح جنانه وخلص سلطان الملك العزيز
والهمه المدل والأنصاف وانشأها تكية وتربة ولي امره وكافل دولته القاسم
بقوانين حفظه البعد الفقير الى رحمة ربه الجليل شهاب الدين ابو سعيد طغرل

بن عبد الله الملكى الظاهري عفى الله عنه وجعلها مدرسة للفريقين ومقرناً
للمشتغلين بعالم الشريعة من الطائفتين الشافعية والحنفية والمجتهدين فى الأشتغال
السالكين طريقة الأخيار الأمثال الذين يعينهم المدرس بها من الفريقين مشتملة
على مسجد لله تعالى ومشيد فيه مدفن السلطان الملك الظاهر قدس الله روحه
ليناله ثواب قراءة العلم ودراسته وبركة القرآن وتلاوته فجزاه الله افضل
الأجر عليه وشرط فيها اثابة الله تعالى ان يكون المدرس بها شافعي المذهب
والأمام للصلاة فى مسجدها شافعي المذهب وكذا يؤذن غفر الله لهم اجمعين
سنة ستماية وعشرين

حالتها الحاضرة

لم يزل باب المدرسة قائماً على حاله وعليه الكتابة المتقدمة وفوق الباب منارة
صغيرة طولها نحو اربعة اذرع والدرج الذى يصعد به اليها خرب وموقف المؤذن
كذلك وعن يمين الباب ويساره خمس حجر صغيرة بعضها جدد فى اوائل هذا
القرن ورمت جميعها منذ ثلاث سنوات يسكنها الآن بعض فقراء المغاربة
وكان عن يمين المدرسة ويسارها حجر للطلبة علوية وسفلية ادركناها وهي مشرفة
على الخراب والآن قد خربت بالكلية والحائط الشرقى خرب بتساقط وصار
الناس يدخلون الى المدرسة منه ومنذ ستين صار بعض اهل الطريقة الرشيدية
يقيمون الذكر فى قبيلة المدرسة فجمعوا من بعضهم ومن بعض اهل الخير نحو ثلاثين عالماً
افادوا فيه هذا الحائط من انقاض المدرسة واصلاحوا الدرج الذى ينزل منه الى باب
المدرسة لأنه اصبح منخفضاً لتعليق الأرض التى حول المدرسة

وكلن فى وسط المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار بديع الشكل وقد خرب
وبعض احجاره لم تزل ملقاة فى ارض المدرسة . واما القبيلة فقد كان جدارها

المشرف على صحن المدرسة اصابه الوهن فاهتم جميل باشا منذ اربعين سنة في اصلاحه .

ومحراب المدرسة بديع جداً وهو مؤلف من ثلاث عشرة حجرة من الرخام الملون وفي طرفي المحراب عامودان من الرخام الأزرق ويعلو المحراب احجار ملونة مشتبكة ببعضها على اجمال وضع قد استفرغت فيه الصنعة جهدها ولسان حال هذا المحراب ناطق بما وصل اليه فن العمارة في ذلك العصر من الأتقان وهذا المحراب لم يزل على حاله كأن بانيه قد فرغ منه الآن وهو من اعم الآثار العربية القديمة في حلب

وعن يمين القبلة حجرة واسعة لعلها كانت موضع الفاء الدروس . وعن يسارها حجرة واسعة ايضاً وهناك في وسطها اربعة قبور يتلو بعضها بعضاً اثنان يعلوان عن الأرض شبراً والآخران بعض اصابع . وأحد هذه القبور قبر السلطان الملك الظاهر غازي . لكن لا يعلم اي قبر هو كما انى لم اقف على اسم من دفن في القبور الثلاثة

وللتربة باب من صحن الجامع ولها شباك واحد للجهة الشرقية وواحد للجهة الجنوبية وقد سد الآن لتعليق الأرض حول المدرسة كما قدمنا ومكتوب على باب التربة وعلى هذين الشباكين

هذه تربة السلطان الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين متقدبت المقدس من ايدي الكافرين قدس الله روحهما ورحم من ترحم عليهما وواقف هذه المدرسة كانت كثيرة لكنها ذهبت وتغلبت عليها الأيدي وليس لها الآن من المقارنات المقيدة في دائرة الأوقاف سوى دكان واحدة في محلة القصيلة وادارتها نحو ايرة ونصف عثمانية ذهباً . وارض تحت القلعة

وتنوى الآن دائرة الأوقاف ان تعيد بناء الحجر التي كانت عن اليمين والشمال وتسكن فيها الطلبة وتفرش ارضها بالرخام وتعيد اليها بهجتها الأولى حتى الله ذلك

المسجد الكبير في القلعة

ومن آثاره المسجد الكبير بالقلعة وهو قريب من المنارة ومكتوب عليه (بسم الله امر بعمله مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور غياث الدنيا والدين ابو المظفر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ابن ايوب خلد الله ملكه سنة ٦١٠)

ولملك الظاهر غير ذلك من الآثار في القلعة خصوصاً في ابوابها . ومكتوب على وسط بابها الأول المصنوع بالحديد (امر بعمارته مولانا الملك الظاهر غازي بن يوسف سنة ثمان وستائة) ومثل ذلك على الباب الرابع غير ان تاريخ هذا سنة ٦٠٦) وحروف الكتابة من حديد ولها مسامير ادخلت في الخشب ودقت من الطرف الآخر ولو تأمل فيها اهل ذاك العصر قليلا لاهندوا منها الى فن الطباغة

المدرسة الظاهرية

قال في الدر المنتخب في الكلام على مدارس الشافعية التي بظاهر حلب اولها المدرسة الظاهرية انشأها السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف ابن ايوب صاحب حلب وانتهت عمارتها في سنة ستة عشر وستائة (اي بعد وفاته) وانشأ الى جانبها تربة ارصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء اه

قال ابن شداد بعد العبارة المتقدمة وفوض النظر في المدرسة الى القاضي بهاء الدين ابن شداد وشرف الدين ابي طالب العجمي وحضر السلطان يوم درس بها وعمل دعوة عظيمة حضرها الفقهاء اه

اقول وهذه المدرسة الآن خربة وحجرها التي كانت عن اليمين والشمال تهدمت وعواميدها العظيمة مع كثير من اقباضها ملقاة في ارض المدرسة ولم يبق من آثار عمرانها سوى خرابها مع عمودين من الرخام وليس على بابها شئ من الكتابة وفي وسطها حوض مشتمن بديع الصنعة . وحالتها الحاضرة تعرب عن عظمة شأنها وجلالة قدر بانيتها واذا أجلت النظر في اطرافها ونظرت اليها نظر معتبر سالت مك العبرات واشتعلت في فؤادك نيران الحشرات ولو كانت هي الخربة وحدها لهان الأمر لكن تجد خارج باب المقام كثيراً من المدارس والرباطات والحقاقيات قد اخنى عليها الزمان وجارت عليها الأيام واصبحت اطلالاً ورسوماً وكلها تنبئك عن تقدم العمران في ذلك العصر وتدل على ارتقاء العلم في الشهباء ورواج سوقه وانها كانت محط الرحال ومتنهي الآمال

ولاندري هل يسمح الزمان في عمران ما هنالك من الآثار القديمة من مدارس وغيرها على شكل تستفيد منه الأمة ولا ريب ان ذلك خير من ان تبقى على هذه الحالة المؤدية الى ذهاب تلك الآثار بتنا فان اهل تلك الحقبة افترسوا وتسلبوا على احجار تلك الآثار وهم يسرقون منها شيئاً بعد شيئاً واذا طال الحال ولم يتلاف ذلك تصبح هذه الأماكن التي هي مفاخر الآباء والاجداد اثراً بمدعين

المدرسة المروية

قال في الدر المنتخب المدرسة المروية انشاها الشيخ ابو الحسن علي ابن ابي بكر المروى السامح قبلي حلب ولم تزل الى ان كانت فتنة التتر فدمروا بعضها ولم يبق بها ساكن وخرب وقفها لأنه كان سوقاً بالحاضر اهـ

اقول نسبة انشاؤها الى المروى سهو والذي انشاها انما هو الملك الظاهر غازي في تاريخ ابن خلكان في ترجمة ابي الحسن علي المروى المذكور ان ابا الحسن

كان فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء به تقدم عند الملك الظاهر غازي صاحب حلب واقام عنده وكان كثير الرعاية له وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة وهو مدفون فيها وفي تلك المدرسة بيوت كتب على باب كل بيت منها ما يليق به ورأيت كتب على باب الميضاة بيت المال في بيب الماء ورأيت في قبته معلقا عند رأسه غصنا وهو حلقة خلقية ليس فيه صنعة وهو اعجوبة وقيل انه رآه في بعض سياحاته فاستصحبه واوصى ان يكون عند رأسه ليعجب منه من يراه اقول هي الآن خربة كما قال ولم يبق من المدرسة سوى احجار بابها والمكان المدفون فيه ابو الحسن المذكور وحجرة بجانبه متوهته والمدرسة داخل كرم ايضا ومكتوب على احجار القبر (لله مافي السموات) الخ الآية والكتابات التي كانت عليها ذهب اكثرها والمكان كان قد خرب واعيد بصورة بسيطة وبنوا بعضا من الكتابات في اماكن من الجدر كيفما اتفق فتشوهت وذهب رونقها وجميع المكان مشرف الآن على الخراب

سنة ٦١٥

ذكر قصد كيكوس حلب وطاعته صاحبها للاشراف
وانهزام كيكوس

قال ابن الأثير في هذه السنة سار عز الدين كيكوس ابن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصداً للتلب عليها ومعه الأفضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان مجلب رجلان فيها شر كثير وسعاية بالناس فكانا يتقلان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين عن رعيته فاوغرا صدره فلقى الناس منها شدة فلما توفي الظاهر وولي الأمر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما

من يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعليه ولم يترك اليه احد من اهلها فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزموا بيوتهما ونار بهما الناس وآذوهما وتهددوهما لما كانا اسلفاء من الشر فخافا فقارفا حلب وقصدا كيكاس فاطمعا فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما بمدها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الرأي من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بأن يكون معك احد من بيت ايوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الاتقياد اليه وهذا الأفضل بن صلاح الدين هو في طاعتك والمصلحة انك تستصعبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فاحضر الافضل من سميساط اليه وحمل اليه شيئا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للأفضل وهو في طاعة كيكاس والخطبة له في ذلك اجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فايفتحونه مما بيد الملك الأشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاس وجرت الأيمان على ذلك. وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان فقسامها الأفضل فالناس حيثذا اليهما ثم سار الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدردم الياروقي فحصره وضيقوا عليه وملكوها منه فأخذها كيكاس لنفسه ولم يسلمها الى الأفضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته لنيره فقترت نيته واعرض مما كان يفعله وكذلك ايضا اهل البلاد فكانوا يظنون ان الأفضل يملكها فيسهل عليهم الأمر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا. واما شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقهما البتة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر

خوفاً من نأثر يشور به فلما حدث هذا الأمر خاف ابن مجصروه وربما سلم
 أهل البلد والجند المدينة إلى الأفضل لميلهم إليه فأرسل إلى الملك الأشرف بن
 الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم
 له ويخطبون له ويحمل السكة باسمه ويأخذ من أعمال حلب ما اختار ولأن ولد
 الظاهر ابن اخته فاجاب إلى ذلك وسار إليهم في عساكره التي عنده وارسل
 إلى الباقيين يطلبهم إليه وسره ذلك للمصلحة الماسة لجيهم واحضر العرب من
 طي وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما اخذ كيكائوس تل باشر كان الأفضل يشير
 بجماعة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يجتاطوا ويتجهزوا فعاد عن
 ذلك وصار يقول الرأي اننا نقصد منبج وغيرها لثلا يبقى لهم وراء ظهورنا
 شيء فصدأ للماضي ومرور الزمان في لاشي فتوجهوا من تل باشر إلى جهة منبج
 وتقدم الأشرف نحوهم وسارت العرب في مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكائوس
 نحو الف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقوا والعرب ومن معهم من العسكر
 الأشرفي فانتقلوا فانهزم عسكر كيكائوس وعادوا إليه منهزمين وأكثر العرب
 الأسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل إليه اصحابه
 منهزمين لم يثبت بل ولى على اعتابه يطوى المراحل إلى بلاده خائفاً يترقب
 فلما وصل إلى اطرافها اقام وانما فعل هذا لأنه صهي وغر لا معرفة له بالحرب
 والا فإلما كرم ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حيثما الأشرف
 فلك رعبان وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكائوس جعلهم في دار واحرقها
 عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة واستعجبوه واستضعفوه لا جرم لم
 يمهله الله تعالى وعجل عقوبته لنؤم قدرته وشدة عقوبته ولعدم الرحمة في قلبه
 ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الأشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب إلى

شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان غازما على اتباع كيكائوس ويدخل
ببلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لأن
الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفي ربما جرى خلل في البلاد
لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منها اذى صاحبه
زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابو الفدا لما مات الملك الظاهر صاحب حلب واجلس ابنه العزيز في المملكة
وكان طفلاً طمع صاحب بلاد الروم كيكائوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى
الملك الأفضل صاحب سيمساط واتفق معه كيكائوس ان يفتح حلب وبلادها
ويسلمها الى الملك الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الأشرف
ابن الملك العادل ويتسلمها كيكائوس وتحالفا على ذلك وسار كيكائوس الى جهة
حلب ومعه الملك الأفضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكائوس وسلمها
الى الملك الأفضل فالت اليه قلوب اهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها
ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الأفضل واخذها كيكائوس لنفسه فنفر
خاطر الملك الأفضل وخواطر اهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الأشرف
ابن العادل الى حلب لدفع كيكائوس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن
حديثه امير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكائوس الى منبج وتسلمها
لنفسه ايضاً وسار الملك الأشرف بالجموع التي معه ونزل وادى بزاء ووقع بعض
عسكره مع مقدمة عسكر كيكائوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكائوس واخذ من
عسكر كيكائوس عدة اسرى فأرسلوا الى حلب ودقت البشائر لها ولما بلغ ذلك
كيكائوس وهو بمنبج ولى منهزماً مرعوباً وتبعه الملك الأشرف يتخطف اطراف
عسكره ثم حاصر الأشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعبان وغيرها

وتوجه الملك الأفضل الى سيمساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات
سنة اثنين وعشرين وستمائة على ما سنده كره ان شاء الله تعالى وعاد الملك
الأشرف الى حلب وقد بلغه وفاة ابيه اه

سنة ٦١٩

قال ابو الفداء وفي هذه السنة فوض الاتابك طغرل الخادم مدبر مملكة حلب
الى الملك الصالح احمد ابن الملك الظاهر امر الشمر وبكاس فصار الملك الصالح
من حلب واستولى عليها واذن اليه مروج ومرة مصرين

عجائب المخلوقات

قال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على كلز جرى في هذه الناحية في ايامنا هذه
شيء عجيب كنت قد ذكرت مثله في أخبار سد يأجوج ومأجوج وكنت مرتابا فيه
ومقلدا لمن حكاه فيه حتى اذا كان في اواخر ربيع الآخر سنة ٦١٩ شاع بحلب
وانا كنت بها يومئذ ثم ورد بصحته كتاب والى هذه الناحية انهم رأوا هناك
تينا عظيما في طول المنارة وغلظها اسود اللون وهو ينساب على الأرض والنار
تخرج من فيه ودبره فاصر على شيء الا واحرقه حتى انه اتلف عدة مزارع واحرق
اشجارا كثيرة من الزيتون وغيره وصادف في طريقه عدة بيوت وخركاها
لتركان فأحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والأطفال ومركز ذلك نحو
عشرة فراسخ والناس يشاهدونه من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي
بسحابة اقبلت من قبل البحر وتدلّت حتى اشتملت عليه ورفعته وجعلت تعلو
قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرج من قبله ودبره وهو يحرك ذنبه ويرتفع
حتى غاب عن اعين الناس قالوا واقد شاهدناه والسحابة ترفه وقد لف بذنبه كابا
لجمل الكلب ينبج وهو يرتفع وكان قد احرق في ممره نحو اربعمائة شجرة لوزوزيتون

وفاة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين بسيمساط

ونقله الى مدينة حلب

قال ابن الأثير في هذه السنة في صفر توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجأة بقلعة سيمساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة حلب ودمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سيمساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفي بها وكان رحمه الله من خاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيراً عادلاً فاضلاً حليماً قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمنائب ما تفرق في كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضي الله عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فما بقي على خاطري منها انه كتب الى اصحابه لما اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابا بدمشق فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك اني

اي صديق سألت عنه ففي * الذل وتحت الخمول في الوطن

واي ضد سألت حالته * سمعت مالا تجبه اذني

فتركت السؤال عنهم وهذا غاية الجودة في الاعتذار عن ترك السؤال عنهم ولما مات اختلف اولاده وعمهم قطب الدين موسى ولم يقوَ احد منهم على الباقي

ليستبد بالأمر اهـ

وقال ابن خلكان في ترجمته كان الأفضل أكبر اولاد ابيه واليه كانت ولاية عهده وفيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويعظم حرمتهم سمع بالاسكندرية من الأمام ابي الطاهر اسماعيل بن مكى بن عوف الزهرى وبمصر من العلامة ابي محمد عبد الله بن بزى النحوى واجاز له ابو الحسن احمد بن حمزة ابن علي السامى وابو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحراني وغيرهما من الشاميين واجاز له ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود وابو عبد الله محمد بن احمد بن حامد وغيرهما من المصريين وله شعر فن المنسوب اليه انه كتب الى الأمام الناصر يشكو من عمه العادل ابى بكر واخيه العزيز عثمان لما اخذا منه دمشق

مولای ان ابا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاد والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي
لخالفاه وحلا عقد بيئته * والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي * من الأواخر ما لاقى من الاول

نجاءه جواب الأمام الناصر وفي اوله وكان الناصر يتشيع

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالود ينهر ان اصلك طاهر
غصبا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبي له يثير ناصر
فابشر فان غدا عليه حسابهم * واصبر فانصرك الأمام الناصر

قال ابو الفدا ومن شعره يعرض الى سوء حظه قوله

يامن يسود شعره بخضابه * لعماء من اهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة * ولك الأمان بأنه لا ينصل

ثم قال ابن خلكان وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس وستين وخمسةائة بالقاهرة

ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجأة
بسميساط رحمه الله تعالى ونقل الى حلب ودفن بتربة بظاهر حلب بالقرب من
مشهد الهروى

اقول هذه التربة غربي الكرم الذي فيه ضريح الهروي بينهما الطريق وهناك
قبيلة لاصحن لها وهى مشرفة على الخراب وامام القبيلة قبر لا ادري ان كان
هو قبر الملك الافضل على او قبر امه اذ لا كتابة عليه . ومكتوب على جدار
القبيلة من الخارج في الجهة الجنوبية والجهة الغربية بعد البسملة
هذه تربة العبد الفقيرة الى رحمة ربها (جهة) مولانا الغازي المجاهد المرابط
المناع العادل الزاهد الملك الناصر صلاح الدين متقد القدس من ايدي
المشركين مظهر قبور الأنبياء والمرسلين . من دحض الكافرين مانع الطراز
الاخضر من بنى الاصفر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب والدة
ولده المولى الملك الافضل علي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وكان الفراغ
في شعبان سنة احدى وعشرين وثمانمائة اهـ

وسميساط بضم السين المهملة وفتح الميم وهى قلعة في بر الشام على الفرات في
ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملاطية اهـ

(ذكر وفاة الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين سليمان بن جندر)
قال ابن كثير في تاريخه في حوادث هذه السنة وتوفي فيها الأمير سيف الدين
علي ابن الأمير علم الدين سليمان بن جندر وكان من اكابر الأمراء بحلب وله
الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين احدهما على الشافعية والاخرى على
الحنفية وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات وغزا غزوات اهـ

آثاره مجلب قلاً عن الدر المنتخب

قال فيه (المدرسة السيفية) انشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر انتهت سنة سبع عشرة وستمائة مشتركة بين الشافعية والحنفية وهي خراب دائر وفيه في باب ذكر ما مجلب من مدارس المالكية والحنابلة [مدرسة] انشأها الأمير سيف الدين علي تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك وأحمد بن حنبل وهذه المدرسة كانت قد نسيت وأغلق بابها ففتحت وما أدري ما فعل الله بها بعد خروجي من حلب وقال في باب الخانقاهات والربط [رباط] انشأه الأمير سيف الدين علي بالرحبة الكبيرة وكانت في دار تعرف بيدر الدين محمود بن شكري الذي خنقه الملك الظاهر غازي اه

ومن آثاره جامع خارج محلة الكلاسة قال يشوف مكتوب عليه . بسم الله انشأ هذا المسجد المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر غازي خلد الله ملكه العبد الفقير إلى رحمة ربه علي بن سليمان بن جندر غفر الله له ولوالديه سنة ٦٠٦

سنة ٦٢٤

قال ابن الأثير فيها ظفر جمع من التركمان كانوا بأطراف أعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من أموالهم فبلغ إلى أنابك المتولي لأموار حلب فراسل الفرنج وتهدهم بقصد بلادهم واتفق أن عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية أيضاً فاذعنوا بالصالح وردوا إلى التركمان كثيراً من أموالهم وحرهم واسراهم اه

قال ابن كثير في حوادث هذه السنة وممن توفي فيها من الأعيان جينكرخان

ملك التتار وجد ملوكهم وساق له ترجمة طويلة حافلة تدل على حسن سيرته وعذله في رعيته ومما جاء فيها انه اهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فأستحسنه جنكرخان فوهن امره عنده بعض خواصه وقال خوند هذا زجاج لا قيمة له فقال اليس قد حملة من بلاد بعيدة حتى وصل اليها سالماً اعطوه مائتي بالسا اه

سنة ٦٢٦

(وصف ياقوت لحلب في هذه السنة في كلامه على حلب في كتابه معجم البلدان) قال شاهدت من حلب واعمالها ما استدلت على ان الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد فن ذلك انه يزرع في اراضيها القطن والسسمم والبطيخ والخيار والدخن والكرم والذرة والشمس والتين والتفاح عذبا لا يسقى الا بماء المطر ويحيى مع ذلك رخضا غضا طريا ويفوق ما يسقى بالمياه والسيح في جميع البلاد وهذا لم اره فيما طوفت من البلاد في غير ارضها . ومن ذلك ان مسافة ما بيد مالكمها في ايامنا هذه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن ايوب ومدير مملكته والفائم بجميع اموره شهاب الدين طغرل وهو خادم رومي زاهد متعبد حسن العدل والرافة برعيته لا نظير له في ايامه في جميع افطار الأرض حاشا الامام المستنصر بالله ابي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله [الخليلة في بغداد] من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية مشتركة بين الرعية والسلطان اوقفني الوزير صاحب القاضى الأكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي وهو يومئذ وزير صاحبها ومدير دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القرى واسماء ملاكها وهي

بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم . قال لى
الوزير الأكرم لو لم يقع اسراف في خواص الأمراء وجماعة من اعيان
المفاريذ لقامت بأرزاق سبعة آلاف فارس لأن فيها من الطواشية المفاريذ ما
يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم فى العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة
عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الأمراء الف فارس . وفي
اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحفظيها خارجا عن جميع
ما ذكرناه وهو جملة اخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الأقطاعات
الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عينا وحبوبا ما يقارب في كل
يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها فى العام الماضى وهو سنة ٦٢٥ من جهة
واحدة وهي دار الزكاة التى يحجى فيها العشور من الأفرنج والزكاة من المسلمين
وحق البيع سبعمائة الف درهم مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى
فيها منظم ولا منهضم ولا مهتضم وهذا من بركة العدل وحسن النية

واما قلعتها فيها يضرى المثل فى الحسن والحصانة لان مدينة حلب فى وطاء من
الارض وفى وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهتدم بتراب
صح به تدويره والقلعة مبنية فى رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء
وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان وبساتين
ودور كثيرة وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب قد
اعتنى بها بعمته العالية فعمرها عادية وحفر خندقها وبني رصيفها بالحجارة
المهندمة فجاءت عجبا للناظرين اليها لكن حالت المنية بينه وبين تتمتها . ولها فى
ايامنا هذه ثمانية ابواب باب الأربعين وباب اليهود وكان الملك الظاهر قد
جدد عمارته وسماه باب النصر وباب الجنان وباب انطاكية وباب قنسرين وباب

العراق وباب النيرب وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه ادباء وشعراء
ولأهلها عناية باصلاح انفسهم وتشمير الأموال فقل ما ترى من نشئتها من لم
يتقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة
ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان. وقد أكثر الشعراء
من ذكرها ووصفها والحين اليها وانا اقتنع من ذلك بقصيدة لأبي بكر محمد
بن الحسن بن مراد الصنوبري وقد اجاد فيها ووصف منزهاتها وقراها القرية فقال

احبسا العيس احبساها * واستلا الدار استلاها

واستلا اين ظباء الـ * دار ام اين مهاها

اين قطان محام * ريب دهر ومحاها

وهي طويلة جداً وقد تقدم منها وصفه لجامع حلب الأعظم

سنة ٦٢٧

قال ابو الفداء فيها ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب اهـ

سنة ٦٢٨

قال ابن الاثير في هذه السنة قلت الأمطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب
واعمالها فأنها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب
الا انه لم يكن بالشديد مثل ما تقدم في السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب
الدين وهو والى الأمر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدير لدولة سلطانها
الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربي له من المال والغلات كثيرا وتصدق
صدقات دارة وساس سياسة حسنة بحيث لم يظهر للنلاء اثر فجزاء الله خيرا
وفيهما قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهي بين جملة المدن المضافة الى
حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين

اليوم العساكر مع اميركان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى
والغنيمة . اهـ (١)

سنة ٦٢٩

ذكر استقلال الملك العزيز بالملك

قال ابن خلكان في ترجمة القاضي ابن شداد في اول سنة تسع وعشرين توجه
القاضي ابن شداد الى الديار المصرية لأحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل
للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها وجاء بها في رمضان من
السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل
الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من
الشبان الذين كانوا يعاشره ويحاسبونه فاشتغل بهم ولم ير القاضي ابو المحاسن
وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته اهـ

سنة ٦٣٠

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب

﴿ حلب على شيزر ﴾

قال ابو الفداء وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسمود بن سابق الدين
عثمان بن الداية وكان سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من اكابر
امراء نور الدين محمود بن زنكي ثم اعتقل الملك الصالح اسماعيل بن نور الشهيد
سابق الدين عثمان بن الداية وشمس الدين اخاه فانكر السلطان صلاح الدين
عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانزاعه من الملك الصالح اسماعيل فاتصل

(١) اقول والى هذه السنة انتهى تاريخ ابن الاثير

اولاد الداية بمجدة السلطان صلاح الدين وصاروا من اكبر امرائه وكانت شيزر
اقطاع سابق الدين المذكور فأمره السلطان صلاح الدين عليها وزاده ابا قيس لما
قتل صاحبها حمار دكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات
وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فصار الملك العزيز
صاحب حلب بأمر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها
الملك المظفر محمود صاحب حماه مساعد له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى
الملك العزيز ونزل الى خدمته فتساهلها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحيى بن
خالد بن القيسراني بقوله

يامالكاعم اهل الارض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي

لما رأث شيزر آيات نصرك في ارجائها التت العاصي الى العاصي

ثم ولى الملك العزيز على شيزر واحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل
كل منهما الى بلده

وفاة الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل

قال ابو الفداء في حوادث هذه السنة وفيها توفي مظفر الدين كوكبورى بن زين
الدين على كجك

آثاره وآثار ابيه بجلب

قال في الدر المنتخب خاتمه الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين
على كوجك صاحب اربل بالسهيمة وهي الآن معروفة بسويقة حاتم بالقرب
من الجلامع الكبير اه

اقول موقع هذه الخاتمة في اوائل الزقاق المعروف الآن بزقاق القرن وهي عن يمينك

اذا قدمت من جهة الجامع الكبير داخل بوابة طويلة ينزل اليها بعدة درجات ولذا قل من يعرفها . ولها قبلة صغيرة امامها قبو وامام القبو صحن طوله مع القبو تسعة امتار وعرضه ثمانية . وفي الجهة الشرقية ثلاث حجرفي داخل الوسطى منهن حجرة صغيرة فيها قبر لم اعلم صاحبه وفي الجهة الشمالية حجرة مستطيلة وفي الغربية حجرتان والجميع مقبو ومنذ سنين غير معلومه تغلب الجيران فبنوا فوق هذه الحجر بيوتا ومطابخ حتى فوق القبلة وقد كان المكان المنخفض من البوابة ممثلاً ترابا الى باب الخانقاه بحيث سد الباب فسمى منذ ١٥ سنة الشيخ عمر ابن الشيخ عبد الرؤف الكيالى وازال تلك الأتربة وفتح باب الخانقاه وورم بعضها وصار يسكنها بعض الفقراء لكنها لاتصاح لشيئ لانك لاتجد في هذه الحجر ولا في القبلة الا بعض المفاخذ والشمس لانعرفها مطلقاً . وقد تمكنت بعد

عناء من قراءة الكتابة التى على بابها وهي

(البسملة) جدد في دولة مولانا الملك الظاهر

غيث الدنيا والدين ابو المظفر الغازى ابن

الملك الناصر يوسف بن ايوب خلد الله ملكه

وقدس روح الوافى الامير الكبير المجاهد

زين الدين على بن بكتكين وابقاواده الملك المعظم

مظفر الدين ادام الله ايامه في سنة (الباربع ذاهب)

وذلك بتولى الجاى الفقير الى ربه محمد بن سلمان النيزينى رحمه الله

من هذه الكتابة ومما قاله في الدر المنتخب ظهر لى ان الباني الاول هو زين

الدين على بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣ والمجدد هو ولده الملك المعظم مظفر

الدين كوكبورى المتوفى في هذه السنة وهي سنة ٦٣٠ وليس لهذه الخانقاه شىء

من الاوقاف سوى بعض اراض عشرية .

ترجمة البايع الاول

قال ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسمائة . في هذه السنة فارق زين الدين على بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهنور وجميع القلاع التي معها وجميع بلاد الهكارية وقلاعه منه العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمي ايضاً فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته بأربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقي معه اربل ولم يزل بها الى ان مات بهذه السنة

وقال ابن خلكان هو زين الدين على المعروف بكجك صاحب اربل رزق اولاداً كثيرة وكان قصيراً ولهذا قيل له كجك واصله من التركان وملك اربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي وفرقها على اولاد ابابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى اربل ويقال انه جاوز مائة سنة وعمره في آخر عمره وانقطع بأربل الى ان توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد . وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة وله بالموصل اوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها

قال في الروضتين وكان خيراً عادلاً حسن السيرة جواداً خافضاً على حسن العهد واداء الامانة قليل العذر بل عديمه وكان اذا وعد بشيء لا بد له من ان يفعله وان كان خطيراً وكان حاله من اعجب الاحوال بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبدو منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء بلغني

انه اتاه بعض اصحابه بذهب فرس ذكر انه نفق له فأمر له بفرس فأخذ ذلك
الذهب ايضاً غيره من الاجناد فأخضره وذكر انه نفق له دابة فأمر له بفرس
وتداول ذلك الذهب اثنا عشر رجلاً كلهم يأخذ فرساً فلما اخضره آخرهم قال
لهم اما تسجيون مني كما استحي انا منكم قد اخضر هذا عدى اثنا عشر رجلاً
وانا انفا فل اثلا يجبل احدكم اتظنون انني لا أعرفه بلى والله وانما اردت ان
يصلكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتروكوا

ليس الغني بسيد في قومه لكن سيد قومه المتناهي

قال وكان يعطي كثيراً ويخلف عظيمًا وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيئاً بل
انفذه جميعه في العطايا والانعام على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه
كل ما يحتاج اليه من سكين ودوفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير
ذلك . وكان اشجع الناس ميعون النقيبة لم يهزم له راية وكان يقوم المقام
الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركيا اسمر اللون خفيف العارضين قصيرا
جداً . وبني مدارس وربطاً بالموصل وغيرها وبلغني انه مدحه الحيص بيص
فاما اراد الانشاد قال له انا لا ادري ما نقول لكن اعلم انك تريد شيئاً فأمر له
بخمسة دينار واعطاه فرساً وخاماً وثياباً يكون مجموع ذلك الف دينار

(ترجمة ولده الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المجدد لبناء هذه الخانقاه)
قال ابن خلكان ابو سعيد كوكبوري بن ابي الحسن علي بن بكتكين الملقب بالملك المعظم
مظفر الدين صاحب اربل ولما توفي والده ولي موضع ابيه وعمره اربع عشرة
سنة وكان اتابكه مجاهد الدين قايماز فأقام مدة ثم تعصب مجاهد الدين
عليه وكتب محضراً انه ليس اهلاً لذلك وشاور الديوان العزيز (اي الخليفة
في بغداد) في امره واعتقله واقام اخاه زين الدين ابا المظفر يوسف مكانه وكان

اصفر منه ثم اخرج مظفر الدين من البلاد فتوجه الى بغداد فلم يحصل له بها مقصود فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود فاتصل بخدمته واقطعه مدينة حران فانقل اليها وافام بها مدة ثم انصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده وتمكن منه وزاده في الاقطاع الرها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة واخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني واعطاها مظفر الدين مع حران واخذ الرقة من ابن حسان واعطاها ابن الزعفراني ثم اعطاه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خانون بنت ايوب وشهد مع صلاح الدين موافق كثيرة وابان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على مانضمته تواريخ العماد الاصفهاني ومهاء الدين بن شداد وغيرهما وشهرة ذلك تغني عن الاطالة فيه ولو لم يكن الا وقعة حطين لكفته فأنه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة وانكسر العسكر بأسره ثم لما سمعوا بوفوفهما راجعوا حتى كانت النصر للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم . ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازل عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملةهم زين الدين يوسف اخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب اربل فأقام قليلا ثم مرض وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرية فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان ان ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه اربل فأجابته الى ذلك وضم اليه شهرزور فتوجه اليها في هذه السنة هذه خلاصة امره

سيرته وآثاره (اقرأ وتأمل)

قال واما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع ان احداً فعل في ذلك ما فعله . لم يكن في الدنيا شئ أحب اليه من الصدقة كان له كل يوم قناطير

مقطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد مجتمع في كل يوم خلق كثير ويفرق عليهم في اول النهار . وكان اذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار جمع كثير فيدخلهم اليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف او غير ذلك ومع الكسوة شئ من الذهب من الدينار والاثنين والثلاثة وافل واكثر . وكان قدي اربع خاتماها للزنى والعميان وملأها من هذين الصنفين وقرر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخيس ويدخل عليهم ويدخل الى كل واحد في بيته ويتفقده بشئ من النفقة ويسأله عن حاله وينتقل الى الآخر وهكذا حتى يدور على جميعهم وهو ببساطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم وبنى داراً للنساء الأرامل وداراً للصغار الأيتام وداراً للملايط ورتب بها جماعة من المراضع وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه . وأجرى على اهل كل دار ما يحتاجون اليه في كل يوم وكان يدخل اليها في كل وقت ويتفقده احوالهن ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهن وكان يدخل الى البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهييه وكان له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه او فقير او غيرهما وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول اليها ولهم الراتب في الدار في الغذاء والعشاء واذا عزم الإنسان على السفر اعطوه نفقة على ما يليق بمثله .

وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السباط ويبيت بها ويعمل السماع واذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع فإنه كان لا يمتاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله الى البلد . وبنى للصوفية خاتماها

فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ويحتمع في ايام المواسم فيهما من الخلق ما يوجب الانسان من كثرتهم ولهما اوقاف كثيرة بجميع ما يحتاج اليه ذلك الخلق ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها . وكان ينزل بنفسه اليهم ويعمل عندهم الساعات في كثير من الاوقات . وكان يسير في كل سنة دفتين جماعة من امنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها اسرى المسامين من ايدي الفرنج فأذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئاً . وان لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك . وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحاج ويسير معه جميع ما ندعو حاجة المسافر اليه في الطريق ويسير صحبته امينامه خمسة او ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويع وارباب الرواتب وله بمكة حرسها الله تعالى آثار جميلة وبعضها باق الى الآن وهو اول من اجرى الماء الى جبل عرفات ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة وعمر بالجليل مصانع للماء فان الحاج كانوا ينضردون من عدم الماء وبني له تربة ايضاً هناك

احتفاله بولد النبي الكريم

قال واما احتفاله بولد النبي صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الأحاطة به لكن نذكر طرفاً منه . وهو ان اهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه فكان في كل سنة يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك الزواحي خاق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولا يزالون يتواصلون من المحرم الى اوائل شهر ربيع الأول وينتقم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة اربع او خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمرء واعيان دوله لكل واحد قبة فأذا كان اول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة

الفاخرة المتجملة وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من ارباب الخيال
ومن اصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات حتى رتبوا فيها جوقاً
وتبطل معاش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران
عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاورة للميدان
فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة الى آخرها
ويسمع غنائهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه
ويعمل السماع فيها ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع الى القلعة قبل
الظهر هكذا يعمل كل يوم الى ليلة المولد وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة
في ثاني عشره لأجل الاختلاف الذي فيه . فأذا كان قبل المولد بيومين أخرج
من الأبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع عنده من
الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون
القدور ويطبخون الألوان المختلفة فأذا كان ليلة المولد عمل الساعات بعد ان
يصلى المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي
جملتها شمعتان من الشموع الموكية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها
رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي الى الخانقاه فأذا كان
صبيحة المولد انزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على ايدي الصوفية على يد كل
شخص منهم بقعة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء
كثير لا تحق عددده ثم ينزل الى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة
من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له
شبابيك الى الموضع الذي فيه الناس والكرسي وشبابيك اخر للبرج ايضاً الى
الميدان وهو ميدان كبير في غاية الأنساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك

النهار وهو تارة ينظر الى عرض الجند وتارة الى الناس والوعاظ ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السباط في الميدان للصعاليك ويكون سباطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيئاً كثير لا يحد ولا يوصف ويمد سباطاً في الخائقاء للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود الى مكانه . فإذا تكامل ذلك حضروا السباط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل الى داره ولا يزالون على ذلك الى العصر او بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل الساعات الى بكرة هكذا دأبه في كل سنة . وقد لخصت صورة الحال فإن الأسنقصاء يطول فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل انسان للود الى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة وقد ذكرت في ترجمة الحافظ ابي الخطاب بن دحية في حرف العين وصوله الى اربل وعمله لكتاب التنوير في مولد السراج المنير لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وانه اعطاه الف دينار غير ما غرم عليه مدة اقامته من الأقامات الوافرة (ثم قال) وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة سالم البطانة شديد الميل الى اهل السنة والجماعة لا ينفق عنده من ارباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداها لا يعطيه شيئاً الا تكلفا . وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم الا اذا قصدوه فساكن يضعف قصدهم ولا يخيب امل من يطلب بره وكان يميل الى علم التاريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به ولم يزل رحمه الله تعالى مؤيداً في موافقه ومصافاته مع كثرتها لم يتقل انه انكسر في مصاف قط ولو استقصيت في تعداد خاسنه لطال الكتاب وفي شهرة معروفة غنية عن الأطالة (ثم قال) وكانت ولادته بقلعة الموصل سنة

تسع واربعين وخمسمائة وتوفي في رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد ثم نقل الى قلعة اربل وذفن بها ثم نقل الى الكوفة ودفن بالقرب من المشهد رحمه الله .

سنة ٦٣١

ذكر وفاة الانابك شهاب الدين طغريل الخادم

قال الصلاح الصفدى في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي انابك طغريل مملوك الملك الظاهر غازى صاحب حلب كان صالحاً عفيفاً زاهداً كثير الصدقات والاحسان وكان واسطة خير يجب الصالحين ولما توفي الظاهر قام بأمر ولده العزيز احسن قيام واستمال الاشرف وحفظ عليه البلاد وكان قد طهر حلب من الفسق والفجور والمكوس والخمور وكان الأشرف يقول ان كان لله تعالى ولي في الأرض فهو هذا الخادم فلما كبر العزيز ابن الظاهر تحدث عليه اقوام قصدوا اذى الخادم وقالوا له قد رضيت لنفسك ان تكون تحت حجر هذا الخادم وكان له تل باشر فاخذها منه وازال الحجر عنه واقام الانابك لا ينفذ له امر فرض ومات في هذه السنة ودفن بباب الأربعين اه وذكره العلامة ابن خلكان في آخر ترجمة القاضي بهاء الدين بن شداد قال وتوفي الانابك شهاب الدين طغريل ليلة الاثنين الحادى عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الأربعين وكان خادماً ارمنى الجنس ابيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى

آثاره بحلب

المدرسة الانابكية

قال في الدر المنتخب (المدرسة الانابكية) انشأها شهاب الدين طغريل عتيق

الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة بالقلة الحلبية ومدير الدولة بعد وفاة معتقه انتهت عمارتها في سنة ثمان عشرة وستمائة واول من درس بها الشيخ الامام العالم جمال الدين خليفة بن سليمان بن خليفة القرشي الحواري الأصل ولم يزل بها الى ان خرج من حلب فراراً من ايدي النتر اسوة من خرج من اهل بلده مع من كتب عليه الجلاء من اهل حلب واحرق في زمن التتر وهي دائرة الآن (قلت) رمت بعد ذلك وكملت عمارتها واستقر في تدريسها العلامة شهاب الدين احمد ابن البرهان وكان مجتهدا في مذهب ابي حنيفة ولم تزل بيده الى ان نزل عنها الجدي العلامة كمال الدين ابي الفضل محمد بن الشحنة وهي الآن بأسم ولدى المشار اليهما (هما ابو اليمين وعبد البر) ولكن ليس لها وقف الا حصة كمون ومتحصلها يسير جداً لا يقوم بمعلوم القائم والأمام وهي ملاصقة لدارنا من جهة القبلة قال ابو اليمين البتروني في حواشي الدر المنتخب . هذه المدرسة لانكاد تذكر الآن اعني في سنة خمس وثلاثين والالف ولكن اخبرني بعض الناس انها المدرسة الدائرة التي لدورها رمتها بعض الفقهاء وجعلها مسكناً للكائنة بالقرب من الجامع الحادث المعروف بالمعادلية بالجانب الشرقي منه قبلي الخان الموقوف على الجامع المذكور وبين الخان المذكور وبينها زقاق كما ان بينها وبين الجامع المذكور زقاق والآن قد صارت مسكناً يسكنها بعض الناس وقد سد بابها وجعل له باب آخر يدخل منه اليها ودور ذرية المصنف (اي بنى الشحنة) قرية اليها الا ان الدور المذكورة في الجانب الشرقي من الزقاق الذي بينها وبين المدرسة وهي الآن بيد ولد اخي وهو مولانا القاضي عبد الرحمن بن شيخ الأسلام ابي الجود افندي تولاهما بعد ان عزل عن قضاء حماة والذي ادركناه من قرية كمون انها جميعها وقف المدرسة ولها غصول واقرار

اقول قبلى الحان المذكور المسمى الآن بخان الفرايين وامام باب جامع العادلية وباب قارساية العلية عرصه واسعة نصفها الشمالى او اكثر من النصف هو هذه المدرسة ودور بنى الشحنة . المدرسة من جهة الغرب امام باب الجامع والدور من جهة الشرق . وقدحفر منذ عهد قريب امام شايك الحمام المعروفة بحمام ميخان فوجد أثر باب كبير وقد رأيتته ويغلب على الظن انه باب المدرسة وهى آخذة الى الشمال وبين هذا الباب ومدفن كوهى ملك شاه السلطنة الواقع قبلى العرصه مقدار ستة اذرع

﴿ المدرسة الأنابكية ايضا ﴾

قال فى الدرالمستخب [المدرسة الأنابكية] انشأها الانابك شهاب الدين طغرل الظاهري التقدم ذكره وتمت فى سنة عشرين وثمانه واول من درس بها صفي الدين عمر الجوري وبعده نظام الدين محمد بن محمد بن عثمان البلخي الأصل ولم يزل بها الى ان توفي بحلب فوليها بعده ولده تقي الدين احمد ولم يزل بها الى ان قتل فى فتنة النتر ثم وليها فى الأيام الظاهرية الفقيه فخر الدين عبد الرحمن بن ادريس ثم خرج عنها الى ديار مصر اه وقال ايضا خانقاه انشأها خارج باب الأربعين بالجبل . اقول موقع هذه المدرسة والخانقاه فى حلة الجبيلة فى الزقاق الكائن عن يسار الداخل من باب الحديد وهما متلاصقتان على مكان مرتفع ولهما بابان بجانب بعضهما بينهما اربعة اذرع مكتوب على باب المدرسة

هذا ما تقدم بأنشائه العبد الفقير الى رحمة الله وكرمه الشاكر لما افاض عليه رحمانه ابو سعيد طغرل بن عبد الله الملكى الظاهري تقبل الله منه واثابه مشهد لله تعالى تقام فيه الصلوات الخمس فى اوقاتها ويسكنه المدرس والفقهاء الحنفية على ما شرطه فى كتاب للوقف وان قدر الله وفاته خارج مدينة حاب يدفن فيه فى

الموضع المعد له يلزمه القراء وملازمته للقرآن العظيم على ما شرطه فلا يحل الأخذ بغيره عما وضع له ومن بدله بعد ما سمعه فأثمه على الذين يبدلونه وذلك في شهور سنة عشرين وستمائة .

وفي صدر المدرسة قبلية في طرفها الأيمن ايوان في وسطه ضريح هو قبر الواقف طغرل والكتابة التي كانت على الباب الآخر وهو باب الخانقاه محيطة وعليه الآن كتابة حديثة كتبت سنة ١٢٨٦ خلاصتها انه جدد هذا المكان بأشارة الألهام الشيخ الهمام مربى المريدين الشيخ محمد بن احمد المكي القرشي من خلفاء محمد جان المقشبندي .

والذي تحقق عندي ان هذا الرجل من اهالي مرعش كان حضر الى حلب قبل التاريخ المتقدم بقليل وتوجه منها الى مكة وبقي فيها مدة وجيزة ثم عاد الى حلب وهو على زي اهل مكة من العمامة والجبة وادعى انه مكّي قرشي . وكان في الخانقاه في جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والشالية حجر صغيرة ويسكن هناك رجل مصري كفيف حافظ لكتاب الله تعالى فسمي في اخراجه وسكن هو وكتب ما كتب على باب الخانقاه وصار يقيم الذكر في قبلية المدرسة وصار بعض موظفي الأتراك يترددون اليه ويعتقدون عليه ويبرونه وكان باب القبيلة متوهنا فسمي في تجديده في سنة ١٣٠٢ وكتب على جداره هذا النظم للسيد علي جواد ابن سيدنا الإمام الباقر رضي الله عنه وقد اتخذ هذه الكتابة وسيلة لجر مغنم اليه خصوصاً من النساء وهذا محض افتراء منه لأن الضريح الذي في ايوان القبلة هو ضريح الواقف رحمه الله كما تقدم لك نقله عن الصلاح الصفدي وابن خلكان . ثم انه لم يقف عند هذا الحد بل خرب الحجر الصغيرة التي في الخانقاه وبني موضعها بيتين وصارت الخانقاه على هيئة دار وطين باب الخانقاه

لتخفي الكتابة التي كتبها على الباب وادعى حينئذ ان الدار له وحاول تسجيلها في الحكومة على انها ملكه فعندئذ قام اهل المحلة ورفعوا الأمر للمحكمة الشرعية واخيرا ازيلت يده واخرج من المكان

ومنذ عشرين سنة وضعت دائرة المعارف يدها على المدرسة والحقاقه ورفعت الجدار الذي كان بينهما ولم يزل اثره باقياً الى الآن وصار المكانان مكاناً واحداً وبنت فيه تحت وفوق غراماً للطلبة واتخذته مدرسة ابتدائية تسمى الآن مدرسة النجاة والباقي في المدرسة من الحجر القديمة التي كانت للطلاب هي الحجر الثلاث الشرقية كما يظهر لك بالأمل قليلا

والقبليّة محتاجة الى الترميم جداً يتوالى نزول الأتربة من سقفها وسألت عن سبب بقائها مشعشةً فعلمت ان دائرة الاوقاف مهملة لشأنها لوضع دائرة المعارف يدها على المكان جميعه واتخاذها مدرسة وتقول دائرة المعارف ان امر القبليّة يرجع الى دائرة الأوقاف وهكذا ضاع هذا المكان بين هاتين الدائرتين والله الأمر والباقي لهذا المكان من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها ثلاثين ايرة عثمانية ذهباً وقد فقد الكثير من اوقافها

ذكر بناء قلعة المعرة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة استتم بقاء قلعة المعرة وكان قد اشار سيف الدين علي ابن ابي علي الهذلي على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح ولم يكن ذلك مصلحة لأن الحلبين حاصروها فيما بعد واخذوها وخربت المعرة بسببها اه



ذكر وفاة الملك الزاهر داود صاحب البيرة

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضاً وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن اخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب اهـ

وقال الصلاح الصفدي في حوادث هذه السنة بعد ان ذكر وفاته مولده سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكان فاضلاً اديباً وشاعراً مجيداً ومن شعره رحمه الله

ياراحلين ولم يقدموا * لقد بان صبرى مذ بتم
وعدتم بأن تبعثوا طيفكم * فهلا وفيتم بما قاتم
وفارقموني على انكم * تعودون نحوى فما عدتم
فشوقى شديد الى قربكم * وصبرى ضعيف ولم تعلموا
يمجدلى كل يوم بكم * غرام فآظهر ما اكنتم
واذكر عصرأ مضى وانقضى * وقد نالت فيه المنى منكم
وارتقب البرق من نحوكم * واسأل ربح الصبا عنكم
بجرمة ما بيننا سالفاً * من العهد الا تعطفتم
فأين موثيق تلك العهد * وانتم على العهد ما ختمتم

ذكر استيلاء كيقباز بن كيخسرو على حران والرها

قال ابو الفداء وفيها لما تفرقت العساكر الكالمية فصد كيقباز بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرها واستولى عليها وكانا للسلطان

الملك الكامل اه

ذكر وفاة القاضي بهاء الدين بن شداد

قال ابو الفداء وفي هذه السنة توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضي عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضي المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضي بهاء الدين المذكور من الميزة عند اولاد صلاح الدين وعند الانابك طغريل مالم نليمها احد واصله من الموصل وكان فاضلا دينيا وكان اقطاعه على الملك العزيز ما يزيد على مائة الف درهم في السنة اه (اقول) وهو مؤلف السيرة الصلاحية المسماة بالنوادر اليوسفية وهي مطبوعة في مصر وقدمر بك نقول كثيرة عنها وصاحب الروضتين قداتي على معظها . وقد ذكرناه في القسم الثاني بأبسط من هذا

سنة ٦٣٣

قال ابو الفدا وفي هذه السنة سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباز صاحب بلاد الروم وامسك كيقباز ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وارسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه

سنة ٦٣٤

ذكر وفاة الملك العزيز محمد صاحب حلب

وولاية ابنه الملك الناصر يوسف

قال ابو الفدا وفي هذه السنة كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى حارم للصيد ورمي البندق

واغتسل بماء بارد فخم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمني وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الأمور الى والدة الملك العزيز ضيفة خانون بنت الملك العادل اه

وقال صلاح الدين الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى ولد في ذى الحجة سنة تسع وستائة وتوفي والده وهو طفل ونشأ في حجر شهاب الدين طغرل الخادم فرتب اموره احسن ترتيب وقام بدولته القيام العجيب الى ان ترعرع واستقل بالأمر وفك عن نفسه الحجر توفي بحلب ودفن بالقلعة وكان حسن الصورة كريماً غفيفاً ولم يبلغ اربعاً وعشرين سنة وملك حلب بعده ولده الملك الناصر الذي قلله التتر رحمهما الله تعالى

وقال في الزبد والضرب دفن بالقلعة ودفنت والدته بالحجرة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز اه وفي المختار من الكواكب المضية نقلاً عن العلامة الذهبي في تاريخ الإسلام انه دفن في مشهد الفردوس شمالي قبة الشيخ علي الهروي وغربي جبانة الصالحين وقبلى جبانة القلعيين وهو مشهد مبارك تقام فيه الجمعة اه (اقول) لعله بعد ان دفن في القلعة نقل الى مشهد الفردوس

ذكر توجه عسكر حلب مع توارنشاه لمحاصرة بغراس

قال ابو الفداء في هذه السنة توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توارنشاه عم الملك النرزي لخاصروا بغراس وكان قد عمرها الداوية بعد ما فتحها السلاطون

صلاح الدين وخربها واشرف عسكر حلب على اخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج اغاروا على ريبض درب ساك وهي حيثند لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والأسر وعاد عسكر حلب بالأسرى وروؤس الفرنج وكانت هذه الواقعة من اجل الوقائع اهـ

سنة ٦٣٥

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بدمشق ولما بلغ الحلبيين موت الكامل انفقت اراؤهم على اخذ المعرة ثم اخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماة موافقة الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتهما وخرجت المعرة حيثند عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توراشاه بن صلاح الدين الى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة.

ذكر الخطبة بحلب الى كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو

قال ابو الفداء وفي هذه السنة عقد سلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو العقد على غازية خانون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي صغيرة حيثند وتولى القبول عن ملك الروم قاضي دوقات ثم عقد للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على اخت كيخسرو

وهي ملكة خاتون بنت كيقباز بن كيخسرو بن قليج ارسلان وام ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل ابى بكر بن ايوب وقد كان زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباز المذكور وخطب لغيث الدين كيخسرو مجلب اه

سنة ٦٣٦

ذكر عود العساكر الحلبية عن محاصرة حماه

قال ابو الفداء في هذه السنة نزل الملك الحافظ ارسلان شاه ابن الملك العادل ابى بكر ابن ايوب عن قلعة جعبر وبالس وسامها الى اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلاداً معها تساوى ما نزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور اصابه فالج وخشي من اولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لأنه كان ببلاد قريية الى حلب لا يمكنهم التعرض اليه اه

ذكر عيث الخوارزمية في البلاد الحلبية والقتال بينهما

قال ابو الفداء وفي هذه السنة كثر عيث الخوارزمية القاطنين في بلاد حران وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح ايوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهمز الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين واسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على انقصال الحلبين واسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئا كثيرا ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على حيلان وكثر عيثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب وجفل اهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد اهلها للحصار وارتكب

الخوارزمية من الفواحش والقتل ما ارتكبه التتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الأول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهي حران وما معها بعد ان اخرجوا بلد حلب

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل عزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ما يجدونه فأن الناس جفلوا من بين ايديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسماعيل المستولي على دمشق نجدة للحلبين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ما هم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانتفاء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح ايوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان ولحقهم العرب فأرمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في اواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فساد عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية والنقوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب اقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين لولو صاحب الموصل

نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الأسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين أسيراً في بلدة دارا من حين أسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدر الدين لولو إلى الموصل وقدمه له ثياباً وتحفاً وبعث به إلى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حصن المنصور إبراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل إليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب بآمد وتسلبوها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم ينزل ذلك بيده حتى توفي أبوه الملك الصالح أيوب بمصر وسار إليهما المعظم المذكور على ما سنذكره إن شاء الله تعالى وبقي ولد المعظم وهو الملك الموحد عبد الله ابن المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب مالكا لحصن كيفا إلى أيام النتر وطالت مدته بها اهـ

سنة ٦٣٩

وفاة الملك الحافظ ارسلان صاحب اعزاز ونقله إلى حلب قال أبو الفداء في هذه السنة في ذي الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل بن أيوب بأعزاز وهي التي تعوضها عن قلعة جعبر ونقل إلى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعة اعزاز واعمالها اهـ

سنة ٦٤٠

ذكر القتال بين الحلبيين والخوارزمية وانهزام الخوارزمية قال أبو الفداء وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي

صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الحابور عند المجدل يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنة فولى المظفر غازي والخوارزمية منهزمين اقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئا كثيرا ونهبت وطافات الخوارزمية ونساؤهم ايضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازي واحتوى على خزائنه ووطاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهل جمادى الأولى مؤيد بن منصور بن

﴿ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب ﴾

قال ابو الفداء وفي هذه السنة في ليلة الجمعة لأحد عشر ليلة خلت من جمادى الأولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وكان مرضها قرحة في مرق البطن وحصى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى او اثنين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب حين كانت حلب لأبيها الملك العادل قبل ان يتزعمها منه اخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازي فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند ابيها الملك العادل ضيف فسامها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج بأختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقبامت بالملك احسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابنها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وهاهو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود

الخصي الخاتوني اهـ

وقال في الزبد والضرب دفنت في الحجرة بالقلعة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها
الملك المنير

~*~ آتارها مجلب ~*~

خاتناه داخل باب الأربعين تجاه مسجد الشيخ الحافظ عبد الرحمن ابن الأستاذ
(در المنتخب)

~*~ الفردوس ~*~

هي خارج باب المقام قال في الزبد والضرب جعلتها تربة ومدرسة ورباطا
ورببت فيه خلقا من القراء والصوفية والفقهاء وهي معدودة في تاريخ ابن شداد
من مدارس الشافعية وهاهو اسمها مكتوب عليها في سطر حسن الخط جدا وما
احسن ما قيل في هذا المكان

في باب فردوس حلب * سطر من الخط عجب

فيه صحاف من ذهب * هن صحاف من ذهب

يشير الشاعر بما ذكره الى ما كتب هناك من الآية التي فيها ذكر صحاف الذهب
التي يطاف بها على اهل الجنة

افول هذه المدرسة لم نزل عامرة الى الآن بل هي المدرسة الوحيدة التي حفظتها
لنا الايام في الجملة في تلك الاماكن وفي زماننا هذا لا قراء فيها ولا فقهاء غايته
انه تقام فيها الجمعة ويكثر المصلون فيها يوم الجمعة ايام الربيع. اما محرابها وعموداه
وما فوقه فهو مما يستوقف الناظر اليه لحسن صنعته وبداعة هندسته واحكام
بنائه ولعله اعظم اثر عربي موجود في الشهباء. ويتجلى لك فيه ما وصل اليه
فن البناء في ذلك العصر من الرقي .

وعن يمين القبيلة حجرة واسعة فيها ثمانية قبور لم تعلم اصحابها على التعيين لأن الكتابة التي على الواح القبور كادت تكون محوّة وقد تقدم وسيأتى لنا ذكر اشخاص من ملوك بني ايوب وغيرهم قلنا انهم دفنوا في الفردوس . وعن يسار القبيلة حجرة كذلك وفي وسطها ضريحان يجانب بعضهما وعلى احدهما ستار اخضر كتب عليه هذا قبر علي بن ابي طالب نقله الى هنا سيف الدولة بن حمدان وهذا كذب لا اصل له ولا ادري من كتبه . ولا زمن ذلك فإن قبر علي كرم الله وجهه في الكوفة في قصر الأمارة في مكان لا يعرف على التحقيق ولم نر مؤرخاً قال ان علياً رضي الله عنه نقل الى حلب مع شدة اعتناء المؤرخين خصوصاً الشيعة بأخبار علي وآله رضي الله عنهم اجمعين . وارى ان من الواجب على دائرة الأوقاف ان تمحو هذه الكتابة

وفي صحن المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار كبيرة بديعة الصنعة جداً غير ان الماء لا يأتيه في هذه الأزمنة وفيه عواميد ضخمة جداً خمسة منها لم تزل مرفوعة وثلاث منها وهي عواميد الجهة الغربية ملقاة على الارض مع عدة قواعد لها وعن يمين الصحن ويساره بيتان كبيران قد امتلئا من القبور ثلاث منها او اربع قديم والباقي حادث ولا نعلم اصحابها والذي علمته ان المتولين على هذه المدرسة من اهل تلك الحلة كانوا يدفنون هناك مع بعض اهلهم وذرائعهم حتى ملثوا المكائين على سعتهم ويطهر انهما محل الرباط قديماً

وفي شمالها ايوان كبير جداً مبني بالحجارة الضخمة كتب على جمينه فوق مدخل المدرسة بسم الله الرحمن الرحيم لله در اقوام اذا جن عليهم الليل سمعت لهم انين والحن واذا اصبحوا رأيت عليهم تغير الوان . اذا ما الليل اقبل [وداخل الأيوان من الأيمن] كابدوه . ويسفر عنهم وهم ركوع . اطار الشوق نومهم فقاموا .

واهل الأمن في الدنيا هجوع . اجسادهم تصبر على التعب وافتداهم ليلها
 تقيم على التهجد لا يرد لهم صوت ولا دعاء تراهم في ليلهم سجداً ركعاً قد ناداهم
 النادى واطربهم الشادي . يارجال الليل (وفى صدره) جدوا . رب صوت لا يرد .
 ما يقوم الليل الا . من له حزم وجد . لو ارادوا في ليلهم ساعة ان يناموا افقهم
 الشوق اليه فقاموا وجذبهم الوجد والغرام فهاموا وانشد هم يريد الحضرة
 وبشهم وحلمهم على المناجاة وحنهم . حثوا مطاياكم وجدوا . ان كان لى في
 القلوب وجد . قد آن ان تظهر الحبا (وفى يساره) يا . وتنشر الصحف فاستعدوا .
 الفرش مشنقة اليهم والوسائد مأسفة عليهم النوم قرم الى عيونهم والراحة
 مرناحة الى جنوبهم الليل عندهم اجل الاوقات في المراتب ومسامرهم عندهم
 يرعي الكواكب وزارني طيفك حتى [وفى الجانب الأيسر خارج الأيوان] اذا .
 اراد ان يمضي تعلقت به . فليت ليلى لم يزل سرمداً والصبح لم انظر الى كوكبه .
 هجروا المسام في الظلام وتلذذوا بطول المقام وناجوا ربهم بأطيب كلام . [وفى
 الجدار الغربى] وأنسوا بقرب المالك العلام لو احتجبوا عنه في ليلهم لذابوا ولو
 تغيبوا عنه لحظة لما طابوا يديهم النهجد الى السحرو ويتوقعون ثمر اليقظة والسهر
 بلغنا ان الله تبارك وتعالى يتجلى للمحبين فيقول لهم من انا فيقولون انت مالك
 رقابنا فيقول انتم احبتي انتم اهل ولايتى وعنايتى ها وجهي فشاهدوه ها
 كلاي فاسمعوه ها كأسي فاشربوه وسقام ربهم شراباً طهوراً اذا شربوا طابوا
 ثم طربوا اذا طربوا قاموا اذا قاموا هاموا اذا هاموا طاشوا اذا طاشوا عاشوا
 لما حملت ربح الصبا قيض يوسف لم يفضض ختامه الا يعقوب ما عرفه اهل
 كعان ومن عندهم خرج ولا يهودا وهو الحامل اه

وعلى الجدار الشرقي

البسلة هذا ما انشأه الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والددة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه

وعلى الجدار الشرقي من خارج المدرسة

البسلة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب فيها ما تشتميه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون (١) هذا ما امر بأنشائه الستر الرفيع والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب تغمدهم الله برحمته وذلك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد الم رابط المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز نصره.

بتولى العبد الفقير عبد المحسن العزيزي الناصري رحمه الله

في سنة ثلثة وثلثين وستائة

وقد كان للمدرسة باب قديم فيه شئ من الصنعة فقلعته ادارة الأوقاف من نحو ثمان سنين والفته في رواق ادارتها في خان الكمرك بين ما يوضع هناك من الأخشاب العتيقة التي يقل الفائدة منها وعملت للمدرسة بابا جديداً وباليتهها

(١) سورة الزخرف

ابقت القديم على قدمه

واذا شاهدت غراب هذه المدرسة وصحنها وما فيه من العواميد العظيمة وايوانها وقنطريته المبنية من الأحجار الضخمة وقفت خاضعاً خاشعاً وتحت لك عظمة البائين وما كانوا عليه من العناية والأهتمام في شأن العلم واهله والعناية في رفع مناره وتشبيد الأبنية الضخمة له ورصد الأوقاف الكثيرة لأجله فلا غرابة اذا انتشر العلم في ذلك العصر وراجت اسواقه وتهافت الناس عليه وقد خاف من بعدهم خاف اضعاء الصلاة واتبعوا الشهوات ولم يبق للأمرء والاغنياء في عصرنا الحاضر عناية الا بتمشير اموالهم والعكوف على ملذاتهم وانفاق اموالهم في غير ما يرضي الله تعالى وفيما لا يعود بشيء من النفع على الامة فلا تستغرب اذا حل بهم البلاء واحاط بهم الشقاء (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهذا الأثر العظيم هو البقية الباقية من الآثار القديمة في حلب وهو في حاجة كبرى الى الترميم في عدة اماكن ولعل ادارة الأوقاف تمد له يد الأهتمام والعناية ليحافظ على حالته الحاضرة وتعود اليه بهجته الأولى . والباقي له الآن من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها عشرين ليرة عثمانية ذهباً

ونختم الكلام على هذا المكان بلطيفة ذكرها الصلاح الصفدى في تاريخه الوافى بالوفيات في ترجمة الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني قال لما توجه الى قضاء حلب نزل في مكان يعرف بالفردوس وكان معه شمس الدين محمد الخياط الشاعر المشهور الدمشقي فانشده لنفسه وانشدني من لفظه غير مرة

يا حاكم الحكم يامن به	*	قد شرفت رتبته الفاخره
ومن سقى الشهباء مذحلها	*	بحمار علم وندى زاخره
نزلت في الفردوس فابشر به	*	دارك في الدنيا وفي الآخرة

اه وكانت وفاة الترمكاني في سنة ٧٢٧ وله في فوات الوفيات ترجمة حافلة

﴿ سنة ٦٤١ ﴾

قال ابو الفرج الملقب في تاريخه مختصر الدول في سنة احدى واربعين غزا يساورنوين الشام ووصل الى موضع يسمى حيلان على باب حلب وعاد عنها لحني اصاب خيول المغول واجتاز بملطية وخرب بلدها ورعي غلاتها وبسائذنها وكرومها واخذ منها اموالاً عظيمة حتى خشل النساء وصلبان البيع ووجوه الاناجيل وآنية القداس المصوغة بالذهب والفضة ثم رحل عنها اه

(سنة ٦٤٤)

﴿ ذكر محاصرة الخوارزمية دمشق ثم اقتتلهم مع ﴾
العساكر الحلبية عند بحيرة حمص وانكسارهم وتشتت شملهم

ذكر الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث سنة ٦٤٣ ان في هذه السنة حضر معين الدين ابن الشيخ (احد الأمراء) والخوارزمية الى دمشق وحاصروها وضايقوها وقطعت الخوارزمية الطريق على الناس وزحفوا الى البلد من كل ناحية وبعد ان ذكر ما ارتكبه الخوارزميون من فظيع الأعمال ثمة من النهب والأحراق قال ولما علم الصالح ايوب بان الصالح اسماعيل قد اتفق مع الخوارزمية استمال المنصور صاحب حمص فأجابه وكتب الى الحلبيين يقول هؤلاء الخوارزمية قد اخربوا البلاد والمصلحة ان تنفق عليهم فأجابوه وخرج الأمير شمس الدين لولو بالعساكر من حلب في سنة اربع واربعين وجمع صاحب حمص العرب والتركمان وخرج اليهم عسكر دمشق واجتمعوا كلهم على حمص واتفق الصالح اسماعيل والخوارزمية وعز الدين ايبك والناصر داود واجتمعوا

على مرج الصفرو لم ينزل اليهم الناصر من الكرك بل بعث اليهم عساكره وساروا والتقوا على بحيرة حمص فكانت الدائرة على الخوارزمية قال ابو الفداء انهزموا هزيمة قبيحة تشقت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين برکه خان وحمل رأسه الى حلب وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى الله الناس شرهم

(سنة ٦٤٦)

﴿ ذكر استيلاء الحلبيين على حمص ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة ارسل الملك الناصر يوسف صاحب حلب عسكرياً مع الأمير شمس الدين لولو الأرمي لخاصروا الملك الأشرف موسى بمحمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها بتل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين ايوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم في مأبطه ثم فتح وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وارسل عسكريا الى حمص مع حسام الدين ابن ابي علي فخر الدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحاصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمي بحجر زنتها مائة واربعون رطلاً بالشامى مع عدة منجنيقات اخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر الحصار عليها واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان ايضا قد قوى مرضه ووصل ايضا نجم الدين الباذراي رسول الخليفة وسعى في الصلح بين الملك الصالح والحلبين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فأجاب الملك الصالح الى ذلك وامر العسكر فراحوا عن حمص بعد ان اشرفوا على اخذها

(سنة ٦٤٧)

استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على نصيبين وقرقيسيا
قال ابو الفداء في هذه السنة وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو
وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا والنقوا مع
المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحلبيون على
انقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين واخذوها من صاحب
الموصل ثم ساروا الى دارا فتنازلوها وتساهوها وخربوها بعد حصار ثلاثة اشهر
ثم تساهوا قرقيسيا وعادوا الى حلب

(سنة ٦٤٨)

ذكر قتل الملك المعظم تورانشاه وخروج الملك عن
بني ايوب في مصر وسلطنة ابيك التركاني

قال ابو الفداء في حوادث سنة ٦٤٧ ما خلاصته في هذه السنة توفي الملك
الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن
ايوب في شعبان ولم يوص بالملك الى احد فلما توفي احفرت شجر الدر وهي
جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشي وعرفتهما بموت السلطان
فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الأمراء وقالت لهم السلطان
يأمركم ان تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بمحسن كيفا
وللامير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية المسكر وبعد ان حلفوا ارسل فخر الدين
قاصداً لأحضار الملك المعظم من حصن كيفا فسار منها الى مصر

ثم قال في حوادث سنة ٦٤٨ وفي يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك

المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب الملك ابن الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب وسبب ذلك ان المذكور اطرح جانب امراء ابيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا اراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وجمعوا عليه بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور على ما تقدم ذكره فاطلقوا في البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب في حرافته خالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدركوه واتموا قتله في يوم الاثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين واياما ولما جرى ذلك اجتمعت الأمراء وانفقوا على ان يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركانى اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة (المستعصمية الصالحية ملكة المسامين والدة الملك المنصور خليل) وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولداً ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع (والدة خليل) ثم ان كبراء الدولة انفقوا على اقامة عز الدين ايبك الجاشنكيرى الصالحى في السلطنة لأنه اذا استقر امر المملكة في امرأة على ما هو الحال تفسد الأمور فاقاموا ايبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الفاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وابطلت السكة والخطبة التي كانت بأسم شجر الدر

ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق
قال ابو الفداء وابن كثير بعد ان وقع ما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء
الملك المعظم تورانشاه أرسل المصريون رسولاً الى الأمراء القيمرية الذين
بدمشق يطلبون منهم موافقتهم على عملهم فلم يجيبوهم الى ذلك وكاتب
الأمراء القيمرية الملك الناصر يوسف صاحب حلب فركب الحلبيون معهم ابن
استاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ومن كان عندهم من
ملوك بني ايوب منهم الصالح اسماعيل بن العادل وكان احق الموجودين بالملك
من حيث السن والقدر والحرمة والرياسة ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل
والأشرف موسى بن المصور ابراهيم بن اسد الدين شيركوه الذي كان صاحب
حمص وغيرهم فجاؤا الى دمشق فحاصروها وملكوها سريعا ونهبت دار ابن يغمور
وحبس بالقلعة وذلك ثمان ماضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر
المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الأمراء القيمرية
واحسن اليهم واعقل جماعة من الأمراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه
بملك وشيخ مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر
قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

مسير الملك الناصر يوسف صاحب حلب الى الديار

المصرية وكسرتة وعوده الى الشام

قال ابو الفداء ثم سار الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز بعساكره من دمشق
وصحبته من ملوك اهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن ايوب والأشرف موسى
صاحب حمص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرجة وتدمر والمعظم تورانشاه

ابن السلطان صلاح الدين واخو المعظم المذكور نصره الدين والأعبد حسن
والظاهر شاذي أبناء الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى وتقي الدين عباس بن
العادل ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمني واليه تدير المملكة فرحلوا من
دمشق منتصف رمضان ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى
الصالح وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرغ ايبك التركاني حيثنذ
عن ولدى الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك وكانا معتقلين
من حين استيلاء الملك الصالح ايوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف
صاحب دمشق من ابيهما الصالح اسماعيل والتقى العسكران المصري والحلي بالقرب
من العباسية عاشر ذي القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة اولاً على عسكر
مصر فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر وثبت المعز ايبك
التركاني في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك
الناصر الى ايبك التركاني ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العساكر الشامية ولم
يشكوا في النصر بقى الملك الناصر تحت السنساق السلطانية مع جماعة يسيرة من
المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركاني بمن معه عليه فولى الملك الناصر
منهزماً طالباً جهة الشام ثم حمل ايبك التركاني المذكور على طاب شمس الدين
لولو فهزموهم واخذ شمس الدين لولو اسيراً فضربت عنقه بين يديه وكذلك اسر
الأمير ضياء الدين القيصرى فضربت عنقه واسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل
والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن ايوب واخوه
نصرة الدين ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين الى العباسية وضربوا
بها دهليز الملك الناصر وهم لا يشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فامسا بلغهم
هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من اشار بالدخول الى القاهرة وتملكها

ولو فعلوه لما كان بقى مع ابيك التركمانى من يقاينهم به وكان هرب فأنا غالب
المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من اشار بالرجوع الى الشام وكان
معه تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح ووصل المنهزمون من المصريين الى
القاهرة فى غد الواقعة نهار الجمعة فلم يشك اهل مصر فى ملك الملك الناصر
ديار مصر وخطب له فى الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر واما القاهرة فلم يبق
فيها فى ذلك النهار خطبة لأحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل
ايك التركمانى والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة ومعه
الصالح اسماعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب
ذلك اخرج ايك التركمانى امين الدولة وزير الصالح واستاذ داره يعمور وكانا
معتقلين من حين استيلاء الصالح ايوب على بعلبك فشققهما على باب قلعة الجبل
رابع عشر ذى القعدة. وليلة السابع والعشرين منه هجم جماعة على الملك الصالح
عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل بن ايوب وهو يمص قصب السكر واخرجوه
الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من
خسين سنة اه

سنة ٦٥٣

ذكر الصلح بين المصريين والشاميين

قال ابو الفداء فى هذه السنة مشى نجم الدين الباذرى فى الصلح بين المصريين
والشاميين وانفق الحال ان يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون
الحد بئر القاضى وهو بين الواردة والعريش ويبد المعز ايك الديار المصرية
وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده اه

سنة ٦٥٤

توجه الكمال بن العديم رسولا من طرف الناصر الى الخليفة قال ابو الفداء في هذه السنة توجه كمال الدين المعروف بأبن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته مقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لخدمته ووصل من جهة المغراييك التركاني صاحب مصر شمس الدين سنقر الأفرع وهو من ممالك المظفر غازي صاحب ميافارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقي الخليفة متحيرا ثم انه احضر سكيئا من اليشم كبيرة وقال الخليفة لوزيره اعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى في ان له خلعة عندي في وقت آخر واما في هذا الوقت فلا يمكتى فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة اه

(سنة ٦٥٥)

﴿ ذكر قتل المعز ايبك التركمانى ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة قتل الملك المعز ايبك التركمانى وهو اول ملوك الاتراك في مصر قتلت امرأته شجر الدر واتفقت كلمة الأمراء على اقامة ولده نور الدين علي ولقبوه الملك المنصور وعمره خمس عشرة سنة ثم قتلت شجر الدر ودفنت في تربة كانت قد عملتها اه باختصار

ذكر وصول الخلعة من الخليفة الى الملك الناصر

وفي هذه السنة وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز

سنة ٦٥٦

ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية

قال ابو الفداء ما خلا صنفه في هذه السنة قصد هو لأكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم ودام القتل والنهب في بغداد نحو اربعين يوماً ثم نودي بالأمان

ويحمل بنا ان نذكر هنا اصل التتر ومشأهم والأسباب التي دعتهم الى الخروج من بلادهم وهي في أقصى الشرق الى واسطه ثم قصدهم بغداد ثم هذه الديار قال ابن الأثير في حوادث سنة سبع عشرة وستمائة في هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الإسلام وهم نوع من كثير من الترك ومسكنهم جبال طغفاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة اشهر وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ارض التتر بأطراف بلاد الصين وهم سكان برارى ومشهورون بالشر والغدر (اقول) بلادهم هي المشهورة الآن بكتب جغرافيا الجديدة ببلاد المغول قال في النخبة الأزهرية في تعداد ولايات المملكة الصينية ومن جملة ولاياتها بلاد المغول (وهي في الجهة الشمالية الصينية) ومن مدنها الشهيرة كاي وباركول في سفح جبال تيان شان ثم اورجا واهمية هذه المدن قليلة وهى في قتال مستمر مع سكان الصحراء حتى ان كثيرا من شبيهاتها من المدن انقرضت من جراء ذلك ولا تزال خرائبها قائمة الى اليوم ومن ضمنها مدينة كراكوروم التي كانت عاصمة الجنكيز خان ملك المغول . قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء وسبب ظهور التتر ان اقليم الصين متسع دوره ستة اشهر وهو ست ممالك ولهم ملك حاكم على الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكيز خان فحضر زائرا لعمته وقد مات

زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلو خان فاعلمتهما ان الملك لم يخلف ولداً
واشارت على ابن اخيهما ان يقوم مقامه فقام وانضم اليه خاق من المنول ثم سير
التقادم الى القان الاكبر فاستشيط غيظاً وامر بقطع اذنان الخيل التي اهديت
وطردها وقتل الرسول لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك انما هم بادية الصين
فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلو خان تحالفا على التعاضد واطهرا الخلاف للقان
واتهما امم كثيرة من التتار وعلم القان قوتهم وشرهم فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك
انه ينذرهم ويهددهم فلم يبن ذلك شيئاً ثم قصدهم وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة
فكسروا القان الأعظم وملكوا بلاده واستفحل شرهم واستمر الملك بين جنكزخان
وكشلو خان على المشاركة ثم سارا الى بلاد شافون من نواحي الصين فملكها فأت
كشلو خان فقام مقامه ولده فاستضمفه جنكزخان فوثب عليه وظفر به واستقل
جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له واعتقدوا فيه الألوهية وبالذوا في طاعته
ثم كان اول خروجهم في سنة ست وستمائة من بلادهم الى نواحي الترك وفرغانة
فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان فأمر اهل فرغانة والمشاش
وكاسان وتلك البلاد النزهة العاصرة بالجللاء والجفل الى سمرقند وغيرها ثم
خرها جميعا خوفاً من التتار ان يملكوها لعلمه انه لا طاقة له بهم ثم صارت التتار
يتخطفون ويتنقلون الى سنة خمس عشرة

قال ابن خلدون وفي هذه السنة اى سنة ٦١٥ لما استقر السلطان محمد بن تكش
الخوارزمي بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدين ونوافج المسك
وحجر اليشم والثياب الطائية التي تنسج من وبر الأبل البيض ويخبر انه ملك
الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل الموادعة والأذن للتجار من الجانيين
في التردد في متاجرهم وكان في خطابه اطراء السلطان بأنه مثل اعز اولاده

فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محموداً الخوارزمي من الرسل واصطنعه ليكون عيناً له على جنكزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من ملكه الصين واستيلائه على مدينة طمناج فصدق ذلك وانكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن مقدار العساكر ففشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من الموائد والأذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم الى انزار وبها ينال خان ابن خال السلطان في عشرين الفا من العساكر فشره الى اموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا بتجار فأمره بالأحتياط عليهم فقتلهم خفية واخذ اموالهم وفشى الخبر الى جنكزخان فبعث بالتكبير الى السلطان في نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتا فبعث اليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واعزم السلطان ان يحصن سمرقند بالأسوار فجني لذلك خراج ستين وجبي ثالثة استخدم بها الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسم وهو غائب عنها في غاربة كشلو خان فغنم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولجأ خوارزم شاه الى جيحون فاقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فاجفل وتركها وفرق عساكره في مدن ما وراء النهر انزار وبخارى وسمرقند وترمد وجند وانزل آبنايخ من كبراء امرائه وحجاب دولته في بخارى وجاء جنكزخان الى انزار فحاصرها وملكها غالباً واسر اميرها ينال خان الذي قتل التجار واذاب الفضة في اذنيه وعينه ثم حاصر بخارى وملكها على الأمان وقالوا معه القلعة حتى ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وسبعمائة ثم ذكر ابن خلدون وابن الأثير وغيره تقابهم في البلاد واكساحهم لها وتخريبها وقتلهم لأهلها واربكاهم لفظائع تنفطر

منها القلوب وتبكي منها العيون دماء
وفي هذه السنة كان وصولهم الى بغداد وهدموا منها اركان الخلافة العباسية
ونثروا عقدها وطمسوا محاسن بغداد ومدنيتها الزاهرة ومدارسها العامرة وقضوا
على حياة بني العباس وشتتوا شمل من بقى منهم وهو القليل ووصل منهم الى
مصر المستنصر بالله احمد ابو القاسم بن الظاهر بامر الله ابي نصر محمد كما سيأتي

﴿ سنة ٦٥٧ ﴾

رسالة هولاءكو ملك التتر الى الملك الناصر صاحب حلب

قال ابو الفرج الملقب في تاريخه مختصر الدول وفي سنة سبع وخمسين وستائة
ارسل هولاءكو ايلجية الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها
يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستائة وفتحناها بسيف
الله تعالى واحضرنا مالكمها وسألناه مسئلتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب
منا العذاب كما قال في قرآنكم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
وصان المال فال الدهر به الى ما آل واستبدل النفوس النفيسة بقشوش معدنية
خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى (وجدوا ما عملوا حاضرا) لأننا قد بلغنا
بقوة الله الأرادة ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة ولا شك اننا نحن جند الله
في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم فيما مضى معتبر وبما
ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لاتمنع والعساكر للقائنا لا تنصر
ولا نفع ودعاءكم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتهمظوا بغيركم وسلموا اليها
اموركم قبل ان ينكشف الفطام ويحل عليكم الخطا فنحن لارحم من شكيا ولا نرق
لمن بكاء قد اخربنا البلاد وافينا العباد وابتغنا الأولاد وتركنا في الأرض

الفساد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب فإلّا لكم من سيوفنا خلاص ولا من
سهامنا مناص . نحولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق . وعقولنا
كالجبال وعدونا كالرمال . فن طلب منا الأمان سلم . ومن طلب الحرب ندم
فإنّ انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وإنّ انتم
خالفتهم امرنا وفي غيكم تماديتم فلا تلومونا ولو موا انفسكم فالله عليكم يا ظالمين
فهيهؤا للبلايا جلبابا وللرزايا اترابا فقد اعذر من انذر وانصف من حذر لأنكم
اكلتم الحرام وختم الأيمان واظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالعبيان فابشروا
بالذل والهوان فالיום تمجدون ما كنتم تعملون (وسيعلم الذين ظلموا اي مقلب
يقلبون) فقد ثبت عندكم اننا كفرة وثبت عندنا انكم جفرة وسلطنا عليكم من
بيده الأمور مقدرة والأحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وغنيكم لدينا فقير
ونحن مالكون الأرض شرقا وغربا واصحاب الأموال نهبا وسلبا واخذنا كل
سفينة غصبا فبذروا بمقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الحرب نارها وترى
بشرارها فلا تبقي منكم باقية وتبقي الأرض منكم خالية فقد انصفناكم حين
راسلناكم واعذرناكم اذ انذرناكم فسارعوا الينا برد الجواب بته قبل ان يأتكم
العذاب بقتة وانتم تعلمون اه

فطلبه ليحضر عنده ولما شاور الأمراء لم يمكنوه من المشي الى هولاءكو وبقي
متحيرا خائفا مذعورا لم يدر ما يصنع غير انه استخار الله وسير ولده الملك العزيز
وصحبته الأموال الكثيرة والهدايا والتحف وبقي هناك من اوائل الشتاء الى
الربيع ثم عاد الى ابيه قائلا . قد قال ملك الأرض نحن للملك الناصر طلبنا
لا لولده فالآن ان كان قلبه صحيحا معنا يجيئ الينا والا فنحن نمشي اليه .
فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي مترددا في رأيه لأن الأمراء لم يمكنوه من

المشي اليه وهو فقد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود اه
 -﴿ صورۃ الجواب من الملك الناصر صاحب حلب الى هولاء كو ﴾-
 بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قل اللهم مالك الملك الخ الآية وقفنا والحمد
 لله والصلوة على رسول الله محمد وآله وسلم على كتاب من الحضرة الأيلخانية
 والسدة السلطانية بصرها الله رشداه وصير الحق والصواب مقبولا عندها
 فعرفنا من تفصيله وجملة ما ابان انكم مخلوقون من سخط الله ونقمته وانكم
 مسطون على من حل عليه غضبه في محنته لا ترقون لشاك ولا ترحون عبرة باك
 قد نزع الله الرحمة من قلوبكم وذلك كله من جملة عيوبكم ولقد كشفتم عن الامر
 الخفي لأنه لا ينزع الرحمة الا من قلب شقي وهذه صفات الشياطين لاصفات
 السلاطين وكفى بهذا لكم واعظا شافيا وبما وصفتم به انفسكم رادعا كافيا
 (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) في كل كتاب لعنتم وعلى لسان
 كل نبي اهتتم وبكل بيان بالقبيح عرفتم ووصفتم وعندنا خبركم من حيث
 خلقتم وانتم الكفرة الظلمة كما زعمتم (الا لعنة الله على الظالمين) وقام عنا اننا
 اظهرنا البدع في الأيمان واستحلينا الفسوق والعصيان لا غرو ان كان فرعون
 مذكرا والظالم ناهيا منكرا وكل من تمسك بالأصول لا يبالي بالفروع بالأيمان
 ندرا فعل العصيان ونحن المؤمنون حقا لا يداخلنا عيب ولا يخامرنا ذم ولا
 ريب والقرآن علينا نزل وربنا رحيم بنا لم يزل قد تحققنا تنزيهه وعرفنا اسرارہ
 وتأويله والجنة لنا زخرت والجحيم لكم خلقت ولخلودكم فيها سمرت اذا
 السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت ومن اعجب العجب تهديد الرتوت
 باللتوت والسباع بالضباع خيولنا عربية وسهامنا يمنية ولتوتنا صعيدية وسيوفنا
 مصرية وهي شديدة المضارب موصوفة في المشارق والمغرب واننا لا يصدع

قلوبنا الشهيد وجمعنا لا يخاف التفرقة والتبديد ولو انا نستف الصعيد فانا لا
نميل ولا نبید وذلك بتأييد العزيز الحمید ان عصيناكم قتلک الطاعة وان
قاتلناكم فنعلم البضاعة وان قتلنا او قتلنا فيبيننا وبين الجنة ساعة واما قولكم قلوبنا
كالجبال وعديدا كالرمال فان القصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير من الحطب
يحرقه قليل من الفرم والفرار من الدنيا لا من المنايا وهجوم المنية هي عندنا
غاية الأمنية وانا ان عشنا عشنا سعداء وان متنا متنا شهداء ابعده امير المؤمنين
وخليفة رب العالمين تطلبون منا الطاعة لاسمع لكم ولا طاعة لانعطي الذلة وبأيدينا
سيوف حداد وبن ايدينا رجال شداد وزعم ان نلقي اليكم امرنا قبل ان ينكشف النطا
ويزل علينا منكم الخطا هذا كلام فيه لحن وتمكيك وفي نظمه تبديل وتركيب فسوف
ينكسر منكم المطا وتقص منكم الخطا كفر بعد ايمان ام تكذيب بعد تبيان ام طاعة صلب
واوثان ام تدعون مع الله الها ثان لقد جئتم شيئا اذّا (تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً فقولوا لكانبكم الذي رصف رسالته وصفه
مقالته ما قصرت اوجزت وابلغت واختصرت ووصل اليها كتابك وفهمنا ما
ما تضمنه خطابك فكان عندنا كهرير الباب او كطين الذباب ما كان الغرض
الا اعلان فصاحتك واظهار غض نصيحتك وقد يستفيد الظنة المتنصح . الآن
قد استوجبت النقم كما استخففت بالزعم وسوف تقع في الندم وتزل بك القدم
والسلام على من اتبع الهدى انه قد اوحى اليها ان العذاب على من كذب وتولى والحمد
لله وحده والصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم (١)

(١) اقول ظفرت بهذا الجواب في كراسة خطية قديمة عند السيد اسعد العيني تاني مدير
دائرة تسجيل الاملاك الآن وقد كتب معها الكتاب الذي ارسله هولاكو الى الملك الناصر
صاحب حلب غير انه يختلف عما نقلناه عن مختصر الدول في بعض الالفاظ والمآل واحد
وهذا الجواب بادر الوجود ولعلك لا تجده في غير هذا الكتاب

سنة ٦٥٧

ذكر سلطنة قطز وتوجه الكمال ابن العديم الى مصر

رسولا من طرف الملك الناصر يوسف يستنجده على التتر

قال ابو الفداء في اواخر هذه السنة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المغزية غائبين في رعى البندق فانتهر قطز الفرصة في غيبتها وفعل ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطز ايضا واستقر قطز في ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بأبن العديم قد قدم الى مصر في ايام الملك المنصور علي ابن ايبك مستنجدا على التتر وانفق خلع المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين بن العديم ولما استقر قطز في السلطنة اعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك اه

وقال ابن كثير في حوادث هذه السنة فيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم الى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها في هذه السنة وقد جاز اشموط بن هولاء كوفرات واقترب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بالديار المصرية بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضي الديار المصرية بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام وافاضوا في الكلام فيما

يتعلق بأخذ شيء من اموال العامة لمساعدة الجند وكان العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام فكان حاصله اذا لم يبق في بيت المال شيء وانفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة وتساوitem اتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب ولم يبق للجندى سوى فرسه التي يركبها ساغ اخذ شيء من اموال الناس في دفع الأعداء لأنه اذا دهم العدو وجب على الناس كافة ان يدفعوهم باموالهم وانفسهم اه

ذكر ما كان من الملك الناصر يوسف صاحب دمشق

وحلب عند قصد التتر حلب

قال ابو الفداء لما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزة في اواخر هذه السنة وجفل الناس من بين يدي التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزة وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقداري من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزة امم عظيمة من العساكر والجفال ثم دخلت سنة ٦٥٨ والملك الناصر ببرزة فبلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهايز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقداري الى جهة غزة واشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم ان يقبضوا عليه ويسلطوا اخاه الملك الظاهر غازي ابن الملك العزيز محمد لشهامته ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من اخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر امها ام ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازي الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكرواقاموه

سلطانا ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقداري الشاميين وسار الى مصر في جماعة من اصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وانزله في دار الوزارة واقطعه قلوب واعمالها اه

استيلاء التتر على البلاد الجزرية ونزولهم الى ظاهر حلب قال ابو الفداء وفي هذه السنة قدم هولاءكو الى البلاد شرق الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وارسل ولده اشموط بن هولاءكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشرين الأخير من ذي الحجة من هذه السنة اعنى سنة سبع وخمسين وستائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه قتالهم وأمكن لهم التتر في (بابل) وقاتلوا عند باقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالبيين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختلق في ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتساموها بالأمان ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستائة اه

سنة ٦٥٨

﴿ ذكر مسير هولاءكو بجيوشه الى الديار الحلبية ﴾

قال ابو الفرج الملقب وفي سنة ثمان وخمسين وستائة دخل هولاءكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالأمان وكذلك الرها ولم يذن لأحد فيها سوء، واما اهل سروج فأنهم اهملوا امر المغول فقتلوا عن اقصاهم وتقدم هولاءكو فنصب جسراً على الفرات قريبا من مدينة ملطية

وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة ثم تفرقت العساكر على القلاع والمدن ونفر قليل من العسكر طلب حلب فخرج اليهم الملك المعظم بن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدام المغول ودخل المدينة منهزما وطرف منهم وصل المعرة وخربوها وتساموا حماة بالأمان وحصن ايضا فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونسائه وجميع ما يعز عليه وتوجه منهزما الى بركة الكرك والشوبك وعند ما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالأمان ولم يلحق باحد منهم اذى واما هولاء فكانوا بنفسيهم نزل على حلب وبني عليها سببا ونصب المنجنقات واستضعف في سورها . موضعا عند باب العراق واكثر القتال والزحف عليه وفي ايام فلال ملكوها ودخلوها يوم الأحد الثالث والعشرين من كانون الثاني من هذه السنة وقتل فيها اكثر من الذي قتل ببغداد وبعد ذلك اخذوا القلعة في اسرع ما يكون وقتلوا

﴿ استيلاء التتر على حلب ثم على قلعتها ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة يوم الأحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاء عبر الفرات بمجموعه ونازل حلب وارسل هولاء الى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المنل ونحن قصدنا الملك الناصر فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة وتوجه نحن الى العسكر فان كانت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا ويكونون قد حققتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم خيبرين في الشحنتين ان شئتم طردتموها وان شئتم قتلتموها فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس

لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاءكو اليهم في ذلك صاحب اردن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألّم لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك واحاط التتر بحلب ثاني صفر وهجموا النواثر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين جماعة كثيرة ومن قتل اسد الدين ابن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان (حمام بزي) في ذيل قلعة الشريف في يوم الأحد تساع صفر وبذلوا السيف في المسلمين وصعد الى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من يوم الأحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاءكو برفع السيف ونودي بالأمان ولم يسلم من اهل حلب الا من التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين اخى مردكين ودار البازيسار ودار علم الدين قيصر الموصل والخاصاها التي فيها زين الدين الصوفي وكيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت في ايديهم وقيل انه سلم بهذه الأماكن ما يزيد على خمسين الف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها :

اما قلعة حلب فوثب جماعة من اهلها في مدة الحصار على صفي الدين بن طرزة رئيس حلب وعلى نجم الدين احمد بن عبد العزيز بن احمد بن القاضي نجم الدين بن ابي عصرون فقتلوهما لأنهم اتهموهما بمواطاة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالأمان في يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول ولما نزل اهلها بالأمان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الداصر فنهزم سكر وبرامق وسنقر الأشقر فسلمهم هولاءكو وباقي الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان حق وهو رجل من اكابر القبجاق هرب من التتر لما غلبت على القبجاق وقدم الى حلب فأحسن اليه الملك الناصر

فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى النتر
واما العوام والغرباء فزلوا الى اماكن الحمى التي قدمنا ذكرها وامر هولاء ان
يمضى كل من سلم الى داره وملكه وان لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد
الدين القزويني وامر هولاء ان يجرب اسوار قلعة حلب واسوار المدينة فخرت
عن آخرها . ثم رحل هولاء الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا ان يسلموها
لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاء وسلموها اليه فغضب هولاء
من ذلك وامر بهم فقتل اهل حارم عن آخرهم وسبى النساء
قال ابو الفرج اللطفي في تاريخه مختصر الدول ان هولاء رحلوا عن حلب واحاط
بقلعة حارم واختار ان يسلموها اليه ويؤمنهم على انفسهم فلم يطمئنا الى قوله
واما طلبوا منه رجلاً مسلماً يحلف لهم ويكون صاحب شريعة يطمان اليه حيث
يحلف لهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنو لأحد منهم سوء ويزادوا ويسلموا اليه
القلعة فسألهم هولاء من تريدون يحلف لكم قالوا فخر الدين الوالي بقلعة حلب
فأنه رجل صادق مؤمن خير فقدم هولاء اليه فدخل اليهم وحلف لهم على
جميع ما يريدون فحشد فتحوا الأبواب ونزل الناس خلائق كثيرة وتسلم المفول
القلعة ثم ان هولاء تقدم بقتل فخر الدين الوالي أولاً ثم بقتل جميع من كان في
القلعة من الصغار والكبار الرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد اه
ثم ملك هولاء بلاد الشام واحدة واحدة وهدم اسوارها وولي عليها ووصل
الى هولاء على حلب الملك الأشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم بن
شيركوه وكان قد انفراد الأشرف المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى
جهة مصر ووصل الى هولاء بحلب فآكرمه واعاد عليه حمص وكان قد اخذها منه
الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست واربعمائة وعوضه عنها تل باشر فعادت

اليه في هذه السنة واستقر ملكه بها وقدم ايضا هولاءكو وهو نازل على حلب
محي الدين بن الزكي من دمشق فاقبل عليه هولاءكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام
ولما عاد ابن الزكي المذكور الى دمشق لبس خلة هولاءكو وكانت مذهبة وجمع
الفقهاء وغيرهم من اكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاءكو واستقر في القضاء

﴿ ذكر ما كان من امر الملك الناصر بعد اخذ حلب ﴾

قال ابو الفداء ولما بلغ الملك الناصر بدمشق اخذ حلب رحل من دمشق بمن
بقي معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب
حماة واقام بنابلس اياماً ورحل عنها وترك فيها الأمير مجير الدين بن ابي زكريا
والامير علي بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الى غزة فانضم اليه
مماليكه الذين كانوا ارادوا قتله وكذلك اصطلاح معه اخوه الملك الظاهر غازي
وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر
الذين بها وقتلوا مجير الدين والأمير علي بن شجاع ولما بلغ الناصر ذلك رحل
من غزة الى العريش وسير القاضي برهان الدين ابن الحضر رسولا الى الملك المظفر
قطز صاحب مصر يطلب منه المعاونة ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب
حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركان والأكراد الشهرزورية
ووقع نهب في الجفال وخاف الملك الناصر ان يدخل مصر فيقبض عليه فتأخر
في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك
الناصر جماعة يسيرة منهم اخوه الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركوه صاحب
حمص وشهاب الدين القيمري ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى
جهة تيه بنى اسرائيل ولما وصل الى التيه تحير الى اين يتوجه وعزم على التوجه

الى الجباز وكان له طبردار اسمه حسين لحسن له المضي الى التتر وقصد هولاء كو فانخر بقوله ونزل ببركة زيرا وسار حسين الكردي الى كتبغا نائب هولاء كو وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا اليه وقبض عليه واحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فامرهم الملك الناصر بتسليمها فسامت اليهم فهدموها وارسل كتبغا الملك الناصر الى هولاء كو فوصل الى دمشق ثم الى حماة ثم سار الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما قد حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وانشد يعز علينا ان نرى ربكم يبلى * وكانت به آيات حسنكم تتلى ثم سار الى الاردن فاقبل عليه هولاء كو ووعدوه برده الى مملكته .

قال ابو الفداء وابن خلدون ثم ان هولاء كو امر عماد الدين الترويني (الذي ولاء على حلب) بالرحيل الى بغداد وجعل مكانه مجلب رجلاً عجمياً ثم قفل هولاء كو الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشام كتبغا من اكبر امرائه في اثني عشر الفا من العساكر وتقدم اليه بمطالعة الأشرف موسى ابن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد ان ولاء على مدينة دمشق وسائر مدن الشام واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره في تجهيز العساكر بالشام لمداومة اهل مصر عنها فهون عليه الأمر وقللهم في عينه لجهاز كتبغا ومن معه استيلاء كتبغا نائب هولاء كو على قلعة دمشق

قال ابن خلدون ثم سار كتبغا الى قلعة دمشق وهي مشبعة بعد فحاصرها واقتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بربدك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الأفرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر اخو الناصر صاحب صرخد فردد الى عمله واوفد عليه المغنيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله وردده الى

ابيه وبعث كتبها الى المظفر قطز صاحب مصر بأن يقيم طاعة هولاء فحضر
اعناق الرسل ونهض الى الشام

﴿ ذكر هزيمة التتر وقتل كتبها ﴾

قال ابن اياس في تاريخه لمصر المسمى (ببدائع الزهور) لما وصلت الأخبار الى
الديار المصرية بما فعله هولاء في بغداد وحلب وباقي البلاد من القتل والنهب
والتهريب اضطربت مصر وماجت بأهلها ثم ان اميرا من امراء هولاء يقال
له كتبها بعد ان استولى على دمشق حضر (١) الى الملك قطز (صاحب مصر) وصحبته
اربعة من التتر ومعهم كتاب من عند هولاء وكان مضمونه من ملك الملوك
شرقا وغربا القان الأعظم ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة وذكر في الكتاب
شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على البلاد منه ولا سيما ما فعله في بغداد
وما جرى على أهلها منه وارسل يقول يا اهل مصر انتم قوم ضعاف فصوصوا
دماءكم مني ولا تقاتلوني ابداً فتندموا وشرع يذكر في كتابه اشياء كثيرة من هذه
الألفاظ الفاحشة فلما ان سمع الملك المظفر قطز مضمون ما في كتاب هولاء
احضر الأمراء واستشارهم فيما يكون من امر هولاء فقال الأمراء تجمع العساكر
من سائر البلاد ونخرج اليه ونقاتله اشد ما يكون من القتال ثم ان الملك المظفر
نادى في القاهرة النفير العام الى الترو في سبيل الله ثم انه عرض العساكر
وارسل خلف عربان الشرقية والغربية فاجتمع من العساكر ما لا يحصى ثم انه
اخذ في اسباب جمع الأموال فأخذ من اهل مصر والقاهرة على كل رأس من
الناس من ذكر وانثى ديناراً واحداً واخذ من اجرة الأملاك والأوقاف شهراً
واحداً واخذ من اغنياء الناس والتجار زكاة اموالهم مجعلاً واخذ من التركات

(١) الصواب ان كتبها لم يتوجه بنفسه ولعل الرسول اسمه كتبها ايضاً

الأهلية الثلث من المال واخذ على الفيضان والسواقي اجرة شهر واحد من ابواب هذه المظالم اشياء كثيرة فبلغ جملة ما جمعه من المال في هذه الحركة ستمائة الف دينار فانفق على العسكر والعربان وبرز خيامه الى الريدانية فلما كان اواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل في موكب عظيم فلما نزل بالريدانية امر بتوسيط كتبغا فوز بك امير هولاءكو ومن كان معه من التار ثم رحل من الريدانية ونزل بمنزلة الصالحية واقام بها الى ان تكامل العسكر ثم رحل من الصالحية وجد في السير الى ان وصل الى عين جالوت من ارض كنعان فتلاق هناك عسكر هولاءكو وعسكر السلطان قطز فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصي وقتل من الفريقين ما لا يحصى عدده فكانت الكسرة على التار فكسروهم وشتموهم الى بيسان وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان اعظم من الأولى فقتل من التار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك .

وقال ابوا الفداء في سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التار في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك الممزر ايبك على الخروج الى الشام لقتال التار وسار من مصر بالعساكر الإسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة واخوه الملك الأفضل على وكان مسيره من الديار المصرية في اوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاءكو على الشام ومقدم التار مسير العساكر الإسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التار وسار الى لقاء المسامين وكان الملك السعد صاحب الصببية

ابن الملك العزيز ابن الملك العادل ابن ايوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واسنؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فأفنؤهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعتهم المسلمون الى اطراف البلاد الشرقية وكان ايضا في صحبة التتر الملك الأشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فاكرمه واقره على ما بيده وهو حمص ومضافاتها واما الملك السعيد صاحب الصببية فانه امسك اسيرا واحضر بين يدي الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق

ترجمة قائد التتار كتبغا وتفصيل قتله وزيادة بيان

في الواقعة المقدمة

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب كتبغا نوبن مقدم عساكر التتار يوم عين جالوت كان عظيماً عندهم يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره وكان بطلاً شجاعاً مقداماً خيراً بالحروب والحصارات وافتتاح الحصون والمعازل وكان هولاء كوكب عظيم التتار يثقون به ولا يخالفونه فيما يشيرون به ويحكى عنه العجايب في حروبه وحصاراته فمنها انه كان اذا فتح حصناً ساق اهله الى الحصن الذي يليه فان مكنتهم من الدخول اليه ضيقوا عليهم في المأكول والمشروب وان منعوا من الدخول لم يضرعوا اليه فيمكنونهم وان اصرروا على المنع ضرب اعناقهم فأذا فتح الحصن الآخر فعل به كذلك الى ان استكمل الحصون وكان شيخاً مسناً ادرك

جنكزخان جد هولاکو وكان عنده ميل الى دين النصرانية لكنه لا يظهر الميل اليهم لتمسكه بما سنه جنكزخان لأن من احكامها ان سائر الأديان عنده سواء وهو الذى حصل المصاف بينه وبين السلطان الملك المظفر قطز بعين جالوت وذلك ان هولاکو لما اخذ حلب قدم كتبها على جيش كبير من التتار وجهزه الى جهة دمشق فجاء الى دمشق واخذها وعاث التتار في بلاد حوران ونابلس وغزة بالأفساد ثم توجه كتبها بعساكره الى بعلبك وحاصر القلعة ونصب عليها عدة مجانيق في يوم واحد وجميعها تفرب في برج واحد ففتحت المجانيق فيه طاقة كبيرة كالاباب فأذعن اهل القلعة بتسليمها فطلبوا الامان فأمنهم كتبها على انفسهم وان يخرج كل انسان بما يستطيع ان يحمله من ماله فخرجوا على هذه الصفة ووفى لهم ولم يرق لاحد محجمة دم ثم بعد خروج الناس من القلعة دخلها كتبها فرآها وصعد قلعتها ونهبها التتار ورحلوا ثم ان كتبها نزل مرج برغوث ثم نزل البقاع فلما كان بالبقاع بلغه ان السلطان الملك المظفر قطز خرج بعساكر الديار المصرية ومن انضوى اليه من عساكر الشام لقتال التتار ودفعهم عن البلاد الاسلامية فاستدعى كتبها الملك الاشرف موسى صاحب حمص وكان قد ولاء هولاکو الشام بأسره والبسه خلعة بذلك وقاضى القضاة محي الدين ابن الزكي وكان هولاکو قد ولاء قضاء قضاء الشام من العريش الى قنسرين وعظمه والبسه الخلعة بذلك فاستدعاهما كتبها من الشام الى البقاع واستشارهما في ذلك فمنهم من اشار بعدم الملتقى والاندفاع بين يدي الملك المظفر الى ان يجيئه مدد من هولاکو ومنهم من اشار بنير ذلك فاقنضى رأي كتبها الملتقى وتوجه على فوره على كرهه من اشار بالاندفاع لما اراد الله من اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه فحصل التقاء العساكر على عين جالوت في يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الثاني

سنة ثمان وخمسين وستمائة فأنكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة فحمل الملك المظفر رحمه الله في طائفة عظيمة من اول البصائر (هكذا) فكسروهم كسرة شنيعة انت على أكثر اعيانهم واصيب كتبغا نوين وقتل قتله الامير جمال الدين آقوش الشمسى على ما قيل ولم يعرفه فولوا الادبار ولا يلوون على شيء واعتصم طائفة منهم بالجبل المجاور لمكان الوقعة فأحدث بهم العساكر وصابروهم حتى افنؤهم قتلا ونجامن نجا بمحاشته واهل البلاد يتخطفونهم ولما تمت الكسرة قيل للملك المظفر ان كتبغا قد هرب وكان قد احضر ولده اسيرا فقال قطز ابوك هرب فقال لا ابي ما يهرب ابصروه في القتلى فأحضرت عدة رؤس وعرضوها على ولده وهو يقول ما هو هذا الى ان احضروا رأسه فقال هذا هو وبكى ثم قال للملك المظفر وهو بين يديه ما معناه ثم طيبا ما بقى لك عدو تخاف منه هذا هو كان سعادة التتار به يهزمون الجيوش وبه يفتحون الحصون وكذا كان لم يفلحوا بعده والله الحمد والمئة وكان مقتل كتبغا يوم المصاف الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة اهـ

﴿ ذكر ما كان بعد انتهاء هذه الوقعة ﴾

قال ابو الفداء ولما انقضى امر المصاف احسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة واقره على حماة وبارين واعاد اليه المعرة وكانت في ايدي الحلبين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة واخذ سامية منه واعطاها امير العرب واتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يشست من الصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد

الاسلام ولأنهم ما قصدوا اقليمها الا فتعوه ولا عسكرا الا هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم ويقدم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق امر بشق جماعة من المتسبين الى التتر وكان من حملتهم حسين الكردي طبردار الملك الناصر يوسف وهو الذي اوقع الملك الناصر في ايدي التتر (الى ان قال) ثم جهز الملك المظفر قطز عسكراً الى حلب لحفظها ثم فوض نيابة السلطنة به دمشق الى علم الدين سنجر الحلبي وبجلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان اخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد ابيه فولاه حلب ليكاتبه اخوه بأخبار التتر . ولما استقر السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على اخذ مال الرعية اه

ذكر القبض على الملك السعيد على بن بدر الدين

لؤلؤ صاحب حلب وعود التتر اليها

قال القطب اليوناني في تاريخه ذيل مرآة الزمان قد اشرنا الى سوء سيرة الملك السعيد مع الجند والرعية فاجمع رأي الأمراء بحلب على قبضه واخراجه من حلب وتحالفوا على ذلك وعينوا القيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي فبينما هم على ذلك وردت عليهم بطاقة والى البيرة يخبر ان التتر قد قاربوا البيرة لمحاصرتها واستصرخ بهم لينجدوه بعسكر وكان التتر قد هدموا ابراج البيرة واسوارها وهي مكشوفة من جميع جهاتها فجرد الملك السعيد عسكرا اليها وقدم عليهم الأمير سابق الدين امير نبلس الناصري فخصر الأمراء عنده وقالوا له

هذا العساكر الذي جردته لا يمكنه رد العدو ونحاف ان يحصل القتال بيننا وبين العدو وعسكرنا قليل فيصل العدو الى حلب ويكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل فخرجوا من عنده وهم مستائون وسار العسكر المسير الى البيرة من حلب فلما وصلوا الى عمق البيرة صادفوا التتر بمجموعهم فوقع القتال بينهم فلم يمكن سابق الدين لقاهم فقصص البيرة واتبعه التتر وقتلوا من اصحابه جماعة كثيرة وما سام منهم الا القليل وورد الخبر الى حلب فحفل اهل حلب الى جهة القبة ولم يبق بها الا القليل من الناس وندم الملك السعيد على مخالفتة الأمراء فيما اشاروا به عليه وقوى بذلك غضبهم عليه وقاطعوه وباينوه ووقعت بطانة من البيرة فيها ان طائفة من التتر توجهوا الى جهة منبج وهم على عزم كبس العسكر بحلب فانثنى عزم الأمراء عن القبض عليه لئلا يطمع العدو فيهم واخذ يتذلل للأمراء ويعتذر اليهم من مخالفتهم وطلب ان يشيروا عليه بما يعتمدون فاشاروا عليه بالخروج الى جهة التتر وان يضرب دهايزه ببابلا وهي شرقي حلب وان يكون العسكر حوله وان يجمع اليه العرب والتركان ويكون على اهبة لقائهم فأجابهم الى ذلك وضرب دهايزه ببابلا ونزل العسكر حوله واخذ في تجهيز عصيه وهو احد الأمراء مجلب الى منبج للكشف واستطلاع اخبار العدو فوقع التتر عليه وقتلوه فقتلوه وورد الخبر بذلك الى حلب فاشتد خوف الملك السعيد من غائلة هذا الأمر وبعد يومين وصل الأمير بدر الدين ازدمر الدوادار الغريزي وكان قنطر رحمه الله (١) قدرته نائباً باللاذقية وجبله فقصص خوسد اشيتة مجلب فلما قرب منها ركبت الغريزية والناصرية فالتقوه فأخبرهم بأن الملك المظفر قتل وان ركن

(١) قنطر قتل قبل هذه المدة بقليل قتله الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وتسلطن مكانه

الدين البندقدارى ملك الديار المصرية وتلقب بالملك الظاهر وان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد خطب له بالسلطنة في دمشق وصار مالكا لها وبلادها قال ونحن نعمل ايضا مثل عمل اولئك وتقيم واحدا من الجماعة مقدما وتقبض على هذا المدبر يعنى ابن صاحب الموصل وتقتصر على حلب وبلادها مملكة استاذنا فاجابوه الى ذلك وتقرر بينهم ان حال وصولهم الى الخيم يمضي اليه الامراء حسام الدين الجوكندار وسيف الدين بكتمر وبدر الدين ازدمردوادار وكان الملك السعيد نازلا ببابلا في دار القاضي بهاء الدين ابن الأستاذ قاضى حلب وهو فوق سطحها والعساكر حوله وكانت الإشارة بين هؤلاء الأمراء وبين بقية الأمراء انهم متى شاهدوا هؤلاء المذكورين معه على السطح يشرعون في نهب وطافه والذين عنده يقبضون عليه فلما حضر المذكورون بسابه وطلبوا الاذن للدخول عليه اذن لهم فلما حضروا عنده على السطح واعين الباقيين من الخو شداشية ممتدة اليهم شرعوا في نهب وطافه وخيله واصحابه فسمع الضجة فاعتقد ان التتر قد كبست العسكر ثم شاهد نهب العزيزية والناصرية لوطافه ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه وشرطوا عليه ان يسلم اليهم جميع ما حصله من الأموال ثم زلوا به الى الدار وقصدوا الخزانة فاجدوا فيها طائلا فتهددوه وقالوا اين الأموال التي حصلتها وطلبوا قتله والمال فقام الى ساحة باب الدار المذكورة وحضر تحت اشجار نارنج هناك واخرج اموالا كثيرة ذكر انها كانت تزيد على اربعين الف دينار ففرقت على الامراء على قدر منازلهم ورسوموا عليه جماعة من الجند وسيروه الى شفر وبكاس معتقلا وبقي في الاعتقال اياما ثم اخرجه بعد ان اندفعوا بين يدي التتر كما سنذكره ان شاء الله تعالى . قال القطب اليونيني وابو الفداء وبعد ايام قلائل

دم التتر حلب في اواخر هذه السنة اعنى سنة ثمان وخسين وستائة وملكوها واخرجوا اهلها بعائلاتهم واولادهم الى قرينيا واسمها مقر الانبياء فسموها العامة قرينيا ولما اجتمع المسلمون بقرينيا احاط بهم التتر في ذلك المكان ووضعوا فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم فدخلوا الى حلب في اسوء حال ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته اخوه الملك الأفضل على والامير ميسارز الدين وباقي السكرك واجتمعوا بمحمص مع باقى المساكر الى ان خرجت هذه السنة .

قال ابن خطيب الناصرية فى الدر المنتخب فى ترجمة الملك السعيد علي بن بدر الدين لؤلؤ لما تقدم التتار الى جهة حماة وفربوا منهارحل الملك المنصور والجوكندار بمسكركهما الى حمص ووصلت التتار الى حماة ونازلوها فأغلقت ابوابها فطلبوا منهم فتح الأبواب وانهم يؤمنونهم كالمرّة الاولى فلم يجيبوهم ولم يكن مع التتار خسرو شاه ولم يكن يشقون الا اليه (١) واندفعوا عن حماة طالبين لقاء السكرك واجفل الناس بين ايديهم وخاف اهل دمشق خوفاً شديداً ثم وصل التتار الى حمص وبها الأمير حسام الدين الجوكندار وصاحب حماة فافتتلوا فانكسر التتار كسرة شديدة وكان مقدمهم بيدرا وذلك فى اوائل المحرم سنة تسع وخسين وستائة اهـ

﴿ سنة ٦٥٩ ﴾

قال القطب اليونينى دخلت السنة التاسعة والخمسون وستائة والمستولي على حلب واعمالها الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى وهو فى طاعة الملك الظاهر

(١) اطر سبب تقتهم به فى ابى المدا فى حوادث سنة ٦٥٨

ذكر كسرة التتر على حمص والغلاء في حلب

قال ابو الفداء في يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين ايديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الأشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقى التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكورة وكان التتر اكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤوا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقي جماعتهم وكانوا نازلين قرب سامية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور واخوه الملك الأفضل والعسكر واقام التتر على حماة يوماً واحداً ثم رحلوا عن حماة واراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فمنعه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو واخوه الملك الأفضل في جماعة قليلة وبقي الطواشي مرشد في باقي العسكر بمحكمة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الأشرف صاحب حمص الى دمشق .

واما حسام الدين الجوكندار العزيزي فتوجه ايضا بمن في صحبته ولم يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر واقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب امره ولذلك اقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلوا في طاعته لضعفه وتلاشى امره . واما التتر فساروا عن حماة الى افامية وكان قد وصل الى افامية

سيف الدين الدنبلي الأشرفي ومعه جماعة فاقام بقلعة افامية وبقي يغير على التتر فرحلوا عن افامية وتوجهوا الى الشرق اه

وقال القطب اليونيني في حوادث هذه السنة وفيها في اوائل المحرم كانت كسرة التتار على حمص وكانوا في ستة آلاف فارس فلما وصلوا حمص وجدوا عليها الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي ومن معه والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حمص في الف واربعماية فارس فجعلوا على التتار حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتى القتل على معظمهم وكانت الواقعة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما عاد فلّ التتار الى حلب اخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق الا من اختفى خوفاً على نفسه ثم نادوا من كان من اهل حلب فليعتزل فاختلف على الناس امرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغرباء مع اهل حلب وبعض اهل حلب مع الغرباء فلما عين الفريقان اخذوا الغرباء وساروا بهم الى ناحية بابلا فصرخوا رفاقهم وكان فيهم من اهل حلب جماعة من اقارب الملك الناصر رحمه الله ثم عدوا من بقي من اهل حلب وسلموا كل طائفة منهم الى رجل من الاكابر ضمنوهم له ثم اذنوا لهم في العود الى البلد واحاطوا بها ولم يتمكنوا احداً من الخروج منها ولا من الدخول اليها اربعة اشهر فقلت الاسعار وبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلثين درهما ورطل اللبن خمسة عشر درهما ورطل السيرج سبعين درهما ورطل الارز عشرين درهما ورطل حب الرمان ثلثين درهما ورطل السكر خمسين درهما والحاوي كذلك ورطل العسل ثلثين درهما ورطل الشراب ستين درهما والجدي الرضيع اربعين درهما والدجاجة خمسة دراهم والبيضة درهما ونصفاً والبصلة نصف درهم والخسة نصف درهم وبافة البصل درهماً والبطيخة اربعين درهماً والنفاحة خمسة دراهم حتى اكلت الميتة من شدة الغلاء اه

ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد قال ابو الفداء وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكرياً مع علاء الدين ايدكين البندقداري لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر واستولى عليها وقبضوا على سنجر الحلبي وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس واقامت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالح في دمشق لتدبير امورها باختصار

نقل رأس يحيى عليه السلام من القلعة الى الجامع الاعظم

قدمنا في حوادث سنة ٤٣٥ خبر نقل رأس يحيى عليه السلام من بعلبك الى حلب وانه دفن في مقام ابراهيم عليه السلام الذي في القلعة في جرن من الرخام الأبيض قال في الدر المنتخب ذكر الكمال بن المديني في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارة المقام وفي سنة تسع وستائة في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه كان به من الخيم والسلاح وآلات الحرب شي كثير فاحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله سبحانه عنه النار. وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لان النار لم تصل اليه وحمي منها (ثم قال) ولما تسلم النتر قلعة حلب صلحاً سنة ثمان وخمسين وستائة في تاسع ربيع الأول اخربوها واخربوا الجامع المذكور مع اما كن اخر ثم لما عادوا ثانياً وجدوا اهل حلب قد بنوا بالقلعة برجاً للحمام فأناكروا عليهم بناءه وكمكوا هدم القلعة حتى لم يبق لها اثرٌ ولما اشتملت عليه من اثر واحرقوا المقامين (الفوقاني والتحتاني) حريقاً لا يمكن جبره وذلك

في احد الربيعين من سنة تسع وخسين وستائة ولما احرق المقام الذي هو الجامع
عمد سيف الدولة ابو بكر بن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر
وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الاصل الحلبي المولد الى رأس
يحيى بن زكريا عليهما السلام فقللاه من القلعة الى المسجد بحلب ودفناه غربي المنبر
وقيل شرقيه (الصحيح الاول) وعمل له مقصورة وهو يزار اهـ

﴿ ذكر نزوح التتر عن حلب ونيابة فخر الدين بها ﴾

٥٠- ﴿ ثم تغلب آقوش البرلى عليها ﴾ -

قال القطب اليوناني كان الملك الظاهر جهز الامير فخر الدين العنابلي الحمصي والامير
حسام الدين لاجين الميتماني في عسكر لترحيل التتار عن حلب فلما وصلوا غزوة
كتب الفرنج من عكا الى التتار يخبرونهم فرحلوا عنها في اوائل جمادى الاولى
فتغلب عليها جماعة من احدائها وشطارها منهم نجم الدين ابو عبد الله بن المنذر
وعلى بن الانصاري وابو الفتح ويوسف بن معاني فقتلوا ونهبوا ونالوا اغراضهم
ثم وصل اليها فخر الدين الحمصي والميتماني بمن معهم من المسكر فخرجوا هاربين
ولما دخلها الميتماني صادرا اهلها وعذبهم حتى استخرج منهم الف الف وستائة
الف دراهم يبروتية واقام بها الى ان وصل اليها الامير شمس الدين آقوش التركي
في جمادى الآخرة فخرج لتلقيه ظنا منه انه جاء نجدة له وكان قد خرج من دمشق
هاربا لما استشعر من الملك الظاهر فلما دخلها تغلب عليها فخافه فخر الدين
الحمصي فأعمل الحيلة في الخلاص منه بأن طلب السفر الى الملك الظاهر ليستميله
اليه فمكنه من الخروج فلما توجه اخذ البرلى في مصادرة من كان في صحبة الحمصي
وابقى على الميتماني وامر واقطع ووفد عليه زامل بن علي بن حذيفة في اصحابه

ففرق عليهم تسعة الف مكوكا (١) مما احتاط عليه من الغلال التي كانت مطهورة مجلب و فرق في التركمان اربعة الف مكوكا (٢) اخرى اه

ذكر اقامة خليفة عباسى في مصر وخليفة عباسى في حلب قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء لما اخذت التتار بغداد هرب المستنصر بالله احمد ابو القاسم بن الظاهر بأمر الله ابى نصر محمد بن الناصر لدين الله احمد وصار الى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشر من بنى مهارش فركب السلطان لقائه ومعه القضاة والدولة فشق القاهرة ثم اثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرن ثم بويع بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضى القضاة تاج الدين ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم وذلك في ثالث عشر رجب ونقش اسمه على السكة وخطب له ولقب بلقب اخيه وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس وبعدها ذكر الأحتفال الذى عمل له وما رتب له السلطان. قال واما صاحب حلب الأمير شمس الدين آقوش فإنه اقام مجلب خليفة ولقبه الحاكم بأمر الله وخطب له ونقش اسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان يشيعه الى ان دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة واولاد صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب الف الف دينار وستة وستين الف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب الموصل وصاحب سنجار والجنزيرة فاجتمع به الخليفة الحاكم ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة

(١) هكذا ولعله تسعة آلاف مكوك (٢) هكذا ولعله اربعة آلاف مكوك

المستنصر فقبل قتل وهو الظاهر وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين فكانت خلافته ستة أشهر وتولى بعده بسنة الحاكم الذي كان بويج بحلب في حياته وهو الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن القبيّ ابن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت اخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي صحبته جماعة فقصده حسين بن فلاح أمير بني خفاجة فاقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق واقام عند الأمير عيسى بن مهنا مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته محبي التتار فلما جاء الملك المظفر دمشق سير في طلبه الأمير قليج البغدادى فاجتمع به وبايعه بالخلافة وتوجه في خدمته جماعة من امراء العرب فانتزع الحاكم عانة بهم والحديثة وهيت والانبار وصافى التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة ايام الى القاهرة فلما رأى ان يدخل اليها خوفا من ان يمسك فرجع الى حلب فبايعه صاحبها ورؤسائها منهم عبد الحلیم بن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة فلما رجع المستنصر وافاه بمائة فانتقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته فلما عدم المستنصر في الواقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكتب الملك الظاهر ببيرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فاكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت ايامه وكانت خلافته نيفا واربعين سنة وانزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وخطب بجامع القلعة مرات قال الشيخ قطب الدين في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلساً عاماً وحضر الحاكم بأمر الله راكباً الى الأيوان بقلعة الجبل وجلس مع السلطان

وذلك بعد ثبوت نسبه فأقبل عليه السلطان وبايعه بأمرة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور ثم بايعه الناس على طبقاتهم فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والأمامة وتعرض الى ماجرى من هتك حرمة الخلافة ثم قال وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصرة الأمامة عند قلة الأنصار وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار واول الخطبة الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركناً وظهيراً ثم كتب بدعوته الى الآفاق اه

ذكر رضاء الملك الظاهر على علم الدين سنجر الحلبي

وتوليته على حلب وطرده آفوش البرلي منها

قدمنا ان آفوش البرلي عصى على الملك الظاهر بيبرس وقدم الى حلب وتغلب عليها وان علاء الدين ايدكين البندقدار اسنقر بدمشق قال ابو الفدا لما اسنقر بها جهز عسكراً صحبة فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم شمس الدين آفوش البرلي الى حلب كان بها فخر الدين الحمصي فقال له البرلي نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتسأله ان يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير ان يكلفني وطىء بساطه فسار الحمصي الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلي واحتاط على ما في حلب من الحواصل واستبد بالأمر وجمع العرب والتركان واستعد لقتال عسكر مصر ولما توجه فخر الدين الحمصي لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدي الصالحى متوجهاً بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلي وامساكه فأرسل الحمصى عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلي فأرسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصى المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدي والمسير

الى قتال البرلي فعاد من وقته ثم رضى الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدي في جمع من العسكر ثم اردفه بغز الدين الدمياطى في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلي وساروا الى حلب وطردهه عنها وانقضت السنة والأمر على ذلك اهـ

وقال القطب اليونينى لما خرج فخر الدين الحمصي من حلب كما قدمنا ذكره وبلغ الرمل كتب اليه الملك الظاهر يأمره بالموود وكان البرلي لما تغلب على حلب خرج منها فى حشد من التركان والعربان لشن الغارة على عيسى بن مهنا وكان على حصص فلما مر البرلي بمجمة طلب من صاحبها موافقته فأبى واغلق دونه ابواب البلد فأحرق غللاً للعشر بالباب الغربى وعاث في نواحيها وافسد وذلك في نصف رجب وبلغ الملك الظاهر فولى علم الدين سنجر الحلبي نيابة السلطنة بحلب واقطعه ما يقوم بوظائف المملكة ورتب معه علاء الدين بن نصير الله مدبر الأمور وبعث معه عسكراً لمحاربة البرلي وقدم عليه الأمير جمال الدين آقوش المحمدي فسار الحلبي ومن معه في شعبان فلما قرب من حلب والبرلي على تل السلطان رحل بمن معه وقصد الرقة ودخل الحلبي حلب وسار المحمدي وتبع البرلي فادركه بالرقة فركب ودخل على المحمدي في خيمته وقال انا مملوك السلطان وما هربت الا خوفاً منه وقد رغبت اليك فان تستعطفه بحيث يبقى علي حران فاني طردت نواب التتر عنها ووليت فيها ومتى لم يسمع بالأبقاء علي لم اجد بداً من التجأى الى التتار فتكفل له المحمدي بما التمسه ورحل عائداً وعبر البرلي الى حران وكان ذلك خديعة منه



ذكر اخذ آقوش البرلي البيرة وعوده الى حلب واخذها
قال القطب اليونيني كان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد كاتب الاسد حلب
الجوكندار اليها على ان يسلمها اليه (هكذا والقصد انه كاتب صاحب البيرة ليسلمها
اليه) وكان ولاء بها علاء الدين ابن صاحب الموصل فطلب ذهباً تقرر وعينه
فأجابه الحلبي وسير اليه المال ولم يسلمها ثم استدعى البرلي من حران فساد
اليه وسلمها ثم قصد حلب فلما كان بتل باشر خرج عن طاعة الحلبي أكثر من
كان معه ولحقوا بالبرلي فخرج الحلبي من حلب ليلاً فلما علم البرلي بذلك بعث
اليها علم الدين طغصبا الناصري وسيف الدين كيكليدي الحلبي فتساقطتا ثم دخلها
في اوائل شهر رمضان وبعث طائفة ممن كان معه في أثر الحلبي فلم يدركوه اه
ذكر مقتل الملك الناصر يوسف صاحب حلب والشام
وترجمته

قال ابو الفداء في هذه السنة ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك
العزیز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف
بن ايوب وعقد عزاء يجمع دمشق في سابع جمادى الأولى من هذه السنة وصورة
الحال في قتله انه لما وصل الى هولاءكو على ما قدمناه ذكره وعده برده الى ملكه
واقام عند هولاءكو مدة فلما بلغ هولاءكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل
كتبنا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك واحضر الملك الناصر
المذكور واخاه الملك الظاهر غازي وقال له انت قلت ان عسكر الشام في طاعتك
ففدرت بي وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ما ضرب احد في
وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد توديز كيف يحكم على بلاد الشام

فاستوفى هو لاكو لعنه الله ناصجا وضربه به فقال الملك الناصر يا خوند الصنيعة
فنهأه اخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه بفردة نائية فقتله ثم امر بضرب
رقاب الباين فقتلوا الظاهر اخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص
والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لأنه كان صغيرا
فبقي عندهم مدة طويلة واحسنوا اليه ثم مات
ترجمته

قال القطب اليونيني في ترجمته ولد الملك الناصر سنة سبع وعشرين وستائة بمجلب
بقلعتها ولما ولد زين البلد ولبس العسكرية احسن زى واظهر من السرور والابتهاج
بمولده ما جاوز الحد وكان عمره لما افضى اليه الملك بعد وفاة والده نحو سبع
سنين وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لولو الاميني والأمير عز الدين عمر
ابن مجلي ووزير الدولة جمال الدين القفطي ويحضر معهم جمال الدولة اقبال الخاتوني
في المشورة فاذا اتفق رأيهم على شيء دخل جمال الدولة الى الصاحبة ضيفة
خاتون بنت الملك العادل والدة الملك العزيز وعرفها ما اتفق عليه الجماعة فكانت
الأمر منوطة بها وفي سنة اربعين توفيت الصاحبة ضيفة خاتون فاستقل ابنها
الملك الناصر بالسلطنة واشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلث عشرة سنة وامر
ونهى وقطع ووصل وجلس في دار العدل والاشارة للأمير شمس الدين لولو
ولجمال الدولة اقبال الخاتوني وللوزير القاضي الأكرم جمال الدين القفطي.

وكان ملكاً جليلاً جواداً كريماً كثير المعروف غزير الأحيان حليماً صفوحاً
حسن الأخلاق كامل الأوصاف جميل العشرة طيب المحادثة والمفاكمة قريباً
من الرعية يؤثر العدل ويكره الظلم وزاد ملكه على ملك ابيه وجده فإنه ملك
بلاد الجزيرة وحران والرها والركة ورأس عين وما معها من البلاد وملك

حمص كما ذكرنا ثم ملك الشام كما ذكرنا بعد قتل الملك المعظم وصفا له الشام والبلاد الشرقية واطاعه صاحب الموصل وصاحب ماردين وعظم شأنه جدا ثم دخل بعساكره الى الديار المصرية سنة ثمان واربعين فكسر عساكرها وخطب له بمصر وقلعة الجبل وكاد يملك الأقليم ويستولى على الممالك الصلاحية كلها لولا ما قدره الله من ظهور طائفة من عسكر مصر وانهمزاه الى الشام ومقتل مدبر دولته الامير شمس الدين لولو واقام الملك الناصر بدمشق عشر سنين حاكما على الشام والشرق الى ان قدر الله تعالى ما قدره من استيلاء التتر على البلاد وذهابه اليهم ومقتله رحمه الله ولم يكن لأحد من الملوك قبله مثل ما كان له من التجميل بكثرة العظام وغيره فإنه كان يذبح في مطبخه كل يوم اربعمائة رأس من النعم وكان نفقة مطبخه في كل يوم عشرين الف درهم

وكان الملك الناصر رحمه الله حليما الى الغاية عظيم العفو عن الزلات لا يرى المؤاخذه والانتقام بل سجيته الصفح والتجاوز اعترضه شخص يوما بورقة فأمر بأخذها منه وقرأها فوجد فيها الوقيعة فيه وذمه فقال لبعض غلمانه قل له يخرج من دمشق الى حيث شاء فانا ما اؤذيه ولا اقابله على فعله

وكان رحمه الله حسن المباشطة مع جلسائه وكان في خدمته جماعة كثيرة من الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ولهم عليه الرواتب السنية وكان حسن العقيدة والظن بالصالحين يكرمهم ويبرهم ويمجري عليهم الرواتب اهباً اختصار وقال ابو الفداء ايضا في ترجمته كان حليما وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالملكة وانقطعت الطرق في ايامه وبقي لا يتقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برقعة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان في ايامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القائل الى بين يدي الملك

الناصر المذكور يقول الحي من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين

وكان على ذهن الناصر المذكور شيء كثير من الأدب و الشعر و يروى له اشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتني كاسات دمعى دما صرفا
لما زادنى الا هوى وعبة ولا اتخذت روحى سواك لها الفا
وقدما ان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة
تقريبا اه

سنة ٦٦٠

ذكر طاعة البرلى للملك الظاهر وارسال سنقر

الرومى الى حلب

قدمنا دخول البرلى الى حلب فى شهر رمضان من السنة الماضية قال القطب
اليونينى فى الذيل لما دخل البرلى حلب اظهر طاعة الملك الظاهر واقام بها الى
ان كتب اليه الملك الصالح صاحب الموصل يعلمه بزول التتر عليه ويستنجده
فكتب الى الملك الظاهر يستأذنه فى التوجه لنصرته فأجابه وامره بالتربص
بحران الى ان يصل اليه عسكر من جهته ينجده به صاحب الموصل فلما وصل
حران اقام بها ثم خاف من العسكر الواصل من مصر ان يقبض عليه فتوجه
الى سنجار

واما الملك الظاهر فتقدم الى الأمير شمس الدين سنقر الرومى بالمسير الى حلب
ثم الموصل وجهازه عسكراً وكتب الى الأمير علاء الدين طيبرس نائب

السلطنة بدمشق الى الأمير علاء الدين البندقدار بأمرهما ان يكونا معه بعسكرهما اذا وصل اليهما حيث توجه فلما وصلت العساكر تل السلطان واتصل بهم توجه البرلي الى سنجار وبعثوا الى حلب من تسلمها نيابة عن البندقدار ثم عادت العساكر الى انطاكية فزلوا عليها وشنوا الغارات على نواحيها فداراهم من بها بأقامة وضيافة وسألوه ان يرحلوا عنهم على ان يحملوا اليهم مالاً مصنعة فوقع الخلف في تقرير المال بين الأمير علاء الدين طبرس والأمير شمس الدين سنقر فرحلا بالعسكر ونزلا على تل السلطان فاتاهم امر السلطان ان يتوجه البندقدار الى حلب ويعود طبرس وسنقر الرومي الى دمشق

(ذكر قصد التتر الموصل واستنجدان صاحبها بالبرلي)

واهنزاهما من التتر

قال القطب اليونيني ما خلاصته في هذه السنة قصدت التتر الموصل ومقدمهم صيدعون صاحب ماردين وغيرهم فاستصرخ الملك الصالح صاحبها بالبرلي فخرج من حلب وسار الى سنجار فلما انصل بالتتر وصوله عزموا على الهرب واتفق وصول الزين الحافظي اليهم من عند هولاء ففرغهم ان الجماعة التي مع البرلي قليلة والمصلحة ان تلافوهم فقوي عزيمهم الحافظي فانه الله فسار صيدعون بطائفة ممن كان على حصار الموصل عدتها عشرة آلاف وقصد سنجار وبها البرلي ومعه الف وخمسمائة فارس عن الف واربعائة من التركمان ومائة من العرب فخرج اليهم بمد ان تردد في ملتقام فكانت الكرة عليه وقتل الكثير من جماعته ونجا الأمير شمس الدين البرلي في جماعة يسيرة من العزيزية والناصرية ولما وصل البيرة فأرقه اكثرهم ودخلوا الديار المصرية اه

ذكر عود البرلي الى الديار المصرية وما كان من امره

قال القطب اليونيني لما حل الأمير شمس الدين البرلي بالبيرة وصله قونور خاله وزين الدين قراجا الجمدار الناصري وكان اخذ اسيرا من حلب رسلاً من هولاكو يطلبونه اليه ليقطعه البلاد فقال انا مملوك السلطان الملك الظاهر وما يمكنني مفارقتي واختيار هولاكو عليه ثم سير الكتب الى الملك الظاهر وكتب يطلب منه امانا بما سأل ويسأله المصير الى مصر فتوجه من البيرة في تاسع عشر شهر رمضان واجتمع بالبندقدار [نائب حلب] بعد توثق كلاهما بالأيمان ودخل البرلي الى مصر غرة ذى الحجة فأنعم عليه الملك الظاهر وعين له سبعين فارساً اه وقال ابو الفداء لما ضاقت على آفوش البرلي البلاد واخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل في طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالأحسان اليه وترتيب الأقامات له في الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثاني ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالع في الأحسان اليه واكثر له العطاء فسأل آفوش البرلي من الملك الظاهر ان يقبل منه البيرة فلم يفعل وما زال يماوده حتى قبلها وبقي آفوش البرلي العزيزي المذكور مع الملك الظاهر الى ان تغير عليه وقبضه في رجب سنة احدى وستين وستائة فكان آخر العهد به اه

— ذكر ولاية علاء الدين ايدكين حلب —

قال القطب اليونيني في هذه السنة في شوال ولي الأمير علاء الدين ايدكين الشهابي نيابة السلطنة بحلب

وفيها اشتد الغلاء بالشام فبيع رطل اللحم بالدمشقي بستة دراهم وسبعة دراهم

والنراة من القمح بأربعمائة وخمسين درهما والشعير بمائتين وخمسين درهما
والمكوك القمح بحماة وبحلب بأربعمائة درهم واللحم الرطل بالحلبي ثمانية دراهم
ورطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم اشتد الغلاء في جميع الأصناف ومات
خلق كثير من الجوع بحلب وحماة وغيرهما اهـ

ذكر وفاة الكمال بن العديم صاحب تاريخ حلب

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذى الحجة توفي صاحب كمال الدين عمر بن
احمد المعروف بأبن العديم انتهت اليه رياسة اصحاب ابي حنيفة وكان فاضلاً
كبير القدر الف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جعل
الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها فلما نظر ما فعله التتر من خراب
حلب وقتل اهلها بعد تلك العمارة قال في ذلك قصيدة منها

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم * وان رمت انصافا لديه فتظلم
اباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا * واصمت لدى فرسانهم اسم
وافنى بنى ايوب مع كثير جمعهم * وما منهم الا ملك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع * لهم اثرا من بعدهم وهم هم
واعنائهم اضحت تداس وعهدا * تباس بأفواه الملوك وتلدثم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب * احل بها يا صاح ان كنت تعلم

ومنها

فيالك من يوم شديد لغامه * وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتجت * مصاحفها فوق الثرى وهي ضخم

وهي طويلة وآخرها

ولكننا لله في ذا مشيئة * فيفعل فينا ما يشاء ويحكم
وسنذكر في القسم الثاني من الكتاب ترجمته بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى
وانما ذكرناه هنا تبعاً لأبي الفداء بمناسبة القصيدة المتقدمة لعلاقتها بأخبار التتار
وبحث كثيراً عن بقية القصيدة لأثبتها جميعها فلم اعثر عليها
قال ابن الوردي في تنمة المختصر في حوادث هذه السنة رأيت مقامة مرصعة
وضعها الشيخ جمال الدين عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسفي وذكر فيها وقعة
حلب ولعلها من احسن ما قيل في ذلك (فنها) هذا وقد نزلت فنون البلاء بالشام
وهملت عيون العناء كالغمام وصار وشام الأسلام كالوشام وعرام الأنام في غرام
وخفيت آثار المآثر ودرست، وطفئت انوار المنابر وطمست، وحلبت العيون ماءها
على حلب وسكبت الجفون دماءها من الصيب والتف عليها الخنل والاختلال
واحتمل بها القتل والوبال واختطف من اعيانها الشمس والأقمار واقتطف من
اغصانها نفائس النفوس والأعمار فستر سفور السرور ونشر ستور الشرور
وتخربت الدور والقصور ونحرت الحور في النحور وجرت عيونها على اعيانها
وهمت جفونها على شبانها بدموع جرت نجيعاً لفظوع طرت سريعاً. ونمى الطفيان
والغش في روضة الشام وسما العدوان في عش بيضة الأسلام ورفعت الصلبان
على المساجد ووضعت الأديان والمعابد حتى بكى على الوجود الجلمد وشكى الى
المعبود السرمد ولما تعظم العدو وتكبر وتقدم بالعتو وتجر وبسط سيفه على
الخائفين وهبط خوفه على المشرقين اطلع الله طلائع اللواء المظفر وابدع مطالع
السناء الأنور وخفقت الرايات والبنود وشرقت الآيات والسعود بانجذاب
الكفار الى كنعان وانسحاب الفجار الى الهوان وهي طويلة اهـ

﴿ ذكر طرد التتر من نواحي الفرات عند البيرة ﴾

قال ابن كثير في هذه السنة جهز السلطان الملك الظاهر عسكرياً جاكثيفاً الى ناحية الفرات تطرد التتار النازلين للبيرة فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قد اقبلت تولوا على اعقابهم منهزمين والحمد لله رب العالمين فطابت تلك الناحية وامنت تلك المعاملة وقد كانت قبل ذلك لاتسكن من كثرة الفساد بها والخوف فعمرت وامنت والله الحمد اهـ

﴿ ذكر تولية قضاة من المذاهب الاربعة ﴾

قال القطب اليونيني وابن كثير في هذه السنة ولي من كل مذهب قاضى قضاة مستقل بالديار المصرية وسبب ذلك كثرة توقف قاضى القضاة تاج الدين في تنفيذ الأحكام وكثرت الشكاوي منه في يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة فأشار الأمير جمال الدين ايدغدى الغريزي على السلطان بأن يولى من كل مذهب قاضى قضاة وكان يجب رأيه ومشورته فأجاب الى ذلك ففعل كما ذكرنا وكان الأمير جمال الدين يكره القاضى تاج الدين فقال له الأمير جمال الدين ترك مذهب الشافعي لك ونولى معك من كل مذهب قاضياً وذكر اسماء القضاة الاربعة الذين عينوا

(سنة ٦٦٤)

﴿ ذكر دخول العساكر الى بلاد الأرمن ﴾

قال ابو الفداء وفي هذه السنة بعد فراغ الملك الظاهر من فتوح صفد سار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكرياً ضخماً وقدم عليهم الملك المنصور وامرهم بالمسير الى بلاد الأرمن فسارت العساكر صحبة الملك المنصور ووصلوا

الى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة وكان صاحب سيس اذ ذاك هيثوم ابن قسطنطين بن باسل قد حصن الدربندات بالرجال والمناجق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الأسلامي ومنعه فداستهم العساكر الإسلامية وافنوم قتلاً واسراً وقتل ابن صاحب سيس الواحد واسر ابنه الآخر وهو ليفون بن هيثوم المذكور وانتشرت العساكر الإسلامية في بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا اهلها ثم عادت العساكر وقد امتلأت ايديهم من الغنائم ولما وصل خبر هذا الفتح العظيم الى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق ووصل الى حماة ثم الى قامية فالتقى عساكره وقد عادت منصوره وامر بتسليم الأسرى وفيهم ليفون بن صاحب سيس وكان المذكور لما اسر ساه الملك المنصور الى اخيه الملك الأفضل فاحترز عليه وحفظه حتى احضره بين يدي السلطان ثم عاد الى الديار المصرية على طريق الكرك فتقنطر بالملك الظاهر المذكور فرسه عند بركة زيزا وانكسرت فخذه وحمل في محفة الى قلعة الجبل اه

(سنة ٦٦٦)

ذكر مسير الملك الظاهر الى انطاكية وبغراس وفتحها

قال القطب اليونيني وابن كثير وابو الفداء في هذه السنة في مستهل جمادى الأولى توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا في العشر الأوسط من الشهر المذكور واخذها من الفرنج ثم سار الى انطاكية وكان زوله عليها في مستهل شهر رمضان فخرج اليه اهلها يطلبون منه الأمان وشرطوا شروطاً عليهم فأبى ان يجيبهم وردهم خائبين وصمم على حصارها وزحف عليها فللكها يوم السبت رابع الشهر ورتب على ابوابها من الأمراء جماعة لئلا يخرج احد من

الحرافشة بشئ من النهب ومن وجد معه شيء اخذ منه وحصر من قتل فيها فكانوا فوق الأربعين الفا وغنم منها شيئاً كثيراً واطلق للامراء اموالاً جزيلة ووجد من اسارى الساميين من الحلبيين خلقاً كثيراً كل هذا في اربعة ايام وقد كان الأبرنس صاحبها وصاحب طرابلس من اشد الناس اذية للساميين حين ملك التتار حلب وفر الناس منها وكانت انطاكية للبرنس بيمند بن بيمند وله معها طرابلس وكان مقيماً بطرابلس لما فتحت انطاكية

قال ابو الفداء وفيها في ثالث عشر رمضان استولى الملك الظاهر على بغراس وسبب ذلك انه لما فتح انطاكية هرب اهل بغراس منها وتركوا الحصن خاليا فأرسل من استولى عليها في التاريخ المذكور وشحنه بالرجال والعدد وصار من الحصن الإسلامية وقد تقدم ذكر فتح صلاح الدين للحصن المذكور وتخريبه ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الدين ثم حصار عسكر حلب له ورحيلهم عنه بعد ان اشرفوا على اخذه

تتمة حوادث سنة ٦٦٦

قال ابو الفداء وفيها في شوال وقع الصالح بين الملك الظاهر وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا احضر صاحب سيس سنقر الأشقر من التتر وكانوا قد اخذوه من قلعة حلب لما ملكها هولاء كوكما تقدم ذكره وسلم مع ذلك بهسنا ودر بساك ومرزبان ورعبان وشيخ الحديد يطلق له ابنه ليفون فدخل صاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الأشقر فأعطاه اياه ووصل سنقر الأشقر الى خدمة الملك الظاهر وكذلك سلم در بساك وغيرها من المواضع المذكورة خلا بهسنا واطلق الملك الظاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه الى والده اه

سنة ٦٦٨

ذكر مجيئ الملك الظاهر بيبرس الى حلب

قال ابو الفداء فيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهمل المحرم عند عوده من الحج فوصل الى دمشق بغتة وتوجه من يومه ووصل الى حماة في خامس المحرم وتوجه من ساعته الى حلب ولم يعلم به العسكر الا وهو في الموكب معهم وعاد الى دمشق في ثالث عشر المحرم المذكور ثم توجه الى القدس ثم الى القاهرة فوصل اليها في ثالث صفر من هذه السنة اهـ

سنة ٦٦٩

(ذكر ترتيب الملك الظاهر بيبرس خيل البريد)

بين البلاد المصرية والبلاد الشامية

قال ابن اياس في هذه السنة رتب السلطان خيل البريد بسبب سرعة اخبار البلاد الشامية فكانت اخبار البلاد الشامية ترد عليه في الجمعة مرتين وقيل انه انفق على ذلك جملة مال حتى تم له ترتيب ذلك وكان خيل البريد عبارة عن مراكر بين القاهرة ودمشق وفيها عدة خيول جيدة وعندها رجال يعرفون بالسواقين ولا يقدر احد ان يركب من خيل البريد الا بمرسوم سلطاني وكان عند كل مركز ما يحتاج اليه المسافرين من زاد وعلف وغير ذلك وهذا كله لأجل سرعة مجيئ اخبار البلاد الشامية وغيرها من البلاد وقيل ان الملك الظاهر بيبرس هذا كان يعمل موكبا بمصر وموكبا بالشام وكانت خيل البريد مرصودة بسبب ذلك حتى لقد قال القائل في المعنى

يوما بمصر ويوما بالشام ويو * ما بالفرات ويوما في قرى حلب

واستمر هذا الأمر باقيا بعد الملك الظاهر بيبرس مدة طويلة ثم تلاشى أمره قليلا قليلا حتى بطل في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق عند ما قدم تيمورلنك الى الشام واخرب البلاد الشامية وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة فعند ذلك بطل امر خيل البريد مع جملة ما بطل من شعائر مملكة الديار المصرية اهـ

سنة ٦٧٠

ذكر اغارة التتر على عينتاب ورجوعهم عنها وانهزم امهم
من الملك الظاهر على الفرات

قال ابن كثير في هذه السنة في ربيع الأول وصلت الجفالة من حلب وحماة وحمص الى دمشق بسبب الخوف من التار وجفل خلق كثير من اهل دمشق .
وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية الى حضرة السلطان الى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ثم سار الى حلب فحيم بالميدان الاخضر بها وكان سبب ذلك ان عسكر التار جموا نحواً من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فاغاروا على عين تاب ووصلوا الى بسطون ووقفوا على طائفة من التركان بين حارم وانطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التار بوصول السلطان رجعوا على اعقابهم . قال ابن اياس وفيها جاءت الأخبار بأن التار قد تحركوا على البلاد ووصلوا الى الفرات وملكوا البيرة فخرج اليهم السلطان ومعه سائر الأمراء وكان جاليش العسكر الأمير قلاون الالفي والأمير بيسري فتلاقوا مع التار على الفرات فكان بينهم وقعة عظيمة فقتل منهم ما لا يحصى عدده واسر منهم جماعة كثيرة فلما دخل السلطان البيرة خلع على نائبها واقربه على حاله وفرق جملة من المال على من بها من الرعية لأنهم قاتلوا التار قتال

ابواب حتى كسروهم كسرة قوية فأقام السلطان في البيرة اياماً ثم رجع الى الشام فأقام بها شهراً ثم توجه الى الديار المصرية فدخلها في موكب عظيم وزينت له وحملت القبة والطبر على رأسه اهـ

وقال القطب اليوناني في حوادث هذه السنة وفي خامس جمادى الأولى انصل بالملك الظاهر وهو بدمشق ان فرقة من التتار قصدت الرحبة فبرز الى القصير بالمساكر فبلغه انهم عادوا عن الرحبة ونزلوا على البيرة فسار الى حمص واخذ مراكب الصيادين بالبحيرة على الجمال للجسور ثم رحل حتى وصل الى الباب من اعمال حلب وبعث جماعة من المماليك والعربان لكشف اخبارهم وسار الى منبج فعادوا واخبروا ان طائفة من التتر مقدارها ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فرحل من منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى ووصل شط الفرات وتقدم الى المعسكر بخوضها فخاض الأمير سيف الدين قلاوون والأمير بدر الدين بيسري في اول الناس ثم تبعهما بنفسه وتبعته المساكر فوقوا على التتر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا مقدار مائتي نفس ولم ينج منهم الا القليل وتبعهم الأمير بدر الدين بيسري الى قرب سروج ثم عاد والذين كانوا على البيرة شرف الدين بن الخطاير واتبك ارسلان دغمش وامين الدين ميكائيل النائب بقونية وامر الروم تقديرًا ثلاثة آلاف فارس (١) ومقدم المغل [التتار] درباى ولما اتصل بهم خبر الوقعة رحلوا عن البيرة بعد ان انشرفوا على اخذها وتركوا ما لهم من الأسلحة والعدد والمجانيق والامتعة ونجوا بأنفسهم فسار الملك الظاهر الى البيرة ووصلها في الثاني والعشرين من الشهر وصعداها وخلع

(١) هكذا في الاصل ولعل القصد ان ميكائيل جاء نجدة من طرف ملك الروم السلجوقي ومعه ثلاثة آلاف فارس

على مستحفظها وفرق في اهلها مائة الف درهم وانعم عليهم ببعض ما تركه التتر
عند هربهم ثم رحل قاصداً دمشق وقد ذكر خوض الفرات المولى شهاب
الدين محمود الكاتب في قصيدة اولها

سر حيث شئت لك المهيمن جار * واحكم فطوع مرادك الأفطار
لم يبق للدين الذي اظهرته * ياركنه عند الأعادي نار
ومنها

لما ترافقت الرأس وحركت * من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات بساج اقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
حملتك امواج الفرات ومن رأى * بجرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار
ومنها

رشت دماءهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش الصعيد غبار
شكرت مساعيك المعافل والورى * والترب والآساد والأطيار
هذي منعت وهؤلاء منعتهم * وسقيت تلك وعم ذي الاشار
فلا ملأن الدهر فيك مدائحنا * تبقى بقيت وتذهب الاعصار
وقال ناصر الدين حسن بن القيب الكناني رحمه الله في واقعة الفرات واطنه حضره
ولما ترامينا الفرات بجيائنا * سكرناه منا بالقوى والقوادم
فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم
وقال صاحبنا موفق الدين عبد الله بن عمر رحمه الله

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالأموال والاهل
اقتحم الماء ليطنى به * حرارة القلب من المغل

انهى ما في القطب اليوناني وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الزفيات
في ترجمة الملك الظاهر المذكور قال نحي الدين بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأننا لانطبق لهم غلبا
وجاؤا الى شط الفرات ومادروا * بأن جياذ الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله في العدد التي * تميز لها الأبطال يوم الرنمى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فاسطاع العدو له تقبا

وقال قال بدر الدين يوسف بن المهندار

لو عاينت عينك يوم نزولنا * والخيل تطفح في العجاج الأكر
وقدا طلعهم الأمر واحتمد الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سداً من حديد ما يرى * فوق الفرات وفوقه نار ترى
طفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تطفر
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى * ومن الفوارس اسجراً في البحر
لما سبغنا اسهماً طاشت لنا * منهم الينا بالخيل الضمر
لم يفتحوا الرمي منهم اعينا * حتى كحلن بكل لدن اسمر
فتساقوا هرباً ولكن ردهم * دون الهزيمة ربح كل غضفر
ما كان اجري خيلنا في اثرهم * لوانها برؤسهم لم تثر
كم قد قلعنا صخرة من صخرة * ولقد ملأنا محجراً من محجر
وجرت دماثرهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجاري الاثر
والظاهر السلطان في آثارهم * يذري الرأس بكل غضب ابتر
ذهب الفبار مع النجيع بصقله * فكانه في غمده لم يشهر

سنة ٦٧٣

ذكر دخول السلطان الملك الظاهر الى بلاد سيس

قال ابن شداد في الأعلاق الخطيرة لما كانت سنة ثلاث وسبعين عزم مولانا السلطان على قصد سيس وذلك ان هيثوم مات وولى بعده ولده ليفون فأخذ في افساد ما كان بين ابيه وبين السلطان بمكاتبة التتر والتعرض لقفول الواردة من بلاد الروم واخذ ما فيها من البضائع والفتك بأربابها فخرج من القاهرة نحو الشام وصحبته المساكر المنصورة وترك نائباً عنه الأمير شمس الدين آق سقمر العارقاتى فوصل الى دمشق وطلب ثم توجه ولم يشعر احد اين يتوجه فنزل بقرب (سرمين) ورتب المساكر وطلب من كل جندي قرية وحبلًا يرسم الكللك (هكذا) وفرقهم على الأمراء ثم رحل وحارم مخفًا ثم رحل وخاض النهر الاسود ونزل تحت درب سالك وجعل كل الف فارس الى مقدم وامرهم بدخول سيس فكان اول من دخلها الأمير بلييك الخزندار نائب الملكة ومعه جماعة من الأمراء فوصل الى اسكندرونة فقتل وسبا وقصد المصيصة فباكرها فوجد الأرمين يريدون ان يحرقوا الجسر الذي هو على نهر جيحان فعاجلهم وقد اخذت النار فيه فأطفأها وعبر ومكن سيفه فيمن لقي من الأرمين ولم يبق الا النساء والاطفال ثم ردفه مولانا بمن بقي معه من المساكر فلما عبر الجسر قطعه ثم رحل وقصد سيس فوجد ليفون وقد خرج منها هاربًا فسار خلفه ليدركه ففاته فعاد الى سيس فحاصر قلعتها فامتنعت عليه فأحرق البلد وعفاها وطمس معالمها واخفاها وبث عساكره في اعمالها وامرهم بأحراق ضياعها ومزارعها الى ان وصلوا الى ساحل البحر فنهبوا من كان بأيباس من التجار ثم عاد السلطان ورحل

ونزل على قلعة تسمى سن الفار فحاصرها اياماً ثم رحل بسبب ان العلوفات والاقوات قلت وكان قد استاء من السلطان عند توغله في بلاد سييس عشرون الف بيت من التركان وخلق كثير من العرب كانوا قد ركبوا الى هيثوم لما استولت النتر على بلاد حلب فأمر جماعة منهم واقطعهم الأخباز واخذ منهم العداد .
فله عزمات اضمرت في صدر الأعداء ناراً واكسبتهم بالفرار عاراً وشناراً واخلتهم عن ديار اهدت اليهم درها كباراً وغذتهم بدرها صغاراً وامكنت منهم سيفوا البستهم على مدى الايام ذلاً وصغاراً . وجرت على عزمات من تقدم من الملوك ذيل الفخر باغتنام الاجر وطلعت في السير طلوع الفجر فأنها ازاحت علة الخوف من الأرمن بفتكتها المبيدة واراحت من جاوز بلادهم من حرب يحتاج فيه الى ختل ومكيدة واصارت صياصها موطوءة بالحوافر محبوة بالتطهير ممن كان يستوطنها من الكوافر اه

سنة ٦٧٤

ذكر مجيئ التتار الى البيرة وانكسارهم عليها

قال ابن كثير لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة نزل التتار على البيرة في ثلاثين الف مقاتل من المغول [وكان اسم مقدمهم اقطاعي كما في ابى الفداء] وخمسة عشر الفا من الروم والمقدم على الجميع البرواناه بأمر ابغا ملك النتر ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والاكراذ ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين من جنجيقا فخرج اهل البيرة بالليل فكسروا عسكر التتار واحرقوا المنجنقيات ونهبوا شيئاً كثيراً ورجعوا الى بيوتهم سالمين فاقام عليها الجيش مدة الى تاسع عشر الشهر المذكور ثم رجعوا عنها بغيتهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً .

ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة انفق في الجيش ستمائة الف دينار ثم ركب سريعا وفي صحبته ولده السعيد فلما كان في اثناء الطريق بلغه رحيل التتار عنها فعاد الى دمشق اهـ

(سنة ٦٧٥)

﴿ ذكر انكسار التتار على البلستين وفتح قيسارية ﴾

قال ابو الفداء وابن كثير وابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بأن التتار زحفوا على البلاد فجاء الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وكان خروجه من مصر في العشرين من رمضان ودخل دمشق في سابع عشر شوال فأقام بها ثلاثة ايام ثم سار حتى دخل حلب فأقام بها يوما ورسم لنائب حلب ان يقيم بعسكر حلب على الفرات لحفظ الممار وسار السلطان فقطع الدربند في نصف يوم ووقع سنقر الأشقر في اثناء الطريق بثلاثة الآف من المغول فهزهم يوم الخميس تاسع ذي القعدة وصعد العسكر الجبال فاشرفوا على وطاة البلستين عاشر ذي القعدة فرأوا التتار قد رتبوا عساكرهم وكانوا احد عشر الف مقاتل وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرهم فلما تراءى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدت صناجق السلطان ودخلت طائفة بينهم فشقوها وسافت الى الميمنة فلما رأى السلطان ذلك اردف المسلمين بنفسه ومن معه ثم لاحت منه التفانة فرأى الميسرة قد كادت تنحطم فأمر جماعة من الأمراء بأردافها ثم حمل بالعسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا الى الأرض عن آخروهم وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وصبر المسلمون صبراً عظيماً فأَنْزَلَ اللهُ نصره على المسلمين فاحاطت بالتتار العساكر من كل جانب وقتلوا منهم خلقا كثيرا

وقتل مقدمهم تناون وغالب كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة صاروا امراء وكان من جملة المأسورين في هذه الواقعة سيف الدين قبحق وسيف الدين ارسلان وقتل من المسلمين ايضا جماعة فكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الحكير ضياء الدين ابن الخطير وسيف الدين قيماز وسيف الدين تنجو الجاشنكير وعز الدين ايبك الثقفي وهرب البرواناه (من امراء الروم الذين كانوا مع التتار) فنجوا بنفسه ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة واعلم امراء الروم وملكهم بكسرة التتر على البلستين و اشار عليهم بالهزيمة فانهمزوا منها واخلوها

واما الملك الظاهر فإنه بعد فراغه من هذه الواقعة سار الى قيسارية واستولى عليها وكان الحاكم بالروم يومئذ معين الدين سليمان البرواناه وكان يكتب الملك الظاهر في الباطن وكان يظن الملك الظاهر انه اذ وصل الى قيسارية يصل اليه البرواناه على ما كان اتفق معه في الباطن فلم يحضر البرواناه لما اراده الله من هلاكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ودخل الملك الظاهر قيسارية سابع عشر ذي القعدة بعد ان حاصر اهلها وارسلوا اليه يطلبون الأمان فأرسل لهم الأمان على يد الأمير بيسري فسلموا المدينة وكان دخوله الى المدينة يوماً مشهوداً فنزل بدار السلطنة وصلى بها الجمعة وخطب له بها واقام عليها سبعة ايام ثم رحل عن قيسارية في الثاني والعشرين من ذي القعدة وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاد القوت والعاف وعدمت غالب خيولهم ووصلوا الى عمق حارم واقاموا به شهراً ثم رحلوا وتوجهوا الى دمشق وسارت بذلك البشائر الى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله

ولما بلغ خبر هذه الواقعة ابنا بن هولاء ساق في جموع المغول حتى وصل الى

البلستين وشاهد مكان المعركة وشاهد عسكره صرعى ولم يشاهد احداً من
عسكر الروم مقتولاً ففاظه ذلك واعظمه وحنق على البرواناه اذ لم يعلمه بجلية
الحال وكان يظن ان امر الظاهر دون هذا كله واشتد غضبه على اهل قيسارية
واهل تلك الناحية فقتل منهم قريبا من مائتي الف انسان وقيل قتل منهم خمسماية
الف من قيسارية وارزن الروم وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب
ثم سار ابغا الى الأردن وصحبته معين الدين البرواناه فلما استقر بالاردو امر
بقتل البرواناه فقتل وقتل معه نيفاً وثلاثين نفساً من مماليكه وخواصه واسم
البرواناه المذكور سليمان والبرواناه لقب وهو الحاجب بالعجمي وكان مقتله
بالاطاغ وكان البرواناه حازماً بتدبير المملكة ذا مكر ودهاء

(سنة ٦٧٦)

﴿ ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس وآثاره بهذه البلاد ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة دخل السلطان الى حلب [بعد رجوعه من محاربة
التتار] فتوعلك جسده واخذته الحمى وسلسل في المرض فاسقاه الحكماء دواء
مسهلاً فأفرط في الأسهال وثقل في المرض فرحل من حلب وقصد الدخول
الى دمشق فأت في بعض ضياع دمشق فلما مات كتم موته عن العسكر وحمل في
مخفة الى ان دخل دمشق فدفن هناك ليلاً وكان موته يوم الخميس في الثامن
والعشرين من المحرم وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكاً عظيماً جليلاً مهيباً
كثير الغزوات خفيف الركاب يحب السفر والحركة في الشتاء والصيف وكان
مشهوراً بالفروسية في الحرب وله اقدم وعزم وقت القتال وله ثبات عند النقاء
الجيوش في الحرب .

قال ابن كثير لما مات الظاهر جملوه في تابوت ورفعوه الى القلعة من السور فجعلوه في بيت من بيوت البحرية الى ان نقل الى تربته التي بناها ولده بعد موته وهي دار العقيقي تجاه المادلية ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة (١) قال وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة وكذلك ابن شداد الحلبي ايضا وذكر ثمة آثاره في البلاد المصرية وغيرها وله في تاريخ ابن شاكر المسمى بفوات الوفيات ترجمة حافلة مطولة وذكر ماله من الآثار في هذه البلاد وهي مصطبة كبيرة مرخمة بالميدان الأخضر شمالي حلب . جسر القامة . جامع بانطاكية مكان الكثيب . جامع في بفراس وانشأ قلعة البيرة وبنى بها الأبرجة ووسع خندقها وجدد جامعها . بناء ما تهدم من قلعة عين تاب . اصلاح قلعة شيزر . وبعد وفاة الظاهر اقيم في الملك ولده الملك السعيد بركة وكان ذلك في اوائل ربيع الأول

(سنة ٦٧٧)

❦ ذكر وصول العساكر الى بلد سيس ❦

قال ابن شداد في الأعلام الخطيرة كان الملك السعيد خرج من مصر الى الشام فعند وصوله جرد الأمير بيسري الشمسي الى حلب واغار على قلعة الروم ثم كتب الى الملك السعيد بأن صاحب سيس وصلتني رسله وهو يتضرع ويسأل ان يحمل الى الخزائن المعمورة مائتي الف درهم ويعني من طروق العساكر المنصورة بلاذ فخرج الأمير سيف الدين فلاون الالائي وصحبته العسكر وهو المقدم عليهم وعلى من بالشام من العسكر المتقدم فصار الى ان وصل الى حلب ثم رحل ودخل طرسوس وصحبته الأمير بدر الدين بيسري فشن الغارة عليها ونهب بلدها وغنم العسكر

(١) وتربته معروفة مشهورة وفيها الآن المكتبة المعروفة بالمكتبة الظاهرية وقبره رحمه الله

في وسط هذا المكان

غنيمة صالحة وعاد الى دمشق ثم ملك الديار المصرية والشامية ونعت نفسه بالملك المنصور

سنة ٦٧٨

ذكر خلع الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر واقامة

اخيه سلامش ثم خلعه

في هذه السنة خلع الملك السعيد بركة وارسل الى الكرك واقيم اخوه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر ولقبوه الملك العادل وعمره اذ ذاك سبع سنين وشهور وكان القائم بتدبير دولته قلاون الألفي ثم خلعه وتسلطن مكانه

ذكر سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى

قال ابن اياس هو السابع من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية تسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش يوم الاحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستائة وتلقب بالملك المنصور وكان اصله من مماليك آق سنقر الكاملي. قال ابو الفدا ولما تولى السلطنة اقام منار العدل واحسن السياسة وقام بتدبير المملكة احسن قيام ذكر خروج سنقر الأشقر عن الطاعة وسلطنته بالشام قال ابو الفداء في الرابع والعشرين من ذي القعدة جلس سنقر الأشقر بدمشق في السلطنة وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر

سنة ٦٧٩

ذكر وفاة آقوش الشمسى نائب السلطنة بجلب وتولية

علم الدين سنجر

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي آقوش الشمسى نائب السلطنة بجلب وولى

السلطان الملك المنصور قلاون على حلب علم الدين سنجر الباشغردى ايه

ذكر كسرة سنقر الاشقر الخارج على السلطان قلاون
قال ابو الفداء ما خلاصته لما عصى سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن بها جهز الملك
المنصور قلاون اليه عساكر ديار مصر مع علم الدين سنجر الحلبي والتقى الفريقان
بظاهر دمشق فولى الشاميون وسنقر الاشقر منهزمين واتى سنقر الى الرحبة
وكانت ابنا بن هولاء ملك التتر واطمعه في البلاد وكان عيسى بن مهنا ملك
العرب مع سنقر الاشقر وقاتل معه وكتب بذلك الى ابنا ايضا موافقة له ثم سار
سنقر الاشقر من الرحبة الى صهيون في جمادى الاولى من هذه السنة واستولى
عليها وعلى برزية وبلاطنس والشفر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت
هذه الاماكن له

ذكر مجي التتار الى حلب وعودهم ثم رجوعهم

قال ابن كثير ان السلطان الملك المنصور قلاون ارسل طائفة من الجيش لحصار
شيزر (وقد قدمنا انها صارت بيد سنقر الاشقر) فيينا هم كذلك اذ اقبلت
التتر من كل فج لما سمعوا بتفريق كلة المسلمين فانجفل الناس من ايديهم من
سائر البلاد الى الشام ومن الشام الى مصر فوصلت التتار الى حلب وقتلوا خلفا
كثيرا ونهبوا شيئا كثيرا وظنوا ان جيش سنقر الاشقر يكون معهم على الملك
المنصور قلاون فوجدوا الامر بخلاف ذلك وذلك ان المنصور كتب الى سنقر
الاشقر ان التتار قد اقبلوا الى المسلمين والمصلحة انا تنفق عليهم لئلا يهلك المسلمون
بيننا وبينهم واذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا احدا فكتب اليه سنقر بالسمع والطاعة
وبرز من حصنه فحيم يحيشه ليكون على اهبة متى طالب اجاب ونزلت نوابه من

حصولهم وبقوا مستعدين لقتال التتار وخرج الملك المنصور من مصر في اواخر جمادى الأولى ومعه العساكر. وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان انه قد عهد بالملك الى ابنه على ولقب بالملك الصالح فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التتر من حلب الى بلادهم وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ففرح المسلمون بذلك والله الحمد.

وقال ابو الفداء في حوادث هذه السنة ان الملك المنصور ارسل عسكريا الى شيزر وهي لسقر الأشقر وجرى بينهم مناوشة ثم انه ترددت الرسل بين السلطان وبين سقر الأشقر واحتاج السلطان الى مصالحته لقوة اخبار التتر ووقع بينهم الصلح على ان يسلم شيزر الى السلطان ويتسلم سقر الأشقر الشفر وبكاس وكانا قد ارتجعتا منه فتسلم نواب السلطان شيزر وتسلم الشفر وبكاس تسلم سقر الأشقر وحلفا على ذلك واستقر الصلح بينهما اه وتقدم انه على اثر هذا الصلح عاد التتر من حلب

وقال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الاخبار ان ملك التتار زحف على البلاد وارسل اخاه منكوتمر في جاليش العسكر وقد وصلوا الى حلب وملكوا ضياعها واشرفوا على اخذ المدينة فلما بلغ الملك المنصور قلاون الاقي ذلك خرج بنفسه هو والامراء على جرائد الخيل فلما وصل الى غزة جاءت الاخبار بأن منكوتمر اخا ابنا لما بلغه عجب السلطان هب البلاد واحرق الضياع وقتل الرعية وآذى البرية ثم رجع الى بلاده فلما بلغ السلطان رجع من غزة الى القاهرة فجاءت الاخبار بأن التتار رجعوا الى حلب واخشوا في حق الرعية اعظم ما فعلوا في الأول فخرج اليهم السلطان ثانيا وجد في السير فتلاقى مع عسكري التتار على المزج

الاصغر فكان بينهما واقعة عظيمة وذلك في سنة ثمانين وثمانئة

سنة ٦٨٠

ذكر الوقعة العظيمة مع التتر على حمص وانكسارهم عليها

قال ابو الفداء في هذه السنة اعنى سنة ثمانين وثمانئة في شهر رجب كان المصاف العظيم بين المسلمين وبين التتر بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا قد ايقنوا بالبوار وكان من حديث هذا المصاف العظيم ان ابنا بن هولاکو حشد وجمع وسار بهذه الحشود طالبا الشام ثم انفرد ابنا المذكور عنهم وسار الى الرحبة وسير جيوشه وجمعه الى الشام وقدم عليها اخاه منكوتمر بن هولاکو وسار الى جهة حمص .

قال ابن كثير لما اقترب مجي التتر كتب السلطان المنصور قلاوون الى مصر وغيرها من البلاد يستدعى الجيوش فدخل محمد بن حجي ومعه بشر كثير من الأعراب وجاء صاحب الكرك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة وقدم الناس عليه ووفدوا اليه من كل جانب وجائته التركمان والأعراب وكثرت الاراجيف بدمشق وكثرت العساكر بها وانجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي وتركوا الغلات والأموال خوفا من ان يدهمهم العدو من التتر ووصلت التتر صعبة منكوتمر بن هولاکو الى عين تاب وسارت العساكر المنصورة الى نواحي حلب يتبع بعضها بعضا ونازلت التتر بالرحبة في اواخر جمادى الآخرة طائفة من الأعراب وكان فيهم ملك التتر ايضا مختفيا ينظر ماذا يصنع اصحابه وكيف يقاتلون اعدائه ثم خرج الملك المنصور من دمشق وكان خروجه منها في اواخر جمادى وقت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد

وغيرها في الصلوات وغيرها ولما انتهى السلطان الملك المنصور الى حصص كتب الى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه اليه نجدة فجاء الى خدمته فآكرومه السلطان واحترمه ورتب له الافامات وتكاملت الجيوش كلها في صحبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لاخلال مخلصين في ذلك واجتمع الناس بعد خروج السلطان في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين ايديهم وجعلوا يبتهلون الى الله تعالى في نصرة الاسلام واهله على الأعداء وخرجوا كذلك والمصحف على رؤسهم الى المصلى يدعون ويبتهلون ويكونوا قبلت النار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة احرقوا بستان الملك وقصره وما هناك من المساكن والسلطان المنصور مخيم بمحمص في عساكر من الأتراك والتركمان وغيرهم في جحفل كثير جدا فاقبلت التتر في مائة الف مقاتل اوزيديدون [في ابي الفداء كان عدتهم ثمانين الفا] ولما كان يوم الخميس رابع عشر شهر رجب النقي الجمعان وتواجه الحصان عند طلوع الشمس وعسكر التتر في مائة الف فارس وعسكر المسلمين على النصف من ذلك اوزيديدون قليلا والجمع فيما بين مشهد خالد بن الوليد الى الرستن فاقتتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من اعصار متطاولة فاستظهر التتار اول النهار وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة ايضا وانكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان ثبانا عظيما جدا في جماعة قليلة وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين والتتر في آثارهم حتى وصلوا وراهم الى بحيرة حمص ووصلوا الى حمص وهى مغلقة الأبواب فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم واشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ثم ان اعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تأمرؤا فيما بينهم مثل سنقر الاشقر وبيسرى وطيرس الوزيري وامير سلاح وايتمش السعدى وحسام الدين لاجين وحسام الدين طرفطاي والدوادارى وامثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردوا الى

السلطان وحملوا حملات متعددة صادقة ولم يزالوا يتسابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتر وخرج منكوتمر وجاءهم الامير عيسى بن مهنا ناحية العرض فصدم التتر فاضطربت الجيوش لصدمة وتنت الهزيمة ولله الحمد وقتلوا من التتر مقتلة عظيمة جدا ورجعت الطائفة من التتر الذين اتبعوا المسلمين المهزمين فوجدوا اصحابهم قد كسروا والمساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون والسلطان ثابت في مكانه تحت الصناجق والكوسات تضرب خلفه وما معه الا نحو الف فارس فطمعوا فيه قتلوه فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلتحقهم قتل اكثرهم وكان ذلك تمام النصر وكان انهزام التتر قبل الغروب واقتروا فرقتين اخذت فرقة منهم الى ناحية سلمية والبرية والاخرى الى ناحية حلب والفرات فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر الى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب فدفقت البشارة وزينت البلد واوقدت الشموع وفرح الناس فلما اصبح الناس يوم السبت اقبلت طائفة من المهزمين منهم يملك الناصري والجالق وغيرهم فأخبروا الناس بما شاهدوا من الهزيمة في اول الأمر ولم يكونوا شاهدوا ما بعد ذلك فبقي الناس في قلق عظيم وخوف شديد وهيباً ناس كثير للهرب فبينما الناس في ذلك اذ اقبلت البريدية واخبروا الناس بصورة ما وقع في اول الأمر وآخره فتراجع الناس وفرخوا فرحاً شديداً ولله الحمد ثم دخل السلطان الى دمشق يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شعف رؤس القتلى منهم وكان يوماً مشهوداً ومع السلطان طائفة من اصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين الدوادري فزلى السلطان بالقلة مؤيداً منصوراً وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر قد ودع السلطان من حمص ورجع الى صهيون واما التتر

فأنهم انهزموا في اسوء حال واتعسه يتخطفون من كل جانب ويقتلون في كل
 فج حتى وصلوا الى الفرات ففرق اكثرهم ونزل اليهم اهل البيرة فقتلوا منهم
 خلقا كثيرا واسروا منهم آخرين والجيش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى
 اراح الله منهم الناس وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء
 منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين اذ دمر الجهدار وهو الذي جرح ملك التتار
 يومئذ منكوتمر فإنه خاطر بنفسه واوهم انه مقفر اليه وقلب رموه حتى وصل اليه
 فطمنه فخره فقتلوه رحمه الله تعالى ودفن بالقرب من مشهد خالد وخرج السلطان
 من دمشق فاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدعون له
 ودخل مصر في ثاني عشر شعبان

قال ابو الفداء كان عدة النثر ثمانين الف فارس منهم خمسون الفا من المغل والباقى
 خشود وجموع من اجناس مختلفة مثل الكرد والأرمن والمجم وغيرهم ولما وصل
 خبر هذه الكسرة الى ابغا وهو على الرحبة محاصرها رحل عنها على عقبه منهزما
 وكتب بهذا الفتح العظيم الى سائر البلاد الإسلامية فزينت لذلك (ثم قال)
 ومات منكوتمر بن هولاكوبن طلو بن جنكزخان بجزيرة ابن عمر مكنه دا عمنف
 كسرتة على خمس وكان موته من جملة هذا الفتح العظيم

(سنة ٦٨١)

قال ابو الفداء فيها ولى السلطان مملوكه شمس الدين قراستقر نيابة السلطنة
 بحلب فسار اليها واستقر

(سنة ٦٧٢)

قال ابن الوردي فيها تسلم عسكر حلب لكخنا بكاتبة حكامها فواستقر وصارت
 من اعظم الثغور نفما

﴿ ذكر تجديد المحراب الكبير في الجامع الأعظم ﴾

قال في كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الأعظم. وأما المحراب الكبير فقد جدد بعد حريقه في أيام السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون في شهر رجب سنة أربع وثمانين وستمائة في كهالة قراستقر المنصوري وفيه انحراف اه .

تاريخ حريقه

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة لما استولى التتار الخذولون على حلب يوم الأحد عاشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة دخل صاحب سبىس الى الجامع وقتل به خلقا كثيرا واحرق الجانب القبلي منه واخذ الحريق قبلة وغربا الى المدرسة الحلاوية واحرق سوق البزازين فعرف عماد الدين القزويني لهولاكو ما اعتمده السبسيون من الاحراق للجامع واعفاهم كنائس النصارى فأمر هو لاكو برفع ذلك واطفاء النار وقتل السبسيين فقتل منهم خلقا كثيرا ولم يقدرُوا على اطفاء النار فأرسل الله عز وجل مطراً عظيماً فاطفاها ثم اعتنى نود الدين يوسف بن ابى بكر بن عبد الرحمن الساماسي الصوفي بتنظيف الجامع ودفن ما كان فيه من قتلى المسلمين في جباب كانت بالجامع للغة في شماليه ولما مات عز الدين احمد احد البتكجية واپس معناه الكانب مطلقا انما معناه الذي يكتب الكتب (١) خرج عن ماله جميعه لله تعالى فقبضه اخوه وتصدق ببعضه وعمر حائط الجامع منه فأصرف عليه عشرون الف درهم منها ثمانية عشر الفا لبنائه والفان لحصره ومصابيحه

(قلت) ولما ملك السلطان الملك الظاهر حلب امر بتكليس الحائط الذى بنى ويقد المجلون على الحائط القبلى وكذا الحائط الغربى من جهة الصحن وعمل له سقفاً متقناً اه

(١) قلت فعلى هذا يقتضى ان تكون هذه الكلمة الكتبية

اقول يظهر انه لم يبن جميع الخائط القبلى وبقي محل المحراب الى ان امر بعمارته الملك المنصور قلاون فى هذه السنة فى ولاية قراستقر كما هو محرد على الجدار فوق المحراب ونص ذلك (امر بعمارته بعد حريقه مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون عز الله تعالى نصره)

وكتب تحت ذلك فوق المحراب ما نصه | بالأشارة العالية الموالية الأميرية الشمسية قراستقر الجوكندار الملكى المنصورى . وكتب على الجدار تحت المنبر (امر بعمله الحفير العالى الاميرى قراستقر الجوكندار المنصورى عز نصره)

(سنة ٦٨٩)

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور قلاون الصالحى

وسلطنة ولده الأشرف خليل

قال ابو الفداء ما خلاصته فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الصالحى وكانت مدة ملكه احدى عشر سنة وثلاثة اشهر ولما توفى جلس فى الملك بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل

سنة ٦٩٠

ذكر عمارة قلعة حلب بعد خرابها

قال ابو الفداء وفى اوائل هذه السنة اعنى سنة تسعين تكملت عمارة قلعة حلب وكان قد شرع قراستقر فى عمارتها فى ايام السلطان الملك المنصور فتمت فى ايام الملك الأشرف فكتب اسمه عليها وكان قد خربها هولاء لما استولى على حلب فى سنة ثمان وخمسين وستائة فكان لبشها على التخريب نحو ثلاثة وثلاثين سنة بالتقريب اهـ

قال بيشوف في تاريخه مكتوب جانب الباب الأوسط في القلعة
(بالأشارة العالية المولوية الأميرية الشمسية قراسنقر الجوكندار المنصوري
الأشرفي كافل المملكة الحلبية اعز الله نصره) وعلى ظاهر القصر فوق باب القلعة
(امر بعمارته بعد اهماله واشرافه على الدور في ايام مولانا السلطان الأعظم
الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ناصر الإسلام والمسلمين عماد الدولة ركن
الملة بحير الأمة ظهير الخلافة نصير الإمامة سيد الملوك والسلاطين سلطان جيوش
الموحدين ناصر الحق بالبراهين محي العدل في العالمين)
وعلى الباب الوسطاني في القلعة (امر بعمارته بعد دوره السلطان الأعظم الملك
الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل محي الدولة الشريفة العباسية ناصر الملة
المحمدية عز نصره)

سنة ٦٩١

ذكر فتوح قلعة الروم وعزل قراسنقر عن حلب وتولية سيف الدين بلبان الطباخي

قال ابو الفداء في هذه السنة سار السلطان الملك الأشرف من مصر الى الشام
وجمع عساكره المصرية والشامية وسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الأفضل الى
الى خدمته والقياء بدمشق وسارا في خدمته وسبقاه فاهتم الملك المظفر صاحب
حماة في امر الضيافة والاقامة والتقدمة ووصل السلطان الى حماة (الى ان قال)
واما العساكر فسارت على السكة الى حلب ثم فصل السلطان الى حلب وتوجه
منها الى قلعة الروم في العشر الاول من جمادى الآخرة من هذه السنة وهي
حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة ونصب عليها الجانيق (عند ابن كثير

ان المجانيق كانت تزيد على ثلاثين منجنيقا) وهذا الحصار من جملة الحصارات التي شاهدها وكانت منزلة المحويين على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكنا نشاهد احوال اهلها في مشيهم وسعيهم في القتال وغير ذلك واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب من هذه السنة وقتل اهلها ونهب ذرارهم واعتصم كيناغيلوس خليفة الارمن المقيم بها في القلعة وكذلك اجتمع بها من هرب من القلعة وكان منجنيق المحويين على رأس الجبل المطل على القلعة فتقدم مرسوم السلطان الى صاحب حماة ان يرعى عليهم بالمنجنيق فلما وترناه لرمى عليهم طلبوا الامان من السلطان فلم يؤمنهم الا على ارواحهم خاصة وان يكونوا اسرى فأجابوا الى ذلك واخذ كيناغيلوس وجميع من كان بقلعة القلعة اسرى عن آخرهم ورتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعى لتحصين القلعة واصلاح ماخرب منها وجرد معه لذلك جماعة من العسكر واقام الشجاعى وعمرها وحصنها الى الغاية القصوى ورجع السلطان الى حلب ثم الى حماة وقام الملك المظفر بوظائف خدمته ثم توجه السلطان الى دمشق واعطى الملك المظفر الدستور فأقام ببلده وسار السلطان الى دمشق وصام بها رمضان وعيد بها ثم سار الى الديار المصرية وعند عود السلطان الى حلب من قلعة الروم عزل قراستقر المنصورى عن نيابة السلطنة بحلب واستعجبه معه وولى موضعه على حلب سيف الدين بلبان المعروف بالطباخو

سنة ٦٩٢

ذكر استيلاء الملك الأشرف على قلعة بهسى وقلعة

مرعش وتل حمدون

قال ابن اياس في هذه السنة توجه الملك الأشرف من مصر الى دمشق ففرض

عليه العسكر بدمشق وعين جماعة من الأمراء والماليك السلطانية ليتوجهوا الى نحو سويس فلما وصلوا الى سويس ارسل صاحبها يطالب الأمان فأرسل الأمراء يكتبون السلطان بذلك فعاد الجواب من السلطان ان كان صاحب سويس يسلم هذه القلاع الثلاث وهي قلعة بهسني وقلعة مرعش وتل حمدون فأعطوه الأمان وان لم يسلم هذه القلاع الثلاث فحاصروه فلما وصلت مراسيم السلطان بذلك سلم صاحب سويس تلك القلاع الثلاث وحصل الصلح ورجع العسكر من سويس

سنة ٦٩٣

✽ ذكر مقتل الملك الأشرف خليل وسلطنة اخيه ✽

قال ابو الفداء في اوائل المحرم قتل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وساق سبب ذلك واقيم في السلطنة مكانه اخوه الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون

(سنة ٦٩٤)

ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على المملكة

قال ابو الفداء في هذه السنة في تاسع المحرم جلس الامير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحاف الناس على ذلك وخطب له بمصر والشام ونقشت السكة بأسمه وجعل مولانا السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب عنه الناس ولما تمكّن زين الدين كتبغا المذكور جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين الذي كان مستترا بسبب قتل السلطان الملك الاشرف

﴿ ذكر اسلام قازان خان ملك التتر ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذي الحجة استقر قازان خان بن ارغون بن ابغا ابن هولاكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته غازان واسمه بالعربي محمود ولي امر الملك بالبلاد الشرقية في سنة اربع وتسعين وسبعمائة عوضاً عن القان بيدو بن طرغاي ابن هولاكو وكان وزيره ومدبر مملكته زوج عمته الامير نوروز التركي خرضه على الاسلام فاسلم في شعبان من هذه السنة بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدث صدر الدين ابراهيم بن الشيخ عبد الله بن حمويه الجويني وذلك بقرب الري بعد خروجه من الحمام وجلس مجلساً عاماً فتلفظ بشهادة الحق وهو يتبسم ووجهه يستنير ويتهلل وكان شاباً اشقر مليحاً له اذ ذاك بضع وعشرون سنة وضح المسلمون حوله عندما اسلم ضجة عظيمة من المفل والعجم وغيرهم ونثر على الخلق الذهب واللؤلؤ وكان يوماً مشهوداً وفتنى الاسلام في حاشيته بتحريره الامير نوروز المذكور فانه كان مسلماً خيراً صحيح الاسلام يحفظ كثيراً من القرآن والرقائق والأذكار ثم شرع نوروز يلقي الملك غازان شيئاً من القرآن ويحتمد عليه ودخل رمضان فصامه ولولا هذا الفوز الذي حصل له في الاسلام والا كان قد استباح الشام لما غلب عليه فله الحمد والمنة اه وسياً تيك خبر

نجيئه الى هذه البلاد سنة ٦٩٩

وقال ابن كثير في هذه السنة ملك التتر قازان بن ارغون فاسلم وظهر الاسلام على يد الأمير نوروز رحمه الله تعالى ودخلت التتر او اكثرهم في الاسلام ونثر الذهب واللؤلؤ والفضة على رؤس الناس يوم اسلامه وتسمي بمحمود وشهد

الجمعة والخطبة وخرب كنائس كثيرة وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد وظهرت السبع والهاكل مع التتر والحمد لله وحده اه

(سنة ٦٩٦)

ذكر خلع الملك العادل كتبغا واستيلاء حسام الدين لاجين على المملكة

قال ابو الفداء ما خلاصته في هذه السنة حصلت وقعة بين الملك العادل كتبغا وبين نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين في دمشق ادت الى خلع الملك كتبغا نفسه وطلب الأمان واقيم في السلطنة حسام الدين لاجين وبايعه الامراء ولقب بالملك المنصور وشرط عليه الامراء شروطا منها ان لا ينفرد عنهم برأي ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فأجابهم لاجين الى ذلك ثم رحل بالعساكر المصرية الى مصر واعطى للعادل كتبغا صرخد

﴿ ذكر قتل الأمير نوروز ﴾

قال ابن كثير في هذه السنة قتل قازان نوروز الذي كان اسلامه على يديه كان نوروز هو الذي استسلمه ودعاه الى الاسلام فاسلم واسلم معه اكثر التتر فأنت التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب اليه وكان نوروز هذا من خيار امراء التتر عند قازان ولقد اسلم على يديه خلق كثير لا يعلمهم الا الله واتخذوا السبع والهاكل وحضروا الجماعات وقرأوا القرآن انتهى

سنة ٦٩٧

ذكر تجريد العساكر الى حلب ودخولهم الى بلاد سييس وعودهم الى حلب ثم دخولهم ثانيا وما فتحوه

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد حسام الدين لاجين المقب بالملك المنصور جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير سلاح ومع علم الدين سنجر الدوادارى ومع شمس الدين كريتة ومع حسام الدين لاجين الرومى المعروف بالحسام استاذدار فساروا الى الشام ورسم لاجين المذكور بمسير عساكر الشام فسار البكى الظاهري نائب السلطنة بصفد ثم بعد مدة سار سيف الدين قبچق نائب السلطنة بالشام واقام قبچق ببعض العسكر بمحصر وسارت العساكر الى حلب وسار الملك المظفر محمود صاحب حماة بعسكره ووصل المذكورون الى حلب يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وسابع نيسان ثم ساروا الى بلاد سييس فعبّر صاحب حماة والدوادارى ومن معها من العساكر من دربندمري وعبر باقي العساكر من جهة بغراس من باب اسكندرونة واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلاد سييس في العشر الاوسط من شهر رجب وكسبوا وغنموا وعادوا فخرجوا من دربند بغراس الى مرج انطاكية في الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة الموافق لربيع ايار وسار صاحب حماة الملك المظفر الى جهة حماة حتى وصل الى جهة قصطون فورد مرسوم لاجين بعود العساكر واجتماعهم بحلب ودخولهم الى بلاد سييس ثانيا وهذه الغزاة من الغزوات التي حضرتها وشاهدها من اولها الى آخرها فعادنا الى حلب ووصلنا اليها في يوم الأحد الثامن والعشرين من رجب واقمنا ثم

رحلنا من حلب ثالث رمضان من هذه السنة الموافق للعشرين من حزيران واقام على حموص بدر الدين بكتاش امير سلاح والملك المظفر صاحب حماة ومن انضم اليهما من عسكر دمشق مثل ركن الدين بيبرس النجمي المعروف بالجالحاق ومضافيه من عسكر دمشق وحاصرنا حموص وضايقتها واما باقي العسكر فانهم نزلوا اسفل من حموص في الوطاة واستمر الحلك على ذلك وقل الماء في حموص واشتد بهم العطش وكان قد اجتمع فيها من الأرمن عالم عظيم ليقتضموها بها وكذلك اجتمع فيها من الدواب شي كثير فهلك غالبيتهم في العطش

ولما اشتد بهم الحال وهلك النساء والأطفال اخرج اهل حموص في الخيامس والعشرين من رمضان وهو سابع عشر يوماً من نزولنا عليها من نسايتهم نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم فكان قسمي جارينتين ومملوكاً واصابنا ونحن نازلون على حموص في العشر الأوسط من شهر تموز ضباب قوى ومطر وحصل الملك المظفر وهو نازل على حموص قليل مرض ولم يكن صحبته بطيبه فاقصر على ما كنت اصفه له واعالجه به فشفاه الله تعالى وعاد الى العافية وانعم علي واحسن الي على جاري عاداته وكانت خيمته المصوبة على خمس خيمة ظاهرها احمر قد عمها من اكسية مغربية وداخلها منقوش بالخام الرفيع المصغ وكانت الامراء الذين لم ينزلوا حموص وهم مقيمون في الوطاة اذا عرض لهم ما يقضى المشاورة يطلعون الى الجبل ويجمعون في خيمة الملك المظفر وبين يديه يتشاورون على ما فيه المصلحة واستمر الحال على ذلك الى ان فتحت حموص وغيرها على ما سذكركه

ثم قال ولما دخلت العساكر الى سيس ونازلت حموص كان ملك الأرمن سنباط ولما ضاقت على الأرمن البلاد بما رحبت وهلكوا من كثرة ما قتل وغنم منهم

المسلمون نسبوا ذلك الى سوء تدبير سنباط وعدم مصانفته للمسلمين في كبرهوه
واتفقوا على اقامة اخيه دندين بن ليفون في المملكة والقبض على سنباط واجتمع
الأرمن على دندين فأحس سنباط بذلك فهرب الى جهة قسطنطينية وتملك
دندين ويقال له كسيندين ايضا فلما تملك دندين المذكور ارسل الى العساكر
المقيمة في بلاد سيس على حموص وعلى غيرها وبذل لهم الطاعة والاجابة الى
ما يأمرون به سلطان الإسلام وأنه نائب السلطان بهذه البلاد فطالب منه العسكر
ان يكون نهر جيحان حدا بين المسلمين والأرمن وان يسلم كل ما هو جنوبي نهر
جيحون من الحصون والبلاد فأجاب دندين المذكور الى ذلك وسلم جميع البلاد
التي جنوب نهر جيحان المذكور الى المسلمين منها حموص وتل حمدون وكوبرا
والنفير وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وهذه جميعها حصون منيعة باترام
وكذلك سلم غيرها من البلاد وكان تسليم حموص يوم الجمعة تاسع عشر شوال
من هذه السنة ووافق ذلك ثامن شهر آب وسلمت تل حمدون بعدها ثم سلمت
باقي الحصون والبلاد المذكورة وامر حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور
باستمرار عمارة هذه البلاد وكان ذلك رأيا فاسدا على ما سيظهر من عود
هذه البلاد الى الأرمن عند دخول قازان البلاد (ثم قال) وعدنا من بلاد سيس
ودخلنا حلب تاسع ذي القعدة

ولما اقتربها ورد مرسوم حسام الدين لاجين الى سيف الدين بلبان الطباخي
[نائب حلب] بالقبض على جماعة من الأمراء المجردين مع العسكر فعملوا بذلك
وكان ففجق مقيما بمحصر مستشعرا خائفاً من لاجين المذكور فهرب من حلب فارس
الدين البكي نائب السلطة بصدد وكان من جملة العسكر المجردين على حلب وكذلك
هرب السلحدار وبورلار وغراز ووصلوا الى حمص واتفقوا مع سيف الدين

فبعق على العصيان . ولما هربوا ساق خلفهم ايدغددي شقير مملوك حسام الدين
لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق فقاتلهم
فبعق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فاحسن اليهم واقاموا
عنده حتى كان منهم ماسنذكره انشاء الله تعالى

سنة ٦٩٨

ذكر قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين وسلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

في هذه السنة قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين قتله جماعة من المالك الصبيان
الذين اصطفاهم لنفسه ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر . واقيم في السلطنة
الملك الناصر محمد بن قلاوون وهي سلطنته الثانية

ما احتج به قازان ملك التتر في قصده هذه البلاد ايضا

قال ابو الفدا في هذه السنة ارسل سيف الدين بلبان الطباخي [نائب السلطنة بحلب]
عسكرا الى ماردين فنهبوا ربض ماردين حتى نهبوا الجامع وعملوا الافمال الشنيعة
وذلك كان حجة لقازان في قصد البلاد على ماسنذكره

في هذه السنة في رمضان الموافق لحزيران من شهور الروم جرد الملك المظفر
عسكر حماة الى حلب بسبب حركة التتر الى جهة الشام فسرنا من حماة الى المعرة
وورد كتاب سيف الدين بلبان الطباخي بترأخي الأخبار فعدنا من المعرة الى
حماة فورد كتابه بطلبنا فأعادنا الملك المظفر من حماة في يوم وصولنا اليها وهو
يوم الأربعاء سابع عشر رمضان وحزيران فسرنا ودخلنا حلب في الثاني والعشرين
من رمضان من هذه السنة ثم ارسل الملك المظفر وطلبني من نائب السلطنة

بمفردي فأعطاني سيف الدين بلبان الطباخي دستوراً فمرت الى حماة الى خدمة
ابن عمي الملك المظفر واستمر اخواني وغيرهما من الأمراء والعسكر مقيمين بجلب
واقمت انا عند الملك المظفر بمحمة اه

ثم قال وفيها سار مولانا السلطان الملك الناصر من الديار المصرية بمساكر مصر
الى بلاد غزة واقام بها حتى خرجت هذه السنة

سنة ٦٩٩

ذكر المصاف العظيم الذي كان بين المسلمين والتتر
واستيلاء التتر على دمشق وخروجهم منها وعزل سيف الدين
بلبان عن حلب وتوليبتها الى قراسقر للمرة الثانية

قال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الأخبار من حلب بأن قازان
ملك التتار قد زحف على البلاد ووصل اوائل عسكره الى الفرات وهو في عسكر
ثقليل لا يحمي وغازان هذا هو ابن ابغا بن هولاقو الذي اخرب بغداد وقتل
الخليفة وجرى منه ماجرى . وكان سبب مجيء قازان وزحفه على البلاد هو ان
قبجق نائب الشام لما بلغه ان الملك المنصور لاجين ارسل بالقبض عليه اخذ
اولاده وعياله وبركه وماله وخرج من الشام وتوجه هارباً الى القان قازان
وحسن له ان الملك الناصر صغير وان الأمراء والعسكر بينهم الخلف وانه اذا
زحف القان غازان على البلاد لا يجد من يرده عنها فعند ذلك جمع القان غازان
عساكر عظيمة نحو مائتي الف مقاتل ولما وصل الخبر الى الديار المصرية اضطربت
الأرض واجتمعت الأمراء بالقلعة وضربوا مشورة فوقع الاتفاق على ان
الانابكي بيبرس الجاشنكير يتوجه الى حلب ومعه خمسمائة مملوك قبل خروج

السلطان وخرج الأتابكي بيبرس على جرائد الخيل مع العسكر ثم خرج
 الملك الناصر محمد بعده في خامس عشر صفر وكان صحبته الخليفة الإمام أحمد
 الحاكم بأمر الله والقضاة الأربع وكان قاضي القضاة الشافعي حيتن شيع الإسلام
 تقي الدين ابن دقيق العبد وخرج مع السلطان وسائر الأمراء والعساكر بخد
 السلطان في المسير حتى وصل الى دمشق في ثامن ربيع الأول سنة تسع وتسعين
 وسبعمائة ثم خرج من دمشق فتلاقى مع جاليش غازان في مكان يعرف بسلمية
 قرب بعلبك فوقع بينهما واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل من الفريقين مالا
 يحصى عددهم فانكسر عسكر السلطان وهرب الملك الناصر الى بعلبك ونهب
 بركه وسائر برك العسكر ولم يبق معه من العسكر الا طائفة يسيرة ثم ان القان
 غازان زحف على ضياع الشام ونهب ما فيها وسبي اهلها فلما بلغ اهل الشام
 ذلك خافوا على انفسهم من غازان فيما فعله في اهل الضياع فتشاوروا مع جماعة
 من العلماء الذين كانوا بدمشق وخرجوا الى غازان يطلبون منه الأمان فخرج
 قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي والشيخ زين الفارقي والشيخ تقي
 الدين ابن تيمية الحراني والقاضي نجم الدين ابن الصرصري والقاضي عز الدين
 ابن تركي والشيخ عز الدين ابن الفلانسى والقاضي جلال الدين القزويني وغير هؤلاء
 جماعة العلماء الصلحاء فلما دخلوا على غازان ووقفوا بين يديه وقف الترجمان وتكلم
 مع القان غازان في امرهم وانهم جاؤا يطلبون الأمان منه فقال له غازان قل لهم اني
 قد ارسلت لهم الأمان قبل حضورهم عندي فرجموا الى دمشق واجتمع في جامع بنى امية
 الجمل الغفير وقرأوا على الناس الأمان الذي ارسله القان غازان الى اهل دمشق فلما قرأ
 عليهم ذلك الامان وسمعوه فرح الناس بذلك وحصل عندهم سكون بعد ما كانوا في
 اضطراب من امر غازان ثم حضر الأمير فجعق الذي كان نائب الشام وهرب الى

غازان ونزل بالميدان الأخضر وارسل يقول الى نائب قلعة الشام سلام اليها القلعة ولا تحوجنا ان نحاصرك وتغلب بعد ذلك فأرسل نائب القلعة يقول تفجق ليس لك عندي الا السيف وكيف اسلم القلعة والملك الناصر على قيد الحياة قال ابو الفداء وكاتب النائب بالقلعة الأمير سيف الدين ارجواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام وصبر على الحصار ولم يساهها واحرق الدور التي حوالى القلعة والمدارس فاحترقت دار السعادة التي كانت مقر نواب السلطنة وكذلك احترق غيرها من الأماكن الجليلة واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية ثم عاد الى بلاده الشرقية وقرر في دمشق ففجق وجرد صحبته عدة من المغل قال ابن اياس كان رحيل قازان عن دمشق يوم الجمعة ثلثي عشر جمادى الأولى وترك بها اميرا من النصارى يقال له الأمير قطلوشاه ومعه عسكر من التتار هذا ما كان من امر القان قازان واما ما كان من امر الملك وامر عسكره فانه لما انكسر ودخل الى بعلبك اقام بها اياماً ثم قصد التوجه الى الديار المصرية وجد في السير حتى وصل الى القاهرة فدخل على حين غفلة وطلع القلعة وقد نهب جميع ما كان معه من البرك وكذلك الأمراء والعساكر فلما طلع القلعة فتح الزردخانه وفرق ما كان فيها من الملبوس والسلاح على العسكر ثم فتح خزانة المال وانفق على العسكر فاعطى كل مملوك ثمانين ديناراً وجماعة منهم لعطاهم خمسة وسبعين ديناراً وجماعة منهم خمسة وستين ديناراً واعطى بماليك الأمراء كل واحد خمسين ديناراً ثم انفق على عسكر الشام الذي حضروا بصحبته فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير ذهباً وعشرة ارادب شعيراً وعشرة ارادب قمحاً ثم انفق على سائر الأمراء والمقدمين والطلبخاساء والمشروبات لكل واحد منهم على قدر مقامه وكان القائم في تدبير مملكته الامير سلار نائيب السلطنة

والاتابكي بيبرس الجاشنكير ثم ان الملك الناصر قصد العود الى محاربة قازان
 فبرز بجيمايه في الريدانية وخرج من القاهرة ثانيا وكان صحبته الخليفة الامام
 احمد والقضاة الاربع وسائر الامراء والعساكر فلما انقلم في الريدانية وجد في
 السير فتقدم في جاليش العسكر الامير سلاز نائب السلطة والاتابكي بيبرس
 الجاشنكير فلما وصل الجاليش الى دمشق تلقاهم الامير قبجق واطهر الطاعة
 للسلطان واجتمع بالامراء واثار عليهم بأن السلطان يرجع الى القاهرة ولا
 يدخل دمشق وسيجيئه الامر كما يختار فعند ذلك رجع السلطان الى القاهرة
 وكان رجوعه اليها في ثامن عشر شهر رمضان من سنة تسع وتسعين وستائة
 قال ابو الفداء لما بلغ العساكر المصرية سير قازان عن الشام خرجوا من مصر
 في العشر الأول من شهر رجب من هذه السنة وخرج السلطان الى الصالحية
 ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية ومسير سلاز وبيبرس الجاشنكير
 بالعساكر الى الشام فصار المذكوران بالعساكر وكان قبجق وبكتمر السلحدار
 والالبكي قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا الى جهة ديار مصر وبلغ
 ذلك التتر المجردين بدمشق فحافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وخلا
 الشام منهم ووصل قبجق والالبكي والسلحدار الى الابواب السلطانية فأحسن
 اليهم السلطان

ووصل سلاز وبيبرس الجاشنكير الى دمشق وقرروا امور الشام ورتبا في نيابة
 السلطة بدمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم على عادته ورتبا فراسنقر
 في نيابة السلطة بحلب بعد عزل سيف الدين بلبان الطباخي عنها واعطائه
 اقطاعا بديار مصر (ثم قال) وسار فراسنقر الى حلب ثم عاد سلاز والجاشنكير
 بالعساكر الى الديار المصرية

قال ابن اياس قال القاضى شحي الدين بن فضل الله حكى لى الامير قبجق بمدان
جبرى ماجرى ورجع الى القاهرة وتلاقى عسكر السلطان مع عسكر غازان فكاد
غازان ينكسر وهم بالهرب فطلبني ليضرب عقى لآثى كنت السبب في بجينه الى
دمشق فلما حضرت بين يديه قال لى ما هذا الحال فقلت ما ثم الا الخير والسلامة
فأنا اخبر بعساكرنا فأن لهم اول صدمة ثم يولون عن القتال فالقان يصبر ساعة
فأبقى قدامه احد منهم فصبر ساعة فكان ما قاله صحيحا ولما انكسر عسكر مصر
اراد ان يزحف عليهم بما معه من العسكر فقلت في نفسي متى زحف عليهم لم يبق
منهم احد فقلت له القان يصبر ساعة فأن عسكر مصر لهم حيل وخداع وربما
يكون لهم مكن وراء الجبل فيخرج علينا فتتكسر فسمع لى ثم وقف ساعة حتى
ابعد ثم عنا ولم يبق منكم احد قدامه فلو زحف عليكم ما بقي منكم احد فلولاً
انا ما سلم منكم احد فكان الامر كما قيل

ولو شئت قابلت المسي* بفعله * وليكنى ابقيت للصلح موضعاً
وقد بسط ابن كثير فى حوادث هذه السنة ما لا قته دمشق من الفظائع والشدائد
قال ابو الفداء وحيما كان غازان بمجموعه فى البلاد الشامية جمع الأرمن فى البلاد
التي افتتحتها منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها من العسكر
والرجال واخلوها فاستولى الارمن عليها وارتجموا حمص وتل حمدون وكوبر
وسرندكار والقيمر وغيرها. ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة
حجر شغلان واستولى الارمن على غيرها من الحصون والبلاد التي كانت جنوبي
نهر جيحان



سنة ٧٠٠ سبعمائة

عود التتر الى بلاد الشام

قال ابو الفداء في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام وعبروا الفرات في ربيع الآخر وجفلت المسمون منهم وخت بلاد حلب وسار قراستقر بعسكر حلب الى حماة وبرز زين الدين كتيبغا وعساكر حماة الى ظاهر حماة في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وسادس كانون الاول وكذلك وصلت العساكر من دمشق واجتمعوا بحماة واقامت التتر ببلاد سرمين والمرة وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون (١) وسار السلطان بالعساكر الاسلامية ووصل الى البوجيا وانفق في تلك المدة تدارك الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى انقطعت الطرقات وتعذرت الافوات ومحزرت المشاكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصل اليها في عاشر جمادى الاولى من هذه السنة

واما التتر فأنهم اقاموا ينتقلون في بلاد حلب نحو ثلاثة اشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على اعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات في اواخر جمادى الآخرة من هذه السنة الموافق لآوائل آذار من شهر الروم ورجع عسكر حلب مع قراستقر الى حلب وتراجعت الجفال الى اماكنهم وفي هذه السنة توفي سيف الدين بلبان الطياخي الذي كان نسابا بحلب ودفن بأرض الرملة وبورثه السلطان بالولاء

(١) قال ابن خطيب الناصرية في ترجمة غازان لما كان سنة سبعمائة جمع ايضا غازان عسكره وحشد وقدم الى بلاد الشام لمجمل الناس وختت البلاد الحلبية واخذ التتر في الأفساد على عادتهم وحاصروا قلعة حلب ولم يحصلوا منها على طائل ولا اخذوها الا انهم نهبوا قراها

سنة ٧٠١

* ذكر الاغارة على سنيس *

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد من مصر بدر الدين بكتاش امير سلاح وايبك الحزن دار معها العساكر فساروا الى حماة وورد الامر الى زين الدين كتبغا نائب السلطنة بحماة ان يسير بالعساكر الى بلاد سنيس فخرج كتبغا المذكور من حماة وخرجنا صحبته في يوم السبت الخامس والعشرين من شوال في هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من حزيران من شهور الروم وسار العسكر صحبة زين الدين المذكور ودخلنا حلب مستهل ذي القعدة ودخلنا دربند بغراس سابع ذي القعدة من الشهر المذكور وانتشرت العساكر في بلاد سيس فخرقت الزروع ونهبت ما وجدت ونزلنا على سيس وزحفنا عليها واخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الارمن وعدنا من الدربند الى مرج انطاكية ووصلنا الى حلب تاسع عشر ذي القعدة وسرنا الى حماة ودخلناها في السام والعشرين من الشهر المذكور اهـ

سنة ٧٠٢

ذكر دخول التتار الى الشام وكسبهم مرة بعد اخرى قال ابن اياس في حوادث سنة اثنتين وسبعمائة فيها جاءت الاخبار بان اميراً من امراء القان غازان يقال له قطلوشاه قد دخل الى حلب على حين غفلة من اهلها ومعنه طائفة من عسكر التتار وذكروا ان بلادهم قد اضمحلّت هذه السنة وقصدتهم الافامة بلحب حتى يشتروا لهم مغلا وكل ذلك حيل وخداع ثم بعد ايام دخل منهم جماعة الى مرعش فأرسل نائب حلب يكاتب السلطان بذلك فلما جاء هذا

الخبر عين السلطان جماعة من الامراء المقدمين عدتهم ستة من الامراء وعين الف مملوك من المماليك السلطانية فخرجوا من القاهرة على الفور مسرعين فلما وصلوا الى غزة توارت الاخبار بوصول غازان الى الرحبة وان نائب الرحبة تلتطف به وارسل له بالأقامة مع ولده ومنعه من محاصرة المدينة فلما ان بلغ السلطان ذلك احضر الامير سلاار النائب والاناكي بيبرس الجاشنكير وضربوا مشورة في ذلك فأشاروا على السلطان بالخروج قبل ان يتمكن العدو من البلاد فنادى السلطان في جميع اماكن القاهرة للعسكر بالرحيل من كبير وصغير ثم ان السلطان احضر جماعة من عربان الشرقية ومن عربان الغربية ونادى بالنفير عاماً وخرج مسرعاً على جرائد الخيل وكان معه الخليفة المستعصم بالله ابو الربيع سليمان والقضاة الاربع وسائر الامراء والعسكر من كبير وصغير فلما رحلوا من الريدانية تقدم الاناكي بيبرس الجاشنكير مع جماعة من العسكر قدام السلطان . فلما وصلوا الى الشام جاءت الاخبار بأن جاليس غازان قد وصل الى قرب حماة فأرسل الاناكي بيبرس يستحث السلطان في سرعة الحضور فجد السلطان في السير حتى وصل الى الشام في مستهل شهر رمضان من السنة المذكورة ثم ان السلطان لم يقم بالشام وبرز الى قتال عسكر غازان فكان مع السلطان من العساكر المصرية والشامية وعربان جبل نابلس نحو مائتي الف انسان وكان مع غازان مثل ذلك او اكثر فتلاقى العسكران على مرج راهط تحت جبل غباغب فكان بين الفريقين هناك واقعة عظيمة لم يسمع بمثلهما فيما تقدم من الزمان فكانت النصر يومئذ للملك الناصر محمد بن قلاوون على القات غازان فقتل من الفريقين مالا يحصى هدم واسر من عسكر غازان نحو الثلث وقتل من امراء مصر الامير حسام الدين لاجين استادار العالية والامير قوليا بن قرمان والامير سقتر الكافوري والامير

ايدمر الشمسى والامير آفوش الشمسى الحاجب والامير عز الدين تقيب الجيوش
 المنصورة والامير علاء الدين بن التركاني والامير حسام الدين بن ساخل والامير
 سيف الدين بهادر الدكاجكى هؤلاء غير من قتل من امراء دمشق الشام وحماة
 وحلب وطرابلس وغزة وغير ذلك من الامراء وقتل من المماليك السلطانية
 والامراء نحو الف وخمسمائة مملوك هذا خارجاً عن العربان والمشاة والعبيد والغلمان
 وغير ذلك فلما دخل الليل حالت الظلمة بين العسكرين فالتجأ عسكر غازان الى
 اعلى الجبال وبانوا يوقدون النيران وبات عسكر السلطان عذيقين بهم كالخفقة
 فلما لاح الصباح من يوم الاحد رابع شهر رمضان عاين عسكر التتار الهلاك
 من العطش والجوع فصاروا يتسحبون من الأودية أولاً بأول فحمل عسكر
 السلطان عليهم فصيروهم ربما واسروا منهم ماشاءوا فامتلات من قتلاهم القفار فلما
 وصات هذه النصره للملك الناصر محمد ارسل الأمير بكتوت الفتاح بأخبار هذه
 النصره الى الديار المصرية ثم ان السلطان رحل من المكان الذي وقعت فيه الواقعة
 ودخل الى دمشق وصحبته الخليفة المستكفي بالله سليمان والقضاة الاربع فنزل
 بالقصر الأبلق وكان يوم دخوله الى دمشق يوماً مشهوداً لم يسمع بمثله .
 وقبل هذه الواقعة كانت وقعة اخرى ذكرها ابو الفداء في تاريخه فقال في هذه السنة
 عاودت التتار قصد الشام وساروا الى الفرات واقاموا عليها مدة في ازوارها
 (بساينها) وسارت منهم طائفة تقدير عشرة آلاف فارس واغاروا على القرنبيين
 وتلك النواحي وكانت العساكر قد اجتمعت بحماة عند زين الدين كتيبة النائب
 بحماة وكان مريضاً من حين عاد من بلاد سمس فلما اجتمعت العساكر عنده وقع
 الاتفاق على ارسال جماعة من العسكر الى التتار الذين اغاروا على القرنبيين فجردوا
 استدمر الكرجى نائب السلطنة بالساحل وجردوا صحبته جماعة من عسكر

حلب وجماعة من عسكر حماة وجر دوني ايضاً من مجلتهم فسرنا من حماة سابع شعبان من هذه السنة وتواقنا مع التتر على موضع يقال له الكوم قريباً من عرض واقتتلنا معهم يوم السبت عاشر شعبان الموافق لساخ آدار وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة عن خيلهم واحاط المسلمون بهم بعد فراغهم من الوقعة وبذاوا لهم الأمان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر لهم وناوشهم العسكر القنال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلواهم عن آخرهم وكان هذا النصر عنوان النصر الثاني ثم عدنا مؤيدين منصورين ووصلنا حماة ثالث عشر شعبان الموافق لثاني نيسان . (ثم ذكر الواقعة الثانية بمعنى ما قدمناه عن ابن اياس الى ان قال) لما اصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يتبدرون الهرب وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم ارض متوحلة فتوحد فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم اسرى وقتل بعضهم وجردهم من العسكر الاسلامي جمعا كثيرا مع سلاسل وسافوا في اثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدرروا على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع اكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع واخذ منهم العرب جماعة كثيرة واخاف الله تعالى بهذه الوقعة ماجرى على المسلمين في المصاف الذي كان ببلد حمص قرب مجمع المروج في سنة تسع وتسعين وستائة ولما حصل هذا النصر العظيم واجتمعت العساكر بدمشق اعطاهم السلطان الدستور فسارت العساكر الحلبية والحموية والساحلية الى بلادهم فدخلنا حماة مؤيدين منصورين يوم السبت سادس عشر رمضان من هذه السنة الموافق لرابع ايار من شهور الروم اهـ

ذكر الاستيلاء على تل حمدون

قال ابن كثير يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر واضيف اليها الفان من دمشق وساروا واخذوا معهم نائب حص الجوا كندار ووصلوا الى حماة فصحبهم نائبها الامير سيف الدين قفجق وجاء اليهم اسندمر نائب طرابلس وانضاف اليهم قراستقر نائب حلب وانفصلوا كلهم عليها فانفرفوا فرقتين سارت طائفة صحبة قفجق الى ناحية ملطية وقلعة الروم والفرقة الأخرى صحبة قراستقر حتى دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة في ثالث ذي القعدة بعد حصار طويل فدقت البشائر لذلك بدمشق ووقع الاتفاق مع صاحب سيس على ان يكون للمسلمين من نهر جيحان الى حلب وبلاد ما وراء النهر الى ناحيتهم لهم وان يعجلوا حمل سين ووقعت الهدنة على ذلك بعد قتل خلق من الأمراء الارمن ورؤسائهم وعادت العساكر الى دمشق مؤيدة منصوره ثم توجهت العساكر المصرية الى مصر اه قال ابو الفداء لما استولوا على تل حمدون هدموها الى الأرض

ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس

قال ابو الفداء في اوائل المحرم من هذه السنة الموافق العشر الأخير من تموز ارسل قراستقر نائب السلطنة بحلب مع قشتمر مملوكه عسكر حلب للأغارة على بلاد سيس فدخلوها في اول الشهر المذكور وكان قشتمر المذكور ضعيف العقل قليل التدبير مشغولا بالخنز فقرط في حفظ العسكر ولم يكشف اخبار العدو

واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعاً كثيرة من التتر وانضمت اليهم الارمن والفرننج ووصلوا على غرة الى قشتمر المذكور ومن معه من الأمراء وعسكر حلب والتقوا بالقرب من بياس فلم يكن للحليين قدرة بمن جاءهم فقتلوا بيتدرون الطريق وتمكنت الارمن منهم فقتلوا واسروا غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وكان صاحب سيس في هذه السنة هيثوم بن ليفون بن هيثوم.

سنة ٦٩٨

مسير السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الكرك واستيلاء ببيرس الجاشنكير على المملكة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة في الخامس والعشرين من شهر رمضان خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز الشريف ولما وصل الى الكرك واستقر بها امر جمال الدين آقوش نائب السلطنة بها والامراء الذين حضروا في خدمته بالسير الى الديار المصرية واعلمهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة الى المقام بالكرك وكان سبب ذلك استيلاء سلار وببيرس الجاشنكير على المملكة واستبدادهما بالامور ونجاوز الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يترك لملك الناصر غير الأسم فأنف من ذلك وترك الديار المصرية واقام بالكرك ولما وصلت الأمراء الى الديار المصرية واعلموا من بها بأقامة السلطان بالكرك اتفقوا على ان تكون السلطنة لببيرس الجاشنكير وان يكون سلار مستمرا على نيابة السلطنة كما كان عليه وحلفوا على ذلك وركب ببيرس من داره بشعار السلطنة الى الأيواف الكبير بقلعة الجبل وجلس على سرير الملك في الثالث

والعشرين من شوال هذه السنة اعنى سنة ثمان وسبعمائة وتلقب بالملك المظفر
 دكن الدين بيبرس المنصوري وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحففوا له عن
 آخرهم وكتب تقليداً لمولانا السلطان بالكرك ومنشوراً بما عينه له من الأقطاع
 بزعمه وارسلها اليه واستقر الحال على ذلك حتى خرجت هذه السنة اهـ

سنة ٧٠٩

دعوة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك

(الى دمشق ثم الى مصر واقامته في السلطنة وتولية حلب لسيف الدين قبجق)
 في هذه السنة عاد السلطان محمد بن قلاوون من الكرك الى دمشق ثم الى مصر
 واعيد الى السلطان لمكاتبات اتت له من اهالي دمشق وحلب وخلع بيبرس
 الجاشنكير نفسه واستقر الملك الناصر على سرير ملكه مستهل شوال من هذه
 السنة وهي سلطته الثالثة وقد بسط ابو الفداء وابن اياس القول في ذلك
 ثم قال ابو الفداء واعطى نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبجق وقرر نيابة السلطنة
 بالشام لشمس الدين قراسنقر (النائب السابق بحلب)

سنة ٦١٠

ذكر وفاة سيف الدين قبجق وتولية حلب الى اسندمر

ثم القبض عليه

- - هذه السنة اعطى مولانا السلطان نيابة السلطنة بالسواحل
 والفتوحات لاسندمر وتصدق علي بجماعة والمعرة وبارين وارسل تقليد اسندمر
 بالسواحل مع منكوتر الطباخي فوصل الى دمشق في الثالث والعشرين من
 جمادى الاولى وسار الى حماة فلم يجد اسندمر الى المسير الى الساحل وامتنع من

قبول التقليد والخلة. ورد التقليد صحيفة منكوتمر المذكور فماد به الى دمشق
واتفق عند ذلك موت سيف الدين قفجق نائب السلطنة بحلب في يوم السبت
سلخ جمادى الأولى فلما وصل خبر موته الى الأبواب الشريفة انعم السلطان
بنيابة حلب على اسندمر موضع سيف الدين قفجق.

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمته نقلاً عن تاريخ شيخه الحسن بن
حبيب قال سنة عشرة وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قفجق المنصوري
نائب السلطنة بحلب كان عزيز الجانب مشحون الفلك والقارب معظماً في الدول
مصدقاً الى ان قال موفقاً ان فعل موصوفاً بالأقدام والحاسة مشهوراً بالمعرفة
والخبرة والسياسة ولي نيابة السلطنة بدمشق وحماة قبل حلب وكانت وفاته بها
ونقل الى تربته بحماة تغمده الله برحمته

قال ابو الفدا وكان السلطان قد جرد عسكرياً مع كراي المنصوري وشمس الدين
سنقر الكيالي فساروا وافاموا بمحصر ولما وصلت الى حماة عائداً من الأبواب
الشريفة ركبوا من حمص وسافوا ليكبسوا اسندمر بحلب ويفتوه بها فإنه كان
مستشعراً لما كان قد فعله من الجرائم وارسل كراي المذكور الي يعامنى بمسيرهم
وان اسير بالعسكر الجوي واجتمع بهم لهذا المم فخرجت من حماة يوم الخميس
تاسع ذي الحجة وسقنا نهار الجمعة وبعض الليل ووصلنا الى حلب بعد مضي ثلثي
الليلة المسفرة عن نهار السبت حادي عشر ذي الحجة واحتطنا بدار النيابة التي
فيها اسندمر تحت قلعة حلب وامسكناه بكرة السبت واعتقل بقلعة حلب وجهز
الى مصر مقيداً في يوم الأحد ثاني عشر ذي الحجة ووصل الى مصر فاعتقل بها
ثم نقل الى الكرك وكان آخر العهد به واحتيط على موجوده من الخيل والقماش
والسلاح وكان شيئاً كثيراً وحمل جميع ذلك الى بيت المال واستمر كراي والكيالي ومن

مهمان العساكر والعبد الفقير اسماعيل بن علي مقيمين بحلب حتى خرجت هذه السنة

سنة ٧١١

ذكر نقل قراستقر من نيابة السلطنة بدمشق الى حلب
قال ابو الفداء في هذه السنة لما قبض على اسندمر سأل قراستقر نائب السلطنة
بدمشق من مولانا السلطان ان ينقله الى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية لأنه كان
قد طال مقامه بها والف سكنى حلب فرسم له بذلك وحصر تقليده بولاية حلب
مع الأمير سيف الدين ارغون الدودار الناصري وسار في صحبته من دمشق
متوجهاً الى حلب وحصل عند قراستقر استشهاده من العسكر المقيمين بحلب لثلاث
يقبضوا عليه وبقي المقر السيفي ارغون الدودار الناصري المذكور يطيب خاطر
قراستقر ويحلف له على عدم توهمه ويسكنه ويثبت جاشه حتى وصل الى حلب
وركبت العساكر المقيمون بحلب للقاءه فالتقياه فالتقيناه ودخل حلب في يوم الاثنين
ثامن عشر محرم من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب واعطى المقر السيفي
ارغون الناصري عطاءً جزيلًا وسفره وسار المقر السيفي ارغون المذكور من
حلب يوم الاربعاء لعشرين من المحرم وتوجه الى الديار المصرية فأقام بعد ذلك
مدة ثم ورد الدستور الى العساكر النقيمة بحلب فسرنا منها في يوم الجمعة الحادي
والعشرين من صفر عائدتين الى اوطاننا

(ذكر مسير قراستقر الى الحجاز واطهاره العصيان وقصده حلب)

قال ابو الفداء وفي هذه السنة سأل قراستقر دستوراً الى الحجاز الشريف لقضاء
حجة الفرض فرسم له السلطان بذلك فعمل شغله وسار من حلب في اوائل
شوال من هذه السنة ولم يسر على الطريق وسار على طرف البلاد من شريقها

حتى وصل الى بركة زيزا فحصل عنده التخييل والخوف من الركب المصري لثلا يقبضوا عليه في الحجاز فعاد من بركة زيزا على البرية وسار على البر الى ارككة والسخنة ثم الى بر حلب واجتمع مع مهنا بن عيسى امير العرب واتفقا على المشاققة والعصيان وقصد قراستقر حلب ليستولى عليها فاجتمع العسكر والأمرء الذين بها ومنعوه من الدخول اليها ووصل من صدقات السلطان الى قراستقر ومهنا ما يطيب خاطرهما فلم يرجعا عن ضلالهما واصرا على ذلك فجرد السلطان عسكراً مع المقر السيفي ارغون الدوادار الناصري ومع الأمير حسام الدين قزلاجين بسبب قراستقر المذكور بحيث ان رجع عن الشقاق والنفاق يقرر امره في مكان يختاره وان لم يرجع عن ذلك يقصده العسكر حيث كان ووصل العسكر المذكور الى حماة سادس ذي الحجة وسرت بصحبته في عسكر حماة وتوجهنا الى البرية بالخام بالقرب من الزرقا حادى عشر ذي الحجة فاندفع قراستقر الى الفرات واقام هناك واقترفت مماليكه فبعضهم سار الى التتر وبعضهم قدم الى الطاعة . ثم توجه قراستقر الى جهة مهمها فمادت المساكر من الخام الى حلب وكان دخولنا اليها رابع عشر ذى الحجة من السنة ثم كان ما سنذكره ان شاء الله تعالى ثم قال وخرجت هذه السنة وقراستقر قد اظهر الشقاق وانضم الى مهنا بن عيسى امير العرب وهو متردد في البراري على شاطئ الفرات والحكم بحلب الى المشدين والنظار وايس بها نائب

(سنة ٧١٢)

ما كان من امر قراستقر والا فرم وسيرهما الى التتر

قال ابو الفداء وفي هذه السنة قصد آفوش الأفرم نائب السلطنة بالفتوحات

ان يحدث خلافاً وان يجمع الناس عليه فهرب اليه حموه ايدمر الزمر الزرد دكاش من دمشق وانضم اليه من لايق به وسار من دمشق واجتمع بالأفرم بالساحل وقصدوا من عسكر الساحل ومن غيرهم الموافقة لهم على ضلالتهم فلم يوافقهم احد فلما رأى الأفرم ذلك هرب من الساحل وخرج على حمية وعبر على الغوالة بين دمشق وحمص وسار الى البرية واجتمع بقراستقر في شهر المحرم من هذه السنة وكان بعض العساكر مع الأمير سيف الدين ارکتمر على حمص فساق خلف الأفرم فلم يلقه وكان على حاب العسكر المتقدم ذكره في السنة الماضية صحبة الأمير سيف الدين ارغون الدوادار فلما بلغنا هروب الأفرم واجتماعه بقراستقر وهم قريب سامية وقع آراء الأمراء على الرحيل من حلب والمسير الى جهة حمص وسامية فرحل الأمير سيف الدين ارغون الناصري والأمير حسام الدين قرا لاجين ومؤلف هذا المختصر بعسكر حماة من حلب وسرنا ووصلنا الى حماة في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ووصلت باقي العسكر وسرنا من حماة في يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم الموافق الثامن والعشرين من ايار ونزلنا بظاهر سامية وقصد قراستقر والأفرم كبس العسكر بالليل لظنهما ان فيهم مخاضرين وانهم يوافقونهم على ذلك فلم يوافقهم احد على ذلك فرجعوا عن ذلك وسار قراستقر والأفرم ومن معها الى جهة الرحبة فاتفق آراء الأمراء على تجريد عسكر في اثرهم فجردوا العبد الفقير اسماعيل بن علي بعسكر حماة وكذلك جردوا من المصريين الأمير سيف الدين (قلى) بمقدمته وغيره من المتقدمين المصريين والمقدمين الدماشقة فسرنا من سامية في يوم الخميس سابع عشر المحرم من هذه السنة الى القسطل ثم الى قديم ثم الى عرض ثم الى قباب ثم الى الرحبة ووصلنا اليها في يوم الأحد الثامن والعشرين من المحرم فلما وصلنا الى الرحبة اندفع قراستقر ومن معه الى جهة رومان قريب عانة والحديثة فسا

امكنا المنضي خلفه الى تلك البلاد بغير مرسوم فأقننا بالرحبة ثم رحلنا منها عائدين في مستهل صفر الموافق لثامن حزيران من هذه السنة وسرنا الى المقر السبي ارغون الدوادار وكان قد سار من سامية الى حمص فوصلنا الى حمص في يوم الخميس ثامن صفر من هذه السنة ثم ان المقر السبي رأى ان حماة قريبة وليس بمقاي بعسكر حماة على حمص فائدة فاقضى رأيه سيرى الى حماة فسرت اليها ودخلتها ثمانى عشر صفر . واستمر العسكر مقيمين بمحمص ثم ان قراستقر والأفرم طال عليهما الحال وكثر ترداد الرسل اليهما في اطابة خواطرهما وهما لايزدادان الاعتوا ونفورا حتى سارا الى التتر واتصلا بمخدايندا في ربيع الأول من هذه السنة وكذلك ايدمر الزردكاش ومن انضم اليهم

(زيادة بيان في حوادث قراستقر واحتمائه بأمر العرب مهنا بن عيسى)

(وقصد هذا حلب وتوجهها مع امير حمص الأفرم الى بلاد العراق)

قال ابن بطوطة في رحلته كان قراستقر من كبار الأمراء ومن حضر قتل الملك الأشرف اخى الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به القرار واشتدت او اخي سلطانه جعل يتتبع قتله اخيه فيقتلهم واحداً واحداً اظهارة للأخذ بثاره وخوفاً ان يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه وكان قراستقر امير الأمراء مجلب فكتب الملك الناصر الى جميع الأمراء ان ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم مجلب وزولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما فعلوا ذلك خاف قراستقر على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صباحاً فأخترقهم واعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين الفاً وقصد منزل امير العرب مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه والقى الممامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا امير

العرب وكانت هناك ام الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت قد اجرناك واجرنا من معك فقال انما اطلب اولادى ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك واتى مهنا فأحسن نزله وحكمه في ماله فقال انما احب اهلي ومالي الذي تركته بحلب فدعا مهنا بأخوته وبني عمه فشاورهم في امره فمنهم من اجابه الى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا فأفعل لهذا الرجل ما يريد واذهب معه الى سلطان العراق . وفى اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن اولاد قراستقر سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا لقراستقر اما اولادك فلا حيلة فيهم واما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن اطاعه من اهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفاً وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراستقر ومن بقي من اهله ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم امير حمص الأفرم ووصلوا الى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى قراياغ وهو ما بين السلطانية وتبريز فأكرم نزلهم واعطى مهنا عراق العرب واعطى قراستقر مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة واعطى الافرم همدان واقاموا عنده مدة مات فيها الافرم وعاد مهنا الى الملك الناصر بعد مواتيقي وعهود اخذها منه وبقي قراستقر على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسبيبه من الفداوية جماعة (١) وكان لا يفارق الدرع ابداً ولا ينام الا في بيت العود والحديد فلما مات السلطان محمد خدابنده وولي ابنه ابو سعيد وقع ما سنذكره

(١) انظر آخر حوادث سنة ٧٢٧ في الكلام على حصن القدموس

من امر الجوبان كبير امرائه وفرار ولده الدمراطاش الى الملك الناصر ووقعت
المراسلة بين الملك الناصر وبين ابي سعيد واتفقا ان يبعث ابو سعيد الى الملك
الناصر برأس قراسنقر ويبعث اليه الملك الناصر برأس الدمراطاش فبعث اليه
الملك الناصر برأس الدمراطاش الى ابي سعيد فلما وصله امر بمحمل قراسنقر اليه
فلما عرف قراسنقر بذلك اخذ خاتماً كان له مخوفاً في داخله سم نافع فزرع ففصه
وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف ابو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث
له برأسه

ترجمة قراسنقر المصوري وآثاره مجلب

قال ابن خطيب الماصرية في الدر المستخب. قراسنقر المصوري الأمير شمس الدين
ولي نيابة حلب من قبل استاذة الملك المنصور قلاوون في سنة احدى وثمانين
وسمائة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الباشقودي وقدم اليها من مصر
واستمر بها عشر سنين ثم عزل منها في سنة احدى وتسعين وسمائة بالأمر
سيف الدين بلدان الطباخي ثم وليها في سنة تسع وتسعين عوضاً عن المذكور
واستمر بها عشر سنين ايضاً ثم نقل الى نيابة دمشق ثم ولي نيابة حلب مرة
ثالثة واستمر بها اياماً ثم تسحب هو والأمير جمال الدين آقوش الأفرم
الدواداري نائب السلطنة بطرابلس وذلك في سنة احدى عشرة وسبعمائة الى
بلاد التتار خوفاً على نفسيهما فلحقا بمحمدابنده بن ارغون بن القان هولاًكو ملك
البلاد الشرقية على ما حكينا في ترجمة آقوش الأفرم . وكان الأمير قراسنقر
المذكور اميراً كبيراً شجاعاً سعيداً حازماً معرضاً عن شرب الخمر ذا معرفة وخبرة
ودهاء وتدبير ولي نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحماة وحلب وجمع املاكاً كثيرة
وبنى بالقاهرة مدرسة مشهورة ومجلب رباطاً معروفاً به وله وقف كبير وفيه

يقول العلامة صدر الدين ابو عبد الله محمد الشهير بأبن الوكيل الشافعي عند
قدومه الى حلب

شمس سما فوق السماك عله * وسبا سناء البدر في هالانه
بالسيف والعلم ارتقى فضاء ذا * لعدائه ومضى به لعدائه
فالعلم بين بنانه وبيانه * والحلم من ادواته ودوانه
وكذا حديث الجود عنه مسند * متواتر قد صح عند رواه
قد كان في حلب وفي سكانها * شوق اليه يشب في لفحاته
فتباشروا فرحاً بنيل مرامهم * ودعوا بطول بقائه وثبانه

وفيه يقول الرئيس بهاء الدين علي بن ابي سواده الحلبي من ابيات
وفائلة من افرس الترك في الوغى * واثبتهم فوق الجياد السوابق
واحتكهم طعناً اذا اشتبك القنا * واضربهم بالسيف في كل مازق
فقلت كفيل الملك والبطل الذي * له صولة الآساد تحت السناجق
فراسنقر المنصور في كل موقف * وحامى حمى الاسلام عند الحقائق
توفي الأمير شمس الدين فراسنقر في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بمراغة وقد
جاوز سبعين سنة تغمده الله تعالى برحمته اه اقول وذكره المقرئ في تاريخه
السلوك فيمن توفي في سنة احدى واربعين وسبعمائة والله اعلم ايها اصح
قال ثمة وقد اعني الملك الناصر قتله وبعث اليه كثيراً من الفداوية فصانه الله منهم
بحيث قتل من الفداوية بسببه مائة واربعة عشر فداوياً ولما بلغ السلطان موته
قال والله ما كنت اشتهي موته الا من تحت سيني واكون قد قدرت عليه وبلغت
مقصودي ولكن الأجل حصين وكانت له مع الفداوية اخبار طويلة ذكر منها
المقرئ ما يطول به الكلام فاكتفينا بما نقلناه لك عن ابن بطوطة

تولية حلب لسيف الدين سودى وقصد التتار الرحبة قال ابو الفداء وفي هذه السنة قرر السلطان سيف الدين سودى الجمدار الأشرفى ثم الناصري في نيابة السلطنة بحلب المحروسة موضع قرا سنقر فوصل سودى الى حلب في ثامن ربيع الأول من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب

✽ مجىء التتار الى الرحبة وتجريد العساكر الى حلب ✽

قال ابو الفداء في يوم السبت سابع عشر رجب خرجت بعساكر حماة ودخلت حلب في يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب واقت بها وكان النائب بها الأمير سيف الدين سودى ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادر اص وقويت اخبار التتار وجفل اهل حلب وبلادها ثم وصلت التتار الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات فعندها رحل الأمير سيف الدين سودى وجميع العساكر المجردة من حلب ثامن رمضان ووصلنا الى حماة سابع عشر رمضان وكان خدابندا نازل الرحبة يجمع الغل (التتار) في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لآخر كانون الأول وقام سيف الدين سودى بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤا المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل الى عرض والسخنة وتعود الينا بأخبار المخدول واستمر خدابندا شاصراً للرحبة واقام عليها المجانيق واخذ فيها القوب ومعه قرا سنقر والأفرم ومن معهما وكانا قد اطعما خدابندا انه ربما يسلم اليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين ابن اركشى الكردي لأن الأفرم هو الذي كان قد سمى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة واخذله امره الطبلخانة فطمع الأفرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور ان يسلم اليه

الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة احسن قيام وصبر على الحصار وقاتل اشد قتال ولما طال مقام خدابندا على الرحبة بجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الأفوات وكثرت منه المقفرون الى الطاعة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئاً ولا وجد خدابندا لما اطعمه به قراسقروالافرم صحة فرحل خدابندا عن الرحبة راجعاً على عقبه في السادس والعشرين من رمضان بعد حصار نحو شهرين وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزلت اهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ولما جرى ذلك رحل سودى وعسكر حلب من حماة وعادوا الى حلب واستمر بهادرارص ومن معه من عسكر دمشق مقبلاً بحجة مدة ثم ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق اه وذكر ابن اياس ارحيلهم عن الرحبة سبباً آخر حيث قال وفي هذه السنة حضر مملوك نائب حلب واخبر السلطان بأن التار قد تحركوا على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك عرض العسكر وانفق عليهم فعبوا حالهم في سبعة ايام ثم خرج السلطان من القاهرة في اوائل شهر رمضان وقصد التوجه الى حلب بسبب التتار فلما وصل الى غزة وردت عليه الاخبار بأن التار بلغهم مجيئ السلطان فخافوا ورحلوا عن مدينة الرحبة وتوجهوا الى بلادهم

سنة ٧١٤

وفاة سيف الدين سودى وآثاره بحلب وتوليبتها للامير

علاء الدين الطنبغا

قال ابو الفداء في هذه السنة في رجب توفي الأمير سيف الدين سودى نائب السلطنة بحلب فولى السلطان نيابة السلطنة بحلب الامير علاء الدين الطنبغا الحاجب

ووصل الى حلب واستقر بها نائبا في اوائل شعبان من هذه السنة . اه
قال ابن كثير ومن توفي في هذه السنة سودى نائب حلب في رجب ودفن بتربته
وهو الذي كان سبباً في اجراء النهر اليها غرم عليه ثلثمائة الف (١) وكان مشكور
السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفي تنمة المختصر لأبن الوردى كان مشكور
السيرة ودفن بالمقام وبنيته عليه تربة ورتب عليه قراء وما يليق به . قال في
الدر السكينة في ترجمته كان رأس نوبة ومن اعيان الأمراء وولي نيابة حلب
في سنة ٧١٢ وهو الذي اجرى النهر الى قويق وطوله اربعون الف ذراع وكان
الغرامة عليه اربعمائة الف درهم لم يظلم فيه احداً ولم يزل الى ان مات في رجب
سنة ٧١٤ وكانت مدة امرته على حلب سنتين

قال ابن الوردى في تنمة المختصر ولي حلب بعد سودى الأمير علاء الدين الطنبغا
الصالحى الحاجب فانتفعت به حلب وبلادها وعمر جامع بالميدان الاسود ونقل
اليه اعمدة عظيمة من قورس وعمرت بسبب هذا الجامع اما كن كثيرة حوله
سنة ٧١٨

﴿ ذكر بناء الطنبغا للجامع المسمى باسمه ﴾

قال في الدر المنتخب ومن مشاهير جوامع حلب جامع الطنبغا الصالحى نائب
حلب ثم دمشق بناه بطرف الميدان الاسود سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهو
اول جامع بني مجلب بعد الجامع الكبير داخل سورها على كف خندق الروم
شرقي المدينة وجعل له بابين باباً غربياً يستطرق منه الى حوش عظيم يعرف
به ومنه الى المدينة وهو باب الكبير وبني الى جانبه ميضأة كبيرة كثيرة النفع
وباباً شرقياً صغيراً يستطرق منه على جسر الى ظاهر البلد وركب عليه باب

قلعة القير لما افتتحها واخرها واليه تنسب محلة وبه الآن مكان مخزن به ملح
الجبول اظنه كان خانقاها للمسجد المذكور وكرا المخزن يأخذه متوليه فيصرفه
على مرزقته وبالقرب منه تربة هي الآن تحت يد بعض الناس تغلب عليها فجعلها
بيتاً وهي بناء عظيم

سبب بناءه

قال في كراسة عندي اظنها من (كوزالذهب لأبي ذر) ونحن نذكر في كتابنا
هذا ما تجدد بعده (بعد ابن شداد) من الجوامع من غير استيعاب فنبداً يجمع
الطنبغا اذ هو اول جامع بنى مجلب بعد الاموي كما تقدم وكنت عمارته في سنة
ثلاث وعشرين وسبع مائة وهذا الجامع بصدر الميدان الأسود وبلغني ان الطنبغا
كان يكره الخطيب ابن العجمي خطيب الجامع الاعظم وهو المذكور مع اقاربه
في فصله وكان الطنبغا لا يقابله بذلك وصنع هذا الجامع ليصلي فيه ولا يصلي
خلفه وفي اول جمعة صليت فيه قرئ علي ابى القاسم عمر بن حبيب المسلسل بالاولية
تبركاً بالحديث النبوي وفيه مناسبة اخرى ظاهرة وفيه يقول ابن حبيب [١]

في حلب دار القرى جامع * انشأه الطنبغا الصالحى
رحب الذرى يبدو لمن امه * لطف المعانى حسنه الواضع
مرتفع الرايات يروي الظما * من مائه السارب السارح
يهدي المصلي في ظلام الدجى * من نوره اللامع اللامح
من حوله الروض يروي الورى * من زهره بالنفايق الفائح
لله بسانيه الذي خصه * بالروح للفادي وللرايح

المكتوب على بابه الكبير الغربى

(١) البسمة انما يعمر مساجد الله (٢) من آمن بالله واليوم الآخر . انشا هذا الجامع (٣) المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف العالى العلائى (٤) الطنبغا الناصرى تقدمه الله برحمته وعفا عنه وذلك في ايام (٥) دولة مولانا السلطان المالك الملك الناصر محمد عز نصره (٦) في شهرور سنة ثمانية عشر وسبعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله .

وعلى يسار الداخل اليه باب يخرج منه الى ساحة واسعة كانت قديماً مخزنًا للمالح الذي يؤتى به من الجبول . والقبلىة ذات اربع سوار في وسطها مبنية من الحجارة ولا أثر للواميد هناك غير ان ثلاثة منها شكل بنائها يفيد ان تحت القواعد عواميد واخبرت انه كان حصل هناك حريق فأصاب العواميد شي من التوهن فلف كل عمود بسارية من الحجر حفظاً له

والقبة التى فوق المحراب ذات هندسة بدیعة حفظتها لنا الأيام مع ارتفاع بنائها وضخامة احجارها . وقد كان بعض جدار القبلىة الشمالى معمولاً من الخشب فتوهن وصار يتطرق منه الهواء الى القبلىة فيتأذى به المصلون ايام الشتاء فأزيل ذلك الخشب وبني عوضه من الحجر وذلك فى سنة ١٣٤٠ وحصل فى الجامع فى هذه السنة شي من الترميم من طرف دائرة الاوقاف ومن بعض اهل الخير فعاد للجامع بعض رونقه .

وكان احدث امام الباب الصغير الشرقى مiazza بحيث منعت الدخول الى الجامع من هذا الباب وقد ازيلت سنة ١٣٤٠ ومن هذا الباب تخرج الى الخندق القديم الذى كان محيطاً بسور البلد وقد طم هذا الخندق وصار الان جادة واسعة ووراء هذه الجادة المحلة المعروفة ببرية المسلخ .

وجدار القبيلة الشرقى هو داخل في بناء السور ولذا كتب عليه من خارجه
(١) البسطة امر بمهارة هذا السور في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ابى
السعادات بن محمد بن الملك الاشرف قايتباي (٢) عز نصره المقر الكريم جان
بلاط كافل حلب المحروسة وبتولى السيفى مصر باى نائب القلعة الحلبية بتاريخ جماد
الآخرة سنة ثلاث وتسعمائة

والباقي له الآن من الأوقاف ثلث دار في محلة المنزوق . واصطبل ونصف دار
في محلة البستان ومزرعتان في قرية السفيرة الواحدة اسمها الناعورة والاخرى
مردغين ويبلغ مجموع وارداته نحو ثلاثة آلاف قروش راتجة

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على آمد ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة في ربيع الآخر كانت الاغارة على آمد وسبب
ذلك ان نائب السلطنة بحلب جهز عدة كثيرة من عسكر حلب وغيرهم من
التراكين والعربان والطاعة وقدم عليهم شخصاً تركانياً من امراء حلب يقال
له ابن جاجا وكان عدة المجتمعين المذكورين مايزيد على عشرة آلاف فارس
فساروا الى آمد وبفتوها ودخلوها ونهبوا اهلها المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك
امر باطلاق من كان مسلماً فاطلقوا بعد ان ذهبت اموالهم وبالق المجتمعون
المذكورون في النهب حتى نهبوا الجامع واخذوا بسطه وقناديله وفعلوا بالمسلمين
كل قبيح وعادوا سالمين وقد امتلأت ايديهم من الكسب الحرام الذى لا يحل
ولا يجوز شرعاً وختل آمد من اهلها وصارت كأنها لم تكن بالأمس اه



(سنة ٧٢٠)

ذكر الاغارة على سيس وبلادها

قال ابو الفداء في هذه السنة تقدمت مراسيم السلطان بأغارة العساكر على بلاد سيس ورسوم لمن عينه من العساكر الاسلامية الشامية فسار من دمشق تقدير النبي فارس وسار الامير شهاب الدين قرطاي بعساكر الساحل وجردت من حماة امراء الطبليخانات الذين بها وسارت العساكر المذكورة من حماة في العشر الاول من ربيع الاول ووصلوا الى حلب ثم خرجت عساكر حلب مصحبة المقر العلامي الطنبغا نائب السلطنة بحلب وسارت العساكر المذكورة عن آخرهم ونزلوا بعمق حارم واقاموا به مدة ثم رحلوا ودخلوا الى بلاد سيس في منتصف ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من ايار وساروا حتى وصلوا الى نهر جيحان وكان زائداً فاقتحموه ودخلوا فيه ففرق من العساكر جماعة كثيرة وكان غالب من غرق التراكمين الذين من عسكر الساحل وبعد ان قطعوا جيحان المذكور ساروا ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا منها واتفقوا البلاد والزرع وسافوا المواشي وكانت شيئاً كثيراً واقاموا ينهبون ويحربون ثم عادوا وقطعوا جيحان وكان قد انحط فلم ينضر احد به ووصلوا الى بغراس في التاسع والعشرين من ربيع الآخر ثم ساروا الى حلب واقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل اليهم الدستور فسار كل عسكر الى بلده اهـ

[سنة ٧٢٤]

قال ابن اياس في هذه السنة برزت المراسيم الشريفة الى نائب حلب بأن يروك البلاد الحلبية كما فعل في البلاد الشامية فخرج امير من الامراء العشروات ومعه

جماعة من المباشرين بسبب ذلك فتوجهوا الى القاهرة الى حلب وراكوا البلاد الحلبية حكم البلاد الشامية لجميع البلاد المصرية والشامية والحلبية الآن في الروك الناصري اه

سنة ٧٢٧

ذكر عزل علاء الدين الطنبغا وتولية حلب لارغون

الدوادار

قال ابن كثير في العشر من المحرم دخل مصر ارغون نائب مصر (فادماً من الحجاز كما في روض المناظر) فسك في حادي عشره وجلس اياماً ثم اطلق وبعثه السلطان نائباً الى حلب فاجتاز بدمشق في الثاني والعشرين من المحرم فبات بها ليلة ثم سافر الى حاب وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الحاي الدوادار الى مصروفي صحبته نائب حلب علاء الدين مغزولاً عنها الى حجابة الحجاب بمصر (الطنبغا تولى حلب مرة ثانية سنة ٧٣١)

مرور الرحالة ابي عبد الله محمد بن بطوطة بهذه البلاد

في هذه السنة وذكره لنائب السلطنة بها ولقضاها الاربع

في هذه السنة مر الرحالة ابن بطوطة بمدينة حلب قال في رحلته . ومجلب ملك الأمراء ارغون الدوادار اكبر امراء الملك الناصر وهو من الفقهاء موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاة مجلب اربعة المذاهب الاربعة ففهم القاضي كمال الدين ابن الزملكاني شافعي المذهب على الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الأخلاق متفنن بالعلوم وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليوليه قضاة القضاة بحضرة ملكه فلم يقض له ذلك وتوفي ببلييس . وهو متوجه اليها ومن قضاة حلب قاضي قضاة

الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن الصورة والسيرة اصيل مدينة حلب
 تراه اذا ما جثته مهتلاً * كانتك تعطيه الذى انت سائله
 ومنهم قاضى قضاة المملوكية لا اذكره كان من الموثقين بمصر واخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضى قضاة الحنابلة لا اذكر اسمه وهو من اهل صالحية دمشق
 وتقيب الاشرف بحلب بدر الدين بن الزهرة . ومن فقهاؤها شرف الدين بن
 العجمي واقاربه كبراء مدينة حلب

ذكر وصفه لمدينة حلب

قال وهي من اعز البلاد التى لا نظير لها فى حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع
 الأسواق وانتظام بعضها ببعض واسواقها مسقفة بالخشب فاهلها دائماً فى ظل
 ممدود وقيسارياتها لا تماثل حسناً وكبراً وهى تحيط بمسجدها وكل سماط منها
 محاذ لباب من ابواب المسجد ومسجدها الجامع من اجمل المساجد فى صحنه بركة
 ماء ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج والابنوس
 وقرب جامعها مدرسة مناسبة له وبها مارستان واما خارج المدينة فهو بسيط
 افيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الأعناب به منتظمة والبساتين على
 شاطئ نهرها وهو النهر الذى يمر بحماة ويسمى العاصى (هذا سهو منه) والنفس
 تجدد فى خارج مدينة حلب انشراحاً وسروراً ونشاطاً لا يكون فى سواها وهى
 من المدن التى تصلح للخلافة قال ابن جزى (جامع رحلة ابن بطوطة) اطنبت الشعراء
 فى وصف غحاسن حلب وذكر داخلها وخارجها وفيها يقول ابو عبادة البحرى (١)
 يا برق اسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس

(١) من قصيدة مطلعها . ناهيك من حرق ابنت اقسى . وهى فى ديوانه المطبوع فى الجوائب

عن منبت الورد المعصفر صبغه * في كل ضاحية ومجنى الاس
ارض اذا استوحشت ثم انيتها * حشدت علي فاكثرت ايناسي
وقال فيها الشاعر المجيد ابو بكر الصنوبري

سقى حلب المزن مغنى حلب * فكم وصلت طرباً بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذا نشر الزهر اعلامه * بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق واوساطه من ذهب
وقال فيها ابو العلاء المعري [١]

حلب للولي جنة عدن * وهي للغادرين نار سعين
والعظيم العظيم يكبر في عينيه قدر الصغير الصغير
فقويق في انفس القوم بحر * وحصاة منه مكان ثير
وقال فيها ابو الفتيان بن حيوس

يا صاحبي اذا اعيأ كما سقمي * فلقياي نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الهوى العذري من اربى
وقال فيها ابو الفتح كشاجم

وما اتممت جارها بلدة * كما اتممت حلب جارها
بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها
وفيه قال ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي

حادي العيس كم تنيخ المطايا * سق بروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي * ومراي وقبلة الأشواق
لاخلا جوشن وبطياس وال * سمعدي من كل وابل غيداق

[١] من قصيدة في ديوانه سقط الزند مطلعها . ابق في نعمة بقاء الدهور .

كم بهما مرتع لطرف وقلب * فيه سقى النى بكأس دهاق
وتغنى طيورها لارتياح * وتثنى غصونها للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * انجم الأفق حولها كالنطاق
وقال بعد ذكره لما قاله الرحالة ابن جبير في وصف قلعتها وقد قدمناه في حوادث
سنة ٥٨٠ وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة

وخرفاء قد تاهت على من يرومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يجر عليها الجو جيب غمامة * ويلبسها عقدًا بأنجمه الشهب
إذا ماسرى برق بدت من خلاله * كما لاحت العذراء من خلل السحب
فكم من جنود قد اماتت بغصة * وذى سطرات قد ابانت على عقب
وفيهما يقول ايضاً وهو من بديع النظم

وقلعة عائق العيوق سافلها * وجاز منطقة الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر اذ كان الغمام لها * ارضاً توطأ قطريه مواشيها
إذا الغمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهمي عواليها
يعد من انجم الأفلاك مرقبها * لو انه كان يجري في تجاريها
ردت مكاييد اقوام مكايدها * وقصرت بدواهيهم دواهيها
وقبل هذا البيت كما في تاريخ ابن شداد

على ذراً شامخ وعمر قدامتلات * كبراً به وهو مملوء بها تيهها
له عقاب عقاب الجوحائمة * من دونها فهي تخفى في خوافيهها

وبعد

اوطأت همتك العلياء هامتها * لما جعلت العوالي من مراقبيها
فلم تقس بك خلقاً في البرية اذ * رأت قسي الردى في كف باربيها

وفيها يقول جمال الدين علي بن أبي المنصور

كادت لفرط سموها وعلوها * تستوقف الفلك المحيط الدائر
وردت قواطنها الجبرة منها * ورعت سوابقها النجوم زواهرا
ويظل صرف الدهر منها خائفاً * وجلا فما يسي لديها حاضرا
﴿ وقال في وصفه للمعرة ﴾

والمعرة مدينة صغيرة حسنة أكثر شجرها التين والزيتون والفسق ومنها يحمل
إلى مصر والشام ويخارجها على فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
ولا زاوية عليه ولا خديم له وسبب ذلك أنه وقع في بلاد صنف من الرافضة
أرجاس ينفضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويبنضون
كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في
تعظيم علي رضي الله عنه

﴿ وقال في وصفه لسرمين ﴾

ثم سرنا منها إلى مدينة سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها
الزيتون وبها يصنع الصابون الآجري ويحلب إلى مصر والشام ويصنع بها أيضاً
الصابون المطيب لفسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب
قطن حسان تنسب إليها وأهلها صابون يبنضون العشرة ومن العجب أنهم
لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سمارتهم بالأسواق على السلع فإذا بلغوا العشرة
قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوماً فسمع سماراً ينادي تسعة
وواحد فصره بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع
فيه تسع قباب ولم يحملوها عشرة فياما بمذهبهم القبيح اهـ

[قال في وصفه لتيزين]

ثم سافرت منها (من حلب) الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين وهي حديثة اتخذها التركان واسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الأتقان وقاضيهما بدر الدين العسقلاني

قلت قال في المعجم (تيزين) ويقال لها توزين قرية كبيرة من نواحي حلب كانت تعد من اعمال قنسرين ثم صارت في ايام الرشيد من العواصم . وقال في الدر المنتخب هي مدينة صغيرة قديمة كان لها سور قد تهدم واليها تنسب الكورة وان كان فيها ماهو اميز منها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان استولت الفرنج كما ذكرنا على انطاكية ثم استعادها المسلمون منهم وقصبتها الآن ارتاح وقال في وصفه لمدينة انطاكية

ثم سافرت الى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة اصلية وكان عليها سور عظيم لا نظير له في اسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الاشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي . وبها قبر حبيب البجار رضى الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنه ينيف على المائة وهو ممتنع بقوته دخلت عليه مرة في بسنان له وقد جمع خطباً ورفعته على كاهله ليأتي به منزله بالمدينة

ورأيت ابنه قد اناف على الثمانين الا انه محدودب الظهر لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن الوالد منها ولداً والولد والداً

وقال في وصفه لحصن بفراس

ثم سافرت الى حصن بفراس وهو حصن يمنع لايرام عليه البسانين والزراع

ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبغاية وبها تصنع الثياب الديزية وامير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن اخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص ويحفظ الطريق الى بلاد الأرمن

وقال في وصفه لحصن الشفر

ثم سافرت الى حصن الشفر بكاس وهو منيع في رأس شاهق اميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من اصحاب ابن تيمية

وقال في وصفه لمدينة صهيون

ثم سافرت الى مدينة صهيون وهي حسنة بها الأنهار المطردة والأشجار المورقة ولها قلعة جيدة واميرها يعرف بالأبراهيمي وقاضيه محي الدين الحمصي وبخارجها زاوية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح المأبد عيسى البدوي رحمه الله وقد زرت قبره

وقال في وصفه لحصن القدموس ومصيف وغيره

ثم سافرت منها فحرت بحصن القدموس ثم بحصن المنيفة ثم بحصن العليقة ثم بحصن مصيف ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لها الأسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم احد من غيرهم وهم سهام الملك الماصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوه اعطاه دية فأن سلم بعد تأتي مايراد منه فهي له وان اصاب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتاله وربما لم تصح حلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الأمير فراسفور فإنه لما

هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدروا عليه لأخذه بالحزم
(سنة ٧٣١)

﴿ ذكر وصول نهر الساجور الى حلب ﴾

قال في روض المناظر نهار الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور الى حلب
فزيد به نهر قويق (١) بساقية بناها الأمير ارغون الدوادار وكان يوم وصوله
يوماً مشهوداً خرج لتلقيه ملك الأمراء وسائر الناس مشاة مكبرين مهللين ومنع
اهل الذمة من الخروج معهم وكذلك المطربون وكان قبله الأمير سودى نائب
حلب قصد سوقه وشرع فيه فقيل له من ساقه يموت في عامه فنأخر عنه وقيل
مثل ذلك لأرغون فقال لا ارجع عن خير عزمتم عليه فقدّر الله انه مرض قبل
اربعين يوماً ومات رحمه الله وانشد القاضي الفاضل شرف الدين الحسين بن ريان
لما أتى نهر الساجور قلت له * ماذا التأخر من حين الى حين
فقال اخرنى ربي ليجمعنى * من بعض معروف سيف الدين ارغون
وانشد القاضي الفاضل بدر الدين الحسن بن حبيب رحمه الله فيه

قد اوضحت الشهباء ثنى على * ارغون في صبح وديجور
من نهر الساجور اجرى لها * للناس مجرا غير مسجور
ودفن في تربته التي انشاها بسوق الخيل بين بابي القوس وكان عمره نحو الخمسين
اشتراه الملك المنصور قلاون الصالحى صغيراً لولده الملك الناصر محمد وربى معه
وكان معه بالكرك ثم ولاء نيابة الملك بمصر وربى بعد بپرس الدويدار ست
عشرة سنة كما تقدم ثم نقله الى نيابة حلب ثم طلب الحضور لحضر واجتمع بالسلطان
ثم تباكيا ثم عاد الى حلب ومات بها وكان فقيهاً حنفياً ورعاً اذن له بالأفتاء على

مذهبه سمع صحيح البخارى على الشيخ ابي العباس احمد بن الشحنة الحجار
ووزير بنت عمر بن اسعد بن المنجا بمصر فى سنة خمس عشرة وسبعمائة بقراءة
الشيخ ابي حيان وكتب بخطه مجلداً منه .

وقال ابو الفداء فى حوادث هذه السنة وفيها فى صفر وصل نهر الساجور الى
نهر قويق وانصب الى حلب بعد غرامة اموال عظيمة وتعب من العسكر والرعايا
بتولية الامير فخر الدين طمان . وفى ربيع الاول مات بحلب الامير سيف الدين
ارغون الناصري نائبها وخرجت جنازته بلا تابوت وعلى النش كساء بالفقيرى
من غير ندب ولا نياحة ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل سرج حسبما
اوصى به ودفن بسوق الخيل تحت القلعة وعملت عليه تربة حسنة ولم يجعل على
قبره سقف ولا حجرة بل التراب لا غير

وكان متقناً لحفظ القرآن مواظباً على التلاوة عنده فقه وعلم ويرد احكام الناس
الى الشرع الشريف حتى كان بعض الجهال ينكر عليه ذلك وكتب صحيح البخاري
بخطه بعد ما سمعه من الحجار واقتنى كتباً نفيسة وكان عاقلاً وفيه ديانة رحمه الله .
اقول قبلى حماد الناصري المعروفة الآن بحمام البايديدة مسجد قديم بابه مؤلف
من ثلاثة احجار كبيرة بينه وبين الحمام بضعة اذرع فيه قبلة وحجرات صغيرة
مشرفة على الخراب يسكنها بعض الفقراء وحجرة واسعة فيها قبر ارغون المذكور
عليه تابوت من حجارة كتب بعض الجهلة على الحجرة العليا منه (هذا ضريح
الولي الزاهد العارف بالله تعالى صاحب الخيرات والمبرات الشيخ محمد بن عبد
الله قويق الحافر المجرى لنهر حلب الشهباء) والصواب انه قبر ارغون الدوادر
رحمه الله وهذه تربته التى ذكرها ابن الشحنة فى الكلام على التراب

ترجمته ايضاً

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ارغون الدوادار اشتراه المنصور فرباه مع ولده الناصر احمد ولم يزل معه في خدمته حتى توجه الى الكرك وهو معه حتى عاد وهو ملازمه الى ان ولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية سنة ٧١٢ فصار سيرة حسنة الى الغاية وكان يخلص الناس من شذائد يريد الناصر ان ينزلها بهم وحج سنة ١٥ وخلف السلطان لما حج سنة ١٩ ثم حج هوسنة عشرين ومشي من مكة الى عرفة بمسكنة في هيئة الفقراء ثم في سنة ٢٦ بلغ الناصر ان مهنا يجهز للحج فأسر الى ارغون ان يحج ويقبض على مهنا (١) فبلغ مهنا فتأخر عن الحج فاتهم الناصر ارغون بذلك فلما عاد قبض عليه واعتقله ثم اخرج له نيابة حلب وكان قد اشتغل على مذهب الحنفية ومهر فيه الى ان صار يعد من اهل الأفتاء وكانت له عناية بالكتب عظيمة جمع منها جمعاً ما جمعه احد من ابناء جنسه وكان الناس قد علموا رغبته في الكتب فهرعوا اليه بها وكان خيراً ساكناً قليل الغضب حتى يقال انه لم يسمع منه احد في طول زمانه بمصر وحلب كلمة سوء وكان للملك به جمال وكان له حضور على ابن الوكيل وعلى ابي حيان وابن سيد الناس وغيرهم واوصل بهيمته نهر الساجور الى البلد قال الذهبي كان تركياً فصيحاً مليح الشكل شديد الحرص وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ

سنة ٧٣٣

دخول الامير لؤلؤ القندشى لحلب وما اتاه من المظالم

قال ابن الوردي في خامس عشر شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة دخل الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشى الى حلب شاداً على الملكة وعلى يده تذاكر

(١) امير العرب في البلاد الشامية

وصادر المباشرين وغيرهم ومنهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين سليمان بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد ابن قرناص عامل الجيش وعمه الحمي عبد القادر عامل المحلوات والحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازی والحاج علي بن السقا وغيرهم واشتد به الخطب وانزعج به الناس كلهم حتى البريئون وقتت الناس في الصلوات وقلت في ذلك

قلبي لعمر الله معلول * بما جرى للناس مع لولو
يارب قد شرد عنا الكرا * سيف على العالم مسلول
وما لهذا السيف من مغمد * سواك يامن لطفه السول

كان هذا لؤلؤ مملوكاً لقندش ضامن المكوس بحباب ثم ضمن هو بعد استاذة المذكور ثم صار ضامن العداد ثم صار امير عشرة ثم امير طبابخانات ثم صار منه ماصار ثم انه عزل ونقل الى مصر واراح الله اهل حلب منه

وقال ابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب قرأت في تاريخ محمد بن حبيب في حوادث سنة ثلاث وثلثين وسبعمائة قال وفيها وصل الأمير بدر الدين القندش الى حلب من الديار المصرية متولياً شد الدواوين وصحبته الأمير سيف الدين جرگتمر الناصر كاشفاً احوال المباشرين وعلى يده تذكرة واضحة الأمانة تشتمل على محاققتهم واخذ مائبت عليهم من الخيانة فبادر وصادر وتنمر وتجبر وقام وقعد وبرق ورعد ونهى وامر وهمز وهمز واذل الرجال واستخرج الأموال واخذ ونقل وسجن واعتقل وعزل وصرف ونزاعج وانحرف واهان الأكاير وروع الحرم والأصاغر ونزع ابواب الأنصاف وسلط الأطراف على الأثراف وضرب بالعصى والسياط وكلف الناس ادخال الجمل في سم الخياط واقام بين

ظهرهم مدة وهم ينتظرون الفرج بعد الشدة الى ان رحل الى الديار المع
وانطفأ عن الشام شرر البرية ثم رفع له المنار وعظم شأنه في تلك الديار
وولى بها الأمرة واشد وما رجع عن الظلم ولا ارتد ثم دارت الدوائر وانعكس
حساب القدم الجائر وعاد بعد حين الى حلب وواقعه الدهر في شرك من له
عليه طلب فرقم طرس جلده بقلم السياط وعوقب الى ان هلك وطوت ايدي
الردى ذلك اباساط وتلت فيه

لما اعتدى لؤؤ سقوه من طلا كاس العذاب علقم المشروب
وبالسياط تقبوا جلده * تباً له من لؤؤ مثقوب

وفاة الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشي

قال ابن الوردي في حوادث ٧٤٢ سنة وفيها في جمادى الاولى عوقب لؤؤ
القندشي بدار العدل بحلب حتى مات واستصفي ماله وشمت به الناس قلت
لؤؤ قد ظلمت الناس لكن * بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت في تاج فلما * صغرت سحقته سنة كل لولو
وقال المقرئ في السلوك في حوادث هذه السنة ومات الأمير بدر الدين لولو
الحلي وكان ضامن حلب فعاقبهم واخذ اموالهم ثم ولي شد الدواوين بحلب
فكثر شاكوه فتسلمه الاكر مشد الجهات بديار مصر ثم نقل الى شد الدواوين
بالقاهرة واعزل واخرج بعد مجيئه الى حلب شاد الدواوين ثم ضرب بالمقارع
حتى مات وفيه قال ابن الوردي

اشكو الى الرحمن لولو الذي * اضحى يصادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القلوب بسوطه * فتي اشاهد لؤؤ مشورا

قال وفيها دخل القاضي تاج الدين محمد بن الزين حلب متولياً كتابة السر ولبس
الخلعة وباشر وأبان عن تعفف عن هدايا الناس اهـ

[سنة ٧٣٥]

ذكر عمارة قلعة جعبر

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل الأمير سلف الدين ابو بكر الباشري الى
حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه الى قلعة جعبر وشرع في عمارتها
وكانت خراباً من زمن هولاءكو وهي من امنع القلاع تسبب في عمارتها الأمير
سيف الدين تنكزنائب الشام ولحق الملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ
ماء الفرات الى اسفل منها كلفة كثيرة اهـ

توجه العساكر الحلبية لاسترجاع مدينته سيس

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن الأرمن ملكوا مدينة
سيس وطردها من كان بها من المسلمين فرسم السلطان لنائب حلب بأن يتوجه
اليهم ومعه العساكر الحلبية فخرج اليهم في سابع عشر رمضان فحاصر من كان
بها من الأرمن واحرق الضياع التي حولها واسر جماعة من الأرمن نحو ثلثمائة
انسان فلما بلغ ذلك من كان من الأرمن بقلعة اياس ناروا على من كان عندهم من
المسلمين وحشروهم في خندق واحرقوا الخندق فاحترق فيه من المسلمين نحو الف
انسان ما بين رجال ونساء وصغار وذلك في يوم العيد فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم

قال ابن الوردي كان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم اهل اياس بذلك
[اي بما احرق من الضياع وما اسر] احاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم

وحبسوه في خان ثم احرقوه قتل من نجا فعلاوا ذلك بنحو الذي رجل من التجار
البغادة وغيرهم في يوم عيد الفطر فله الأمر اه
وفاة مهنا امير العرب وآثاره

وقال وفيها مات حسام الدين مهنا بن عيسى امير العرب وحزن عليه واقاموا
مأتما بليغا ولبسوا السواد اناف على الثمانين وله معروف من ذلك مارستان جيد
بسرهمين ولقد احسن برجوعه الى طاعة سلطان الاسلام قبل وفاته وكانت وفاته
بالقرب من سلمية اه

وقال في حوادث السنة التي قبلها وتوجه مهنا بن عيسى امير العرب الى طاعة
السلطان بعد النفرة العظيمة عنه سنين ومعه صاحب حماة الملك الأفضل
فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى اصحابه مائة وستين خلعة ورمم له بمال
كثير من الذهب والفضة والقماش واقطعه عدة قرى وعاد الى اهله مكرماً اه

سنة ٧٣٦

العمل في نهر قلعة جمبر

قال ابن الوردي في هذه السنة في المحرم نزل نائب الشام الامير سيف الدين تنكز
بعسكر الشام الى قلعة جمبر وتفقدوها وقرر قواعدها
[وفيها] في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جمبر ورمم
ان يخرج من كل قرية نصف اهلهما وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك ثم
طلب ايضاً من اسواق حلب رجال واستخرجت اموال وتوجه النائب بحلب الى
قلعة جمبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين الفا

(سنة ٧٣٧)

ذكر وفاة الامير خضر ابن نائب حلب الطنبغا

قال ابن الوردي فيهما في ربيع الأول توفي الأمير الشاب الحسن جمال الدين خضر ابن ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا بحلب ودفن بالمقام ثم عمل له والده تربة حسنة عند جامع (١) خارج حلب ونقل إليها وكان حسن السيرة ليس من اعجاب اولاد النواب في شيء ومما قلت فيه تضمينا

ايست افئدة بالحزن يا خضر * فالدمع يسقيك ان لم يسقك المطر

منها خلقت فلم يسمح زمانك ان * يشين حسنك فيه الشيب والكبر

فان رددت فما في الرد منقصة * عليك قد رد موسى قبل والخضر

وان كان يتضمن هذا التضمن القول بموت الخضر عليه السلام .

قال وفي هذه السنة باشر تاج الدين محمد بن عبد الكريم اخو العاصم شرف الدين يعقوب نظر الجيوش المنصورة بحلب فما هنى بذلك واعتبرته الأمراض حتى مات في سابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة قلت

ما الدهر الا عجب فاعتبر * اسرار نصرياته واعجب

كم باذل في منصب ماله * مات وما هنى بالمنصب

وباشر مكانه في شعبان منها القاضي جمال الدين سليمان بن ريان اه

توجه العساكر الى بلاد سويس

(١) اقول بالقرب من الجامع عرصة يبلغ طولها نحو ٣٠ ذراعاً وعرضها نحو ١٢ ذراعاً فيها محراب قائم طاهر منه صفه الفوقاني والباقي تحت التراب وفي آخر العرصة من الجهة الغربية قبر يقال ان هذا المكان هو التربة وهذا القبر هو قبر خضر المذكور والله اعلم .

قال المقرئ في تاريخه السلوك الى معرفة الملوك (١) وفي ثلث عشر شعبان توجهت التجريدة الى بلاد سبب وخراب مدينة ايباس وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلي باشا بطلب النجدة على الشيخ حسن وطغاي بن سوتاي واولاد دمرداش (الطرفان من ملوك الشرق في فارس وتلك النواحي) ليكون على باشا نائب السلطنة ببغداد فاستشار نائب الشام والأمراء فاستقر الرأي على تجريد العسكر نحو سبب فان تكفورت قص المدة بقبضه على عدة ممالك وارسلهم الى مدينة ايباس وقطع الحمل المرتب عليه فلم يعلم خبرهم ويكون في ذلك اجابة علي باشا الى ما قصده من نزول العسكر قريباً من الفرات مع معرفة الشيخ حسن بأننا لم نساعد علي باشا وانما بعثنا العسكر لنزول سبب وعمل مقدم العسكر الأمير ارقطاي ويكون في السافة ومقدمه الجاليش صحبة الأمير طرناي الطباخي ومعهما من الأمراء اقباطر وبيدمر البدرى وتمر الموساوى وقطاربا الطويل وجركتمر بن بهادر وبيبا بن حارس الطير ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامي وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس الى ناحية جعفر فاذا وصل عسكر مصر الى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً الى سبب فيكون في ذلك صدق ما وعد به علي باشا وبلغ الفرض من غزو سبب فسار العسكر من القاهرة

قال ابن الوردي وفيها في رمضان المعظم وصل الى حلب من مصر عسكر حسن

(١) ظفرت بجزء من هذا التاريخ عند الخواجات برخه المائلة المشهورة في حلب وهو مرتب على السنين وفيه حوادث من هذه السنة الى سنة ٧٥٣ حوادث سبع عشرة سنة وهو في ١٤١ ورقة وقد التقطت منه ماله علاقة بتاريخ هذه البلاد في هذه السنين وهو تاريخ لمصر واصل الكتاب فيه من حوادث سنة ٥٧٧ الى سنة ٨٤٤ فعلى هذا يكون مجموع هذا التاريخ في نحو عشرة مجلدات انظر كشف الظنون

الهيئة مقدمه الحاج ارقطاي وعسكر من دمشق مقدمهم قطلبغا الفخرى وعسكر من طرابلس مقدمه بهادر بن عبد الله وعسكر من حماة مقدمه الأمير صارم الدين. ازبك والمقدم على الكل ملك الأمراء مجلب علاء الدين الطنبا ورحل بهم الى بلاد الأرمن في ثاني شوال منها ونزل على مينا اياس وحاصرها ثلثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع التي شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصبعة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس وباياس ونجمه والفقير التي تقدم ذكر تخريبها وغير ذلك غرب المسلمون برج اياس الذي في البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً وعادوا في ذى الحجة منها والحمد لله اه

ورود الأمر بالمساحة عما يؤخذ على الاغنام الداخلة الى حلب قال في صبح الاعشى $\frac{1}{3}$ هذه نسخة توقيع بالمساحة في جميع المراكز بما يستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة الى حلب . وان يكون ما يستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة من انشاء المقر الشهائى بن فضل الله مما كنب به في شهور سنة سبع وثلاثين وسبعماية وهي .

الحمد لله ذى المواهب العميمة . والعطايا التي لا تجود بها يد كرمه . والمثل التي عوضنا منها على كل شئ بخير منه قيمة والمساحة التي ادخر لنا بها عن كل مال حسن مال وبكل غنم غنيمة . نحمده على نعمه التي غدت على كثرة الانفاق مقيمة ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله اكرم من سمح وسامح في امور عظيمه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة مستديمة . وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فنذ ملكنا الله لم نزل نرغب اليه ونعامله بما نهى به له ونربح عليه . ولم نبق

مملكة من ممالكنا الشريفة حتى ساعنا فيها بأموال وسامينا فيها بنفع ارضها
السحب الثقال وكانت جهة العداد بالمملكة الحلبية المحروسة مثقلة الأوزار بما
عليها. مشدودة النطاق بما يغل من الطلب يديها. مما هو على التركان بها عسوب
والى عديدهم عدده منسوب . ونحن نظنه فى جملة ما اسقطته مساحتنا الشريفة
وهو منهم مطلوب وهو المعروف بالدغالى زائداً على الرؤس الكبار ومعدوداً
عند الله من الكبار وهو فى حساب الدواوين من الصغار فلما اتصل بنا ان هذه
المظامة ما انجلي عنهم ظلمها. ولا رفع من الحساب عنهم قلهما. اكبرنا موقع بقائها
وعلمنا انها مدة مكتوبة لم يكن بدم من المصير الى انقضائها واستجلبنا قلوب
طوائف التركان بها واوثقنا اسبابهم فى البلاد بسببها لأمرين كلاهما عظيم
لرغبتنا فيما عند الله ولما لهم من حق ولاء قديم كم صاروا مع الجيوش المنصورة
جيوشاً وكم ساروا الى بلاد ملوك الأعداء فثقلوا لهم عروشا. وكم كانوا على اعقاب
العساكر المؤيدة الاسلامية ردفاً ومقدمهم فى محاصرة جاليسا وكم قتلوا بسهامهم
كافرا وقدموا لهم رماحهم نعوشا . ومنهم امرء وجنود ونزول ووفود وهم وان
لم يكونوا اهل خباء فهم اهل عمود . وذووا انساب عريقة واحساب حقيقة
الى القبحاق الخالص مرجعهم والفرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمعهم . فأقضى
رأينا الشريف ان نرعى لهم هذه الحقوق بأبطال تلك الزيادة المرادة. وان نتاسى
منها ما هو فى العدد كالنسي فى الكفر زيادة

فرسم بالامر الشريف . لازالت مواهبه تشمل الآفاق . ونزيد على الأنفاق
وتقدم ما ينفذ الى ما هو عند الله باق ان يسامح جميع التراكمين الداخل عدادهم
فى ضمان عداد التركان بالمملكة الحلبية المحروسة بما يستأدي منهم على الاغنام
الدغالى وان يكون ما يستخرج منهم من العدد على الكبار خاصة وهو عن كل

مائة رأس كبار ثلاثة ارؤس كبار خاصة لا غير من غير زيادة على ذلك مساحة
 مستمرة دائمة مستقرة باقية بقاء الليالي والأيام. لا تُبدل لها احكام ولا تتغير بتغير
 حاكم من الحكام نرجو ان نسر بها في صحائف اعمالنا يوم العرض لا يتأول فيها
 حساب ولا تمتد اليها يد حساب ولا يبقى عليها سبيل للدواوين والكتاب .
 ولا تسبب اغنامهم ليرعاها منهم اولئك الذئاب ، كلما مر على هذه المساحة
 زمان أكد اسبابها وبيض في صحائف الدفاتر حسابها لا تعارض ولا تنافس ولا
 يتأول فيها متأول في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ولا يدخل حكمها
 في النسيان ولا ينقص اجرها المضمون ولا نطلب اصحاب الدغالي عليها بعداد
 في قرن من القرون ولا يستحق بما يستأدي منها جليظة ولا حقيرة ولا يسمح
 لنفسه من قال انها صغيرة وهى عند الله كبيرة . لتطيب لأهلها ومن تسامع بما
 شملهم من احساننا الشريف النفوس ولا تصدع لهم بسبب هذا الطلب رؤوس
 فمن تعرض في زماننا امدنا الله بالبقاء او كشف في هذه الصدقة الجارية وجه
 تأويل او سكن فيها الى مداومة بقليل او طلب من ظالم بعينه مداواة قوله العليل
 فسيجد ما يصبح به مثله ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عبرة بمن قدم قبله
 ونحن نبرأ الى الله ممن يتعرض بعدنا الى تقضها وهذه المساحة عليه حجتنا التي
 لا يقدر عند الله على دحضها. ولنقرأ على المنابر وتعل كلفتها وتمد في اقطار الارض
 كما امتد السحاب ترجمتها وسبيل كل وافق عليها من ارباب الاحكام اصحاب السيوف
 والأقلام ومن يتناوب منهم على الدوام العمل بما رسمناه واعتماد ما حكم به حربه
 بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى اعلاه ان شاء الله تعالى اه

سنة ٧٣٨

عود العساكر من بلاد سويس وزيادة بيان لهذه الحوادث

قال في كتاب السلوك وفي يوم الخميس ثالث عشر المحرم قدمت التجريدة من بلاد سويس وكان من خبر ذلك انهم لما ساروا من القاهرة في ثاني عشر شعبان وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز ولم يعبأ بالأمير ارقطاي مقدم العسكر لما في نفسه منه ومضوا الى حلب فقدموها في رابع عشرين رمضان واقاموا بها يومين فقدم الأمير قطلوبغا الفخرى بعسكر الشام وقد وصل الى جعبر ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر حتى نزلوا على اسكندرونة اول بلاد سويس وقد تقدمهم الأمير مغلطاي الغزى اليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسورة الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جيحان فقدم عليهم البريد من دمشق بان تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان فترد المجانيق وجميع آلات الحصار الى بغراس ولتقم العسكر على مدينة ايباس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في امرهم وكانت التراكن قد اغاروا على بلاد سويس ومعهم ابن قرمان فتركوها او حش من بطن حمار فبعث تكفور رسله في البحر الى دمياط فلم يأذن السلطان لهم في القدوم عليه من اجل انهم لم يلبسوا نائب الشام بحضورهم فعادوا الى تكفور فبعث بهدية الى نائب الشام وسأله منع العسكر من بلاده وان يسلم القلاع التي من وراء نهر جيحان جميعها للسلطان فكانب السلطان بذلك وبعث اوحده المهمندار الى نائب حلب بمنع القادة ورد الآلات الى بغراس فردها وركب بالعسكر الى ايباس فقدمها يوم الاثنين ثاني عشر شوال وقد تحصنت فبادر العسكر وزحف عليها

بغير امره فكان يوماً مهولاً جرح فيه جماعة كثيرة واستمر الحصار الى يوم الخميس خامس عشره احضر نائب حلب خمسين نجاراً وعمل زحافتين وستارتين ونادى في الناس بالركوب للزحف فاشتد القتال حتى وصلت الزحافات والرجال الى قرب السور بعد ما استشهد جماعة كثيرة فترجل الأثراء عن خيولهم لأخذ السور واذا بأوحد المهتدار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام فعادوا الى مخيمهم فبلغهم انهم يكفون عن الغارة فلم يوافقوه على ذلك واستقر الحال على ان يسلموا اياس بعد ثمانية ايام فلما كان اليوم الثامن ارسل تكفور مفاتيح القلاع على ان يرد ما سبي ونهب من بلاده فنودي برد السبي فاحضر كثير منه واخرب الجسر الذي نصب على نهر جيحان وتوجه الامير مغطاي العزي فتسلم قلعة كوزابن وكانت من احصن قلاع الارمن مساحتها فدان وثلاث فدان وارتفاعها اثنان واربعون ذراعاً بالعمل وانفق تكفور على عمارتها اربع مائة الف وستين الف دينار وتسلم العسكر اياس والبرج الأطلس وهدم في ثمانية ايام بعد ما عمل فيه اربعون حجاراً يومين ولياين حتى خرج منه حجر واحد ثم نقب وعلق على الأجسام (هكذا) واضرمت فيه النار فسقط جميعه وكان برجاً عظيماً بلغ ضمانه في كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين الف دينار حساباً عن كل يوم الف دينار سوى خراج الاراضي وكان بها اربعمائة خماره وستائة بنفي وكان في ظاهره ملاحه تضمن كل سنة بسبعمائة الف درهم ولها مائتان وستة عشر بستانا يفرس فيها انواع الفواكه ودور سورها فدانان وثلاثا فدان ثم رحل العسكر عن اياس بعد ما افاموا عليها اثنين وسبعين يوماً فر نائب حلب على قلعة نجمة وقلعة اسفندكار وقد اخرجهما مغطاي العزي حتى عبر بالعسكر الى حلب في رابع عشرين ذي الحجة فعاد العسكر الى مصر وقد مرض كثير منهم ومات جماعة فأكرم السلطان الامير

ارقطاي وخلع عليه وبعث تشريفاً الى نائب حلب واقطع اراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من امراء الشام وامر فيها جماعة من التركمان والاجناد فاستعملوا الارمن في الفلاحة وحطوا عنهم من الخراج فعمرت ضياعها وضمنت بعض عجائز الأرمن بها خمارة بألف درهم كل يوم فلم توافق على ذلك وعمل في كل قلعة من فلاع الارمن نائب ورتب فيها عسكري ثم قدمت رسل تكفور فخالع عليهم وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين ومهادنتهم عشرين سنين. وفيها كانت حرب بين خليل الطرفى وبين خليل ابن دلفادر وانهزم الطرفى الى حلب فقام معه نائبها وبعث بالانكار على ابن دلفادر فانتقمى الى نائب الشام ووعد على نيابة الأبلستين بألفي أكديش واقامة ثلثين امير طباخاناه فعنى به نائب الشام حتى قدم الى قلعة الجبل وخلع عليه في يوم وكتب له ثلاثون منشوراً بأمریات جماعة منهم وخلع على جميع من معه وسار

سنة ٧٣٨

ذكر فتح الباب شرقى المحراب في الجامع الاعظم

وظهور رأس سيدنا يحيى عليه السلام

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن الدقاق الدمشقى ناظر الوقف بحلب وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذى بالجامع شرقى المحراب الكبير لانه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهى عن ذلك فوجد بابا عليه تأزير رخام ابيض ووجد في ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فأذا فيها.

بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه
وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر
المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسال
الله ان يلهمنا حسن الأدب اه

اقول المستفيض بين الناس والمشهور لديهم ان الموجود هنا هو رأس سيدنا زكريا
عليه السلام ويظهر ان هذه الاستفاضة مبنية على ما ذكره ابن الوردي هنا
وعلى ما ذكره المرادي في ترجمة علي بن اسد الله مفتي حلب المتوفى سنة ١١٣٠
والتولى على الجامع من انه في ايام توليته ظهر من احد الشيطان لما قشروا عنه
الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مكتوب عليه
هذا عضو من اعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في
ناحية القبلة في حجرة قبرا في مكانه الآن وذلك سنة ١١٢٠

وقد قدمنا في حوادث ٤٣٥ ظهور رأس سيدنا يحيى عليه السلام في بعلبك ونقله
الى قلعة حلب وقدمنا في حوادث سنة ٦٥٩ نقل الرأس الشريف من القلعة الى
الجامع للحريق الذي حصل هناك ووضعه شرق المحراب وهذا ما ذكره ابن
الشحنة في الدر المنتخب نقلاً عن ابن العظيمي ونقلاً عن الكمال بن العديم عن
ابي بكر الهروي السائح ونقله ياقوت في معجمه في الكلام على حلب وابن شداد
في كتاب الأعلام الخطيرة ولم ينقل خلاف من احد منهم في هذا واقدم ابن
الشحنة على ذلك وهو من اهل القرن التاسع وابو اليمن البتروقي الذي قدمنا
ان الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة هو له وهو من اهل القرن الحادي عشر
فهذه القول اجدر بالقبول وادعى ان نقول ان الموجود هنا هو قطعة من
رأس يحيى عليه السلام وان ابن الوردي والمرادي قد سها قلمهما وحاد عن منهج الصواب

ذكر توسيع طرق الاسواق بحلب

قال ابن الوردي في هذه السنة في شوال رسم ملك الأمراء بحلب الطنبغا بتوسيع الطرق التي في الأسواق اقتداء بنائب الشام تنكز فيما فعله في أسواق دمشق ولعمري قد توقعت عزله عن حلب لما فعل ذلك فقلت حيثئذ

رأى حلباً بلداً داراً * فزاد لأصلاحها حرصه
وقاد الجيوش لفتح البلاد * ودق لقهر العدا خصمه
وما بعد هذا سوى عزله * اذا تم امر بدا نقصه

[سنة ٧٣٩]

ذكر وفاة بدر الدين بن زهرة نقيب الاشراف بحلب

وعزل علاء الدين الطنبغا عن ولايتها وتعين سيف الدين طرغاي
قال ابن الوردي في هذه السنة في العشر الأوسط من ربيع الآخر توفي السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني نقيب الأشراف ووكيل بيت المال بحلب ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شجنا في الباطن قلت

قد كان كل منهما * يرجو شفا اضفائه
فصار كل واحد * مشتغلاً بشأناه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظماً عند الناس شهماً ذكياً وجده الشريف ابو ابراهيم هو وممدوح ابى العلاء كتب الى ابى العلاء القصيدة التي اولها
غير مستحسن وصال الفواني * بعد ستين حجة وثمان
ومنها كل علم مفرق في البرايا * جمعه معرفة النعمان

فأجابه ابو العلاء بالقصيدة التي اولها

علائي فان بيض الأماني * فنيت والظلام ليس بفاني
ومنها

يا ابا ابراهيم قصر عنك الشع * ر لما وصفت بالقرآن

وفي العشر الاول من جمادى الاولى قدم الامير سيف الدين طرغاي الى حلب
نائباً بها وسر الناس بقدمه واظهروا الزينة وصحبته القاضي شهاب الدين احمد
ابن القطب كاتب السر مكان تاج الدين بن الزين خضر المتوجه الى مصر صحبة
الامير علاء الدين الطنغا

وفي شعبان قدم الامير صلاح الدين يوسف الداودار شاداً بالملكة الحلبية
وفي تاسع شوال وصل الى حلب قاضي القضاة زين الدين عمر بن شرف الدين
محمد بن البليالي المصري الشافعي وناشر الحكم من يومه وخرج النائب والاكار
لتلقيه وسر به الناس لما سمعوا من ديانتة بعد شغور المنصب نحو عشرة اشهر من
حاكم شافعي

قال في كتاب السالك وفيها توجه الأمير تكثر نائب الشام من دمشق يريد
بلاد سويس لكشف البلاد التي انعم بها عليه فر على حماة ونادى بها ان لا يقف
احد ملك الأمراء بقصة ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة وخلع على
صاحب حماة ومضى الى حلب ودخل بلاد سويس فأهدى اليه تكفور هدية سنية
مع اخيه قبلها وخام عليه وعمر تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال وعاد
وفيهما كانت وقعة بين ابن دلفادر نائب ابلستين وبين نائب الروم قتل فيها
خمسمائة نفس ونهب من اموال الروم شيئاً كثيراً رد منه بعد ما اصطالحا نحو
عشرين الف رأس ما بين غنم وجمال وخيل اه

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر عزل قاضي القضاة مجلب زين الدين عمر البليغاني عنها لوحشة جرت بينه وبين طرغاي نائب حلب فكانت فيه فمزل وهو فقيه كبير مقتصد في المأكل والملبس قلت

كان والله عفيفا نرها * وله عرض عربض مااتهم

وهو لا يدري مداراة الوري * ومدارة الوري امر مهم

وفي ربيع الاول عزل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار عن الشد على المال والوقف مجلب ونقل الى طرابلس فضاق طرغاي من جبرته فعمل عليه وكان قد عزم على تحرير الاوقاف مجلب فما قدر قلت

لقد قالت لنا حلب مقالا * وقد عزم المشد على الرواح

اذا عم الفساد جميع وفي * فكيف اكون قابلة الصلاح

وفي جمادى الآخرة ولي القاضي برهان الدين ابراهيم بن خليل بن ابراهيم الرسني قضاء الشافعية مجلب بذل لطرغاي نائبها مالا فكانت في ولايته وهو اول من بذل في زماننا على القضاء مجلب وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال حتى يلوا ولذلك لم يصادف راحة في ولايته ويعجني قول القائل

فلان لا تحزن اذا * نكبت واعرف ما السبب

فا تولى حاكم * بفضة الا ذهب

وفيه توفي ملقتمر الخازن نائب قلعة حلب كانت تصدر منه في الدين الفاظ منكرة واشترى قبل وفاته دارا عند مدرسة الشاذنجت وعمل فيها تصاوير وكثر الطعن عليه بسببها قلت ما حل فيها زحل * الا لنحس المشتري

فانعدمت صورته * من شؤم تملك الصور

ذكر عزل طرغاي عن نيابة السلطنة بحلب وتولية طشتمر

قال ابن الوردي في هذه السنة عزل طرغاي عن حلب وكان على طمعه يصلي ويتلو كثيراً وتقل طشتمر حصص اخضر من نيابة حلب .
وفيها فتح الأمير علاء الدين ايدغددي الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها ارمن وتتر يقطعون الطرقات وفيها توفي بأياس نائبها الامير علاء الدين مغطاي العنزي تقدمت له نكايه في الارمن ونقل الى تربته بحلب. قال في كتاب السلوك بعد ذكر خبر وفاته وكان مشكور السيرة

قال في السلوك في حوادث هذه السنة وقدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد الشرق وانه ورد من اهله عالم عظيم الى شط الفرات وبلاد حلب فكتب الى نائب حلب بتمكينهم من العبور الى حيث شاؤوا من البلاد واوصاه السلطان بهم فلتوا ببلاد حلب وغيرها وقدم منهم الى القاهرة نحو المائتي نفر
ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وسلطنة
ولده الى بصر

قال ابن الوردي وفيها توفي السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفائه ألم عظيم فانه ابطال مكوساً وكان

يستحي ان يحجب قاصديه وايامه ايام امن وسكينة وبني جوامع وغيرها لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته .
وعهد لولده السلطان الملك المنصور ابي بكر جاس على الكرسي قبل موت والده وضربت له البشار في البلاد

سنة ٧٤٢

ذكر خاع الملك المنصور ابي بكر وتولية بن الملك الأشرف بك

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر خلع السلطان الملك المنصور ابو بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون احتجاج عليه قوصون الناصري (من كبار الامراء بمصر) ولي نعمة ابيه بمجيج ونسب اليه اموراً واخرجه الى قوص الى الدار التي اخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفي اليها جزاء وفاقا ثم امر قوصون والى قوص فقتله بها واقام في الملك الملك الأشرف بك وهو ابن ثمان سنين فقلت في ذلك

سلطاننا اليوم طفل والأكابر في * خلف وبينهم الشيطان قد نرغا
وكيف يطمع من مسته مظامة * ان يبلغ السؤل والسلطان ما بلغنا

قتل الأمير الطنبغا الصالحى بعد القبض عليه وترجمته

قال ابن الوردي ما خلاصته في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الأمير قطبغا الفخرى الناصرى عسكرياً لحصار السلطان احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارطاي نائب طرابلس بأشارة قوصون الى قتال طشتمر بحلب ليكون طشتمر انكر على قوصون ما اعتمده في حق اخيه المنصور

ابي بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا (الى ان قال) ثم عاد الطنبغا الى مصر وهو قوي النفس بقوصون فاتفق الأمراء هناك وقبضوا على قوصون ونهبت دياره وارسلوه الى الاسكندرية واهلك بها وقبضوا على الطنبغا وجسوه بمصر ثم اعدم هو والمرقى (احد الأمراء) . وقال في روض المناظر في هذه السنة توفي الأمير الطنبغا الصالحى مقبوضاً عليه بالاسكندرية وكان ملكاً جليلاً خيراً ديناً له عدة غزوات عديدة في بلاد سويس ولي نيابة دمشق وولي حلب مرتين نحو عشرين سنة وعمر بظاهرها جامعه المعروف وعدة فصائل وسبلانات

قال الطبيب بيشوف الجرمانى بعد ان ذكر ما هو مكتوب على باب الجامع وبعد موت السيفى ارغون الناصرى سنة ٧٣١ رجع الى حلب نائباً مرة ثانية الأمير علاء الدين الطنبغا واستقام نائباً في حلب الى شهر ربيع الأول من سنة ٧٣٧ الذى مات بها ودفن بتربته جانب جامعه خارج باب المقام . وهذا سهو منه فأن الذى مات في هذه السنة ودفن بتربته جانب جامعه هو ولده خضر كما قدمناه في حوادث سنة ٧٣٧ واما الطنبغا فتوفي مقتولاً بمصر هو والمرقى في هذه السنة اعنى سنة ٧٤٢ كما تقدم آنفاً

ذكر وفاة الأمير بدر الدين محمد وآثاره بحلب

قال ابن الوردى وفي هذه السنة توفي الأمير بدر الدين محمد ابن الحاج ابي بكر احد الأمراء بحلب كان من رجال الدنيا وله مارستان بطرابلس وارتفع به الدهر وانخفض ودفن بتربته في جامع انشاء بحلب بباب انطاكية اه
اقول موقع الجامع خارج باب انطاكية بالقرب من الجمر كان بينه وبين النهر

دار وقد خربت منذ سنين قلائل وصار مكانها عرصة استولى عليها المجلس البلدى والجامع لازال معروفا ومشهوراً عند اهل محلة الجسر بجامع ابناء ابى بكر . وفي الجهة الغربية منه صفة على طول صحن الجامع فيها ستة قبور يغلب على الظن ان القبر المتوسط هو قبر الواقف والجهة الشمالية من الصحن قدر اربعة اذرع تزرع خضراً وقد ظهر لى انها كانت رواقاً على طول الجامع . وقبليته صغيرة لها كوتان من جهة القبلة سدنا الآن لتعمية ارض الجادة كما انه بسبب ذلك سد نصف باب الجامع الذى من جهة القبلة وبعلو هذا الباب منارة صغيرة مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها اربعة اذرع . وليس فى القبلة سوى شباكين من جهة الشمال ولو فتح لها شباكان آخران من جهتي الشرق والغرب لزال ماتجده هناك من العفونة . وعن يسار القبلة عرصة يزرع فيها بعض الخضر ايضاً وهناك ايضاً بعض قبور وللجامع من هذه الجهة اعنى الجهة الغربية باب آخر وتقام فيه الآن الصلوات الجهرية لا غير .

وله من الأتاف خان وخمس دكاكين فى سوق البهرمية ودكان فى محلة الجلوم وتقرب وارادتها من خمسين ليرة عثمانية ذهباً

وفى شهر رمضان وصل القاضي علاء الدين على بن عثمان الزرعي المعروف بالفرع الى حلب قاضى القضاة ولاه الطاغية الفخري بالبذل فاجتمع الناس وحملوا المصحف وتضرروا من ولاية مثله فرفعت يده عن الحكم فسافر اياماً ثم عماد بكتب فالتفتوا اليها فسافر الى مصر وحلب خالية عن قاض شافى

❦ ذكر ولاية ايدغمش الناصري حلب ❦

قال ابن الوردي فى ذى الحجة وصل ايدغمش الناصري الى حلب نائباً بها فى

حشمة عظيمة واحسن وعدل وخلع على كثير من الناس واقام بحلب الى صفر
ثم نقل الى دمشق وتأسف الحلييون لانتقاله عنهم قات
يعرف من تقبله ارضنا * من لزم الاوسط من فعله
لا تقبل المسرف في جوره * كلا ولا المسرف في عدله
(سنة ٧٤٣)

﴿ ذكر ولاية طقز تمر نيابة السلطنة بحلب ﴾

قال ابن الوردي ونقل طقز تمر من حماة الى حلب مكان ايدغمش ودخلها في
عشرين صفر

﴿ ولاية علاء الدين الطنبغا المارداني ﴾

قال ابن الوردي وفيها في رجب وصل الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائباً الى حلب

ذكر التنديد بالقاضي ابن القرع ثم عمره

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل علاء الدين القرع الى حلب فاضياً للشافعية
واول درس ألقاه بالمدرسة قال فيه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهاء بالتاء
فقلت انا للحاضرين لو كان باب الميات لما وصل القرع اليه ولكنه باب الألوف
ثم قال قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه مكان في عقبه فقلت انا لا والله
ولكنها في عنق الذي ولاه فاشتهرت عنى هاتان التنديدتان في الآفاق (ثم قال)
وفي رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولاً ثم فك عنه الترسيم وسافر الى جهة مصر
قال المقرئ في السلوك وفيها استقر علاء الدين على بن عثمان بن احمد الزرعي
في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن البرهان ابراهيم الرسني ثم صرف
ببدر الدين ابراهيم بن الصدر احمد بن عيسى بن الخشاب المصري

ذكر عزل امير العرب سليمان بن مهنا

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر عزل الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى عن إمارة العرب وولايها مكانه الأمير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعد القبض على فياض بن مهنا بمصر وكان سليمان قد ظلم وصادر أهل سرهين وربط بعض النساء في الزناجير وهجم عبيده على المخدرات فأغاثهم الله في وسط الشدة ثم أعيد بعد مدة إلى الإمارة

وفيهما توفي مجلب طنبغا حجي كان جهزته الفخري إليها نائباً عنه في أيام خروجه بدمشق وهو الذي جى أموالاً من أهل حلب وحملها إلى الفخري وأخذ لنفسه بعضها وباء بأنهم ذلك

سنة ٧٤٤

ذكر وفاة علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب

قال ابن الوردي في صفر توفي الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب ودفن خارج باب المقام وله بمصر جامع عظيم وكان شاباً حسناً عاقلاً ذا سكينه وقد تكلم المقرئ في الخطط على هذا الجامع وذكر ما صرف عليه ثم بعد ذلك ذكر ترجمته إلى أن قال في آخرها وكان شاباً طويلاً رفيقاً حلو الصورة لطيفاً كريماً صائب الخدس عاقلاً أه

ذكر تمزيق ابن الوردي كتاب فصوص الحكم

قال ابن الوردي في هذه السنة مرزقا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة المصرية مجلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبيهها على تحريم قنيتها ومطالمتها وقلت فيه

هذي فصوص لم تكن * بنفسية في نفسها
انا قد قرأت نقوشها * فصوصها في عكسها

ذكر نيابة الأثير يلغا اليحياوي

قال ابن الوردي وفي ربيع الأول وصل يلغا اليحياوي الى حلب نائباً وهو شاب حسن عفيف عن مال الرعية ذو سطوة وحسن اخلاق في الخلوة وفيه وصل عسكريان من حماة وطرابلس للدخول الى بلاد سيس لتمرّد صاحبها كنداصطيل الفرنجي ولمعه الحمل وفي جمادى الأولى عاد العسكر وما ظفروا بطائل وكانوا قد اشرّفوا على اخذ آذنة وفيها خلق عظيم واموال عظيمة وجفال من الأرمن فتبرطل اقسقر مقدم عسكر حلب من الأرمن وثبط الجيش عن فتحها واحتج بأن السلطان مارسم بأخذها وتوفي اقسقر المذكور بعد مدة يسيرة مجلب مذموماً وابى الله ان يتوفاه ببلاد سيس مغازياً اه
وقال المقرئ في السلوك في هذه السنة قدم البريد من حلب بأنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة اقسقر وصلاح الدين الدوادار الى جهة سيس لمنهم الطاعة فلقبهم التركان واغاروا معهم واثروا فيهم آثاراً قبيحة حتى ادعوا للحمل الخراج اه. اقول المقرئ في الواقيين على الحقايق اكثر من ابن الوردي لقربه من الأمراء المصريين وامزاجه معهم

ذكر الزلازل ببلاد حلب وخراب منبج

قال ابن الوردي وفي منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت مجلب وبلادها اما كن ولا سيما منبج فأنتها. اقلت ساكنها وازالت غاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعملت انا في ذلك رسالة .

اقول قد وصف فيها تلك الزلازل وما اثرته من الأضرار وما خربته من
الأماكن وقد اثبتتها في ديوانه المطبوع وهي .

نعوذ بالله من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها . ونستعينه في طلب الإقامة بها
وحسن الرحلة عنها . ثم نستعين بالله ونستعين . من سم هذه الستة فهي ام اربعة واربعين
ذات زلزال بث في بلاد الشام رجله وخيله . وجزم برفع الأرض لما جر ذيله . لاعاد
من زلزال . زانغ به العقل وزال . قنت الناس لأجله في الصلوات واسكوا من
خوفه الصحاري والفلوات

إذا الدهر خان امرأ * بهوت اذاه يهن

فكم زخرف قد سبا * اذا زلزلت لم يكن

جاوز ستين يوماً . ووعظ بقوم قوماً فأن قيل كيف صبر الجدار على امساك
شهرين متتابعين وما اجتث من اصله . قلت هي كفارة عليه فإنه في نهار رمضان
وقع على اهله

نعوذ بالرحمن من مثلها * زلزلة اسهرت الأعينا

قد واثبت بالهجم من لاعصى * وعاقبت بالرجم من لازنى

حكم عزيز قاهر فادر * في كل حال لم يزل محسنا

عائنا لها احوالاً تقشعر منها الحجارة وتتفرق . وان منها لما يشقق . وان
منها لما يهبط من خشية الله ويفرق . فكم دخل الفاعل والمصانع داراً صخرها
يابس وذهبها غض فوجدا فيها جداراً يريد ان يقض . وكم سماء قاعة سقط
فلن يبرح الأرض . وبناء قصر في الطول الى يوم العرض . وكم ليلة سهرناها
سهر الليالي الهجر ودعونا الله تعالى انها سلام هي حتى مطلع الفجر فنسأل الله
اجراً بلا بلاء ونعوذ بالله من بلاء بلا أجر . وما حال من مني بالعكس والطرده

وامتد في كانون عن الكنّ فقصره البرد . انا نبذنا بالعراء لحوف زلزال طمأ لاما
عليه منه في الصحرا سوى مطر السما . والحكيم يقول هذا بخار ريم احتبس
والمنجم يقول هو من حركة كوكب اقتبس . واما الفقيه . فينشد فيه

انى بفعل الله اول مؤمن * وبما قضاه النجم اول كافر

كبت الحكيم فثاله من قوة * وذوو النجوم ثاله من ناصر

فالعلماء احد واحذق . والشريعة الشريفة اقصد واصدق . ولو رأيت حلب وقد
اشرفت على سوء المنقلب ووضح لجامعها فرؤي في اماكن وتعلمت مناراته باب
الأمانة وتحريك الساكن فلولا بركة النداء فيها لرخت ولكن الله سلم جمعها فسلمت
انتهج باسمها بشرف التذكير وسلم جمعها الصحيح من التكسير . غير ان الدموع
جرت على عقبة بنى المنذر [علة العقبة] كماء السماء وبرزت المضررات من الحدود
لحركات البناء وتماقت حيطانها تعانق وداع وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع
وما ادراك ما العقبة فك رقبه وما يدعي بعاجز من ضمن قول الراجز

زلزلة قد وقعت في العقبة * ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فخرج النائب مجلب لهذه النائبه ماشياً منصرعاً من نتيجة هذه البكليه السالبيه
يأسى ويتأسف وعلى رأسه المصحف وهو

اقسمت لو شاهدته * يخنال تحت المصحف

لرأيت صورة يوسف * بمشي بسورة يوسف

واو رأيت القلاع والحصون وقد ازلت الزلازل منها كل مصون

صارت لقلع القلاع زلزلة * ما خشيت رامياً ولا صائد

اذا درى الحصن من رماها بها * خر له في اساسه ساجد

ان هربوا ادركوا وان وقفوا * خشوا تلاف الطريف والتالد

فالأمر لله رب مجتهد * ماخاب الا لأنه جاهد
 رمت الناس بعلة الصدر والدوار وجاورت دوراً مرفوعة خفضها على الجوار
 ولو رأيت منبج منبت كل سرى ومهب النسيم السحري وهي من شدة الطمس
 كأن لم تن بالأمس قد كسف الردم بها كل بدر وشمس
 وليس وفاتهم بالردم نقصا * لقد هم في الشهداء صاروا
 ومافي سطوة الخلاق عيب * ولا في ذلة الخلق عار
 فوا اسفاه على منبج من مدينة جليلة اصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها
 كليله غشيمها قتر وظلمه . وركبتها ريح سوداء مدلهمة
 هلكوا هم وديارهم في لحظة * فكأنهم كانوا على ميعاد
 يسواوا وجههم تقي من الثرى * مثل السيوف بدت من الأغمد
 وقد حكى ان منارتها . صارت تقذف نحو السماء حجارتها
 سكرت بخمر زلازل رقصت لها * رقص القلوص براكب مستعجل
 سقيا لسقيها فدمعى فاطر * لمصاب منزلها واهل المنزل
 ولما سمعوا مهول ذلك الصوت خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فاجتهد
 هبة هيت ولا اقطار القاطر ولا منعتهم قناطر الملوك اذ صرعتهم ملوك القناطر
 كم حائط فوق الكواعب طائح * ماذا اقول له وان كان حائط
 فلا جرم عظم وهنى لها ولا وهن عظمى وختمت ذلك ببيتين من نظمى
 منبج اهلها حكوا دود قتر * عندهم تجعل البيوت القبورا
 رب نعمهم فقد ألفوا من * شجر التوت جنة وحريرا
 قال وفي شهر رمضان صارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض اخرى

﴿زيادة بيان لحوادث الزلازل في هذه السنة﴾

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم البريد بمحضر ثابت عند قضاة حلب يتضمن انه لما كان يوم السبت سادس شعبان اذا برعد و برق واعقبه زلزلة عظيمة شمع حبسها من نصف ميل عن حلب وهو حس مزعج يرجف القلوب فهدم من القلعة اثنان وثلاثون برجاً سوى البيوت وهدم من قلعة البيرة اكثر من نصفها وكذلك من قلعة عين تاب وقلعة الراوندان وبهسنا وبلاد منبج وقلعة المسامين [قلعة الروم] فخرج اهل حلب الى ظاهرها وضربوا الخيم وغلقت سائر اسواقها وفي كل ساعة يسمع دوي جديد ثم انهم تجمعوا عن آخرهم وكشفوا رؤسهم ومعهم اطفالهم والمصاحف مرفوعة وهم يضجون بالدعاء والابتهال الى الله تعالى برفع هذا المقت واقاموا على ذلك اياماً الى خامس عشر منه حتى رفع الله عنهم ذلك بعدما هلك بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها الا خالقها فكذب بتجديد ما هدم من القلاع من الاموال الديوانية قال في روض المناظر بعد ان ذكر حصول الزلازل بمصر وببلاد الشام وانشد

زلزلت الأرض بنا زلزالها * وقال كل من عليها ما لها

فقلت اذ فروا الى صحرائها * قد اخرجت ارضكم اطفالها

وفي شهر رمضان وصل الى حلب قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية وهو غفيف حسن السيرة عابد

وفي شوال حاصر يلبغا النائب بحلب زين الدين قراجا بن دلقادر التركمان بمجبل الدلدل وهو عسر الى جانب جيحان فاعزهم منه بالجبل وقتل في المعسكر واسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك واشتهر اسمه وعظم على الناس شره وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا

وقال المقرئ في كتاب السلوك في بيان هذه الحادثة وفيها جرد الأمير يلغا اليحيوي نائب حلب عسكرا لقتال ابن دلغادر فلقبهم وكسرهم كسرة قبيجة فركب يلغا بعساكر حلب وسار اليه ففر منه على جبل وترك انقاله فنهبها العسكر وقتلوا كثيرا من تركانه وظفروا ببعض حرمه وتبوه الى الجبل وصعدوه فقاتلهم ابن دلغادر وجرح اكثرهم واصيب فرس الأمير يلغا بسهم قتله وتقنطر عنه واخذ صنجقه ومن اسروه من حريمه وما نهبوه له وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالانكار على نائب حلب وتعنيفه على ما فعله .

وفيها استقر موسى بن التاج اسحق في نظر حلب واستقر زين الدين محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر المعروف بأبن الصايغ الانصارى الدمشقى في قضاء القضاة الشافعية بمحلب عوضاً عن بدر الدين بن الحشاش وعاد ابن الحشاش الى القاهرة اهـ

سنة ٧٤٥

ذكر ابتداء دولة الدلغادرية في البستان ومرعش

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل الى ابن دلغادر امان من السلطان (الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر) وافرج عن حريمه وكن بمحلب واستقر في الابلاستين اهـ

قال القرماني في تاريخه في الكلام على هذه الدولة هم طائفة من التركمان توطنوا في نواحي البستان ومرعش ثم كثروا واستفحل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعيتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودرنده وقيرشهرى وقيسارية وحصن المنصور وقلعة الروم وبلاد سيس وقارص وضمانتى واودية

عمق وكوندزلى وغير ذلك وهم يزعمون ان نسبهم يسمى الى كسرى انوشروان
العادل ملك فارس ويعرفون من بين التركمان بالشهامة والشجاعة واول من
ظهر منهم (فراجا) ابن ذى القادر فى نواحى البستان تأمرين قومه اه

وفاة الامير صلاح الدين يوسف واقف المدرسة الصلاحية بحلب

قال ابن الوردى فى حوادث سنة ٧٣٧ فى هذه السنة وقف الامير الفاضل
صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار داره النفيسة بحلب المعروفة اولاً
بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الاربعة وشرط ان يكون القاضي الشافعي
والقاضي الحنفي بحلب مدرسيها وذلك عند عودته من بلد سويس صحبة العسكر
منصرفاً الى منزله بطرابلس ولقد كانت الدار المذكورة بالية لعدم بنى العديم فصارت
راضية بالحديث عن القديم نزع الله عنها لباس البأس والحزن وعوضها بحلة يوسف
عن شقة الكفن فكمل رخامها وذهبها وجعل ثمال اليتامى عصمة الأرامل مكتبها
وكملها بالفروع الموصولة والاصول المفرعة وجعلها بالرباع المذهبة والمذاهب
الاربعة وبالجملة فقد كتبها صلاح الدين فى ديوان صلاح الدين الى يوم العرض
وتلا لسان حسنهما اليوسفي (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ولما وقف الامير
صلاح الدين المذكور على هذه الترجمة تهلل وجهه وقال ما معناه يا ليتك زدتنا
من هذا اه

وتقدم شئ من اخبار صلاح الدين هذا فى حوادث سنة ٧٤٠ وقال ابن الوردى
فى حوادث هذه السنة اعنى سنة ٧٤٥ فيها توفي بطرابلس الأمير الفاضل
صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار احد الامراء بطرابلس وهو واقف

المدرسة الصلاحية مجلب كما تقدم وكان من اكمل الأمراء ذكياً فطنا معظماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخط وله نظم كان كاتباً ثم صار دواتدار قبجق بحماة ثم شاد الدواوين مجلب ثم حاجبا بها ثم دواتدار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم اميراً مجلب وشاد المال والوقف ثم اميراً بطرابلس رحمه الله تعالى. اقول موقع هذه المدرسة شمالي الخان المعروف بخان خيربك وامام الخان المعروف بخان الكتان وهي مدرسة صغيرة وقد كانت اشرفت على الخراب فعمرها السيد بهاء الدين ابن السيد تقى الدين القدسي في حدود سنة ١٢٦٠ ومن ذلك الحين صار الناس يسمونها البهائية الا انها في الأوقاف لم تزل باقية على اسمها القديم ولما عمرت سعى السيد بهاء الدين المذكور في تعيين الشيخ صالح المرتيني مدرساً لها وقد كان اتي من ادلب وتوطن حلب فبقيت في يده الى ان توفي ثم آلت الى حفيده الشيخ عمر المرتيني وهو مدرستها الى الآن ووقف عليها السيد بهاء الدين نحو سبعين كتاباً خطياً هي موضوعة في غرفة التدريس العليا الا انها بحالة لا يستفاد منها ووقفت زوجة السيد بهاء الدين | بنبه | على المدرسة داراً في حنة الفرافرة ولها سوى هذه الدار اراض عشرية تبلغ وارداتها ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وهي الآن في حوزة دائرة الأوقاف

﴿ استرجاع ما بيع من املاك بيت المال بحماة والمعرفة ﴾

قال ابن الوردي وفيها استرجع السلطان الملك الصالح ما باعه الملك المؤيد وابنه الأفضل بحماة والمعرفة وبلادهما من املاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصباً وقد اشترت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المعريين في ذلك

طرحوا علينا الملك طرح مصادر * ثم استردوه بلا اثمان
واذا يد السلطان طالت واعتدت * فيد الآله على يد السلطان
وكانما كاشف هذا القائل فأن مدة السلطان لم تطل بعد ذلك

(سنة ٧٤٦)

ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل وسلطنة اخيه شعبان

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر توفي السلطان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر
محمد بن قلاوون وجلس مكانه اخوه السلطان الملك الكامل شعبان
الحرب بين الأمير طرفوش وبين ابن دلقادر

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم الخبر من حلب
بوقعة كانت بين ابن دلقادر وبين امير يقال له طرفوش اقامه الأمير يلبغا اليحيوي
صداً لأبن دلقادر واغراه به ووعد به بأمرته على التركان فألى ان يسير لمحاربتة
طلب يلبغا من حلب فسار عنها واقتتل طرفوش وابن دلقادر فانتصر ابن دلقادر
بعد عدة وقايح قتل فيها من الفريقين خلائق فلما قدم الأمير ارقطاي الى حلب
تلطف بأبن دلقادر حتى اعاده الى الطاعة وما زال يجتهد حتى اصلح بينه وبين
طرفوش ثم التفت الى جهة الأمير فياض بن ممنا وقد كثر عيئه وفساده واخذ
قفول التجار وبذل جهده حتى قدم عليه حلب فتلقاه وانزله وبالغ في اكرامه واخذ
عليه العهود والمواثيق بالأقامة على الطاعة ثم جهزه الى بلاده وكتب بذلك
الى السلطان فسر به سروراً زائداً فإنه كان في قلق من اخبار فياض وعلى عزم
ان يجرّد العسكر اليه ويورى بقصد سيس واخذ فياض في تجهيز القود الى
السلطان وسيره فقدم وفيه سبعون فرساً قامت عليه بألف الف درهم وخمسون

هجيناً وعشر مهوريات وعبي وغير ذلك ثم قدم عقب قوده فأكرمه السلطان
واحسن اليه وانزله اهـ

ذكر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب وتولية سيف الدين ارقطاي

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب الى نيابة
دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة
من دمشق فما اجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة
وفيه وصل الأمير سيف الدين ارقطاي الى حلب نائباً وابطل الخمر والفجور
بعد اشتهاها ورفع عن القرى الطرح وكثيراً من المظالم ورخص السعر
وفيهما في شهر رمضان وصل القاضي بهاء الدين حسن بن جمال الدين سليمان بن
ربان الى حلب ناظراً على الجيش على عادته عوضاً عن القاضي بدر الدين محمد بن
الشهاب محمود الحلبي ثم ما مضى شهر حتى اعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين
وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة قلت

ساكني مصر اين ذاك النائي * والنائي وما لكم عنه عذر

يخسر الشخص ماله ويقاسي * تعب الدهر والولاية شهر

وفيهما كتب على باب قلعه حلب وغيرها من القلاع تقرأ في الحجر ما مضمونه
مساعدة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجند والأمير وذلك
احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذا التفاوت بين السنة الشمسية
والقمرية وهذه مساعدة بمال عظيم

قال المقرئ في كتاب السلوك وفي شوال قدم من حلب ابن قرناص فبذل في نظر حلب نحو ألف دينار حتى رسم له به عوضاً عن ابن الموصلي فبعث ابن الموصلي ابنه بهدية سنوية فيها جوار حسان وجوز بسط حرير فقام (عرلوا) معه وأوصله بالسلطان فقبل هديته وبسط البسط بالدهيشة وافر ابن الموصلي على حاله فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوماً بألف دينار .

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه الى سيس بطلب الحمل وقد كان تكفور قد كتب في الأيام الصالحة بأن بلاده خربت فسومح بنصف الخراج فلما وصل اليه قاصد نائب حلب جهز الحمل وحضر كبراء دولة تكفور ليحلفوه انه مابقى في مملكته اسير من المسلمين كما جرت العادة في كل سنة بتحليفه على ذلك وكان في ايديهم عدة من المسلمين اسرى فييت مع اصحابه قبلهم في الليلة التي يكون حلفه في صبيحتها فقتل كل احد اسيره في اول الليل فما هو الا ان مضى ثلثا الليل خرجت في الثلث الاخير من تلك الليلة دريح سوداء معها رعد وبرق اربع القلوب وكان من جملة الأسرى عجوز من اهل حلب في اسرى المنجنيقي ذبحها عند المنجنيق وهي تقول اللهم خذ الحق منهم واقام يشرب الخمر بعد ذبحها مع اهله حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسم فسقطت الشمعة واحترقت واحولها حتى هبت الريح فتطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه وتعلقت النيران بما حوله حتى بلغت موضع تكفور ففر بنفسه واستمرت النار مدة اثني عشر يوماً فاكثر القلعة وتلف المنجنيق كله بالنار وكان هو حصن سيس ولم يعمل مثله واحترق المنجنيقي واولاده الستة وزوجته واثني عشر رجلاً من اقاربه وخربت سيس وهدم سورها ومساكنها وهلك كثير من اهلها وعجز تكفور عن بنائها

﴿ ذكر تزايد امر ابن دلفادار ﴾

وفيهما في اواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة وهى من امنع فلاع
سيس نما يلى الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس
الجديد لاستيقاظها فصادفه ابن دلفادار فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقاً وانهرم
الباقون

وبعد فتحها قصد النائب مجلب ان يستنيب فيها من جهة السلطان فمضى ابن
دلفادار عن ذلك فجهزوا عسكرياً لهدمها ثم اخذتها الأرمن منه بشؤم مخالفته
لولي الامر وذلك في رجب سنة سبع واربعين وسبعمائة

سنة ٧٤٧

ذكر عزل الحاج ارقطاي نائب حلب وتولية حلب

لسيف الدين طقتمر الأحمدي

قال ابن الودى في المحرم طلب الحاج ارقطاي نائب حلب الى مصر وفي ربيع
الأول وصل الى حلب الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي نائباً نقل اليها من حماة
وفي جمادى الأولى سافر القاضى ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين
يعقوب وولي كتابة السر بدمشق وتولى كتابة السر بمجلب مكانه القاضى جمال
الدين ابراهيم بن الشهاب محمود الحلبي . وفي رجب سافر طقتمر الأحمدي نائب
حلب الى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام .

قال القرزى في السالك وفي ذي القعدة قدم الأمير طقتمر الصلاحي من حلب
وهو احد خواص الكامل ثم اخرج لنيابة حمص فأتى بها

ذكر تولية حلب لسيف الدين بيدمر البدرى

قال ابن الوردى وفي شعبان وصل الى حلب الأمير سيف الدين بيدمر البدرى
نقل اليها من طرابلس . (واقعة غربية)

قال ابن الوردى وفي ذي الحجة صدرت بحلب واقعة غربية وهي ان بنتاً بكرى
من اولاد اولاد عمر التيزينى كرهت زوجها ابن المقصوص فلقت كلمة الكفر
ليفسخ نكاحها قبل الدخول فقالت لها وهي لاتعلم معناها فأحضرها البدرى بدار
العدل بحلب وامر ففقطعت اذانها وشعرها وعانى ذلك في عقمها وشق انفها
وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين وهي من اجل البنات واحياهن فشق ذلك
على الناس وعمل النساء عليها غزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود وانكرت
القلوب قبح ذلك وما افلح البدرى بعدها قلت

وضع الناس من بدر منير * يطوف مشرعا بين الرجال
ذكرت ولاسواء بها السبايا * وقد طافوا بهن على الجمال
وفيه ورد البريد بتولية السيد علاء الدين على بن زهرة الحسينى تقابة الأشراف
بحلب مكان ابن عمه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة
واعطى هذا اماراة طلبغاناه بحلب

(زبلة بيان لحادثة المرأة وتعيين ارغون شاه لولاية حلب)

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث سنة ٧٤٨ واتفق بمدينة حلب ان
الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع على الأمراء وعزل الولاة والمباشرين بعد
ما اخذ تقادهم واستبدل بهم غيرهم بما قاموا له به واشتدت وطأة حاشيته على
الناس بظلمهم وسوء معاملتهم ثم بلغه ان رجلاً من الأعيان مات عن ابنة وترك

مالا جزيلًا وأوصى أن تزوج ابنته بأبن عمها فرغب بعض الناس في زواجها
 وبذل لأوليائها مالا كثيرا حتى زوجها منه بنير رضاها فلم ترض به وكرهته
 كراهة زائدة حتى قالت لأهلها إن لم تطلقوني منه والا كفرت فأحضروها إلى
 بعض القضاة وجدد إسلامها فطلب الأمير بيدمر ابن عمها وضربه بالبقارح
 ضرباً مبرحاً وضرب المرأة أيضاً ضرباً شنيعاً وقطع أنفها وأذنيها وشهرها بحلب فتألم
 الناس لها ألماً كثيراً ووصل خبرها إلى أمراء مصر فقام صمقار وقرابغا واصحابهما
 قياماً كثيراً في الإنكار على بيدمر وصادف مع ذلك وصول كتاب نائب الروم
 بأن يتوجه إليه ويقم عنده فظفر بقاصده واحد من الكتاب وقبض على ابن
 طشتمر وسجنه بالقلعة فأجيب بالشكر والثناء وكتب إليه اصحابه بأن يبعث
 مقدمة للسلطان حتى يتهياً نقلته إلى غير صفد فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر
 بمائة ألف درهم وغير ذلك من الأصناف فأعجبت السلطان وشكره فأخذ صمقار
 وقرابغا واصحابهما في ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له وما فعله بالمرأة
 وابن عمها ونحسين ولاية ارغون شاه عوضه فإنه سار في أهل صفد سيرة جميلة
 ولم يقبل لأحد مقدمة وجلس للحكم بين الناس وانصف في حكمه حتى أحبه
 أهل صفد فرسم بقدم ارغون شاه ليستقر في نيابة حلب وحضور الأمير بيدمر
 من حلب فقدم ارغون شاه صحبة طيزق وأكرمه السلطان وخلع عليه تسامع
 عشر صفر بنيابة حلب عوضاً عن بيدمر البدري ورسم أن لا يكون لنائب
 الشام عليه حكم وأن يكون مكاتباً للسلطان وكتب لنائب الشام بذلك وتوجه
 إلى حلب في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول وتقدم من دمشق على
 البريد في سادس عشره ونزل قصر معين الدين حتى قدم طلبه من صفد
 في ابهة زائدة وخيوله بسروج سنية مرصعة وكنائيش ذهب وقلاند

مرصعة وكان بيدمر قد رأى في منامه المرأة التي فعل بها ما فعل وهي تقول له اخرج عنا وكررت ذلك ثلاث مرات وقالت له قد شكوتك الى الله تعالى فعزلك فانتبه مرعوباً وبعث اليها لتخالله وبذل لها مالاً فلم تقبله وامتنعت من محالته فقدم خبر عزله بعد ثلاثة ايام من رؤياه وقدم الى القاهرة صحبة طليق وقد اوصل الامير ارغون شاه الى حلب وسر سروراً كثيراً اه
ثم قال في آخر حوادث هذه السنة ومات الامير بيدمر مقتولاً بغزة في اوائل جمادى الآخرة وهو احد المماليك الناصرية واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريباً من المشهد الحسيني

(سنة ٧٤٨)

﴿ ذكر تعيين قاض مالكي بحلب ﴾

قال ابن الوردي في ثالث المحرم وصل الى حلب القاضى شهاب الدين بن احمد ابن الرياحى على قضاء المالكية بحلب وهو اول مالكي استقضى بحلب ولا بد لها من قاض حنبلي بعد مدة لتكامل به العدة اسوة مصر ودمشق .
وفيه ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحي النواحي الحلبية نحو اربعة آلاف نفس اقتله ودفنه وقامت عندهم اسواق وصرفت عليهم من الرعية اموال وهذه سنة ابتدأ بها الطنبا الحاجب من قبلهم قلت

قصده الشام جراد * سن للغلات سنا

فتصلحنا عليه * وحفرنا ودفنا

قال المهریزی فی کتاب السلوک فی حوادث هذه السنة وقدم البريد من حلب

بان صاحب سيس جهنر مائتي ازمي الى ناحية اياس فلما قربوا من كوار ليسهموا
على قلعها قابلم اربعون من المسلمين فنصرهم الله على الأرمين وقتلوا منهم خمسين
واسروا ثلاثين وهزموا باقيهم فقتل تكواري عدة ممن اسر وحمل بقيتهم الى حلب
فكتب بالأحسان الى اهل تكواري والانعام عليهم

(ذكر عزل الامير بيدمر البدرى نائب حلب)

وفي منتصف ربيع الاول سافر بيدمر البدرى نائب حلب الى مصر معزولاً
اكرؤا عليه ما اعتمده في حق البنات ابن تيزين المقدم ذكرها وندم على ذلك
حيث لا ينفعه الندم

ترجمته

قال في الدرر الكامنة بيدمر البدرى احد المماليك الناصرية وتنقل حتى صار من
الامراء في آخر دولة الناصر وولي نيابة طرابلس مدة يسيرة في ايام الكامل
شعبان ثم ولي نيابة حلب في سلطنة المظفر حاجي ثم طلب الى مصر ثم اخرج
الى الشام على الهجن فقتل بغزة في جمادى الاولى سنة ٧٤٨ وكان يحب العلماء
وينسخ بيده كتب عدة ربعات وكان يتصدق في كل شهر بمخمسة آلاف درهم
وله ورد من الليل لكنه سي السيرة في نيابة حلب اه

☆ ذكر تعيين ارغون شاه الناصري لولاية حلب ☆

وفي ربيع الاول وصل الى حلب نائبها ارغون شاه الناصري في حشمة عظيمة
قل اليها من صفد

☆ ذكر تعيين قاض حنبلي بـ حلب ☆

وفي ربيع الآخر وصل تقليد القاضي شرف الدين موسى بن فياض الحنبلي

بقضاء الحنابلة مجلب فصار القضية اربعة ولما بلغ بعض الظرفاء ان حلب تجدد
بها فاضيان مالكي وجنبلي انشد قول الحريري في الملح
ثم كلا النوعين جاء فضله * منكرا بعد تمام الجملة

[ذكر عزل ارغون شاه وشي من احواله]

قال ابن الوردي وفي جمادى الآخرة نقل ارغون شاه من نيابة حلب الى نيابة
دمشق فسار عاشر الشهر وبلغنا انه وسط في طريقه مسلين وهذا ارغون شاه
في غاية السطوة مقدم على سفك الدماء بلا تثبت قتل مجلب خلقا ووسط وسمر
وقطع بدويا سبع قطع بمجرد الظن بمحضته وغضب على فرس له قيمه كثيرة
مرح بالعلاقة فصره حتى سقط ثم قام فصره حتى سقط وهكذا مرات حتى
عجز عن القيام فبكي الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه

عقلت طرفك فيه * اظهرت للناس عقلك

لا كان دهر يولي * على بني الناس مثلك

قال المقرئ في السلوك في حوادث سنة ٧٥٠ فيها مات الأمير ارغون شاه
الناصري نائب الشام مذبحاً في ربيع الاول رباه الناصر محمد حتى عمله امير
طباخانه رأس نوبة الجندارية ثم استقر بعد وفاته استاذار امير مايه مقدم الف
فتحكم على المظفر شعبان حتى اخرجه لنيابة صفد وولي بعدها نيابة حلب ثم
نيابة الشام وكان قوي النفس شرس الأخلاق مهاباً جائراً في احكامه سفاكاً
للدماء غليظاً خاشاً كثير المال وأصله من بلاد الصين حمل الى ابى سعيد بن
جدابندا فأخذه دمشق خواجه ابن جوبان ثم ارتجمه ابو سعيد بعد قتله وبعث
به هدية الى مصر اه

﴿ ذكر تعيين فخر الدين اياز لنياية حلب ﴾

وفي اواخرها وصل الى حلب نائباً فخر الدين اياز نقل اليها من صفد

ذكر قتل السلطان امير حاج وسلطنة اخيه حسين

وفيها في رمضان قتل السلطان الملك المظفر امير حاج ابن الملك الناصر بن قلاوون

واقام مكانه اخوه السلطان الملك الناصر حسن

﴿ عزل فخر الدين اياز نائب حلب ﴾

وفيها في شوال طلب السلطان فخر الدين اياز نائب حلب الى مصر وخافت

الأمراء ان يهرب فركبوا من اول الليل واحاطوا به فخرج من دار العدل وسلم

نفسه اليهم فأودعوه القامة ثم حمل الى مصر فحبس وهو احد الساعين في نكبة

يلبغا وايضاً فإنه من الجركس وهم اضداد لجنس التتار بمصر وكان المظفر قد مال

عن جنس التتار الى الجركس ونحوم فكان ذلك احد ذنوبه عندهم فانظر الى

هذه الدول القصار التي ما سمع بمثلا في الأعصار قلت

هذي امور عظام * من بعضها القلب ذائب

ما حال فطر يلية * في كل شهرين نائب

﴿ ذكر تعيين الحاج ارقطاي لنياية حلب ﴾

قال ابن الوردي وفي ذي الحجة وصل الى حلب الحاج ارقطاي نائباً بعد ان خطبوه

الى السلطنة والجلوس على الكرسي بمصر فأبى وخطبوا قبله الخليفة الحاكم بأمر

الله فامتنع كل هذا خوفاً من القتل فلما جلس الملك الناصر حسن على الكرسي

طلب الحاج ارقطاي منه نياية حلب فأجيب واعفى الناس من زينة الأسواق

بحلب لأنها تكررت حتى سمجت قلت

كم ملك جاء وكم نائب * يازينة الأسواق حتى متى
قد كرروا الزينة حتى العلى * ما بقيت تلحق ان تنبتا
(سنة ٧٤٩)

ذكر استفحال امر قراجا ابن دلغادر التركمانى فى

البستان ومرعش

قال ابن الوردى دخلت سنة تسع واربعين وسبعمائة وقراجا بن دلغادر التركمانى وجائمه قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمى بالملك القاهر وابان عن فجور وحق ظاهر وولاه بغروره الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذى يحمل الى السلطان

قال المقرئى فى كتاب السلوك فى حوادث هذه السنة واستقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف فى قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن نور الدين محمد بن الصايغ بعد وفاته

واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن ابى السفاح كاتب السر بحلب عوضاً عن جمال الدين ابراهيم ابن الشهاب محمود

ذكر وصول الوباء (الطاعون) الى حلب واتصاله بالبلاد

الشامية ثم المصرية

قال ابن الوردى وفيها فى شهر رجب وصل الوباء الى حلب قيل لنا انه ابتداء من الظلمات (اي من الشرق الأقصى) من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها النبا عن الوباء (منها) ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين. سل هنديا فى الهند. واشتد على السند. وقبض بكفيه وشبك.

على بلاد اذربك وكم قصم من ظهر فيا وراء النهر. ثم ارتفع. ونجم. وهجم على المعجم
 واوسع الخطا الى ارض الخطا وقرم القرم ورمى الروم يجمرم مضطرم وجز الجزائر
 الى قبرص والجزائر ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتذهبت عينه لمصر فأذاهم بالساهرة
 واسكن حركة الاسكندرية فعمل شغل الفقراء مع الحرية [ومنها]

اسكندرية ذا الوبا * سبع بعد اليك ضبعه

صبراً لقسمته التي * تركت من السبعين سبعة

ثم تيمم الصعيد الطيب. وبارق على برقة منه صيب. ثم غزا غزوة. وهزم عسقلان
 هزمه. وعك الى عكا. واستشهد بالقدس وزكا. فلحق من الهاربين الأنصبي بقلب
 كالصخرة ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مره ثم طوى المراحل ونوى
 ان يخلق الساحل فصاد صيدا وبغت بيروت كيدا ثم صدد الرشق الى جهة دمشق
 فتربع ثم وتميد وفنك كل يوم بألف وازيد. فأفل الكثرة وقتل خلقاً ببثرة [ومنها]

اصلح الله دمشقاً * وحماها عن مسبه

نفسها خست الى ان * تقتل النفس بحبه

ثم امر المنزة وبرز الى برزه. وركب تركيب مزج على بعليك. وانشد في قارة
 قفانبك. ورمى حصص بجلل وصرفها مع علمه ان فيها ثلاث علل. ثم طلق الكنة
 في حماه فبردت اطراف عاصيها من حماه

يا أيها الطاعون ان حماة من * خير البلاد ومن اعز حصونها

لا كنت حين شمتها فسمتها * ولثمت فاما آخذاً بقرونها

ثم دخل معرة النعمان فقال لها انت منى في امان حماة تكفيك فلا حاجة لي فيك

رأى المعرة عينا زانها حور * لكن حاجبها بالجور مقرون

ماذا الذي يصنع الطاعون في باد * في كل يوم له بالظلم طاعون

ثم جرى الى سرمين والقوعة . فشمت على السنة والشيعة . فسن السنة استه شعرا وشيع
في منازل الشيعة مصرعا . ثم أنطى انطاكية بعض نصيب . ورحل عنها حياء من نسيانها
ذكرى حبيب ثم قال لشيزر وحارم لا تخافا منى فأنتما من قبل ومن بعد في غنى
عنى فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية ثم أذل عزاز وكانزه . واصبح في بيوتها
الحارث ولا اغنى ابن حلزوه واخذ من اهل الباب اهل الألباب وبلشر تل بلشر
ودلك دلوك وحاشر وقصد الوهاد والتلاع وقلع خلقا من القلاع ثم طلب حلب
ولكنه ما غلب (ومنها) ومن الاقدار انه يتبع اهل الدار فتي بصق احد منهم
دما تحققوا كلهم عدما ثم يسكن الباصق الاجداث بعد ليلتين او ثلاث .
سألت باري النسم . في دفع طاعون صدم * فمن احس بلع دم . فقد أحس بالعدم
ومنها

حلب والله يكفى * شرها ارض مشقة

اصبحت حية سوء * تقتل الناس ببزفة

فلقد كثرت فيها ارزاق الجنائزية فلا رزقوا وعاشوا بهذا المودم وعرفوا من
الحمل فلا عاشوا ولا عرفوا فهم يلهون ويلعبون ويتقاعدون على الزبون

اسودت الشهباء في * عيني ومن وهم وغش

كادت بنو نعش بها * ان يلحقوا ببنات نعش

[ثم قال] وفي هذا كفاية في الرسالة طول

وهذا الوباء كاد يكون عاما في القطعة الاسيوية وفي شمالي البلاد الافريقية
على ما فصله المقرئ في كتاب السلوك واطال في ذكر البلاد التي دخلها وفتكه
الذريع فيها ذكر ذلك في ست ورقات ومما قاله وفي اول يوم من جهادى الاولى
ابتدأ الوباء بأرض حلب فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردن وجبالها وسواحل

عكا وصفد وبلاد القدس ونابلس والكرك وعربان البوادي وسكان الجبال
والضياع ولم يدخل الوبا من بلاد الشام معرة النيمان ولا بلد شيزر ولا حاره
وبلغ عدد من يموت بمجلب في كل يوم خمسمائة انسان (ثم قال) وقد اكثر النار
من ذكره في اشعارهم ومما قاله الاديب زين الدين عمر ابن الوردى

ان الوبا قد غلبا * وقد بدا في حلبا * قالوا له على الورى * كاف ورا قلت وب
وقال الله اكبر من وبا قد سبا * ويصول في العقلاء كالحجون
سنت استته لكل مدينة * فميجبت للمكروه في المسنون
وقال الا ان هذا الوبا قد سبا * وقد كاد يرسل طوفانه
ولا عاصم اليوم من امره * سوى رحمة الله عبدانه

وقال الاديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي

ان هذا الطاعون يفتك في العا * لم فتك امرئ ظلوم حقوق
ويطوف البلاد شرقاً وغرباً * ويسوق العباد نحو اللحدود
قد اباح الدما وحرم جمع الشم * ل قهراً وحل نظم العقود
كم طوى البشر من اخ عن اخيه * ه وسى عقل والد بوليد
ايتم الطفل انكل الأم ابكى ال * مين اجرى الدموع فوق الخدود
بسهم ترمى الأنام خفيا * ت تشق الجلود (١) قبل الجلود
كلما قلت زدت في الثقل اء * صر وبييت يقول هل من مزيد
ان اعش بعده فأنى شكور * خلص الحمد للولي الحميد
واذا مت هيثوني وقولوا * كم قاتل كما قنلت شهيد

واطال المقرزى في تعداد من توفي تلك السنة من الأعيان

﴿ ظهور انوار على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد وغيرهم بمنج ﴾
قال وفي ذي القعدة ظهر بمنج على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد اخي
خديجة رضي الله عنها وهذان القبران بمشهد النور خارج منج وعلى قبر الشيخ
عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ نيبوب وهما داخل منج وعلى قبر الشيخ على وعلى
مشهد المسيحات شمالي منج انوار عظيمة وصارت الانوار تنتقل من قبر بمضهم
الى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى ربيع الليل حتى ابتهر لذلك اهل
منج وكتب قاضيه بذلك محضراً وجهزه الى دار العدل بجلب ثم اخبرني القاضي
بمشاهدة ذلك واكابر واعيان من اهل منج ايضاً
وفي السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة كانت وفاة ابن الوردي رحمه الله
بالطاعون ولم يسلم من طعناته واسمه عمر بن مظفر وستأني ترجمته ان شاء الله تعالى

(سنة ٧٥٠)

ذكر نيابة قطليجا الحموي ثم نيابة ارغون الكاملي

قال في روض المناظر وفي هذه السنة ولي الأمير ارغون الكاملي نيابة حلب
عوضاً عن قطليجا الحموي وكان قد وليها نحو شهر ومات . قال المقرزي مات
في هذه السنة الأمير قطليجا الحموي اصله مملوك المؤيد صاحب حماة فبعثه الى
الناصر محمد وترقى حتى صار من جملة الامراء ثم ولي نيابة حماة ونقل الى نيابة
حلب فأقام بها اياماً ومات وكان سبب السيرة
وفيهما توفي الحاج ارقطاي الناصري باشر نيابة حمص ثم صفد ثم طرابلس ثم
حلب ثم مصر ثم حلب ثم دمشق فتوجه من حلب اليها ومات بعين المباركة وحمل
الى حلب ودفن بتربة سودى وكان يحب حلب فأشدد فيه

قالوا ارقطاي مات قلت فهل * في الموت بعد الحياة من عجب
 مامات من فرحة بقتله * بل مات من حزنه على حلب
 وكلت عمره سبعين سنة . قال المقرزي في حوادث هذه السنة . ومات الامير
 ارقطاي المنصوري بظاهر حلب وهو متوجه الى دمشق عن نحو ثمانين سنة يوم
 الأربعاء خامس جمادى الأولى واصله من مماليك المنصور فلاون رباه الطوائى
 فاخر احسن تربية الى ان توجه الناصر محمد بن فلاون الى الكرك كان معه فلما
 عاد اليه ملائكة جعله من جملة الامراء ثم سفره صحبة الامير تنكرز نائب الشام
 واوصاه ان لا يخرج عن رأيه فأقام عنده مدة ثم تنكرز عليه فولاه نيابة حمص
 مدة سنتين ونصف ثم نقله لنيابة صفد فأقام بها ثمان عشرة سنة وقدم مصر
 فأقام بها عدة سنين وجرد الى اياس ثم ولي نيابة طرابلس ومات الناصر وهو
 بها ثم قدم مصر وقبض عليه ثم افرج عنه واقام مدة ثم ولي نيابة حلب ثم طلب
 الى مصر وصار رأس الميمنة ثم ولي نيابة السلطنة نحو سنتين ثم اخرج لنيابة حلب
 فأقام بها مدة ثم نقل لنيابة الشام فمات في طريقه لدمشق فدفن بحلب وكان
 مشكور السيرة اه

قال واستقر نجم الدين محمد الزرعى في قضاء القضاة الشافعية بحلب بعد وفاة نجم الدين
 عبد القاهر بن ابى السفاح فيها

سنة ٧٥١

قال المقرزي في حوادث هذه السنة في المحرم اوقع الأمير ارغون نائب حلب
 بكتاب سرهازين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الى السفاح وضربه
 وسجنه فاستقر عوضه في كتابة السر بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن
 محمد المعروف بابن قاضى العسكر

وقدم الخبر بأن الأمير ارغون ركب الى التركمان وقد كثر فسادهم فقبض على كثير منهم وانلقمهم واوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعت موسى الحاجب على الفبي فارس في طلب نجمه امير الأكراد فلما قرب منه بعت صاحب ماردين يشعربقوة العسكر خوفاً من غير لقاء فتنكر الأمير ارغون على موسى الحاجب وكتب يشكو منه [ثم قال بعد ورقين] وانعم على جر كنم باستقراده حاجباً بحلب عوضاً عن موسى الحاجب لشكوى نائب حلب منه

[سنة ٧٥٢]

خلع السلطان حسن وسلطنة اخيه الملك الصالح صالح

قال ابن اياس في هذه السنة قبضوا على السلطان الملك الناصر حسن واقام في السلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور فلاون وهو تمام العشرين من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من اولاد الملك الناصر محمد بن فلاون

ذكر نيابة الامير بيبيغا اروس بحلب

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الملك الصالح بالأفراج عن الامير بيبيغا اروس وكان بالسجن في قلعة الكرك فلما حضر خلع عليه واستقره نائب حلب ثم خلع على الامير ارغون الكامي واستقره نائب السلطنة بالديار المصرية. قال المقرزي وفي هذه السنة استقر في قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد التماساني عوضاً عن الشهاب احمد بن ياسين الرياحي واستقر في قضاء الحنفية بها جمال الدين ابراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن عبد الغفر بن العديم بعد وفاة ابيه واستقر في كتابة السر بحلب جمال الدين ابراهيم بن

الشهاب محمود عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضي المسكر وقدم الشريف الى القاهرة اهـ

(سنة ٧٥٣)

﴿ذكر عصيان الأمير بييغا اروس نائب حلب وقصده دمشق﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة سار بييغا اروس نائب حلب ومعه قراجا بن دلفادر التركاني (صاحب البستان ومرعش) الى مصر طالباً للملك بنفسه وانجرت معه عساكر عظيمة منها نائيب طرابلس ونائب حماة ونائب صفد فخرج اليه السلطان الملك الصالح بعساكره فلما بلغه ذلك رجع من قبلي دمشق الى جهة حلب فمنع عنها وتشتت شمله وتفرقوا ايادي سبا واستقر نائيباً بحلب عوضه الأمير ارغون الكاملي اهـ وذكر ابن اياس في حوادث هذه السنة هذا الخبر بابط من هذا فقال جاءت الأخبار من حلب بان الأمير بييغا اروس قد خرج عن الطاعة وظهر المعصيان وكذلك الأمير بكلمش نائب طرابلس وكذلك الأمير احمد نائب حماة وكذلك الأمير الطنبغا برفاق نائب صفد فأرسل نائب الشام الأمير ارغون الكاملي يحبر السلطان بما قد جرى من النواب ثم بعد ذلك بايام يسيرة جاءت الأخبار بان نائب حلب وصل الى الشام وحاصر المدينة فلما رأى نائب الشام عين الغلبة هرب تحت الليل هو ومالايكه وتوجه الى نحو غزوة فأقام بها وارسل يعلم السلطان والأمراء بذلك ثم جاءت الأخبار بان بييغا اروس لما دخل الى الشام وقف تحت القلعة ومعه من تقدم ذكرهم من النواب فاستعرض هناك العسكر الشامي والعسكر الحايي فكان مع الأمير بييغسا اروس من النواب والأمراء نحو ستين اميراً غير العساكر الحلبية والشامية وغير ماالتف عليه من العربان والعشائر فقيوت شوكته فلما فرغ من العرض نزل عند قبة بييغا وارسل

الى نائب قلعة دمشق وهو الأمير اياجي يطلب منه اميرا كان مسجوناً بقلعة دمشق فأرسل اليه الأمير اياجي يعتذر له عن ذلك بان هذا في سجن السلطان ولا اقدر على اطلاقه من السجن الا بمرسوم السلطان ثم ان نائب قلعة دمشق حصن القلعة تحصيناً عظيماً وركب عليها المكاحل بالمدافع وارسل يقول لأهل المدينة لا تفتحوا دكانا ولا سوقا ولا تبيعوا على عسكر حلب شيئاً فلما بلغ الأمير بييغا اروس ذلك اشتد به الغضب وامر عسكره بأن ينهبوا ضياع دمشق والبساتين ويقطعوا الأشجار فلما سمعوا هذه المنادة ماتوا جميعاً من الأذى والفساد فنهبوا حتى النساء والبنات والقماش وجرى على أهل دمشق من بييغا اروس ما لم يحجر عليهم من عسكر غازان لما دخل دمشق . فلما جاءت الأخبار بذلك الى السلطان علق الجاليس وتجهز للخروج الى دمشق ثم عين الأمير عمر شاه وهو صاحب القنطرة وعين محمد بن بكتمر الساق والأمير قاري الحموي بأن يخرجوا الى الصيد قبل خروج السلطان لحفظ البلاد من فساد العربان وصون الفلال فخرجوا من يومهم ثم ان السلطان خرج من القاهرة قاصداً نحو البلاد الشامية فطلب طلباً عظيماً وخرج معه من يذكر من الأشراف وهم الأمير طراز والأمير شيخو العمري والأمير صرغتمش والأمير استدر الممرى واخوه الامير طاز والامير جردمر والامير قرايغا والامير بنجاص والأمير بقا السلحدار والامير طشتمر القاسمي والأمير سنقر المحمدي والامير قطلوبغا الذهبي وبقية الامراء المقدمين وكان مع السلطان الطبلخانات والعشراوات نحو ثمانين اميرا ثم ان السلطان ترك في القاهرة الامير قبلاي نائب السلطنة ومعه ثلاثة امراء لمصون المدينة ثم خرج السلطان من القاهرة سابع شهر شعبان وكان صاحبته القضاء الأربع والخليفة الامام احمد الحاكم بأمر الله ابن المستكن بالله وسائر العسكر

فاطبة فكان وصول السلطان الى دمشق في شهر رمضان فزل بالقصر الأبلق الذي بالميدان وصلى الجمعة في جامع بني امية وكان الأمير بييغا اروس لما بلغه وصول الملك الصالح الى دمشق رحل عنها ثم ان السلطان طلع الى قلعة دمشق واغامها وامر جماعة من الأمراء والعسكر بأن يتوجهوا خلف الأمير بييغا ومن معه من النواب فخرجوا اليهم وتقاتلوا معهم فلما كانت ثالث شهر شوال جاءت الأخبار من عند السلطان بأنه قد انتصر على الأمير بييغا اروس وانكسر بييغا وهرب الى بلاد الترامكة وقبض على جميع من كان معه من النواب والعسكر ودخلوا بهم الى دمشق وهم في جازير وقيود وكان لهم في دمشق يوم مشهود لم يسمع بمثله ثم ذكر من قتل من هؤلاء الأمراء ومن شفع فيه الى ان قال وعاد السلطان الى الديار المصرية فدخل القاهرة في اواخر شوال .

ثم قال ابن اياس في حوادث سنة اربع وخمسين وفيها حضروا برأس الامير بكباش نائب طرابلس ورأس الأمير بييغا اروس نائب حلب ورأس الامير احمد نائب حماة وكانوا هربوا من الملك الصالح لما توجه الى الشام كما تقدم فلما هرب اولئك النواب توجهوا الى بلاد التركان فقطعوا رؤوسهم وارسلوها الى السلطان فردم بأن يعلقوا على باب زويلة فعلقوا عليه ثلاثة ايام اه

(سنة ٧٥٤)

❖ ذكر تولية حلب للامير ارغون ❖

الكاملي وقبضه على قراجا بن ذي الفادر وقتل قراجا بمصر

قال ابن اياس في هذه السنة خلع السلطان على الأمير ارغون الكاملي واستقر به نائب حلب عوضاً عن بييغا اروس فلما توجه ارغون الى حلب جرد الى قراجا

بن ذي القادر امير التركان وكان ذنب قراجا انه وافق بيبغا اروس على العصيان فلما وصل اليه الأمير ارغون هرب منه فتبعه الأمير ارغون الى اطراف بلاد الروم فقبض عليه وارسله الى السلطان فلما حضر الى القاهرة ومثل بين يدي السلطان امر بتسميره فسمروه على جمل وطافوا به مصر والقاهرة ثم وسطوه في الرميطة بسوق الخيل ثم دفنوه اهـ

— زيادة بيان لهذه الحوادث —

وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة قراجا بن دلغادر امير التركان بالبلاد الشمالية انه جاء الى حلب الى بيبغا اروس القاسمي نائب حلب وواقفه في العصيان على السلطان وتوجه معه الى دمشق حين سار فلما احس بيبغا اروس بنزول السلطان (اي نجائه من مصر) ولى هارباً وهرب معه قراجا المذكور وتوجه الى بلاده فتوجه في طلبه الأمير سيف الدين ارغون الكاظمي نائب حلب وصحبته المساكر الحلبية وذلك في سنة اربع وخسين وسبعمائة فوصلوا الى ابلستين فهرب قراجا بن دلغادر فتبعوه الى ان ادر كوه بأطراف بلاد الروم فلما احس بهم هرب فذهب العسكر بيوته ويوت التركان الذين كانوا معه واخذوا مواشيهم واستمر قراجا هارباً الى ان وصل الى ارننا صاحب الروم فقبض عليه ثم جهز الى مصر فكان آخر العهد به

سنة ٧٥٥

ذكر خلع الملك الصالح صالح وعود الملك الناصر حسن

الى السلطنة وتولية حلب للأمير طاز

قال في روض المناظر في هذه السنة خلع الملك الصالح صالح واستقر عومنه

الملك الناصر حسن وعاد الى السلطنة واستقر عوضه طاز في نيابة حلب عوضاً عن ارغون الكاملى

قال بيشوف نقلاً عن درة الاسلاك في سنة ٧٥٥ ولي الامير سيف الدين طاز الناصري نيابة السلطنة بحلب عوضاً عن الامير سيف الدين ارغون الكاملى وفي هذه السنة انشأ الامير ارغون الكاملى البيارستان المنسوب اليه داخل باب قنسرين واجتهد في امره ورفل في اثواب ثوابه واجره وشيد بنيانه ومهد بحالسه وايوانه ورفع قواعده وهياً بيوته ومراقده واعد له الآلات والخدم ورتب لحفظ الصحة فيه ارباب الحكم واباحه للضميف والسقيم وفتح باباه للراجل والمقيم ورواه بالمياه الكثيرة وانفق اموالاً غزيرة واجرى غيوتاً معلومة وجرايته ووقف للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته اه

ووجدت في مجموعة معظمها بخط المؤرخ ابى ذر قال ان لأرغون الكاملى بهاب المارستان المشهور وفي ذلك يقول ابن حبيب

قولا لأرغون الذى معروفه * بالمرف قد احمى النفوس والارج
انزلك الرحمن خير منزل * رحب ورقاك الى اعلى الدرج
بنيت داراً للنجاة والشفاء * ليس بها على المريض من حرج

سنة ٧٥٨

ذكر وفاة الامير ارغون الكاملى

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي ارغون بن طيجو الكاملى باقدس الشريف ودفن في تربته هناك وعمره دون الثلاثين سنة تبناه الملك الصالح اسماعيل وزوجه اخته من امه وكان يسمى ارغون الصغير فلما مات الصالح وولى اخوه

الكامل اعطى ارغون مقدمة الف وهى ان يسمى ارغون الصغير فسمى الكامل
ولي نيابة حلب ثم نقل الى نيابة دمشق عوضاً عن ايتيش وتوجه في حركة
بييغاروس الى ملافاة المساكر المصرية وعاد مع طراز وسنجر الى حلب وراء
بييغاروس فاستمر في نيابة حلب ثانياً وحصر بييغاروس وحبس بالقلعة وكان
آخر العهد به وحصر احمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وقرابا
بن دغادر وعمر مارستانه بمحلب داخل باب قنسرين ووقف عليه قرية بنش العظمى
من الغربيات ثم طلب الى مصر اميراً مقدماً ثم جهز الى الاسكندرية مقبوضاً عليه
ثم افرج عنه وتوجه الى القدس الشريف وكانت به وفاته رحمه الله اهـ

اقول تدخل الى هذا البهارستان فتجد عن يسارك حجرة هي الآن خربة ثم
تدخل الباب الثانى فتجد عن يمينك حجرة اخرى كانت هاتان الحجرتان لقعود
الاطباء ووضع ما يحتاجون اليه من الادوية والأشربة ثم تجد صحناً واسعاً محيط
بطرفه القبلى والشمالى رواقان ضيقان مرفوعان على اعمدة عظيمة ووراءهما حجر
صغيرة هى محل حبس المجانين فيها ثم تدخل من الجهة الشمالية في دهليز وبعد
خطوات تجد دهليز الذى عن اليمين يأخذك الى باب آخر للمارستان تخرج منه
الى بوابة صغيرة وهو مغلقة الآن والدهليز الذى عن اليسار يأخذك الى صحنين
حولهما حجر صغيرة وهى معدة ايضاً لحبس المجانين وهناك تأخذك الخشبة
ويدخل قلبك الروع للظلمة الخيمة على هذه الأمكنة ولا منافذ لها وروائح
المفونة والافذار منتشرة فيها وانا لنعجب كيف كانوا يجسسون المجانين فيها
ولو كمد الماقل هناك بضع ساعات لذهب منه عقله وصار في عداد المجانين

وقد بلغنا انه كان في اطراف الصحن الخارجى وعلى اطراف الحوض الذى في وسطه
توضع انواع الرياحين لينظرها المجانين وكانوا يأتون بالآلات الطرب والمغنين فيداوون

المجانين بها أيضاً . وكان امره جارياً على الانتظام الى اواخر القرن العاشر ومن ذلك الحين اهل امره وزالت تلك الاوضاع منه وكان بلاط الصحن متوهناً جداً فاهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ في تبليطه وتجديد حوضه وترميمه داخلياً وخارجاً وكان يسكن في ايوانه الغربي رجل يقال له ابو حيدر هو وعائلته فكانوا يحافظون هؤلاء المجانين ويطعمونهم ويسقونهم ويرفعون الأقدار من عندهم ومنذ نحو عشرين سنة او ازيد بقليل اخذ من كان فيه من المجانين وكانوا قدر عشرين شخصاً الى الاستانة وهذا آخر العهد بهم . والآن يسكنه بعض الفقراء وقد كان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الاصفر قلعتا منذ ١٥ سنة واخذتا الى متحف الاستانة ولا ندرى وصلتسا اليه الا

وبعد هذا البيمارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب وهو يمثل لك داخلياً وخارجاً الهندسة الشرقية غير انه اذا بقى مهماً على حالته الحاضرة اذى ذلك الى تداعيه وسقوطه وخرابه بتاتا واما واردات البيمارستان من قرية بش فانها حولت سنة ١٢٨٤ الى اوقاف الجامع الكبير فكثروا بها واردات الجامع وحدث على اثر ذلك عدة وظائف للمدرسين لم تكن من قبل

(سنة ٧٥٩)

ذكر القبض على الامير طاز نائب حلب وتولية حلب

للامير منجك اليوسفي

قال ابن اياس في هذه السنة تزايدت عظمة المقر السيفي سيف الدين صرغتمش

رأس نوبة النوب وصار في رتبة الاتابكي شيخو صاحب الحل والعقد بالديار المصرية فأرسل بالقبض على الأمير طاز نائب حلب من غير علم السلطان وأرسله من هناك الى السجن بالاسكندرية فانه كان بينه وبين الأمير طاز حظ نفسي من ايام الملك الصالح وكان الاتابكي شيخو يرده عن الأمير طاز فلما مات شيخو قضى منه الأمير صرغتمش اربه وقيده ونفاه الى الاسكندرية فلما جرى ذلك خلع السلطان على الأمير منجك اليوسفي واستقر به نائب حلب عوضاً عن الأمير طاز

﴿ ذكر تولية الأمير علي المارديني ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة نقل الأمير منجك اليوسفي الى دمشق واستقر عوضه بحلب الأمير علي المارديني

ترجمة الأمير علي المارديني

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته الأمير علاء الدين المارديني الناصري نائب السلطنة بحلب ثم بدمشق ثم بالقاهرة ولي نيابة حلب في سنة تسع وخمسين وسبعمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين منجك الناصري واستمر بها مدة ثم نقل الى نيابة دمشق في اواخر هذه السنة وكان اميراً كبيراً ديناً عادلاً يحب اهل العلم ويكرمهم وله ميل كبير اليهم ويمجري الأحكام السياسية على الامور الشرعية ذكره شيخنا ابو محمد بن حبيب في تاريخه فقال فيه امير ظهر علاؤه وفاج بناءه وامندت افاؤه واشتهر بالجميل ابناؤه كان ديناً عفيفاً مترقفاً لطيفاً ملازماً للخير حسن السراء والسير رفيع المنزلته حنباً للمعدلة متقاداً الى الشريعة الشريفة مشتغلاً على مذاهب الأمام ابى حنيفة منصرفاً بالمعرفة والحبرة خترماً بين ذوي الامر

والامرة قريباً من الرعية سالكاً للطرق المرضية يجتمع بأهل العلم ويكرمهم ويركن الى اقوالهم ويعظمهم باشر نيابة السلطنة بدمشق مدة طويلة وبحلب برهة زينها بما عنده من السيرة الجميلة ثم انتقل الى الديار المصرية مطلوباً واستمر الى ان بلغ ما كان له من الاجل مكتوباً انتهى توفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة عن بضع وستين سنة تقدمه الله برحمته اه
(سنة ٧٦٠)

قال في روض المناظر في هذه السنة نقل الامير على المارديني الى نيابة دمشق واستقر عوضه بحلب الامير بكتمر المؤمني ثم امسك واستقر عوضه الامير بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦١)

قال في روض المناظر في هذه السنة توجه الامير بيدمر الخوارزمي بالمساكر الحلبية الى غزو الارمن بالبلاد السيسية وفتح آذنة وطرسوس والمصيصة وعدة قلاع وعاد مؤيداً منصوراً . قال وفي هذه السنة ولي الامير شهاب الدين احمد ابن القشتمري نيابة حلب عوضاً عن بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦٢)

ذكر قتل الملك الناصر حسن واستقرار السلطنة للملك

﴿ المنصور محمد وتولية حلب للامير قطلوبغا ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي السلطان الملك الناصر حسن قتله مملوكه يلغا الخاصكى واستقر في السلطنة ابن اخيه الملك المظفر حاجي واستقر في نيابة حلب قطلوبغا الاجدى عوضاً عن ابن القشتمري

(سنة ٧٦٣)

ذكر تولية سيف الدين منكلى بغا

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى في نيابة حلب عوضاً عن قطوبغا الاحمدى واستمر سنة كاملة وفيها توفي الأمير طاز بدمشق بعد ان امسك حين عصى بحلب وخرج منها في حمية واكمل ثم اطلق

(سنة ٧٦٤)

ذكر عود قطوبغا الاحمدى لولاية حلب ووفاتها بها

وتولية حلب للامير اشقتمر الماردينى

قال في روض المناظر في هذه السنة خلع السلطان الملك المنصور محمد واستقر عوضه في السلطنة ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون وعاد الى نيابة حلب قطوبغا الاحمدى ونقل منكلى بغا الى دمشق نائباً وبعد ثلاثة اشهر مات قطوبغا الاحمدى بحلب واستقر عوضه الامير اشقتمر الماردينى في اوائل سنة خمس وستين وسبعمائة

ترجمة قطوبغا الاحمدى

قال ابن خطيب الناصرية قطوبغا الاحمدى الامير سيف الدين نائب حلب ولي نيابة حلب في سنة اثنتين وستين وسبعمائة عوضاً عن الامير شهاب الدين احمد بن القشتمري واستمر بها سنة وبضع شهور ثم عزل في سنة ثلاث وستين بالامير سيف الدين منكلى بغا الشمسى ثم وليها في سنة اربع وستين عوضاً عن منكلى بغا المذكور واستمر بها منعلاً نحو ثلاثة شهور . قرأت في تاريخ الأمام

البارع ابي محمد الحسن بن حبيب رحمه الله تعالى قال سنة خمس وستين وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدي نائب السلطنة بجلب امير ذكره جميل وباعه طويل وطباعه لطيفة واعلامه منيفة كان مخصوصاً بالتكريم مشاراً اليه بالتقديم معظماً في مجالس الدولة وخافها معدوداً من اعيان المملكة وامانلهاولي النيابة بجلب مرتين وظفر من ركوب شهبانها ورعاية دهمائها بمسرتين لكن خاتمه الأيام واستولت عليه الأسقام واستمر ملقى على فراش الضنا الى ان احوالت المنية بينه وبين المنى وكانت وفاته بجلب تغمده الله تعالى برحمته

(سنة ٧٦٦)

قال في روض المناظر في هذه السنة تولى الامير جرجي نيابة حلب عوضاً عن اشقتمر

(سنة ٧٦٧)

قال ابن أياس في هذه السنة رسم السلطان لنائب حلب بأن يأخذ العساكر الحلبية ويتوجه الى حصار قلعة خرت برت من اعمال ديار بكر فصار اليها وحاصرها نحو من اربعة اشهر فطلب اهلها الأمان ونزلوا طائعين فأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك فأرسل اليه السلطان خلعة بأن يستقر بنيابة قلعة خرت برت على عادته ويحلفه ايماناً عظيمة بانه لا يرجع بخامر ولا يعصي السلطان

انكسار الأفرنج على ايباس -

قال بيدشوف في آخر تحف الأنباء نقلاً عن درة الأسلاك توجه الأمير سيف الدين منكلي بغا نائب السلطنة بجلب وصحبته العساكر الحلبية الى مدينة ايباس حين بلغهم ان الأفرنج قصدوها في مائة قطعة من المراكب واقبلوا عليها فلما وصلوا وجدوهم قد برزوا الى الساحل ودخلوا المدينة وانهمزم اهلها ونهبوا الأتمة والأفوات فتقدمت العساكر لقتالهم وغوا اثر من هجم على المدينة وتواترت

قدوم العساكر الإسلامية من القلاع وهرب الأفرنج الى جهة البحر فأدركوا وجرحوا وقتل منهم جماعة واخذت خيلهم وسلاحهم وتالم كل الأفرنج بسبب ذلك واستمرت العساكر في اياس الى ان ايسوا من عود الأفرنج ثم رجعوا بالمر والنصر مؤيدين اه

اقول وسيأتيك فيما كتب على باب جامع منكلى بغا الإشارة الى هذه الواقعة وان ذلك كان في سنة ٧٦٧

(سنة ٧٦٨)

﴿ ذكر عود الامير منكلي بنا الشمشى الى نيابة حلب وعمارته للجامع داخل ﴾
باب قنسرين المعروف بجامع الرومى

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد الامير منكلى بغا الشمشى الى نيابة حلب عوضاً عن جرجى الناصرى وانشأ جامعاً المعروف بحلب داخل باب قنسرين
- ﴿ ترجمة جرجى الناصرى ﴾ -

قال الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة جرجى الناصرى اصله من ممالك الناصر ثم تنقل فى الخدم الى ان صار دويدارا صغيراً فى ايام الصالح اسماعيل ثم استقر دويداراً كبيراً فى ايام المظفر ثم اخرج الى دمشق امير عشرة بعد قتل المظفر ثم ولي فى ايام حسن الخزندارية ثم جعل امير اخور فى ايام الأشرف ثم ناب بحلب ثم استقر من كبار الأمراء بدمشق الى ان مات فى صفر سنة ٧٧٢

قال ابن اياس فى هذه السنة ارسل المقر السيفى منكلى بغا نائب الشام (قبل توليته لحلب) يسأل السلطان عن الحضور الى مصر زائراً ايرى وجه السلطان فلما حضر الى القاهرة احضر صحبة تقادم كثيرة للسلطان حتى للأمراء والأتابكى يلبغا فأكرمه السلطان غاية الاكرام وخلم عليه واستقر به نائب حلب وجعل

حلب أكبر من الشام كما كانت على القاعدة القديمة وعين معه عسكرياً يقيمون
بجلب عنده

الكلام على جامع منكلي بغا المشهور الآن بجامع الرومي

قال في الدر المتخب ومنها جامع منكلي بغا الشمسي نائب حلب ثم دمشق داخل
باب قدسرين وهو من احسن الجوامع وبني على احسن الوجوه كانت عمارته في
سنة ثمان وسبعين وسبعماية اه وهو سهو من النساخ والصواب في سنة ٧٦٨
كما تقدم

﴿ المكتوب على باباه ﴾

(١) البسمة انشا هذا الجامع المعمور المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف
العالي الماوى (٢) المالكى الخدومي السني ابو عبدالرحيم منكلي بغا الأشرفي
كافل الممالك الحلبية حين كسر الأفرنج على اياس في غرة شهر صفر سنة سبع
وستين وسبعماية ويومئذ (٣) اتابك الجيوش المنصورة بالديار المصرية ادام
الله ملك مالكمها مولانا السلطان الملك الأشرف اعز الله انصاره .

﴿ وفوق تلك الحجر حجر اخرى صغيرة كتب عليها ﴾

(١) البسمة انشا هذا المعمور المبارك بعفو الله وعونه جاتم (٢) الخزاوى
بتاريخ رجب الفرد سنة سبع عشر وتسماية اه وهذا يفيد ان جاتم الخزاوى
جدد في هذا الجامع بعض الأماكن

وطول القبلة نحو ٢٧ ذراعاً وعرضها نحو ١٤ ذراعاً ومحرا به من الرخام المرمر
وعلى جانبيه عمودان منقوشان نقشاً بديعاً والأحجار التي فوق المحراب من
الرخام الملون مشبك بعضها في بعض والمنبر جميعه من حجر المرمر وهو منقوش

ايضاً نقشاً متقناً دل على براءة في هذه الصنعة وله صحن واسع في وسطه حوض كبير وعلى جانبي الصحن والقبيلة رواقان عظيمان مرتفعان غاية الارتفاع على اربع سوار عظيمة ويقال ان القبيلة كانت ممتدة الى المكان الفارغ الذي على الجانبين ولعل الذي صغر القبيلة هو جسام الحمازى الذي جدد بعض بنائه سنة ٩١٧ كما هو مكتوب على بابه وللجامع منارة عظيمة الارتفاع تعد في جملة الآثار القديمة التي في حلب كتب على اسفلها عند آخر جدار الجامع من فوق من جهة الشمال بقلم عريض (انشاء العبد الفقير الى الله تعالى متكلي بفا الشمسي غفر الله له) ومثل ذلك من طرف الشرق .

وكان للجامع مiazza امام المنارة من جهة الشمال يبلغ طولها ١٤ ذراعاً وعرضها ٩ اذرع وكانت عامرة فسمى رجل يقال له الحاج احمد الصابوني كان من اثرى من صنعة الصابون في اخذ هذه المiazza بدعوى انها عرصة خالية لا ينتفع منها على ان يدفع لجهة الجامع حكراً قدره عشرة فروش مسانئة ليحفر موضعها دولاباً للجنينة التابعة لدوره التي انشأها امام الجامع وقد اطلعت على حجة التكبير وهي محررة سنة ١٢٦٤ وقد ادخلت تلك المiazza في الدار التي فيها الجنينة وعمر بدلها مiazza اخرى داخل الجامع في غربيه داخل باب آخر للجامع قد سد بواسطة هذه المiazza وبما عمر وراه من الدور ومكتوب على هذا الباب مثل الكتابة التي تقدمت الا انه طين فوقها الآب .

وكان جدار القبيلة الشمالي قد توهن لجذده هذا الرجل ومع هذا كله فإنه على اثر ذلك اخذت ثروته في التناقص وافقر واضمحل امره ودخل الشؤم في دوره حتى بيعت مرات بأبخس الأثمان وصارت تتقل من شخص الى آخر وكل

من اشتراها لا يفلح وتنتابه المصائب اما في نفسه او في ماله او في اهلكه واشتهر بين جميع الناس شؤم هذه الدور لأخذ هذه الميضة وادخالها في ملكه. والدار الكبيرة هي في منتهى الزخرفة وكان الصابوني احضر لها صناعات من الشام لدهن سقف بيوتها وطلبها بالذهب وصرف على ذلك مبالغ طائلة. وعلى سعتها وما فيها من النقوش بيعت منذ عشر سنوات بخمسة وثلاثين الفا قروشاً رابحة واولا ما اشتهرت من الشؤم لبيعت بالنفي ليرة عثمانية

وليس لهذا الجامع الآن شيء من الأوقاف ومنذ ستين عيت دائرة الأوقاف له اماماً وخادماً ومؤذناً وفي سنة ١٣٢٠ حضر الى حلب الشيخ رجب وهو رجل من الأتراك من اهالي طربزون منسوب الى اهل الطريق فنزل عند تاجر يقل له باكير كامل اصله من اورفة ثم عمر له حجرة واسعة في شمالي هذا الجامع في داخلها مخدع فسكن فيها وصار يقيم الذكر في القبلية وصار له بعض المربدين وتوطن حلب وهو رجل ساكن مبارك ومن الأحياء الى يومنا هذا وبوجود هذا الرجل اصبح الجامع مهوراً بالمصلين من اهل المحلة .

والروافق على ارتفاعها وضخامة بنائها آخذان في الخراب واذا بقى امرهما مهملاً على هذه الحالة سيخربان بتاتا ولو اهتمت دائرة الأوقاف او دائرة المعارف وابنتت موضعها مكتباً ابتدائياً يستفيع به اهل المحلة وغيرهم لأحسنتم الصنع وازداد هذا الجامع عمراً والله من وراء القصد

وفي ارض الرواق الغربي جرن كبير قطعة واحدة كتب على طرفه [انشأ هذه الحنفية المباركة الفقير الى الله الحاج عبد الله بن الحاج يحيى وأوقف عليه الدكان الذي في جانب الميضة في سنة ٩٦٠ هـ] واليوم لا اثر لهذه الدكان وقد دخلت مع الميضة في دار الجنيينة التي عمرها الصابوني كما قدمنا

واما شهرة الجامع بالرومي فاني لم أقف على سبب ذلك والله أعلم

سنة ٧٦٩

ذكر زيادة نهر حلب وتخريبه بيوتاً كثيرة

قال في روض المناظر في هذه السنة زاد نهر حلب زيادة عظيمة واصبحت منها بيوت لا أثر لها وقلعت كثيراً من الاشجار وانشد فيه القاضي بدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي

لما طمانهر قويق ولم * يأت بسيب بل بسيل غزير

قالت الاشجار من حوله * مهلاً فقد زدت علينا كثير

وفيهما نقل منكلي بغا الشمسي الى مصر اتابك الجيوش بها واستقر عوضه في نيابة حلب طنبغا الطويل

ترجمة منكلي بغا

قال في الدرر الكامنة منكلي بغا الشمسي احد ممالك الناصر حسن ولي امرة طبلخاناه بعد القبض على شيخو في ذي الحجة سنة ٧٥٨ ثم امرة مائة بعد القبض على صرغتمش سنة ٥٩ ثم ولي نيابة حلب سنة ٦٣ فباشر جيداً وتوخى العدل والاحسان وعمر الجامع بها ثم ولي نيابة دمشق سنة ٦٤ عوضاً عن قشتمش ففتح في سنة ٦٥ باب كيسان وعقد عليه قنطرة ومد جسراً يسلط عليه وبنى هناك جامعاً وكان مطلقاً من ايام العادل محمود بن زنكي ثم نقل الى نيابة حلب في صفر سنة ٦٨ ثم استقر نائب السلطان بمصر في سنة ٦٩ ثم استعفى من النيابة فاستقر اتابكاً وكان الاشرف بعد قل يلغا قرر في الانابكية اسندمر ثم طقستمش النظامي ثم ملكتمر الحمدي ويلغا المنصوري معاً ثم استقدم منكلي بغا من حلب فقررده

في النيابة ثم في الاتابكية وذلك في ربيع الاول سنة ٦٩٠ وولى نظر البيمارستان فلم يزل على حاله حتى مات في جمادى الاولى سنة ٧٧٤ وكان مهيباً عاقلاً عارفاً يتكلم في عدة فنون (اقول) وفي هامش النسخة المنقول منها هذه الترجمة ما نصه حدثني القاضي محب الدين محمد بن الشحنة كاتب السر الشريف بمملكة مصر ان المذكور كان مجازاً بالافتاء والتدريس وذكر عنه فوائد منها انه ذكر عنده (الولد سراييه) فقال للقاتل ما معنى ذلك فقال المعنى انه يكون على طريقة ابيه ونحو هذا فقال ما هكذا سمعنا من الاشياخ بل المعنى الولد ما يسره ابوه ان خيراً فخير وان شراً فشر ثم قال ما اعراب ان خيراً فخير الخ يا فقيه فقال له الخطاب مولانا ملك الامراء اعلم واما العبد فرجل من آحاد الشهود لا يعلم ذلك وحدنا انه لما استعرض وظائف الجامع الكبير بحلب حسن له المباشرون ان يقص معالم ارباب الوظائف فأقر كل احد على ما هو عليه وزاد معلومه من المدرسين وغيرهم ثم قال بقي المباشرون فلما قُرئت اسماؤهم ومقادير معاملهم قال كان اقطاعي يعمل في مصر أكثر من متحصل وقف الجامع وكان له مباشر واحد وفيه كفاية ثم منع المباشرين الا واحداً

وحدثني انه لما بنى جامعه الذي بحلب منع ان يقف على المال فيه احد من جماعته يحشم على العمل وكان اذا حضر وقت الصلاة حضر اليهم وامرهم بالوضوء والصلاة في وقتها وربما قال انه يصلي بهم اماماً وكان اذا رأى فيهم شيخاً او ضعيفاً اعطاه جميع اجره وامره بالانصراف الى عياله لياكل معهم ويستريح عندهم فيذهب فان شاء حضر وان شاء لم يحضر رحمه الله



وفاة طنبغا الطويل وتولية حلب لأستنبغا الابوبكري

ثم اقشتمر المنصوري ثم سيف الدين اشقتمر

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي طنبغا الطويل نائب حلب قيل بسم دسه اليه المصريون حين بلغهم انه قصد المحامرة واستقر في نيابة حلب استنبغا الابوبكري ثم طلب الى مصر واستقر عوضه بحلب قشتمر المنصوري . وفي آخر السنة خرج الى العربان قتل هو وولده وجماعة من العسكر واعيد الى نيابة حلب الامير سيف الدين اشقتمر في سنة احدى وسبعين وسبعمائة

— ترجمته وزيادة بيان في هذه الوقعة —

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته قشتمر المنصوري الأمير سيف الدين ولي نيابة السلطنة بحلب في سنة سبعين وسبعمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين استنبغا الأبي بكري واستمر بها قليلاً ثم توجه في السنة المذكورة وصحبته طائفة من العسكر الحلبي لردع العرب من بني كلاب وغيرهم حين ترصدوا لقطع الطريق بين حماة وحلب ونهبوا المسافرين وبعض المتوجهين الى الحجاز الشريف فلما وصل العسكر الى تل السلطان بالقرب من حلب وجدوا هناك عدة من بيوت العرب ومضاربهم ومواشيهم فاستأفوا كثيراً من مواشيهم وجمالهم ودخلوا الى بيوتهم فنهبوها فنهض العرب واستنجدوا بمن كان نازلاً هناك من آل مهنا وجرى بينهم قتال شديد وقتل في المعركة نائب السلطنة المذكور وولده وعدة من العسكر وكسروا كسرة شنيعة واولوا هاربين وتبعهم العرب يأخذون ما قدروا عليه منهم من الخيل والعدة وساموا ولم ينج من السلب الا القليل ودخلوا البلد دخولاً فاحشاً وذلك

لطمعهم وفيهم يقول بعض اهل الادب
تباً لجيش طمعوا فوقموا * في شرك العرب والاعراب
وعاد كل منهم مجرداً * من الثواب ومن الاثواب
وكان الامير قشتمر المذكور اميراً كبيراً خيراً حسن الشكل فصيحاً كاتباً كريماً ولي
نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحلب وطرابلس وصفد وكانت وفاته بالمكان
المذكور مقتولاً في السنة المذكورة عن نيف وستين سنة تغمده الله برحمته
قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن نائب حلب قشتمر
المنصوري قد قتل هو وولده محمد (١) وسبب ذلك ان شخصاً من آل فضل
يسمى الأمير جبار وقع بينه وبين نائب حلب تشاجر فخرج اليه نائب حلب
مع العساكر الحلبية فتقاتل مع الامير جبار فقويت العربان على نائب حلب فقتل
هو وولده في المعركة. ثم ان السلطان خلع على الامير اشقتمر واستقر به نائب
حلب عوضاً عن قشتمر المنصوري وارسل خلعة الى الامير زامل من آل فضل
بأن يكون عوضاً عن الامير جبار بن مهنا فخرج الامير اشقتمر وتوجه الى
حلب (وقد تقدم ان مجيئه كان في اول سنة ٧٧١ وهذه للمرة الثانية)
(سنة ٧٧٣)

﴿ ولاية عز الدين ايدمر ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة ولي عز الدين ايدمر الدوادار نيابة حلب
(٥) اقول وهما مدفونان في جامع المقامات بظاهر حلب داخل القبيلة على يمين المنبر
ومكتوب على قبر قشتمر ماضيه (١) هذا قبر المقر المرحوم السيدي قشتمر المنصوري
مولانا (٢) ملك الامراء بحلب المحروسة كان توفي الى رحمة الله (٣) عند رجله تعالى
في يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (٤) الحرام سنة سبعين وسبعمائة رحمه الله اهـ
والى جانبه قبر ولده محمد ومكتوب عليه (هذا قبر امير محمد ولده)

عوضاً عن اشتقمر وتقل الى مكانه بطرابلس نائباً

﴿ بناء اشقمر جامعہ في هذه السنة وذكر بقية آثاره ﴾

قال في الدر المنتخب في الباب الحادى والعشرين الذي ذكر فيه متجدد بعد ابن شداد من المساجد والمدارس . فمن ذلك مسجد آشق تمر داخل باب النيرب بناءه في سنة ٠٠٠ [بياض في الأصول] وانشأ بالقرب منه حماماً وفرناً وخاناً ومعصرة وحوانيت ووقفها عليه وعلى التربة التي انشأها ظاهر باب المقام بمكة الظاهر من المدينة وهي تربة عظيمة واسعة لها بوابة من الحجر النحيت الأبيض ذات عقد مصلب له ثلاث قناطر ومساطب رخام اصفر وداخلها مدفن معقود عليه قبة كبيرة وحوش كبير به بركة كبيرة مرخمة الدابر يصل اليها الماء من القناسة وبصدر هذا الحوش ايوان كبير ذو شبايك احدهما مطل على قسطل كبير يجرى اليه من فايز البركة وللأيوان المذكور شبكان مكنتفان بمحاربه مطلقان على جنينة وشباك غربي يقابل الشباك الشرقي المطل على القسطل وللتربة حجر ومنافع ومرتقى وبهذه التربة دفن سيدي الوالد [١] الزم الأمير نوروز الحافظى عمي قاضي القضاة فتح الدين بدفنه هنالك غصباً لتكون التربة المذكورة جارية تحت نظرنا اهـ

افول اشتهر هذا الجامع الآن بجامع السكاكيني وهو في محلة القصيلة ومكتوب على قنطرة بابيه [انشا هذا المسجد العبد الفقير الى الله تعالى اشقمر الاشرقي [٢] غفر الله له وللمسلمين في شهور سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة] وفي الجامع في الجهة الشمالية منه مصطبة ورائها خمس حجر لطابة العلم كان بناها

(١) هو ابو الوليد محمد بن الشحنة صاحب روض المناظر المتوفى سنة ٨١٥

(٢) الشين من الكلمتين ذاهبة

السيد راجي بيازيد بعد سنة ١٢٦٠ بقليل للشيخ حسين الغزى البالي حينما جاء الى حلب وتوطن فيها وصار مدرساً في هذا الجامع وهو الآن تحت يد الأوقاف والباقي له من العقارات فرن ودكان ومخزن يبلغ وارداتها نحو خمسين ايرة عثمانية ذهباً

﴿ ذكر اتخاذ علامات خضر في رؤس الأشراف ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة رسم السلطان الملك الاشرف شعبان ان يكون الأشراف علامة خضراء في رؤسهم تعظيماً لهم واحتراماً وانشدت

شرفت الاشراف من سلطاننا * الاشرف بالخضر من القبضات
عزاً وابدالاً بما قد البست * اسلافهم في عالي الجنات

وانشد الشيخ ابو عبد الله المغربي محمد بن جابر الهواري الاندلسي نزيل حلب جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * ينفى الشريف عن الطراز الأخضر

قال ابن اياس وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب الحلبي

عمائم الاشراف قد تميزت * مخضرة رقت وراقت منظراً
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباساً اخضراً

(سنة ٧٧٤)

فيها اعيد الأمير اشقتمر لنيابة حلب وهذه ولايته للمرة الثالثة .

(سنة ٧٧٥)

﴿ ولاية بكتمر الخوارزمي ثم اشقتمر ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة ولى الأمير بكتمر الخوارزمي نيابة حلب عوضاً عن آشقتمر وبعد اربعة اشهر نقل بكتمر الى نيابة دمشق واعيد اشقتمر

الى نيابة حلب اهـ

وهذه ولايته للمرة الرابعة وبقي الى سنة ٧٨٠ وكانت وفاته بحلب سنة ٧٩١
ودفن في تربته التي انشأها

(سنة ٧٧٦)

﴿ ذكر فتح مدينة سبيس ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة توجه نائب حلب الأمير اشقمر بالعساكر
الحلبية بأمر السلطان الملك الأشرف لأخذ سبيس وفتحها بعد حصار شهرين
وعاد سالماً غانماً صحبة تكفور الأرمني وجمهزه الى مصر واستقر اقبا الدوادار
نائباً لها ثم بعد قليل جعلت سبيس مملكة برأسها للفتوحات الجاهانية واضيف
اليها طرسوس وآذنة واياس وغيرها واستقر في كفالته الأمير موسى بن شهري
واستقر بها حجاب وكان سراً وارباب الدولة على عادة الممالك واقطعت جهاتها
بمناشير وتوفي بها رحمه الله

(سنة ٧٧٨)

﴿ تعيين ابي الوليد بن الشحنة لقضاء حلب ﴾

قال المحب ابو الوليد محمد بن الشحنة في روض المناظر في هذه السنة كنت نزيراً
بالقاهرة مقيماً بالصرغتمشية فطلبني الملك الأشرف شعبان بن حسين وولاني
قضاء حلب شكوا من جهل ابن المديم (١) وطلبوا قاضياً من اهل العلم فطلب
السلطان من علماء مصر من يصلح فاشار الشيخ سراج الدين البلقيني والشيخ
اكمل الدين محمد الحنفي بولايته وكانت

(١) اسمه ابراهيم بن محمد وهذا تحامل منه شأن من المعاصرة وسيأتي في حوادث سنة
٧٨٧ ما قاله ابن اياس في حقه وستأتي ترجمته الحافلة في القسم الثاني ان شاء الله تعالى

والخان الكائن امام البيارستان الارغونى في علة باب قنسرين المسمى خان القاضى منسوب اليه وذلك للكتابة التى على جدار الخان في مدخله من الطرف الأيسر وبعد عناء حتى تمكنت من قرائتها وهى (١) لما كان بتاريخ مستهل سنة خمس المقر الكريم العالى القضاى المحبى القاضى محب الدين ابن الشحنة الحنفى (٢) اسبغ الله ظلاله قد ابطال ما على مدينة نصارا قارا من الموجب الذي على بضائعهم المباعة بمدينة حلب (٣) من القماش والثار خارجاً عن الفاكهة حسب المرسوم الشريف الذي بيدهم ملعون من يحددها [٤] او يسمى في تجديدها عليه اللعنة الى يوم الدين .

وقد اكد امر ابطال هذه الرسوم بأمر آخر نقش على جدار البيارستان على يسار الباب ويظهر ان الكاتب واحد وصورته [١] لما كان بتاريخ ثاني عشرين ربيع الآخر سنة ستة واربعين وثمانماية ابطال المقر الشريف العالى الموالي الخدو [مى] [٢] الزينى عمر السفاح الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالملكة الحلبية المحروسة اخذ موجب ما يحمله نصارة مدينة قاره ا [لى] [٣] المحروسة من القماش والثار خارجاً عن الفاكهة في معلوم كتابة السر ... بحلب ابتغاء لوجه (الله) [٤] تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فأثمائه على الذين يبدلونه ان الله سميع عايم اه [الحروف الموضوعة بين هالين ذاهبة من آخر السطور]

(سنة ٧٧٩)

ذكر قتل الملك الأشرف شعبان وسلطنة ولده الملك

المنصور علي

قال في روض المناظر ما خلاصته في هذه السنة قتل الملك الأشرف شعبان واسنقر

في السلطنة ولده الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان ابن الملك الامجد حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون [قال ابن اياس] وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية

(سنة ٧٨٠)

ذكر تولية حلب للامير منكلي بغا البلدى ثم لتمر باى

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر في نيابة حلب الامير منكلي بغا البلدى عوضاً عن اشتقمر ثم امسك واستقر عوضه سيف الدين تمر باى التمر داشى وتوجه الى التركان وانكسر عسكر حلب كسرة لم تسبق مثلها من التركان ومنها عظم شأن التركان ومنعوا العدا اء

وتوجه الى عاربة التركان في سنة سبعمائة واحدى وثمانين قال في تحف الانباء في هذه السنة سار الامير سيف الدين التمر داشى المنصوري وصحبته العساكر الحلبية وطائفة من عسكر حماة ودمشق الى جهة البلاد السيسية ليردع طوائف التركان حين ظهر فسادهم واشتهر بغيهم وعنادهم فلما وصل العسكر الى القرب من مدينة اياس وبلغ التركان خبرهم بادروا الى الخضوع والطاعة وحضر منهم نحو اربعين من اكابرهم وامرائهم واستصحبوا ما استطاعوا من الهدايا والتحف فحين اقبلوا على النائب المشار اليه اظهروا الطاعة وطلبوا الأمان فلم يقبل منهم وامر باعتقالهم في القيود وركب بمن معه من العساكر الى بيوتهم في الحال واوقفوا بهم من النكال ما احال منهم الحال ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم وقتلوا رجالهم وتقووا على الضعيف فعند ذلك احتال التركان وجمعوا جموعهم وكنوا للعسكر بمضيق في طريقهم يقال له باب الملك عند شاطئ البحر واوقفوا بهم فلم

ينج منهم الاطريح او جريح او سلمه القضاء والقدر فطار مع الريح وسلبوا ما كان معهم وتشئت شملهم وتقل في درة الأسلاك في دولة الأتراك انه يحكى من كان حاضرا هذه الواقعة ان الذي اخذه التركان فيها من الأموال والاثاث والخيل ما لا يحصى فمن جملة ثلاثون الف جل بأحمالها وثلاثة عشر ألفاً من الخيل بسروجها اه

سنة ٧٨٢

ذكر عود منكلى بغا البلدى لنيابة حلب

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد منكلى بغا البلدى الاحمدى الى نيابة حلب ورفع المكس عن عزاز ثم توفي بحلب اه وعبارة تحف الانباء تفيد انه عاد اليها في اواخر سنة ٧٨١

ذكر ولاية الامير اينال اليوسفى

قال في روض المناظر بعد وفاة منكلى بغا استقر عوضه الامير اينال اليوسفى في نيابة حلب

سنة ٧٨٣

وفاة الملك المنصور على وسلطنة اخيه الملك الصالح حاجى

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي السلطان الملك المنصور على بن شعبان واستقر في السلطنة اخوه الملك الصالح حاجى بن شعبان . قال واستقر يلبغا الناصرى في نيابة حلب عوضاً عن اينال

(سنة ٧٨٤)

خلع الملك الصالح حاجي وابتداء دولة الجراكسة

قال في روض المناظر في هذه السنة تاسع عشر رمضان خلع السلطان الملك الصالح حاجي ابن شعبان واستقر عوضه الامير سيف الدين برفوق سلطانا ولقب بالملك الظاهر ابو سعيد وقد بسط ابن اياس الحوادث والاسباب في ذلك قال وكان اصل الملك الظاهر برفوق من ممالك الانابكي يلغا العمري الناصري جلبه الى مصر الخواجا عثمان بن مسافر فاشتراه منه الاتابكي يلغا واقام عنده مدة ثم اعتقه فلما مات يلغا وجرى لمالكيه ما جرى هرب برفوق وتوجه نحو الشام لخدم عند منجك نائب الشام فلما توفي منجك صار برفوق من جملة ممالك السلطان فلما كانت دولة الاشرف شعبان بقي برفوق امير عشرة ثم بقي امير اربعين ثم بقي مقدم الف ثم بقي امير اخور كبير ثم بقي اتابك العساكر في دولة الملك المنصور علي بن الاشرف شعبان ثم بقي سلطانا بهر بعد خلع الملك الصالح امير حاج وكان برفوق من خلاصة الجراكسة

سنة ٧٨٦

قال في روض المناظر في هذه السنة ارسل التون بغا الجوناني الى الناصري يطلب ابيانا تمقش على سنان رمح مثلث فأشدد فيه فضلاء دمشق وانشد فيه الحلبية وانشدت انا

انا الاسمر الخطي اسمو الى العلا * تقصر عني المرففات وتقصر
حياض المايامن قتاني قد جرت * انابيهها تهمني دماء وتهمر
وتجني ثمار النصر مني جنية * فعودي لعمري ذابل وهو مثمر

(سنة ٧٨٧)

ذكر القبض على يلبغا الناصري وتولية حلب للامير

سودون المظفرى

قال فى روض المناظر فى هذه السنة امسك يلبغا الناصري وحبس بالاسكندرية واستقر عوضه بحلب سودون المظفرى واساء السيرة فى اهل حلب وتحيل من ارباب المناصب انهم لا يرونه بعين العظمة لكونه نشأ بحلب وضيعاً اه
قال ابن اياس فى هذه السنة ارسل السلطان الامير بهادر المنجى استادار العالية الى يلبغا الناصري نائب حلب فقال له قم كلم السلطان فلما خرج من حلب ووصل الى غزرة قبض عليه وقيده وارسله الى السجن بشفر الاسكندرية وكان سبب تغير خاطر السلطان على يلبغا الناصري انه بلغه عنه انه متواطىء مع الاميرسولى ابن ذى الغادر امير التركان وقد اتفقا على العصيان فلما تحقق السلطان ذلك ارسل قبض على يلبغا الناصري وسجنه بشفر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب وخلع على الامير سودون المظفرى واستقر به نائب حلب عوضاً عن يلبغا الناصري ثم ان السلطان ارسل الامير جمال الامير محمود شاد الدواوين الى حلب بسبب الحوطة على موجود يلبغا الناصري وتوجه الامير محمود الى حلب بسبب ذلك آثاره بحلب

قال فى الدر المنتخب ومنها جامع يلبغا الناصري نائب حلب بناء بدار العدل ملاصقاً لربة السيدة لما توحش خاطره من الملك الظاهر برفوق فتوهم انه ربما يهجم عليه فى صلاة الجمعة اه (١) اقول ولا اثر لهذا الجامع الآن

[١] وقع فى النسخة المطبوعة من الدر المنتخب بعد قوله فى صلاة الجمعة وذلك فى سنة ستة وستائة وهذا سهو من الناسخ ولا اثر لهذه الجملة فى نسخ الخطية

قال وفيها خلع السلطان على القاضي عجب الدين بن الشحنة الحنفي (صاحب روض المناظر) واستقر به قاضي القضاة الحنفية بجلب عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين بن العديم بحكم وفاته وكان ابن العديم هذا من اعيان علماء الحنفية وكانت وفاته بجلب وعاش من العمر نحو ثمان وسبعين سنة اهـ

سنة ٧٨٨

ذكر وصول تمرلنك الى مدينة قريباغ

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة قاصد القان احمد بن اويس صاحب بغداد واخبر ان الخارجي تمرلنك قد وصل الى مدينة قريباغ ونهبها وسبي اهلها فأرسل القان احمد يعرف السلطان بذلك ليكون على حذر من امره

٥- ذكر اعادة يلغا الناصري لنيابة حلب وعصيان منطاش بملطية -

قال في روض المناظر في هذه السنة عصي منطاش بملطية وكان قد وصل اليه مقدم تمرلنك واتفق معه كما سيأتي قريباً فاستضعف السلطان سودون عن احضاره فعزله واعاد السلطان يلغا الناصري الى نيابة حلب واهين سودون واستقر الناصري بجلب اميرا اهـ وسنذكر في حوادث السنة الآتية نقلاً عن ابن خلدون الاسباب التي دعت منطاش الى العصيان

سنة ٧٨٩

ذكر استعداد المصريين لمحاربة تمرلنك

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الأبواب الشريفة الامير طغاي وكان قد توجه الى بلاد الشرق لأخبار تمرلنك فلما حضر اخبر السلطان ان جاليش تمرلنك

قد وصل الى الرها وكسر قرا محمد امير التركان وان بواذر عساكر تمرلك قد وصلت الى ملطاية فلما تحقق السلطان ذلك امر بعقد مجلس بالقصر الكبير وطلب القضاة الاربعة والخليفة وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني واعيان المشايخ المفتين وحضر سائر الامراء فلما تكامل المجلس تكلم السلطان مع الخليفة والقضاة الاربعة في امر تمرلك ثم ان السلطان تكلم في اخذ مال الاوقاف من الجوامع والمدارس وغيرها فلم يوافق شيخ الاسلام على ذلك ولا القضاة الاربعة فشكا لهم السلطان بأن الخزانة خالية من الاموال والعدو زاحف على البلاد وان لم تخرج العساكر بسرعة والا وصل الى حلب والشام والعسكر لا تسافر بلا نفقة فوقع في المجلس جدال عظيم ودافعوا السلطان واغلظوا عليه في القول فلما طال الأمر وقع الاتفاق بحضور الخليفة والقضاة الاربعة بأن يؤخذ من مال الاوقاف اجرة الأماكن وخراج الاراضي سنة كاملة وتبقى الاوقاف على حالها وانفصل المجلس على ذلك . ورسم السلطان لمحتسب القاهرة بأن يتولى جبي الاموال من الناس فأخذوا في اسباب ذلك ثم ان السلطان عين تجريدة وعين لها جماعة من الامراء وهم الطنبغا المعلم امير سلاح وقردم الحسنى رأس نوبة امير كبير ويونس النوروزي الداودار وسودون باق احد المقدمين وعين من الامراء والطبلخانات رأس نوبة كبير ثمانية ومن الامراء العشروات عشرة وعين من المماليك السلطانية ثلثائة مملوك وانفق عليهم واخذوا في اسباب السفر والتوجه الى حلب والافامة بها الى حضور السلطان ثم ان السلطان رسم بأخذ زكاة الأموال من التجار وندب الى ذلك القاضي الطرابلسي الحنفي وفي رجب خرجت التجريدة من القاهرة في تجمل زائد واستمرت الاطلاع تنسحب من باكر النهار الى قريب الظهر وكان يوماً مشهوداً فلما خرجت التجريدة اشتد الامر على الناس

وجبيت الاموال منهم غصباً بالعصا فجبوا ذلك من الناس في يوم واحد ثم فرج الله عنهم وجاءت الأخبار بأن تمرلك رجع الى بلاده وان ولده قد قتل فسكن الاضطراب ورسم السلطان بأعادة ما اخذوه من الناس فزايدت ادعيتهم له بالنصر ذكر الوقعة التي اشير اليها

قال في روض المناظر في حوادث هذه السنة فيها وجه الناصري (نائب حلب) بن معه من العساكر المصرية والشامية والحلبية الى جهة منطاش، فالتجأ منطاش الى القاضي برهان الدين صاحب سيواس ووصل الناصري بن معه الى سيواس وحاصرها مدة وقارب اخذها فأرسل القاضي برهان الدين يطلب الأمان وسأل الناصري ان يتأخر عن المدينة قليلاً ليخرج اليه ويسلمه منطاش فاتفق الناصري مع عساكره على ان يظهر الاجابة لذلك ورحل من جانب النهر الى الجانب الآخر فلم ينزل معه من الجانب الآخر من العساكر الا القليل وطلبوا قدام وتمت الحيلة على الناصري وركب صاحب سيواس ومنطاش ومن معهما من التتر في نحو عشرين الفا فثبت الناصري بن معه وكانوا دون الألف وقتلهم ونصر الله الناصري وكسر صاحب سيواس فهرب هو ومنطاش الى المدينة وقتل الناصري منهم نحو الألف واسر مثل ذلك وعاد.

قال ابن خلدون كان منطاش هذا وتمرتاي الدرعاشي الذي مر ذكره اخوين لتمرار الناصري من موالي الملك الناصر محمد بن قلاوون وربيا في كفالة امهما وكان اسم تمرتاي محمداً وهو الأكبر واسم منطاش احمد وهو الأصغر واتصل تمرتاي بالسلطان الأشرف وترقى في دولته في الوظائف الى ان ولي حلب سنة ثمانين وكانت واقمته مع التركمان وذلك انه وفد عليه امرأهم فقبض عليهم لما كان من عيهم في النواحي واجتمعوا فصار اليهم وامده السلطان بعساكر الشام

وحماة وانهمزوا امامهم الى الدربند ثم كروا على المساكر فهزموها ونهبوها في المضايق وتوفي تمرتاي سنة اثنين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لهما هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسي واستبد بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان (سودون باق) من امراء الألوف خالصة للسلطان ومن اهل عصبية وكان من قبل ذلك في جملة الأمير تمرتاي فرعى لمنطاش حق اخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويجسم على فسادهم وانطاق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم نزل آثار العصيان بادية عليه وبما داخل امراء التركمان في ذلك ونمى الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبي من اعقاب بني ارشى ملوكها من عهد هولاء و قد اعصوب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حاميته هناك مع الشحنة فيها كما نذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضي بادر بأجابته وبعث رسلاً وفداً من اصحابه في اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواذاره وكان مغفلاً فخشى مغبة مايرومه صاحبه من الانتقال فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش واقام دعوة السلطان بالبلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضي الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل في يده اعرض عنه وصار الى مغالطة السلطان عما اتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثمانين عساكره مع يونس الدواذار وقردم رأس نوبة والطنبغا الرماح امير سلاح وسودون باق من امراء الألوف واوعز الى الناصري فأتى وطلب ان يخرج معهم بمساكرهم الى اينال اليوسنى من امراء الألوف بدمشق

وساروا جميعاً .

وكان يومئذ ملك التتار بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جفطاي قد زحف الى العراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه المساكر تورزي بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب اتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بمساكره لخارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من اهلها فبادر القاضي الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان ايام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالاته السلطان ومماثلته ولم يزل يفتل له في الذورة والفارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريثا بن اول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم بأستئصال ملك ابن اريثا وبلده ووصلت المساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها اياماً وضيقوا عليها وكادت ان تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم المساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصري في هذه الوقائع وادرك المساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الأمراء اليه فجنح لذلك بعضهم فانكفوا على تعبيتهم وسار بمض التتر في اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشام على احسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا على العدو ويمحو اثر الفتنة اه

﴿ الزلازل في انطاكية وحلب ﴾

قال الجلال السيوطي في كتابه الصلصلة في الزلزلة . وفي ذي القعدة في سنة تسع وثمانين وسبعمائة زلزلت انطاكية زلزلة عظيمة ومات تحت الردم خلق كثير

وقال بعد اسطر وفي هذه السنة في ربيع الأول زلزلت حلب ست مرات او اكثر زلزلة شديدة .

ذكر عصيان يلبغا الناصري نائب حلب وقتله للامير

— سودون النائب السابق واستيلائه على الشام ثم على مصر —

﴿ وخلعه للسلطان الملك الظاهر برقوق وافامته في الملك للملك الصالح حاجي ﴾ قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الاخبار بأن يلبغا الناصري نائب حلب خامر وخرج عن الطاعة وقتل الأمير سودون المظفري الذي كان نائب حلب قبله وقتل اربعة انفس من مماليك سودون وامسك حاجب الحجاب بحجاب وجماعاً من امرائها وسبب ذلك (١) انه كان قد وقع بينه وبين سودون المظفري تشاجر فأرسل سودون يشتكى من يلبغا الناصري الى السلطان بما وقع منه في حقه فلما بلغ السلطان ذلك ارسل الأمير تلكتمر المحمدي الدوادار الثاني الى حلب ليصلح بين يلبغا الناصري وبين سودون المظفري وقيل ان السلطان ارسل في الدس مرايم على يد الأمير تلكتمر الى سودون المظفري بأن يقبض على يلبغا الناصري نائب حلب فلما وصل الأمير تلكتمر الى حلب بلغ يلبغا الناصري امر المرايم التي جاء بها الأمير تلكتمر فخرج الى تلقيه وكان بين الأمير يلبغا الناصري وبين الأمير تلكتمر صجبة مؤكدة فما امكنه ان يخفى منه امر المرايم فلما وقف عليها يلبغا الناصري اخذها واخفاها ثم توجه الى دار السعادة (دار العدل كما في روض المناظر) وطلب فضة حلب والأمير سودون المظفري ايقراً عليهم المرايم التي جاءت بالأمر بالصالح بين يلبغا الناصري وسودون فلما ارسل خلف (١) ذكر ابن خلدون في اواخر الجزء الخامس من تاريخه اسباباً آخر لخروج يلبغا الناصري عن الطاعة فراجعها ان شئت

سودون لم يحضر الى دار السعادة فأرسل خلفه اربع مرات والقضاة جالسون والأمر تلتكتمرفا حضر سودون الا بعد جهد كبير فطلع سودون وهو لابس زردية من تحت ثيابه وكان يلبغا الناصري هياً جماعة من ممالكه في دار السعادة وهم لابسون آلة الحرب فلما دخل سودون من باب دار السعادة تقدم اليه مملوك من ممالك يلبغا وجس كتف سودون فرآه لابسها من تحت ثيابه فقال له ياأمير سودون الذي يريد الصلح يدخل الى دار السعادة وهو لابس آلة الحرب فلكنه سودون فصاح على ذلك الكمين فخرجوا الى سودون وقتلوه في دار السعادة وقتلوا معه اربعة ممالك من ممالكه

اظهار يلبغا الناصري العصيان وتولية اينال اليوسفي على حلب

ثم ان يلبغا الناصري اظهر العصيان والتف عليه جماعة كثيرة من ممالك الأشرف شعبان وكان من جهة من التف على يلبغا الناصري تمرغا الأفضلي المدعو منطاش مملوك الظاهر برقوق وكان له مدة وهو منفي في المدن الشامية فالتف على يلبغا الناصري ثم ان الأمير تكتتمر لما جرى ماجرى بحلب رجع واخبر السلطان بما وقع لسودون المظفري مع يلبغا فلما تحقق السلطان عصيان يلبغا الناصري ارسل خلعة الى الأمير اينال اليوسفي بأن يستقر نائب حلب عوضا عن يلبغا الناصري وكان اينال انابكي العساكر بدمشق ويلبغا الناصري في نفسه من الملك الظاهر برقوق عداوة قديمة كامنة في قلبه فكافل

الجرح يبرأ ولكن لما نظرت عين الجريح اليه جدد الوجع
قال ابن اياس ما خلاصته ثم انضم الى يلبغا الناصري نائب طرابلس ثم نائب حماة

سودون العثاني ثم حضر فاصد من عند الأمير خليل بن قراجا بن ذي الفادر فأخبر ان الأمير سنقر نائب حلب قد خامر وخرج عن الطاعة ووافق يلبغا الناصري على العصيان ورحل من سيس وأتى الى حلب فلما تحقق السلطان ان النواب قد خامر واعليه انفق على العسكر فخرجوا من القاهرة في عظمة زائدة فلما خرجوا منها ووصلوا الى دمشق جاءت الأخبار هناك مع السعاة بأن العساكر لما وصلت الى دمشق وجدوا يلبغا الناصري قد ملك الشام حتى قلعنها فلما وصل العسكر اليه اوقفوا معه بظاهر دمشق واقعة عظيمة حتى جرى الدم بينهم وقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وآخر الأمر انكسر عسكر السلطان الذي ارسله وانتصر عليهم يلبغا الناصري ثم توجه يلبغا الى مصر وضايقها وآخز الأمر طلب السلطان الأمان من يلبغا ثم اختفى ودخل يلبغا الى مصر ثم وقع الاتفاق على عود الملك الصالح امير حاج ابن الأشرف شعبان الذي خلعه برقوق من السلطنة واقب بالملك المنصور وقد بسط ابن ايباس الحوادث في ذلك الى ان قال

ذكر ولاية الأمير كمشبنغا الحموي لنيابة حلب

وخلع على المقر السيفي كمشبنغا الحموي واستقر به نائب حلب

سنة ٧٩٢

(اطلاق الملك الظاهر برقوق والحرب بينه وبين منطاش بالقرب من دمشق) ذكر ابن ايباس حوادث واموراً يطول شرحها ادت الى اطلاق الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك. قال في روض المناظر ولما اطلقوا السلطان برقوق من الكرك سار الى دمشق بفرقة يسيرة وخرج اليه حتمر بالعساكر الشامية فكسروهم ونزل بقبة يلبغا وحاصر دمشق وتوجه اليه نائب حلب كمشبنغا بعساكر حلب ناصراً

له واجتمع اليه من كان تفرق عنه فخرج اليه منطاش من مصر بالسلطان والعساكر المصرية والخليفة والقضاة وقرب من الشام والتقى الجمعان بشعجب فانتصر بعض كل من الفريقين وانكسر البعض ولم يعلم احد حال احد فولى كمشبقا هارباً نحو حلب وولى منطاش نحو دمشق ولم يشعر الملك الظاهر برقوق بنفسه الا وهو يحزم على الملك المنصور حاجي فنزل وامسكه وجلس على الكرسي وجعل كل من يحضر من الفتيين يحده جالساً فلا يسمعه الا النزول وتقبيل الأرض وفي ثاني يوم خرج منطاش والتقى الجمعان وتناوشا قليلا ورجع كل احد منهما وتوجه السلطان الظاهر من ليلته الى مصر فوصل اليها ووجد مماليكه قد خرجوا من الحبس وامسكوا خلفاء منطاش ومنطاش مقيم بدمشق فدخل السلطان مصر مطمئناً فرحاً واطلق الأمراء الذين حبسهم منطاش

قال ابن اياس لما استقر الملك الظاهر برقوق خلع على امرائه ونوابه في البلاد ثم رسم بالأفراج عن المقر السيفي يلبغا الناصري الذي كان نائب حلب وخامر على السلطان وجرى منه ماجرى وكان سبباً لنزول ملك الظاهر برقوق كما تقدم فلما عاد الملك الظاهر برقوق في هذه المرة زال ما كان بينه وبين يلبغا الناصري من العداوة ورسم بالأفراج عنه

ارسل منطاش متممرا الى حلب نائباً وخاصة نائبها كمشبقا

قال في روض المناظر واما منطاش فإنه ارسل وهو بدمشق متممرا الموساي الى حلب نائباً وانضم اليه جماعة وحاصروا كمشبقا في قلعتها وجهز السلطان برقوق عسكرياً من مصر ومقدمهم الأمير يلبغا الناصري وارسل معه الجوباني نائباً بدمشق وقرا دمرداش نائباً بطرابلس وبلغ ذلك منطاش فهرب من دمشق وبلغ ذلك متممرا فهرب من حلب وخرج الناصري والجوباني ومن معهما من العساكر من

دمشق في أثر منطاش وهو منضم الى نمير وعنقا [اميران للعرب] وحصلت وقعة عظيمة على حمص قتل فيها الجوباني وجماعة من الأمراء وعاد الناصري الى دمشق فجاءه تقليد بنيابتها وبلغ ذلك كمشيفا نائب حلب فأخذ في عمارة سورها فعمرت احسن عمارة ولم تكن من عهد قازان عمرت ووصل منطاش ونمير وعنقا بمساكر عظيمة ونازلوا حلب وحاصروها في شهر رمضان واتقلبوا خاسئين وتوجه منطاش الى شولى ابن دلفادر وقصدا عين تاب وكان بها الأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين شهرى بن شهرى من اشار بوضع هذا التاريخ المشار اليه في اول الكتاب وحوصر فأجباد في رفعهم عنها وظهرت فروسيته وشكر على ذلك وطلبه السلطان بعد ذلك وانعم عليه واکرمه

[زيادة بيان في محاصرة الأشرفي لحلب ومحاصرة منطاش لعينتاب]
قال ابن اياس وفي رجب جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ارسل شخصاً يسمى تمان تمر الأشرفي الى مدينة حلب وكان نائب حلب كمشيفا المحوي قد ثقل امره على اهل حلب فما صدقوا بهذه الحركة فحاصروا نائب حلب اشد المحاصرة وتعصبوا الى منطاش فقبوا القلعة من ثلاث مواضع فصار كمشيفا نائب حلب يقاتلهم من داخل القبة على البرج واستمروا على ذلك نحو ثلاثة شهور فانتصر كمشيفا نائب حلب على تمان تمر الأشرفي الذي ولاء منطاش على حلب فانكسر تمان تمر وولى هارباً ثم ان كمشيفا نائب حلب اخذ في اسباب عمارة ما تهدم من المدينة وزاد

ثم قال وبعد مدة جاءت الأخبار بأن منطاش توجه الى عينتاب فالتف عليه جماعة كثيرة من التركمان فحاصروا مدينة عينتاب اشد ما يكون من المحاصرة فملكها وهرب النائب الذي كان بها فلما دخل الليل جمع نائب عينتاب جماعة كثيرة

من التركمان وكبس منطاش قتل من عسكره نحو مائتي انسان وهرب منطاش
نحو الفرات

ترجمة كمشبغا وزيادة بيان في الحرب بينه وبين الباقوسيين

قال ابن خطيب الناصرية كمشبغا الحموي الأمير سيف الدين نائب حلب هو من
عتقاء الأمير يلغا الخاصكى العمري وكان عالي المنزلة عنده واستقر به امير
اربعين بالقاهرة وكان اكبر رؤس النوب عنده ثم اخرج بعد وفاته الى حلب
واقام بها بطالاً الى ان كانت ايام الملك الظاهر ابى سعيد برقوق فولاه نيابة
السلطنة ونقله من صفد الى حماة والى طرابلس وحلب ودمشق ثم حبسه بقلعة
دمشق ثم ولي نيابة السلطنة بحلب فدخل اليها في السنة المذكورة فلما ركب
منطاش على الناصري وامسكه وظهر برقوق من الكرك جمع الأمير كمشبغا
عسكر حلب وحلفهم لبرقوق وذلك في رمضان من السنة فلما انقضى رمضان
ودخل شوال ركب الباقوسيون وصحبتهم بعض الأمراء على الأمير كمشبغا
وكان محبوساً بقلعة حلب الأمير طرنتاي الذي كان نائب دمشق وبكلمش
احد الأمراء المصريين كان الناصري قد امسكهم بدمشق وحبسهم بقلعة حلب
فأطلقهما الأمير كمشبغا واحسن اليها وانفقا معه وجد في قتال الباقوسيين وكان
في عسكر قليل وهم في عسكر كثير واستمر القتال بينهم في البياضة ثلاثة ايام ثم
انتصر كمشبغا على الباقوسيين وقتل منهم جماعة فلما حضر برقوق من الكرك
الى دمشق واقام على قبة يلغا ظاهر دمشق توجه اليه الأمير كمشبغا بمن معه
من العسكر الحلبي وامده بكثير من الخيـم والخيـل والماعون وغير ذلك وبالغ في
ذلك ولما كان يوم شمعب (مكان الوقعة وقدم تقدم ذكرها) توجه منهزماً
الى جهة حلب لما حصلت الكسرة للميسرة التي كان هو مقدمها فلم يرد وجهه

الى ان دخل حلب ثم طلع الى قلعتها فلما علم الباقوسيون بهذا الأمر قاموا وجدوا في قتاله وحاصروه وبعث اليهم منطاش نائباً الى حلب هو اخوه الأمير تمنمر وكان انساناً حسناً وجدوا في حصار القلعة وصبر الأمير كمشبقا على محاصرتهم له ولم يمكنهم من بلوغ الغرض واستمر الحصار اربعة اشهر الا يومين وذلك سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ومنطاش يومئذ بدمشق بعد عود السلطان الملك الظاهر برقوق الى الديار المصرية من شعجب فلما بلغ الأمير كمشبقا انهزام منطاش من دمشق ففتح باب قلعة حلب بموافقة الباقوسيين له وهرب نائب حلب الذي كان من جهة منطاش فاستمر الصالح بينهم اياما فلالاً جداً نحو ثلاثة ثم وقع بينهم فقاتلهم الأمير كمشبقا وقاتلوه قتالاً شديداً فانتصر عليهم وقتل من اعيانهم وجندهم جماعة كثيرة ونهب باقوسا كما نهبها اولاً واجتهد في تحصين حلب واسوارها لما بلغه ان منطاش ونعيرا فاصداه الى حلب فجذب في ذلك بالرجال والمال ثم حضر منطاش ونعير الى ظاهر حلب فقاتلهم الأمير كمشبقا واهل حلب معه وقاتلوا معه قتالاً شديداً عدة ايام وذلك في رمضان من السنة الى ان ردهم عنها خائبين فلما نزعوا منها واطمان خاطرهم اجتهد في تقرير احوالها وعمارة اسوارها وعمل ابوابها مصفحة بالحديد وبذل همه في ذلك بحيث صار ذلك في اربعين يوماً وكانت من وقعة هولاء كوكب حلب خالية من الأبواب مخربة الأسوار الى ان قبض الله تعالى الأمير كمشبقا فبنى بعض اسوارها واصلحها وعمل لها ابواباً كما ذكرناه لاختيب الله سعيه

— ❦ — طلب الأمير كمشبقا الى مصر وتعين قرا دمر داش بجلب ❦ —

ثم بعد تمام ما عزم عليه من ذلك طلبه السلطان الملك الظاهر برقوق الى الديار المصرية واستقر به اتابك العساكر ورفع منزلته وكان الأمير كمشبقا المذكور

اميراً كبيراً كريماً جداً مدبراً وشكلاً حسناً علي الهمة مجتهداً في عمل الخير واسداء المعروف محسناً الى الرعية ولم يزل اتابك العساكر بالديار المصرية الى ان حصل عند الملك الظاهر من جمهته وحشة وتخيل ممن وشى به اليه فأمسكه وجهزه الى الأعتقال بشفر الاسكندرية في اوائل سنة احدى وثمانمائة واستمر مقبلاً كذلك الى ان توفي به ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وثمانمائة وقد جاوز ستين سنة تغمده الله برحمته اه
قال في روض المناظر لما طلب الامير كمشعباً الى مصر واستقر بها اميراً كبيراً استقر عوضه قراد مر دأش مجلب

سنة ٧٩٣

ذكر استيلاء منطاش على حماة وحمص وبعلبك وري

السلطان الملك الظاهر برقوق الى حلب وقتله الأمير يلبغا الناصري

قال ابن اياس ما خلاصته وفي هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش قد ملك حماة وحمص وبعلبك ولم يشوش على احد من اهلها فزال اليه الرعية وصاروا يسلمونه المدن من غير قتال ثم ان منطاش توجه الى الشام وحاصر المدينة (الى ان قال) ولما بلغ السلطان ذلك نادى للعسكر بالعرض . وقوى عزمه على الخروج الى منطاش ولما وصل الى الشام اقام بها اياماً وتوجه الى حلب

قال في روض المناظر واما منطاش فإنه لما بلغه توجه السلطان هرب نحو الشرق ولما قدم السلطان دمشق استصحب معه يلبغا الناصري ولما قدم حلب اقام بها شهوراً ثم عاد ولبلة عوده قتل يلبغا الناصري وجماعة من الأمراء بقلعة حلب المحروسة قال ابن اياس كان الذين قتلهم الملك الظاهر برقوق من الامراء في حلب ثلاثة

وعشرين اميراً وكان سبب ذلك ان الامير سالم الدوكاري امير التركمان ارسل يعرف السلطان بأن يلغيا الناصري ارسل اليه كتاباً وهو يقول فيه خذ منطاش واهرب به الى بلاد الروم فإنه مادام منطاش موجوداً فنحن موجودون ثم ان الأمير سالم الدوكاري ارسل كتاب يلغيا الناصري على يد قاصده فلما تحقق السلطان صحة ذلك طلب الأمراء فلما حضروا قرأ عليهم كتاب يلغيا الناصري الذي ارسله الى الأمير سالم الدوكاري ثم ان السلطان ويح يلغيا الناصري بالكلام في ذلك المجلس فلم ينطق بحجة وانعقد لسانه عن الكلام ثم ان السلطان قبض على يلغيا الناصري وعلى جماعة من الأمراء وسجنهم بقلعة حلب ثم امر قتلهم فقتلوا ثم رجع الى الديار المصرية فوصل اليها منتصف المحرم سنة ٧٩٤

﴿ عزل فرادمر داش وتعيين الأمير جلبان ﴾

قال ابن الخطيب دخل الأمير فرادمر داش الى حلب واستمر بها الى سنة ثلاث فلما جاء برقوق الى حلب وتوجه الى القاهرة في ذى الحجة من سنة ثلاث ولى نيابة حلب الأمير جلبان وصحب معه فرادمر داش ثم امسكه وتوفي مقتولاً في سنة اربع وتسعين وسبعمائة في ذى الحجة منها وكان اميراً كبيراً مهيباً شجاعاً عفيفاً عن الشراب عفا الله تعالى عنا وعنه

وقال السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة الأمير جلبان استقر جلبان فى نيابة حلب سنة ثلاث وتسعين وجرت له مع التركمان وقعة بالباب انتصر فيها عليهم ثم اخرى مع نعيم انتصر فيها ايضاً ثم قبض عليه اسناذ سنة ست وتسعين وحبسه مدة بالقاهرة ثم اطلقه وجعله اتابكاً بدمشق ثم كان ممن عصى على والده الناصر وقام مع تنم فأمسك وقتل بقلعة دمشق صبراً فى رجب او شعبان سنة ٨٠٢ وقد أناف على الثلاثين وكان جميلاً كريماً شجاعاً سيوساً يحب العلماء

ويعتقد الفقهاء ذكره ابن خطيب الناصرية وشيخنا اه

(سنة ٧٩٤)

﴿ ذكر عود منطاش وحصره مدينة حلب ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش حضر الى حلب مع جماعة من التركمان فحاصر المدينة فخرج عليه عسكر حلب ووقعوا معه واقعة فكسروه ورجع هارباً الى الفرات . ثم حضر قاصد نعيم بن جبار امير آل فضل على يده كتاب من عند نعيم فكان مضمونه انه ارسل يطلب من السلطان اربع بلاد وهو ياتزم بالقبض على منطاش فقال السلطان للأمير ابي يزيد الدوادار اكتب له كتاباً على لسانك انك ان امسكت منطاش نعطك جميع ماطلبتة وزيادة على ذلك فأرسل اليه الأمير ابو يزيد الدوادار بذلك .

(سنة ٧٩٥)

(ذكر مقتل منطاش وانتهاء فتنته)

قال ابن خلدون في اواخر الجزء الخامس كان منطاش فرمع سالم الدوكراري الى سنجار واقام معه اياماً ثم فارقه ولحق بنعيم فأقام في احيائه واصهر اليه بعض اهل الحي بأبنته فتزوجها واقام معهم ثم سار اول رمضان سنة اربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحي حلب ووقعته به العساكر هناك وهزمهم واسروا جماعة من اصحابه ثم طال على نعيم امر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من اللول فأرسل حاجبه يسأل الأمان وانه يمكن من منطاش على ان يقطع اربع بلاد منها المعرة فكتب له الدوادار ابو يزيد على لسانه بالأجابة الى ذلك ثم وفد محمد

ابن (١) سنة خمس وتسمين فأخبر انه كان مقبياً بسلامية في احيائه
ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان
منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما اصابه من الشظف
والخفاء فأردفه ابن نعيم ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن اينال
وجي برؤسهما الى دمشق واوعز السلطان الى امراء الشام ان يخرجوا بالعساكر
وينفوه الى اطراف البلاد لحمايتها حتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف نعيم
ومنطاش في العساكر اول جمادى الآخرة من السنة الى سلمية فلقبهم نائب حلب
ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماة وخالفهم نائب حلب الى احياء نعيم فأغار عليها
ونهب سوادها واموالها واستاق نعمها ومواسيها واضرم النار فيها بقي واكن
لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى احيائهم فخرج عليهم
الكماء وانحنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والأمرء والممالك
ثم وفد على السلطان اواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائفاً للسلطان
ومنازداً لعمه ذكوان بن نعيم على طاعة السلطان وانهم يمكنون من منطاش متى
طلب منهم فأقبل عليه السلطان واتقل كاهله بالأحسان والمواعيد ودس معه الى
بني نعيم بأمضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد
السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعاً ورغبوهم فيما عند السلطان وذكروا ما هم فيه
من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على نعيم ان
يحبيهم الى احدى الحسينين من امساك منطاش او تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان
ويفارقهم الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسمعه خلافهم واذن لهم في
القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب

حلب فيمن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدم من السلطان لهم ولأبيهم نعيم فحلف لهم وبعث اليهم بعض امرائه فأمكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى اوصلوه الى حلب في يوم مشهود وجلس بالقاعة وبعث السلطان اميراً من القاهرة فاقتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الى القاهرة حادى عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القاعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى اهله فدفنوها في آخر رمضان من السنة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين اهـ

﴿ بيان ما ذكره ابن اياس في هذه السنة من اخبار منطاش الى ان قتل ﴾ قال في هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ونييرا توجهوا بمن معهم من العساكر الى مدينة حماة فخرج اليهم نائب حماة فأوقع معهم واقعة قوية فانكسر نائب حماة وهرب فدخل منطاش ونيير الى المدينة ونهبوا اسواقها واخذوا اموال التجار فلما بلغ نائب حلب ذلك ركب هو وعساكر حلب وكبس على بلاد نعيم ونهب امواله واخذ امواله ونساءه واحرق بيوته وقتل من عربانه مالا يحصى عدده [ثم قال]

وفيها حضر الى الأبواب الشريفة مملوك نائب حلب واخبر بأن نعيم اقبض على منطاش وسلمه الى نائب حلب . وكان سبب امساكه ان نعيم بن جبار ارسل يطلب من نائب حلب اولاده ونسائه الذين اسرهم كما تقدم فأرسل نائب حلب يقول له ما اطلق نساءك واولادك حتى تسلمنا منطاش وكان منطاش قد تزوج من بنات نعيم واستنسل منهم فلما رأى نعيم ان السلطان ونائب حلب عليه وقد نهبوا امواله ومواشيه واسروا اولاده ونساءه قصد ان يرضى السلطان بأمساك منطاش حتى يزول ما عنده مما جرى منه في حق السلطان كما تقدم ثم ان نعيم اندب الى

منطاش اربع عبيد غلاظ شداد فلما اتوا اليه احس بالشر وكان راكباً على هجين فنزل عنه وركب على فرس فأمسك بعض العبيد لجام الفرس وقال له كلم الامير نعيماً فقال منطاش وايش يعمل بي نعيم فتكاثر عليه العبيد وانزلوه عن فرسه واخذوا سيفه منه فقال لهم منطاش دعوني حتى ابول فقصد الى جانب حائط وكان في تكته خنجر فشق به بطنه فغشى عليه فحمله العبيد واتوا به الى نعيم فقيده وارسله الى نائب حلب وارسل معه جماعة من العربان حتى اسلمه الى نائب حلب وكان له يوم مشهود فتسلمه نائب حلب وسجنه بالقلعة وكتب بذلك خضراً وارسله الى السلطان فلما تحقق السلطان هذا الخبر خلع على القاصد خلعة عظيمة ودقت الكوسات وزينت له القاهرة سبعة ايام ونسي السلطان لما ظفر بمنطاش ما فاساه من التعب ومن القهر ومن المال الذي صرفه على التجاريد فكان كما قيل

اذا اظفرت من الدنيا بقربكم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور
ثم ان السلطان عين الامير طولو بن علي شاه الى حلب ليحضر منطاش فلما وصل الى حلب تسلم منطاش وجعل يعاقبه ويعصره ويقرره على الاموال التي غصبها من البلاد فلم يقر بشيء ودخل عليه النزع فقطع الامير طولو رأسه ووضعها في علبة ثم خرج من حلب وجعل يطوف برأس منطاش في كل مدينة يدخلها حتى وصل الى القاهرة فكان يوم دخوله الى القاهرة يوماً مشهوداً وزينت المدينة زينة عظيمة فشقوا برأس منطاش في القاهرة ثم طردوا بها الى القلعة فريم السلطان بأن تعلق على باب زويلة فعلقت ثلاثة ايام ثم دفنت وانقضى امر منطاش ثم ان السلطان ارسل الى نعيم خلعة واقره على عادته امير آل فضل اه وقتل الامير نعيم سنة ٨٠٨ كما سيأتي في ترجمته في القسم الثاني ان شاء الله تعالى

استيلاء تمرلنك على بغداد وهرب صاحبها السلطان

احمد ابن اويس ومجيئه الى حلب واستعداد المصريين

قال ابن اياس ان الناس ماصدقوا ان فتنة منطاش قد خمدت حتى اسنأفت لهم فتنة اخرى وهي انه عقب ذلك حضر طواشي رومي يسمى صفي الدين جوهر ارسله صاحب ماردن فأخبر بأن تمرلنك قد اخذ تبريز ثم حضر عقب ذلك قاصد صاحب بسطام فأخبر بأن تمرلنك قد أخذ شيراز ثم حضر قاصد نائب الرحبة واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد قد وصل الى الرحبة وهو هارب من تمرلنك وقد احتاط على غالب بلاده وملكها وكان سبب اخذ تمرلنك بلاد القان احمد بن اويس ان تمرلنك ارسل الى القان احمد كتاباً يترفق له فيه ويقول له انا ما جشنتك محارباً وانما جشنتك خاطباً اتزوج باختك وازوجك بتي ففرح القان احمد بذلك وظن ان هذا الكلام صحيح فكان كما قيل في المعنى لا تركزن الى الخريف فشاؤه * مستوخم و هواؤه خطاف

يمشي مع الاجسام مشي صديقها * ومن الصديق على الصديق بخاف وكان القان احمد استعد لقتال تمرلنك وجمع له العساكر فلما اتى قاصد تمرلنك بهذا الخبر ثنى عزمه عن القتال واستعاد من العسكر الذين قد جمعهم ما اعطاهم من آلة القتال وصرف همته عن القتال فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر تمرلنك من كل مكان فضاق بهم رعب الفضاء فخرج اليهم القان احمد بمن بقي معه من العساكر فبينما القان يقع مع عسكر تمرلنك اذ فتح اهل بغداد بقية ابواب المدينة وقد خافوا على انفسهم مما جرى عليهم من هولاء ايام الخليفة المستعصم بالله فلما رأى تمرلنك ابواب المدينة مفتحة دخل الى المدينة وملكها ولم يجد من يردعه عنها

فلما بلغ القان احمد ذلك ما امكنه الا الحرب فأتى الى جسر هناك فعدى من فوقه ثم قطعه فلما بلغ عسكر تمرلنك تتبعوا القان احمد وخاضوا خلفه الماء فهرب منهم فتبعوه مسيرة ثلاثة ايام فلما حصلت له هذه الكسرة قصد التوجه الى الديار المصرية ثم حضر قاصد نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس قد وصل الى حلب

فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر جمع الامراء واستشارهم فيما يكون من امر القان احمد فوقع الاتفاق من الامراء على ان السلطان يرسل اليه الافامات ويلقيه فمند ذلك عين السلطان الامير ازدرم الساقى وصحبته الافامات وما يحتاج اليه القان احمد من مال وقماش وغير ذلك فخرج الامير ازدرم على جيات الخيل . ثم عقب ذلك حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابى يزيد مراد بك بن عثمان ملك الروم على يده تقادم عظيمة للسلطان وكان سبب شئ قاصد ابن عثمان (رسول السلطان بايزيد رحمه الله) انه ارسل بخبر السلطان بأمر تمرلنك ومجذره عن الغفلة في امره . ثم حضر قاصد ماردن واخبر بأن تمرلنك ملك بلاد الاكراد وان تمرلنك حاصر البصرة ورجع عنها بجني حنين بعد ان قتل من عسكره مالا يحصى .

فلما توارت الاخبار بذلك رسم السلطان للأمير علاء الدين بن الطبرلاوي والى القاهرة بأن ينادى في القاهرة للعسكر بالعرض في الميدان بسبب تمرلنك الخارجي وجعل يكرر هذه المنسادة ثلاثة ايام متوالية بأن لا يتأخر عن العرض لا كبير ولا صغير وعلق الجاليس فاضطربت احوال الديار المصرية وما صدق العسكر بأن فتنة منطاش قد خمدت فانتشت لهم هذه الفتنة العظيمة فكان كما قيل في المعنى وتقبل ما برحنا * نتمنى البعد عنه * غاب عنا ففرحنا * جاءنا اتقل منه

سنة ٧٩٦

وصول القان احمد الى الديار المصرية واستيلاء تمرلنك
(على ديار بكر والرها وخروج السلطان برقوق مع القان احمد الى دمشق)

قال ابن خلدون في أواخر الجزء الخامس لما استولى تمرلنك على بغداد وانهزم
منه صاحبها القان احمد بن اويس وصل احمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح
بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض خواصه لتقليه بالنفقات والازواد
وليستقدمه فقدم به الى حلب واراح بها وطرقه مرض إبطاً به عن مصر وجاءت
الاخبار بان تمرلنك عاث في مخلفه واستصفي ذخائره واستوعب موجود اهل
بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة واقفرت جوانب
بغداد من العيث ثم قدم احمد بن اويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة
ست وتسعين مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان
صريحه ونادى في عسكره بالتجهيز الى الشام وقد كان تمرلنك بعد ما استولى على
بغداد زحف في عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحراة ورصد
السابلة واناخ عليها يجموعه اربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل
من قتل منهم ثم خربها واقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها
ووقفوا عليها ساعة من نهار فلكوها وانتسفوا نعمها وافترق اهلها وبلغ الخبر
الى السلطان فخيم بالريدانية اياماً ازاح فيها علل عسكره وافاض العطاء في
ممالكه واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب
سودون وارحل على التعبئة ومعه احمد ابن اويس بعد ان مكفاه مهمه وسرب
النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان اعز الى

جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستنفر العرب والتركمان للأقامة هناك رسداً للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من اخبار القوم ورجع لأفادته وأمره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على اثره المساكر مدداً له مع مكشبا الأتابك وتكلمش امير سلاح واحمد بن بيضا وكان العدو قد شغل بمحاصر ماردن فأقام عليها اشهرًا وملكها وعانت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعها فأرسل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق مستجمع لنطاقه والوثبة به متى استقبل جهته اهـ

❦ ذكر وصول السلطان برقوق الى حلب ❦

❦ ورجوع تمرلنك الى بلاده ورجوع القان احمد بن اويس الى بلاده ايضاً ❦
قال ابن اياس ان السلطان رحل من الريدانية وصحبته القان احمد ابن اويس وسائر الأمراء وجد في السير حتى وصل الى دمشق يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر فلما دخلها نزل بالقصر الأبلق الذي في الميدان وحكم بين الناس واقام بالشام اياماً ثم رحل عنها وتوجه الى حلب فلما اقام بحلب حضر اليه قاصد من عند ابن عثمان (السلطان بايزيد رحمه الله) وعلى يده مطالعات مضمونها ان يكون هو والسلطان يداً واحدة على دفع العدو الباغي تمرلنك فأجابه السلطان الى ذلك ورد له الجواب عن ذلك بما يطيب خاطره ثم حضر اليه قاصد طقتمش خان صاحب بسطام وعلى يده مطالعات تتضمن ما قاله ابن عثمان فأجابه السلطان كما اجاب ابن عثمان فلما اقام السلطان بحلب بلغه ان جاليش عسكر

تمرنك قد وصل الى اليرة فصار جماعة من عسكر السلطان يعدون تحت الليل من الفرات ويكبسوا عليهم فغنموا من عسكر تمرنك اشياء كثيرة فقبل ان عسكر مصر كانوا ينفخون القرب ويجمعونها تحت بطون الخيل ويعدون من الفرات تحت الليل حتى يقفوا مع عسكر تمرنك . ثم بلغ السلطان ان تمرنك رجع الى بلاده (١) ولما تحقق السلطان ذلك قصد الرجوع الى الديار المصرية وكذلك القان احمد بن اويس رجع الى بلاده ولم يقع بين السلطان وبين الملك الظاهر برقوق قتال في هذه المرة بل رجع كل من الفريقين الى بلاده

﴿ تعيين الامير تغرى بردى الى حلب ﴾

ثم ان السلطان رجع الى الشام فأقامها اياما وخلع على المقر السيفى تغرى بردى ابن يشبغا واستقر به نائب حلب ثم قال في حوادث سنة ٧٩٧ ان السلطان وصل الى القاهرة ثالث عشر صفر ودخلها في موكب عظيم وفي روض المناظر كانت اقامة السلطان بحلب اربعين يوماً

﴿ بناء الامير تغرى بردى جامعاً في محلة السفاحية ﴾

قال في الدر المنتخب ومنها جامع تغرى بردى نائب حلب ثم دمشق بالقرب من الأسفريس وحارة التركمان بناه حين كان نائباً بحلب سنة ستة وتسعين وسبعمائة وكان قد اسسه ابن طومان اه

وقال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمة علي بن محمد الصرخدى لما بنى الأمير تغرى بردى جامعاً المشهور بالأسفريس فوض اليه تدريس الشافعية به فخره ودرس فيه بحضور ملك الأمراء المشار اليه يوم الجمعة بعد الصلاة اه

(١) اقول يظهر ان سبب رجوعه استعداد الدولتين المصرية والعثمانية لملاقاته فكان كما نقواه

بعض سياسي العصر الاستعداد للحرب بمنع الحرب

اقول موقع الجامع في المحلة المعروفة الآن بالسفاحية وقد اشتهر بالموازيني لأن المتولين عليه من نحو مائة سنة الى الآن بنو الموازيني وقد قام الحاج محمد الموازيني بأمر هذا الجامع احسن قيام ورممه وبلط صحنه وعاد الى حالته الاولى وكذلك رمم اوقافه وقد توفي في السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ وكان رحمه الله رجلاً صالحاً ورعاً حافظاً لكتاب الله تعالى يحطب بهذا الجامع بغير معلوم المكتوب على بابه

اشأ هذا الجامع المبارك في ايام مولانا الغازي المالكى الملك الظاهر ابى سعيد برفوق خلد الله ملكه المقر الأشرفى العالى المولى الكافى المالكى الظاهري كافل المملكة الشريفة بحلب المحروسة اعز الله تعالى انصاره والبسه من التوفيق حلًا وذلك سنة ٧٩٧

وفي جدار قبليّة الجامع يجانب المحراب لوح من دف بديع الصنعة طوله اربعاً اشبار وعرضه ثلاثة وقد كتب عليه تاريخ عمارة الجامع وهو (١) انشاء المقر الاشرف العالى المولى الاميري السيفى تغرى بردى المالكى الظاهرى عز نصره (٢) بتولى المقر الكريم شهاب الدين احمد بن التيزينى وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة

وفي وسط اللوح واطرافه كتابات بالخط الكوفي ومكتوب عليه ايضاً (٤) احمد الليثى ومكتوب على قنطرة المنبر

منبر جامع محاسن فضل * ذلك الجمع ماله من نظير

خص عزاً يجمعة وخطاب * عن رسول مبشر ونذير

قد بنسأ لله تغرى بردى * كى يحازى بحنة وحرير

وفي القبليّة عامودان عظيمان من الحجر الأحمر السماقي وعمودان من الحجر الأسود

وسقف المحراب منقوش بالحجارة الصغيرة وفوق المحراب حجر مكتوب بالخط الكوفي من الجهات الاربعة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي وسطها (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)

ما احدث في زمن تغري بردي في الجامع الكبير

في جدار الرواق الشمالي بجانب الحنفيات حجر مكتوب عليه (١) امر بأشائه مولانا المقام الأعظم السلطان الملك الظاهر ابو سعيد برقوقي عز نصره (٢) في ايام القمر السيفي تغري بردي كافل المملكة الحلبية عز نصره بتولى العبد (٣) الفقير الى الله تعالى حمزة الجعفري الحنفي في شهور سنة سبع وتسعين وسبعمائة اه تحت هذه الكتابة باب كان يخرج منه الى خلا احدثه الشيخ حمزة المذكور في هذه السنة الا ان الراجعة كانت تخرج منه الى الجامع فسد هذا الباب وابطل الخلا من هذا الموضع واتخذ غرب الباب الشالى ثم انه ابطل من هذا المكان خوفاً على المأذنة واتخذ موضعه مكتبا وفتح له باب في صحن الجامع وله وظيفة عثمانية والآن هو سكن الأمام الحنفي الجمهوري (١) ونقلت المطهرة الى نجاه الباب الاصلى نقلها الحاج حسن ابن الاميري وجعلها في غاية السعة وجعل بابها من خارج الباب الشالى وذلك سنة ١١٦٩ وجعل لها بابا آخر من داخل الجامع في قرنة الرواق الشالى كي لا يمتنع دخول المجاورين بالمسجد ليلاً الى الخلا ثم سد هذا الباب من آخر المدخل فصار حجرة صغيرة يوضع فيها لوازم الجامع وربما سكنها بعض الخدم

(١) هي الحجرة التي عن يسار الداخل من باب الحلوية

سنة ٧٩٩

ذكر تولية حلب للأمير ارغون شاه

قال في روض المناظر في هذه السنة طلب الأمير تغرى بردى الى مصر واستقر بها اميراً كبيراً واستقر عوضه بحلب ارغون شاه نقل اليها من طرابلس وكان قبلها نائباً بصفد واقام بحلب شهوراً ومات

قال ابن اياس وفي هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن جاليش تمرلك قد وصل الى اطراف بلاد الروم واخذ مدينة تسمى ارزنكان [آذربيجان] وقتل اهلها ونهب ما فيها فلما سمع السلطان ذلك ارسل الى سائر النواب بأن يتوجهوا الى شاطئ الفرات ويحصنوا البلاد فخرج سائر النواب الى شاطئ الفرات واقاموا هناك سنة (٨٠٠)

﴿ ذكر تعيين الأمير علاء الدين اقبغا لنيابة حلب ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر في نيابة حلب الأمير علاء الدين اقبغا الهذباني عوضاً عن ارغون شاه سنة (٨٠١)

﴿ وفاة الملك الظاهر برقوق بن انص العثماني ﴾

قال ابن اياس كانت وفاته خامس عشر شوال من سنة احدى وثمانمائة وكان مدة سلطته ست عشرة سنة واربعة اشهر وعهد بالملك بعده لولده المقر الزيني فرج ولقب الملك الناصر ابو السعادات وله من العمر اثنتا عشر سنة



﴿ ذكر استيلا السلطان بايزيد على ملطية ﴾

﴿ وورود الأخبار بقصده حلب ثم رجوعه الى بلاده ﴾

من ابن اياس في اواخر هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان ملك الروم قد تحرك على بلاد السلطان وقد وصل اوائل جاليشه الى بلاد الأبلستين (البستان) وهو قاصد حلب فلما بلغ السلطان والأمراء هذا الخبر امر الأتابكي ايتمش بعقد مجلس بالقصر الكبير فحضر امير المؤمنين المتوكل والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وسائر الأمراء وضربوا مشورة في امر ابن عثمان فوقع الاتفاق على محاربته والخروج اليه وان يؤخذ من اجرة الاملاك شهر واحد يتقوي بها ~~المسكر~~ على دفع العدو ثم بعد مدة جاءت الأخبار بأن ابن عثمان وصل الى ملطية وملكها ولم يشوش على احد من اهله وامر عسكره بان لا ينهبوا لاحد من الرعية شيئاً فاقام بملطية اياماً ثم رجع الى بلاده فبطل امر التجريد وسكن الحال .

(سنة ٨٠٢)

ذكر عصيان تنم نائب الشام واقبغا الجمالي نائب حلب

وبقية نواب البلاد الشامية وغاربتهم للسلطان فرج وتعيين دمر داش الخاصكي لنيابة حلب

قال ابن اياس لما توفي الملك الناصر فرج خرج تنم نائب الشام عن الطاعة وظهر العصيان ووضع يده على البلاد الشامية ووافقه على العصيان نائب حلب ونائب حماة ونائب صفد ونائب طرابلس والتف عليه من العسكر والعربان مالا يحصى عددهم ثم انهم اليهم الأتابكي ايتمش بعد ان انكسر في غاربتة للسلطان بمصر وخلاصة

الامر ان السلطان خرج اليهم والتقى الجمعان بارض فلسطين وانكسر ثم وامسك هو وجماعة من الامراء وقتلوا وعاد السلطان الى الديار المصرية منصوراً وقرر في نيابة دمشق خاله سودون وفي نيابة حلب الامير دمرداش المحمدي الخاصكي
 ذكر جيسى مقدمة تمرلنك الى نواحي ملطية وتوجه عسكر

حماة وحلب الى محاربتهم وانكسار هذين

قال ابن اياس في ذي القعدة حضر مملوك نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركان حضر اليهم جاليش تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر جاليش تمرلنك فلما انكسروا انو الى ملطية وكانوا نحو سبعة آلاف فارسلوا الى نائب حلب يقولون له عين لنا مكاناً نزل به فلما سمع نائب حلب بذلك ركب هو ونائب حماة وتوجهوا الى عسكر تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر نائب حماة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة منهم جاني بك اليحياوى انابك العساكر بحلب واسر نائب حماة دقاق المحمدي حتى اشترى نفسه منهم بمال جزيل ورجع نائب حلب الى حلب وهو مكسور وكانت هذه اول الفتن بين عسكر مصر وبين تمرلنك فلما بلغ السلطان ذلك رسم لنائب الشام ونائب صغد ونائب طرابلس بأن يجمعوا العساكر ويتوجهوا الى حلب يقيمون بها

اصل تمرلنك وشيئاً من احواله الى ان استفحل ملكه

والكتاب الذي ارسله الى الملك الظاهر برقوق صاحب مصر وجواب هذا الكتاب والاسباب التي دعت الى الرجوع الى هذه البلاد ومجيئه الى سيواس والبستان ثم عيتاب وقلعة الروم ثم الى حلب وما فعله بهذه

البلاد ثم جلب من الفضائع وعظيم الجرائم والاسئلة التي سأل عنها علماء
الشهباء واجاب عنها القاضي عجب الدين ابو الوليد محمد بن الشحنة
وتوجهه الى الشام وعوده منها الى اطراف حلب ثم رجوعه الى بلاد
[الشرق ووفاته وما آل اليه امر ملكه وملك بنيه]

قال العلامة الدحلاني في تاريخه الفتوحات الاسلامية كان ظهور تيمرلنك في
اواخر القرن الثامن بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان ظهوره من
اشد المحن والبلايا على هذه الأمة افسد في الارض واهلك الحرث والنسل وهو
وان كان يدعي الاسلام الا ان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل افعالا مع
المسلمين اكثر مما تفعله الكفار من القتل والأسر والتخريب وكان رافضياً شديداً
الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم
مع بعضهم وكثر عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سبباً لضعف دولة
التتر وموجباً لقيام تيمور وغيره

واختلفوا في نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر وفي
تاريخ ابن خلدون ان تيمور ينسب هو وقومه الى جغتاي بن جنكزخان وجزم
بعضهم بأن نسبه الى جغتاي بن جنكزخان انما هو من جهة امه لامن جهة ابيه
وكان اول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين واربعة بعضهم بقوله [عذاب
٧٧٣] وكان مبدأ امره وأمر ابيه انها كانا فقيرين وكان ابو اسكافياً من قرية
من اعمال كش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر ونشأ ولده تيمور جلدأ
قويًا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق كثيراً فسرق في بعض الليالي شاة
واحنملها فشعر به الراعي فرماه بسهمين اصاب بأحدهما فخذه وبالأخر كنفه
فأعلمها فكان اعرج اليمناوين ولذلك كان يقال له نصف انسان ومع هذا لم

يترك السرقة وما زال كذلك حتى اشتهر امره وافساده فظفر به السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع في ترك صلبه الامير غياث الدين ابن السلطان حسين المذكور فقال له ابو حسين هذا اصل مادة الفساد لئن بقي ليهلكن العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد اصيب بالدواهي فزال اراجع اياه حتى قبل شفاعته ووجهه له وعنى عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وادناه وجعله من خواصه وزوجه اخته ورفاه حتى صار من وزرائه فلما صار الملك لفاث الدين بعد موت ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدماً على كثير من الجند فطغى وبغى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهى اخت السلطان غياث الدين وقع بينها وبين تيمور شيء اغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه ثم لم يسمعه الامر الا بالخروج على السلطان غياث الدين وخلق الطاعة واقعد غارب التمرد والطفين فملك بما كان تحت يده من الجند كثير آمن الممالك حتى استعصى ممالك ماوراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر وشرع فى استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد فكان يجرى فى جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب فى البلاد دبيب السم فى الاجساد ثم ارسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول فى طاعته ليجازيه على احسانه بأسائه فيتحقق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم [كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسمى الى من احسن اليها]

فأرسل غياث الدين يقول له اما كنت خادماً لى واحسنت اليك واسبت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فأن لم تكن انساناً يعرف الاحسان فكن كالكلب فلم يصغ لذلك بل عبر جيحون بمن معه من الجند

وتوجه الى محاصرة مولاة غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فخصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم امنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً وعطشاً ثم عاد الى خراسان فانتقم اولاً من اهل سجستان فوضع السيف فيهم فأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك المعجم ودانت له ملوكهم والأمم

وقد معنا في حوادث سنة ٨٩٥ استيلائه على بغداد وانهازم صاحبها السلطان اويس بن احمد ومحيثه الى حلب ثم توجهه منها الى القاهرة وخروج السلطان برقوق بالعساكر المصرية الى حلب واستعداده تمام الاستعداد لللافاته فلما بلغ ذلك تيمور رجع الى بلاده وكانت وفاة الملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١

كتاب تيمورلك الى الملك الظاهر برقوق

قال القرماني في تاريخه في ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حضرت رسل تيمورلك وم اربعة ومعهم كتاب نسخته بعد البسملة الشريفة : قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلما اننا جند الله في ارضه مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبدة بك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد ويتمنا الاولادواظهرنا في الارض الفساد خيولنا سوابق وسيوفنا صواق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال وجارنا لا يضام من سالنا سلم ومن رام حربنا ندم فان انتم قياتم شرطنا اطعتم امرنا فلنكم مالنا وعليكم ماعلينا وان انتم خالفتم وعلى بفيكم تماديتم فلا تلوموا الا انفسكم وذلك بما كسبت ايديكم فالخصون لآعنم والعساكر لا ترد

ولا تدفع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالمذلة والهوان فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ويقولون انه قد صبح عندكم اننا كفرة فقد ثبت عندنا انكم كفرة وقد سلطنا عليكم من بيده امور مدبرة واحكام مقدرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد اوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطاء ويدخل علينا منكم الخطا وتربي الحرب نارها وتلقى اوزارها وتدهون منابأعظم داهية ولا يبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا الآن قد انصفناكم اذ راسلناكم فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام

جواب هذا الكتاب من الملك الظاهر برقوق

قال القرمانى فلما سمع السلطان هذا الكتاب اغتاظ غيظاً عظيماً وامر بتوسيط الرسل [بقتلهم] فوسطوا وعلقوا وامر بكتب جواب فكتب ذلك بأنشاء ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى ونسخته كما في القرمانى وتاريخ تيمور لأبن عربشاه [بسم الله الرحمن الرحيم] قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الاياخانية والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية فولكم انكم مخلوقون من سخطه مسيطون على من يحل عليه غضبه وانكم لا ترفون لشاك ولا ترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من اكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين [قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون] ففى كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وانتم الكفرة كما زعمتم الا لعنة الله

على الكافرين نحن المؤمنون حقاً لا يدخلنا عيب ولا يخامرنا ريب القرآن على
 نبينا نزل والرب بنا رحيم لم ينزل انما النار لكم خلقت ولجلودكم اضرمت اذا السماء
 انفطرت ومن اعجب العجائب تهديد الرتوت باللتوت والسباع بالضباع والكمات
 بالكرام ونحن خيولنا برقية وسهامنا بمنية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرنا في
 المشارق والمغرب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا فينينا وبين الجنة ساعة
 | ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون [وقولكم
 قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الخطيب
 يكفيه قليل من الضرم] كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
 الفرار الفرار من الرزايا لامن المنايا ونحن من الطمانينة على عادة الامينة ان قتلنا
 فشهداء وان عشنا كنا سعداء [الا ان حزب الله هم الغالبون] ابعد امير المؤمنين
 وخليفة رسول رب العالمين [يعنى الخليفة العباسى الذى كان اذ ذاك بمصر]
 تطلبون منا طاعة لاسمعاً لكم ولا طاعة وطلبتم ان نوضح لكم امرنا قبل ان
 ينكشف انطاويدخل علينا منكم الخطا هذا الكلام في نظمه تركبك وفي سلكه
 تفكيك لو كشف لبان بعد التبيان اكفر بعد ايمان واتخاذ رب ثان [لقد جنتم شيئاً
 اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا] قل لكاتبك الذي
 وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كهرير الباب او كطنين الذباب
 [فسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا] وما لكم عندنا الا السيف بقوة
 الله تعالى .

قال الدحلان فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضباً شديداً وكان الله القى
 الرعب في قلب تيمور من السلطان برق فوق فرجع الى بلاده
 اقول يستفاد من كلام ابن عرب شاه في تاريخه عجائب المقدور انه في هذا الإثناء

وافته الأخبار ان سلطان الهند فيروز شاه توفي الى رحمة الله ولم يكن له ولد يكون له خليفة واضطربت احوال بلاد الهند وولى الاهلون وزيراً اسمه ملوا وصارت بلاد الهند فرقاً وطوائف فوجدان توجهه الى بلاد الهند والاستيلاء عليها لعظم النعمة اولى من بجيئه الى الديار المصرية ومحاربة برقوق فكر راجعاً الى بلاد الهند واستولى عليها وبسط القول في ذلك .

قال ابن عربشاه وبينما هو في الهند وقد استولى على كرسي الهند واهـ صارده واحتوى على مملكه واقطاره وبلغت مراسيمه ذري انجاده واعماق اغواره وابث جيشه في ولايتها سهلاً ووعراً وظهر فسادهم في رعاياها برأً وبحراً وفد عليه المبشر من جانب الشام (وذلك في سنة احدى وثمانمائة) ان القاضى برهان الدين احمد السيواسى والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره والنشرح وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح فجز بسرعة امور الهند ونقل الى مملكته من فيها من المسكر والجند بما اخذه من الأتقال ونفائس الأموال ووزع ذلك على الجمهور وسائر الجند المأسور على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور واقام في الهند نائباً ثم صدر عن سمرقند قاصداً الى الشام ومعه من الهند رؤس اجنادها ووجوه اعيانها .

قال في روض المناظر وفي سنة ثلاث وثمانمائة شاعت الأخبار بأن تيمورلنك حين عاد من اخذ بلاد الهند بلغه وفاة السلطان الملك الظاهر برقوق فاستبشر لذلك وانعم على خبره بجملة مستكثرة وكان في نفسه من قتله رسله ومن اخذ ابن عثمان (السلطان بايزيد رحمه الله) سيواس وملطية واخذ السلطان احمد بغداد فقصد بلاد الشام ومعه من المساكر ما لا يحصى اخبرنى الحافظ الخوارزمي ان بديوان عسكره المختصة به ثمانمائة الف وانه اجتاز على سيواس وحاصرها واخذها بعد ان حلف لأهلها

انه لا يضع فيهم السيف فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفنهم فيها احياء قيل كانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البستان فوجد اهلها قد اخلوها فأحرقها وخربها ثم توجه الى ملطية فهرب من كان بها فأخذها وخربها ثم اجتاز على بهسنى فحاصرها ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم اخذها صلحا وقصد قلعة المسامين (١) وكان نائبها فارس المسامين المقر الأشرف الناصري محمد بن المرحوم الشرفي موسى بن شهري سبط مولانا السلطان المشار اليه في اول الكتاب وكان قد بدع بجماعة تمرلنك وطواشيه مدة اقامته على بهسنى وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب وكسر قومًا من الذين جهزهم اليه افبح كسرة حتى رمى غالب جماعته نفوسهم في الفرات وجهاز تمرلنك كتابًا الى المشار اليه يقول فيه اننى خرجت من أقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامى وسائر ملوك البلاد حضروا الي وانت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من يظفر بهم والآن قدم مشيا عليك بمساكرنا فأناشفقت على نفسك ودرعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة مالا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) فاستعد لما يحيط بك ان ابیت الحضور .

فأمسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كتاب تمرلنك فشى عليه اوائل عسكره فبرز اليه المشار اليه وقابلهم وكسروهم وفي اليوم الثانى حضر تمرلنك ونزل على قلعة المسامين فبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة ولما

[١] من هنا الى قوله من السلالة الطاهرة العمرية غير موجود في النسخة المطبوعة من روض المناظر على هامش ابن الاثير وقد وجدت هذه الزيادة في نسخة خطية منه وبتمامها سقطت من النسخة المطبوعة

رأى تمرلنك شدة حزمه رجع عن عاربته واخذ في مخادعته وملاطفته وطلب الصلح وان يرسل اليه خيلاً ومالاً لأجل حرمة فلم ينخدع معه وتنازل معه الى ان طلب منه حامياً فلم يعطه وعاد خائباً واخذ المشار اليه في اواخره نهباً وقتلاً واسراً كل ذلك وباب قلعة مفتوح ولم يغلقه يوماً وانشد فيه لسان الحال

هذا الأمير الذي صحت مناقبه * لئث الوغى عمت الدنيا مفاخره

ولى تمرلنك مكسوراً اوائله * منه مراراً ومذعوراً اواخره

وكان حصول تلك السمادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والأخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية .

قال ابن عربشاه لما اتى تيمور الى قلعة الروم كان نائبها الناصري محمد ابن موسى ابن شهريز فأقام بها يوماً ثم تركها ورحل عنها الى عيتاب وكان نائبها ارككاش فخصنها واستمد وباشر القتال بنفسه ثم لما علم ان لا طاقة له بتيمور هرب الى حلب واستولى تيمور على عيتاب ثم ارسل وهو في عيتاب رسولا الى نائب حلب ومعه كتاب له طلب فيه منه ان يطيع او امره وان يكف عن القتال وان يسلمه اطلاقاً زوجه بنت اخت تيمور وكان هذا اسيراً في مهر كان اسره

التركان وارسلوه الى مصر قبل هذه المدة فلم يجب الى شيء مما طلبه وقتل سودون نائب دمشق الذي كان وقتئذ موجوداً في حلب مع بقية نواب البلاد الشامية رسول تمرلنك قبل ان يسمع كلامه وضرب رأسه على رؤس الأشهاد وبش ما فعل قال في روض المناظر ولما كان يوم الخميس التاسع ربيع الأول نازل الملعون حلب وكا نائبها المقر السيفي دمرداش الخاصكى وقد حضرت اليه عساكر المملكة الشامية عسكر دمشق مع نائبها سيدى سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكى وعسكر حماة مع نائبها دقاق وعسكر صفد وغزة

قال ابن عربشاه ما خلاصة معناه ثم ان النواب تشاوروا كيف يكافون
 تيمورلنك فقال البض الرأي ان نحصن البلد ونكون على الأسوار فاذا جاء العدو
 نجاربه من الأسوار فقال له بعض الأمراء هذا امارة العجز والرأي ان نخلق
 حواليتها ونمنع العدو من الوصول اليها ويكون ذلك افسح للمجال ثم ذكر كل
 من الأمراء ما عن له في ذلك ثم قال المقر السيفي شيخ الذي صار ملكاً بعد
 ذلك وكان ذا رأي سديد وهو اذ ذاك نائب طرابلس ان العدو عظيم امره كثير
 عدده لكنه وان كان كذلك فهو اعمى لأنه غريب عن البلاد والرأي عندي
 ان نحصن المدينة ونكون خارجها في جانب واحد ثم نحفر حولنا خنادق ونطير
 الى الآفاق اجنحة البطايق الى الأعراب والأكراد والتراكمة وعشرات البلاد
 فيتسلطون على العدو من الجوانب ويعير بين قاتل وناهب فأن افام وأنى له
 ذلك ففي شر مقام وان تقدم الينا صاخناء وان رجع رجم بحمية وهو المرام
 ووافقه على هذا الرأي شاه منصور

فقال دمرداش وهو اذ ذاك نائب المدينة الأولى ان نناجزه والمناضلة خير من
 المطاولة واذا لم نناجزه آنس منا الوهن وخور العزيمة واخذ يحرضهم على ذلك
 ومما قاله انا اذا كسرناهم فزنا بالمرام وكفيينا عسكر المصريين المؤنة واذا كانت
 الكرة علينا نكون قد بذلنا المجهود واقننا عذراً لدى السلطان برفوق

قال ابن عربشاه ولا زال دمرداش يحسن لهم هذا الرأي الفاسد حتى اجمعوا
 عليه واتفقوا على الخروج الى تيمورلنك لأنه كان صاحب البلد وكان في الباطن
 موافقاً لتيمور

ثم انهم حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها واكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها وفتحوا
 البابين المقابلين للجهة التي نزل فيها تيمورلنك وهما باب النصر وباب القنقة

ويوم وصوله وهو يوم الخميس تاسع ربيع الأول برز من عسكر تيمورلنك ألفا رجل فبرز اليهم من العساكر الشامية ثلثمائة فهزمهم هؤلاء. ويوم الجمعة برز من عسكره نحو من خمسة آلاف فتقدم اليهم طائفة اخرى واشتبك بينهم القتال واشتد وابلت العساكر الشامية بلاء حسناً وبقي الحرب الى المساء فترجع الفريقان وقد قتل من عسكر تيمورلنك ولم يقتل من العسكر الشامية سوى رجلين

ويوم السبت حادي عشر ربيع الأول برزت العساكر الشامية وتقدمت عساكر ذاك وكان قد عباها تحت جناح الليل فقابل مقدمتهم وشغلهم بأوائلهم واحاط الباقون بهم فأتوهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شماليهم فشى عليهم مشي موسى على الشعر وسعى سعي الدبا على الزرع الأخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ثم فرت ميمنة العساكر الشامية وكان رأسها دمرداش، فلم يلبث الباقون ساعة من نهار حتى ولوا الأدبار وعسكر تيمورلنك وراء ظهورهم فقصدوا المدينة من الأبواب المفتوحة وازدحموا عندها والسيوف تشقم والرماح تدفم فاستدت الأبواب بالقتلى ولم يتمكن الكثيرون من الدخول فاشتتوا في البلاد وكسر الممالك باب انطاكية وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام وصعدوا النواب الى القلعة ونحسوها فيها

قال ابن اياس لما بلغ تيمورلنك ان رسوله قتل زحف الى قرية من قرى حلب يقال لها حيلان واحتاط بمدينة حلب ونهب ماحولها من الضياع ولما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانمائة خرج عساكر حلب وسائر النواب بعساكرهم ووقفوا مع تيمورلنك فكان بينهم ساعة تشيب منها النواصي وقد دهمتهم عساكر تيمورلنك كأمواج البحار المتلاطمة ومالت عليهم كتاب

الجنود المزاحمة فلم تثبت معهم عساكر حلب وولوا على اعقابهم مدبرين واقبلوا نحو المدينة منهزمين وقد داست حوافر الخيل اجساد العامة وحل بهم من البؤس كل داهية طامة. وكان قد احتفى بالمرارات والمساجد الجم الغفير من النساء والاطفال فدخلوا اليهم واسروهم وقرنوهم بالجبال واسرفوا في قتل النساء والرجال وصارت الأبنكار تفتض في المساجد ولم يراعوا حرمة المساجد فلم يرثوا لبكاء الرضع ولم يمشوا دعاء الركع وقد صارت المساجد كالمجزرة من القتلى فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر هذا الأمر الشنيع يتزايد من يوم السبت الى يوم الثلاثاء فلما رأى دمر داش نائب حلب عين الغلب نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان فلما مثلوا بين يديه خلع عليهم اقبية تحمل احمر والبسم تيجاناً مذهبة وقال لهم انتم صرتم نوابي (١) ثم ارسل معهم جماعة من امرائه يتسلمون القلعة فاستنزلوا من كان بها وهم في قيود واستمر مقيماً على حلب نحو شهر وعسكره ينهبون القرى التي حول حلب ويقطعون الاشجار التي بها ويهدمون البيوت وقد اسرفوا في القتل حتى ونهب الأموال وصارت الأرجل لا تطاء الا على جثة انسان لكثرة القتلى حتى قيل انه بنى من رؤس القتلى عشرة مآذن دور كل مأذنة عشرون ذراعاً وصعودها في الهواء مثل ذلك وجعلوا الوجوه فيها بارزة تسفوا عليها الرياح وتركوا اجساد القتلى في الفلاة تنهشها الكلاب والوحوش فكان عدة من قتل في هذه الواقعة من اهل حلب من صغار وكبار ونساء ورجال نحواً من عشرين الف انسان هذا خارج

(١) الذي في تاريخ تيمور لأن عرب شاه لما نزل اليه النواب قبض على سيدى سودون وشيخ الخاصكى والطبقا العثماني نائب صفد وعمر بن الطحان نائب عزة وقيدهم وخلع على دمر داش فقط مكافاة له على مخامرته كما تقدم

عما هلك من الناس تحت ارجل الخيول عند اقتحام ابواب المدينة وقت الهزيمة وهلك من الجوع والعطش أكثر من ذلك

فلما ملك تمرلنك مدينة حلب والقلة نهب جميع ما في المدينة والقلة ثم رحل عنها بعد ما جعلها خاوية على عروشها وقد تمطلت في مدة هذه المحاصرة عن الأذان والأقامة وعن صلاة الجمعة

ومما يحكى عن اخبار عسكر تمرلنك فيها فعلوه بعسكر حلب قيل كانوا يطشون الأبنكار في محراب المساجد وآبائهم يشاهدون ذلك بعينهم ، ولقد حكى من اسر معهم انهم من حين استولوا على حلب الى حين رحلوا عنها لم يسمع في عسكرهم اذان وانهم يحامعون النساء في الحيض ولا يعاودون الوطي الا بعد اغتسال ولو كان في قلب الشتاء بالماء البارد وقيل ان تمرلنك كان يحتجب عن عسكره نحو اسبوعين فلا يجتمع على احد من عسكره ويتكف على شرب الخمر ففي مدة انكافه تنهب عساكره البلاد ويفسقون في اهلها فلم يجدوا من ينمهم عن ذلك ولا يردم فيستمروا على ذلك.

اسئلة تيمورلنك والجواب عنها من القاضي ابن الشحنة

قال المحب ابو الوعيد بن الشحنة في آخر تاريخه روض المناظر . وفي يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول اخذ القلة بالامان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علمائها وقضاتها فحضرنا اليه فأوقفنا ساعة ثم امر يجلوسنا وطلب من معهم من اهل العلم فقال لأمر عندده وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي عنها والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلكم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارا وهرات وسائر

البلاد التي افتتحتها ولم يوضحوا الجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم به فأنى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص والفقه ولى في طلب العلم طلب قديم وكان بلغنا انه يعنت العلماء في الأسئلة ويجعل ذلك سبباً لقتلهم او تعذيبهم

فقال القاضي شرف الدين موسى الأنصارى الشافعي عنى هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان

فقال لى عبد الجبار سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فن الشهيد قتلنا ام قتلكم فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت فمكت القوم وفتح الله علي مجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى صاحبي القاضي شرف الدين موسى الأنصارى بعد انسب انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانه لحدث زماننا وعالمنا قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تيمورلنك سمعه وبصره الي وقال لى عبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اجاب قلت (جاء اعرأى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليعرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ومن قاتل منا ومنكم لأعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمورلنك خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال تيمورلنك انى رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر

ممالك العجم والعراق والمهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل احداً فقال والله اني لم اقتل احداً قصداً وانما انتم قتلتم انفسكم في الأبواب والله لا اقتل منكم احداً وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل احد من الفقهاء والحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينههم ويقول لهم اسكتوا ليجاب هذا الرجل فإنه يعرف ما يقول وآخر سؤال سئل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأسرالى القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فإنه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين ابن القفصي الصيفي المالكى كلاماً معناه ان الكل مجتهدون فغضب تيمورلنك لذلك غضباً شديداً وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلييون تبع لأهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت في ملاطفته بالاعتذار عن المالكى بأنه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل منى ومن شرف الدين فقال عنى هذا عالم مليح وعن شرف الدين هذا رجل فصيح فسألني تيمورلنك عن عمرى فقلت مولدى سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن اربعمائة وخمسين سنة وقال للقاضى شرف الدين كم همرك قال انا اكبر منه بسنة فقال تيمورلنك انتم في عمر اولادي انا عمرى اليوم خمساً وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب وانيمت الصلاة واما عبد الجبار وصلى تيمورلنك الى جانبي قائماً يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثانى غدر بكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الأموال والاقشة والامتنعة مما لا يحصى . اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة ولا ما يقاربه وعوقب غالب المسلمين بأنواع العقوبات

وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجبر ومسجون ومرمى عليه ونزل تيمورلنك من القلعة بدار النياية وصنع وليمة على زى المنزل وقف سائر الملوك والنوابين في خدمته وادار عليهم كؤوس الخمرة والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبس الى آخر شهر ربيع الاول طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين واعاد السؤال علينا فقلت له الحق كان مع علي وايس معاوية من الخلفاء فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون وقد تمت بعلي فقال تيمورلنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم فقلت قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاية الجور فإن كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الأمراء الذين عينهم للأقامة بجلب وقال لهم ان هذين الرجلين نزول عندكم بهذه البلدة فأحسنوا اليهما والى الترامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احداً من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما بالمدرسة يعنى السلطانية التى تجاه القلعة وفعلوا ما وصاهم به الا انهم لم يزلونا من القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بجلب الأمير موسى بن الحاج طغاي اني اخاف عليكما والذي فهمته من نسق تيمور انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه .

وفي اول يوم من ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجهاً نحو دمشق وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريح وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تيمورلنك يطلب من عساكره رؤساء المسلمين على عادته التى كان يفعلها في البلاد التى اخذها فلما وصلنا اليه ارسلنا رسولاً يقول له اننا قد حضرنا وهو قد حلف ان لا يقتل منا احداً صبراً فعاد اليه ونحن نظره وبين

يديه لحم سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء اليها شخص بشيء من ذلك اللحم فلم تفرغ من اكله الا وزججة قائمة وتيمورلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاءنا امير ليعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر بأحضار رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يحمل منها قبة اقامة لحرمة على جري عاداته ففهموا عنه غير ما اراد وانه قد اطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تيمورلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الأقامة بها واخذ الأمير موسى في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد احوالنا مدة اقامته مجلب وقلعتها وتأيننا الاخبار بأن سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تيمورلنك ومرة نسمع بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تيمورلنك قتالاً عظيماً اشرف منه تيمورلنك على الكسر والهزيمة (١) وانما حصل من بعض امرائه خيانة وكان ذلك سبب توجهه الى مصر اخذاً بالحزم ودخل فمرك الى دمشق ونهبها وحرقها وفعل فيها فوق ما فعل مجلب ولم يدخل طرابلس بل احضر له منها مال ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعاً طالباً بلاده

ولما كان سابع عشر شهر شعبان من السنة المذكورة وصل تيمورلنك عائداً من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة واحراق المدينة ففعلوا ونزلوا من القلعة وطلبني الأمير السيد عز الدين وكان من أكبر امرائه وقال ان الامير تيمورقان يسلم عليك ويقول ان عنده مثلك كثيراً وهذه البلاد باب مكة وليس بها عالم فلتكن انت بها وقد

(١) من قوله وانما حصل الى قوله طالباً بلاده سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل وهي موجودة في نسخة خطية

رسم بأطلائك ومن معك من القضاة فاطلب من شئت واكثر لأروح معكم الى مشهد الحسين واقم عندكم حتى لا يبقى من عساكرنا احد وكان القاضي شرف الدين موسى لا يفارقي وطلبنا من تأخر من القضاة بالقلعة واجتمع منا نحو الي مسلم وتوجهنا صجبة المشار اليه لشهد الحسين واقفنا به ننظر الى حلب والنار تقهرم في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق من التتار احد وزلنا الى بيوتنا بالمدينة فاستوحشنا منها ولم يقدر احد منا على الإقامة ببيته من التّن والوحشة ولا بمكن السلوك في الازقة من ذلك كما قال

كأن لم يكن بين الحجون الى العفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكانت نواب الشام معه مأسورين فانقلتوا منه اولاً بأول وكان السيني دمر داش الحاصكي حين انفلت منه من حماة حال توجهه الى نحو دمشق توجه نحو السلطان واتفق على ما تقدم اولاً وجاءه تقليد شريف من السلطان باستمراره في نيابة حلب فدخلها واخذ في عمارتها ورمم دار النيابة وسكن بها وتراجعت الناس واما نائب الشام فإنه مات مبعوثاً واستقر في نيابة دمشق الامير تغري بردى .
قال الدحلاني وفي سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمورلنك بمدينة انزار وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتملك بعده حفيد خليل بن امير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهاك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك التركان الى ان انتزعها منهم اسماعيل شاه سلطان المعجم ثم انتزعها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتيمور عقب كان منهم سلاطين في الهند اه



سنة ٨٠٤

﴿ ذكر تولية حلب للامير دقماق المحمدي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الى دقماق المحمدي نائب حماة بأن يستقر نائب حلب عوضاً عن المقر السيني دمرداش المحمدي ورسم لدمرداش المحمدي بأن يحضر الى القاهرة لما تقتضيه الآراء الشريفة (ثم قال) وفيها جاءت الاخبار من حلب بأن الامير دقماق المحمدي لما استقر نائب حلب وتوجه اليها خرج اليه دمرداش نائب حلب وواقع معه واقعة قوية فانكسر دمرداش ونهب بركه وهرب الى ملطية (وفي تحف الابناء) انه قبض عليه وارسله الى القاهرة وهو الاصح لانه عين سنة خمس لنيابة طرابلس كما في روض المناظر قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الامير دقماق انه ولي حلب سنة اربع وثمانمائة وهرب منها في سنة ست لما استشعر بالقبض عليه فقرر غيره في نيابتها فلم يلبث ان مات فعاد دقماق اليها ففر منه صاحبها واستنجد بمن ساعده على محاصرته فانفض دقماق لمقاومته لقلبة من معه ففر الى جهة التركان وارسل يطلب الأمان فاجيب واعطى نيابة حماة ثانياً الى ان قتله جكم صبرا بظاهرها في رجب او شعبان سنة ثمان ونفرت القلوب من قاتله وكان اميراً جليلاً كريماً ذا شكالة مليحة وخلق حسن متواضعاً قريباً من الناس مع حشمة ورياسة وعدل في الرعية وعفة عن اموالهم انشأ تربة خارج حلب ووقف عليها وقفاً



(سنة ١٠٦٨)

ذكر تولية حلب للأمير علاء الدين اقبغا ووفاته بها

وعود دمرداش الحمدي لنيابة حلب

قال في روض المناظر فيها استقر الأمير علاء الدين اقبغا الجمالي الهذباني نائب حلب عائداً اليها فعاد واقام قليلاً ومات بحلب ودفن بتربته التي انشأها بسوق الخليل واستقر في نيابة حلب السيفي دمرداش عائداً اليها

قال السخاوي في الضوء اللامع عاد الأمير علاء الدين اقبغا الى حلب بعد دقائق واستمر على نيابتها اربعين يوماً ثم مات في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الثاني سنة ست ودفن قبل الصلاة بتربته التي انشأها داخل جامعها وكان ساكناً عاقلاً قليل الشر مائلاً الى الخير ذكره ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا اه

اقول كانت وفاته قبل اكمال عمارة الجامع واكمله دمرداش في ولايته سنة ٨١١ وسباني الكلام عليه ثمة . وقبر اقبغا لا زال موجوداً في تربته عن يمين الداخل الى الجامع وللتربة قبة مرتفعة البناء جداً وهي من الحجر المنحوت كتب في اعلاها بين الكوتين (صنعها جعفر بن ابي غانم رحمه الله) وللتربة اربع شبابيك اثنتان من الجهة الشمالية واثنتان من الجهة الغربية والذتان من هذه الجهة عليهما من الخارج كتابات تفسر علي قراءتها ومكتوب في ذيل المنارة عن يسار قنطرة باب الجامع الغربي (انشأه العبد الفقير الى الله تعالى اقبغا الظاهري غفر الله له) قال في روض المناظر وفيها كانت زلزلة عظيمة بحلب وبلاد كثيرة وخرت منها اماكن كثيرة وتبع ذلك زلازل عديدة اخف منها فأجتمع الزلازل والفتن وانما تتكاثر الزلازل والفتن بين يدي الساعة والظاهر ان الامر قد قرب والدنيا

على فراغ فالزلازل يخوف الله بها اهل المعاصي وتؤذن بزلزلة القيامة تنشأ في بعض الارض كما تنشأ الرعدة للمحموم وزلزلة الارض اما لأن الله تعالى يطلع عليها فتزلزل هيبة وفزعا واما لأن الحوت الذي عليه الارض يتحرك بعضها (١) واما ان يعمل عليها المعاصي والخطايا فتزلزل غضباً للرب والله اعلم (٢)
(سنة ٨٠٧)

(ذكر عصيان الامير چگم والامير شيخ)

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة چگم انه اعتقل بقلعة المرقب ثم نقل الى حلب فحبس بدار العدل ثم نقل الى غيرها ثم اطلق وآل امره الى ان ملك حلب (تغلب على نائبها الامير دمرداش) ثم اتفق هو وجماعة من الامراء على العصيان ووصلوا الى الصالحية (بدمشق) فخرج الملك الناصر فكانت الكسرة على عسكره ورجع هارباً ثم كر عليهم العسكر المصري ثانياً فكانت النصره لهم وآل امر جده الى ان اخذ هو وشيخ دمشق ودخلها واستمر بها مدة ثم اخذ ايضاً حماة [سنة ٨٠٨]

(ذكر خلع الملك الناصر فرج وسلطنة اخيه ابي العز)

عبد العزيز ثم ظهور الملك الناصر وعوده الى الملك وخلع اخيه
قال ابن اياس ما خلاصته لما عصى الامير چگم العوضى ومعه جماعة من الامراء

[١] يظهر ان ابن الشحنة ليس من ابناء هذا الفن حتى تسربت الى فكره هذه الخرافة
[٢] اقول بهذه العبارة نهاية تاريخ روض المناظر المطبوع على هامش ابن الأثير وفي النسخة الخطية التي امامنا زيادة ثمان ورقات بعد هذه العبارة فيها ذكر الملاحم والفتن واشراط الساعة وكلها اهملت في الطبع ويظهر ان ذلك لانتهاه تاريخ ابن الأثير او لأف للملاحم والفتن واشراط الساعة ذكراً في كثير من كتب الحديث وغيرها وكيفما كان فإن هذا ليس بصواب من ارباب المطابع

اضطربت احوال الملك الناصر وضافت عليه الأمور وآل الامر الى اختفائه وسلطنة اخيه ابي العز عبد العزيز الا انه لم يتم امره في السلطنة ولا ساعدته الأقدار فبقي في السلطنة شهرين وعشرة ايام ثم ظهر الملك الناصر واعيد الى كرسي السلطنة وخلع ابو العز عبد العزيز وذلك رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة .

قال السخاوي في ترجمة جكم بعد ان استولى جكم على حماة ظهر الملك الناصر فوج وتسلطن فجهز تقليدا لشيخ بناية دمشق وجكم مجلب ثم اضيف اليه نيابة الرها وملك عدة قلاع اه . ويستفاد من كلام السخاوي في ترجمة الامير علان الجياوي انه كان نائبها في هذه السنة وخلفه جكم قال ابن اياس لما توجه جكم الى حلب واستقر بها نائباً اظهر العصيان والمخامرة على السلطان وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك العادل وصار واضع اليد على البلاد الحلبية واخرج اوقاف الناس وجعلها اقطاعات وفرقها مثالات على عسكر حلب وصار يحكم من الشام الى الفرات فانزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية قال السخاوي قطع جكم الخطبة للناصر وخطب باسمه وضربت السكة باسمه

(ذكر عصيان فارس بن صاحب الباز التركماني)

سنة ٨٠٦ وما كان من امره الى قتل سنة ٨٠٨

قال ابن الخطيب . فارس بن صاحب الباز التركماني امير التركان بناحية العمق كان ابوه من امراء التركان بالناحية المذكورة ثم نشأ هو فلما انزاح التتار عن البلاد كثر جمعه فاستولى على انطاكية وتلك الناحية ثم قوي امره عند خلف العساكر بالشام ومصر واستولى على القصير وبلاد ودير كوش ثم ان الأمير

دمرداش خرج اليه بمساكر حلب فوصل الى جب العميان موضع بناحية العمق بين القصير وانطاكية والتقى الفريقان هناك يوم الاثنين ثامن او تاسع المحرم سنة ست وثمانائة فكسر الأمير دمرداش وعسكر حلب وقتل منهم جماعة وبعض الأمراء المتقدمين ودخل الأمير دمرداش الى حلب بكرة عيد الأضحى فقوي امر ابن صاحب الباز جداً .

ثم ان الأمير دمرداش جمع العسكر وتوجه الى انطاكية لقتال ابن صاحب الباز ثانياً وذلك في سنة سبع وثمانائة وكتب الى الأمير علي بك بن ذى القادر والى الأمير احمد بن رمضان مقدي التركان بالبلاد الشمالية يستنجد بهما على ابن صاحب الباز فوافياه على انطاكية فدخل ابن صاحب الباز الى انطاكية ومعه الأمير جكم ونحصر بها فأقام العسكر عليها مدة ولم يظفروا منها بطائل ثم رجع عنها الأمير دمرداش حين بلغه الخبر ان المصريين اختلفوا وهرب منهم جماعة من الأمراء الكبار ووصلوا الى دمشق ودخل الأمير دمرداش الى حلب بالعسكر فاستفحل امر فارس بن صاحب الباز وعظم شأنه واستولى على البلاد الغربية بأسرها ووصل الى اطراف جبل سمان وتوجه الى جماعة من جند حلب واقاموا عنده لأجل اقطاعهم وكذلك استولى على جانب من بلاد طرابلس كصهيون وناحيتها وصار له من باب الملك صهيون وبرزية واطراف بلد سمرين واطراف جبل سمان وبقي نواب حلب ليس لهم حكم في تلك البلاد بالكلية وصاروا كالمحصورين فأن هذه البلاد التى استولى عليها هي التى كانت عامرة من اعمال حلب وهي انطاكية والقصير والشفر وديركوش وتيزين وحارم وبغراس والحلقة وسائر اعمالها وبرزية وصهيون واللاذقية وجبله وتلك النواحي وعجز النواب عن دفعه للخلف وقلة العسكر وصار ابن صاحب الباز في عسكر عظيم الى

ان قدر الله تعالى بتولية جكم نيابة حلب من قبل السلطان الملك الناصر فرج ابن برقوق فدخل حلب واستمر بها اياماً ثم اخذته الأنفة والحمية فجمع عسكر حلب وجماعة من غير العسكر من اهل حلب رجالة وخيالة وخرج من حلب متوجهاً لقتال ابن صاحب الباز واستدقذ البلاد منه بعد ان جهز يطلب منه البلاد فلم يجب الى ذلك وجمع وحشد وتوجه نحو حلب فوصل الى ارتاح فوصل اليه الأمير جكم بمساكره وجماعته وتضافا وتقاتلا فانكسر ابن صاحب الباز وهزمه الله تعالى فولى هارباً نحو انطاكية وذلك في اوائل شوال سنة ثمان وثمانمائة ونهب الأمير جكم والعسكر الحلبي جميع ما مع التركان واستمر فارس هارباً الى ان دخل انطاكية فتوجه اليه الأمير جكم بمن معه من العساكر وحاصره بانطاكية مدة ثم بلغ الأمير جكم ان الأمير نعيم بن جبار متوجه اليه بنجدة لابن صاحب الباز فترك جكم انطاكية وتوجه بمساكره الى جهة نعيم فوصل بلد سرمين ثم نزل على قرية زيتان من نهريات حلب القبلية وانفق بينه وبين نعيم وقعة حكيماها في ترجمة الأمير جكم . ثم لما فرغ الأمير جكم من قتالهم رجع من فوره الى جهة انطاكية ولم يدخل حلب فوجد ابن صاحب الباز قد تجمع ونزل على جسر الحديد من جهة الغرب وقطع الجسر فنزل جكم من شرقي الجسر واستمر يحاصره اياماً وشرع الأمير جكم في حفر نهر ليحول العاصي ويدخل اليهم واوهمهم بذلك وكتب الى ابن رمضان (صاحب مرعش) لينجده وكتب ابن صاحب الباز الى ابن رمضان ايضاً وهو شهاب الدين احمد لينجده فجاء ابن رمضان فخافه ابن صاحب الباز فهرب الى جهة القصير وصعد القلعة وتحصن بها هو وجماعته فتوجه اليه الأمير جكم بمساكره وحاصره بقلعة القصير اياماً ثم ان ابن صاحب الباز طلب الأمان من جكم فأعطاه الأمان ونزل اليه من القلعة فاستمر عنده

اياماً ثم سلمه الى الأمير غازي بن اوزر وكان بينه وبين ابن صاحب الباز عداوة وكان ابن صاحب الباز قد قتل بعض جماعة ابن اوزر فقتله غازي ابن اوزر وقتل معه ابنه وغيره من جماعته وذلك في شوال او ذي القعدة سنة ثمان وثمانمائة [آثاره] وكان ابن صاحب الباز اميراً كبيراً فارساً شجاعاً بنى بانطاكية مدرسة بمحضرة مقام سيدي حبيب النجار رضي الله عنه ولما قتل عادت البلاد التي استولى عليها كل بلد الى معاملته وانكسرت شوكة التركان والله الحمد اه

ذكر تولية حلب للامير جر كس سيف الدين القاسمي

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمته ولاء الملك الناصر نيابة حلب عوضاً عن دمر داش في سنة تسع وثمانمائة ولم يقيم بها الا مدة اقامة الناصر بها يوماً او يومين ورجع معه الى القاهرة خوفاً من حكم اه وفي تحف الانباء ان الملك الناصر توجه في هذه السنة الى دمشق ثم منها الى حلب فلما دخلها قرر في نيابتها جر كس القاسمي وجعله نائب السلطنة بهب فلما بلغ حكم مجبى السلطان الى حلب اخذ نوروز الحافظي وتمربغا المشطوب وعذى الفرات ولما توجه السلطان من حلب الى دمشق رجع حكم ونوروز الى حلب وملكها وفر منها جر كس وتسلطن حكم بها ولما بلغه مسير السلطان من دمشق الى مصر سار الى دمشق فملكها وفر منها نائبها شيخ وتسلطن بهب كما فعل مجلب وتلقب بالملك العادل ابي الفتوحات فمئذ ذلك تحرك عليه قرايلك وكثير من التركان فتحمس ببابل حكم مسيره اليهم فسار الى قرب ساردين وثارب معهم فانكسر عسكر قرايلك وانهزم الى ان اتى نحو آمد فتبعه حكم في عسكر قليل ودخل ارضاً مضيقاً لا يسهه الفرار منها فانهصر فيها وسقط عن

فرسه فتقدم اليه بمض التركان فقطع رأسه
(سنة ٨٠٩)

قتل جكم الذى تسلطن بحلب وحمل رأسه الى مصر
في هذه السنة قتل جكم قال ابن اياس وكان سبب ذلك ان خارجاً من التركان
من اولاد قرا يوسف خرج عليه فخرج اليه جكم مع العساكر الحلبية فالتقى
معه فكان بينهم واقعة عظيمة فقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وقد جكم
العوضى في المعركة ولا يعلم له خبر ولا عرف كيف قتل وقال قبل ذلك انه
قتل في المعركة بين بساتين آمد ولا يعلم من قتله وان ابن نمير (امير العرب)
ارسل الى السلطان رأس جكم العوضى الذى تسلطن بحلب فعلقت رأسه على باب
زويلة وكان له يوم مشهود وكفى الملك الناصر شره.

قال السخاوي كان قتل جكم في ذى القعدة سنة تسع وكان مهابة شجاعاً مقداماً
مدبراً له حرمة ومهابة ممدحاً ماثلاً للجالسة العلماء ومذاكرتهم منصفاً لنظم الشعر
شعباً لسماغه بل ويحيز عليه الجوائز السنية ويحب الانصاف ولا يتمكن احد معه
من الفساد طول ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا (ابن حجر) ترجمته وكذا المقرئ
في عقوده اهـ

(سنة ٨١٠)

ذكر تغلب تيمور بغا المشطوب على حلب

قال السخاوي في ترجمته ان تيمور بغا المشطوب التف مع جكم وذهب معه الى
قراييك وقاسى هناك شدة ثم تخلص وجاء الى حلب والتف عليه بنقص الظاهرية
وغيرهم واستولى على حلب مدة ثم التحق بشيخ نوروز حين توجهها الى مصر
للاستيلاء عليها فأتى بأرض البقاء من الشام وهو معها

(سنة ٨١١)

﴿ذكر إعادة دمر داش لذيابة حلب﴾

قال ابن اياس ما خلاصته لما توجه شيخ ونوروز الى مصر آل الأمر الى انكسارهما ثم ان السلطان ارسل تقليداً الى شيخ بنيابة الشام وتقليداً الى دمر داش بنيابة حلب ثم عين نوروز الى القدس بطالا ثم كتب الى دمر داش نائب حلب بالحضور ذكر اكمل دمر داش للجامع الاطروش والكلام عليه

قال في الدر المنتخب ومنها جامع آق بغا الاطروشي نائب حلب ثم دمشق بمحضرة سوق الخيل وكان مكانه سوق الغنم ابتداء بأساسه سنة واحد وثمانمائة وبني حيطانه وقطع له عمداً من الرخام الاصفر البعادي وبني وهي عمد عظيمة وبني له تربة داخل باب الجامع ووقف عليها اوقافاً ثم صرف عن نيابة حلب وانتقل الى طرابلس ودمشق ثم عاد الى حلب ثانياً ومات بها سنة ست وثمانمائة قبل ان يكمل عمارة الجامع المذكور فكمل عمارته دمر داش نائب حلب ووقف عليه فهو الآن يعرف بكل منهما وهو جامع حسن وبه تصلى نواب حلب العيدين وكانوا قديماً يصلونها بجامع الطنبغا اه

اقول موقع الجامع في المحل المعروف بسوق الجمعة بين المحلة المعروفة بالقصيلة والمحلة المعروفة بساحة الملح ومشتهر بين الناس الآن بجامع الاطروش ولا يعرف بغير هذا الاسم وله بابان عظيمان باب من جهة الغرب وباب من جهة الشمال المكتوب على الباب الاول (١) عمر هذا الجامع المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلي المخدم الكافلي السيفي دمر داش الناصري [٢] مولانا ملك الأمراء ابو المساكين والفقراء كافل المملكتين الشريفتين الحلبية والطرابلسية اعز

الله انصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله [٣] ابتغاء لوجه الله تعالى في العشر الأخير من شوال المبارك سنة احد عشر وثمانمائة من الهجرة النبوية والمكتوب على الباب الشامي [١] عمر هذا الجامع المبرور ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الاشرف العالي المولوى المحدثى الكافى [٢] السيفى دمر دأش الناصرى مولانا ملك الامراء كافل المملكتين الشرقيتين الحلبية والطرابلسية اعز الله انصاره وضاعف اقتداره [٣] بمحمد وآله بتولى العبد الفقير الى الله تعالى يوسف الأشرفى وكان الفراغ منه سلخ شعبان المكرم من سنة اثني عشر وثمانماية.

طول صحن الجامع تسعة وعشرون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ونصف ذراع وطول القبلة خمسون ذراعاً وعرضها مع السواري ثمانية عشر ذراعاً وفي آخرها من جهة الشرق مقصورتان معدتان لصلاة الأمراء وله ثلاثة اروقة شرقاً وغرباً وشمالاً لها عشر اسطوانات عرض الاسطوانة نحو ثلاثة اذرع وبمجموع محيطها احد عشر ذراعاً وعلى الاسطوانتين اللتين عن يمين باب الجامع الشامي رسم ربع دائرة فيها خطوط يعرف منها وقتا الظهر والمصر وعرض الرواقين الشرق والغربي عشرون ذراعاً ونصف ذراع

وكان المتولي عليه شخص يقال له السيد حسن ثم انتقلت التولية منه الى عبد الوهاب درويش ثم الى الشيخ محمد الهيراني ثم الى الشيخ محمد الحياط ثم الى الحاج احمد الجاموس وذلك منذ نحو اربعين سنة وفي زمنه ازال عن سطح القبلة اتربة عظيمة كانت عليه ولم يحمل له مزاريب تذهب بالماء فتقل التراب عليه فأدى الى سقوط السقف جميعه . ثم ولي عليه الشيخ محمد العبيسى مفتي حلب فلم يتمكن من إعادة السقف الى ما كان عليه لأحتياجه الى نفقة كثيرة لا تقوم بها واردات وقف الجامع فأهل امره لهذا السبب فأدى ذلك الى سقوط جداري

القبيلة القبلي والشمالي وامتلاً صحنه بالأتربة والأحجار وتمطلت اقامة الصلاة فيه وفي القبيلة اربع عواميد ضخمة جداً طويلة وحينما وقع السقف تمكسر منها عمودان وبقي عمودان .

وفي السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ اهتم بأمر هذا الجامع اهل نخلة القصيلة ومحلة ساحة الملح وفي مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف الحياط وجمعوا له من انفسهم ومن اهل الخير ١٦٥ الفاً من القروش الراجئة واقاموا جدار القبيلة القبلي واعادوه الى ماكان عليه وبنوا مكان العمودين اللذين تكسرا ساريتين واصلحوا المنارة حيث وضعوا لها سقفاً ودرابزيناً لانها كانت بدون سقف وبلغ مجموع النفقة الى الآن ١٣٠ الفاً ولا زال العمل قائماً فيه شـكـر الله سعيهم

وبعد وفاة متوليه مفتى حلب في السنة الماضية ايضاً استلمت دائرة الاوقاف الجامع مع اوقافه التي هي عبارة عن خمس دكاكين بين الجامع وبينها عرصة واسعة على طول قبيلة الجامع تعود له يبلغ وارداتها ١٥ ليرة عثمانية ذهباً وله احكار في سوق القصيلة وفي محلة الطنبغا والأعجم يبلغ ريعها ٦ ليرات وارض في سوق الجمعة وقد عازمت دائرة الأوقاف على صرف مائتي الف قرش لأكمال الجامع واعادته الى حالته الأولى وعزم اهل المحتلين على بناء عشر دكاكين بين الجامع وبين الدكاكين الخمس التي اشترنا اليها واتخاذ خان وراء هذه الدكاكين واطافة الجميع الى اوقاف الجامع وفقهم الله الى تحقيق امانيهم

وجدار الجامع الغرب الذي لم يزل محفوظاً هو والمارة من حين تأسيس الجامع يمد هو والشبابيك التي فيه وبابا الجامع في جملة الآثار العربية القديمة المهمة بالنظر لحسن بنائه واحكامه ولطيف نقوشه وهو موضع اعجاب الغربيين به وقد اكثروا من اخذ صورته بالمصور الشمسي والبنائون والتجارون في حلب معجبون

به وهم يقتبسون من محاسن صنعته وبديع هندسته وسبحان الواحد الباقي
(سنة ٨١٢)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير نوروز ﴾

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة في المحرم ارسل السلطان الى نوروز بأن
يكون نائباً بحلب وفي شوال اصطلح نوروز مع نائب الشام شيخ وتحالفوا على
المعصيان على الملك الناصر واستولوا على البلاد الحلبية والشامية حتى على انطاكية
(سنة ٨١٣)

(ذكر تولية حلب للأمير قرقاش ثم لشيخ)

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة في ربيع الآخر توجه السلطان نحو الشام
ومعه الخليفة المستعين بالله العباسي فلما وصل الى دمشق هرب منه نوروز وشيخ
وقرر في نيابة حلب قرقاش ووقع بين الشيخ ونوروز مصادرات وحروب الى
ان اعطي شيخ نيابة السلطنة بحلب ونوروز نيابة طرابلس وذلك في ذى القعدة
وتحالفوا على ان لا يخرجوا عن الطاعة

[سنة ٨١٥]

ذكر تولية حلب للأمير دمر داش ثم للأمير يشبك

في هذه السنة كان الوالي بحلب الأمير دمر داش كما يستفاد من تحف الأنباء
في حوادث هذه السنة حيث قال وفي ربيع الآخر اتى نوروز الى حلب فهرب
منه دمر داش وعين لنيابته يشبك بن ازدمر [١]

(١) ذلك بعد محاربة نوروز وشيخ الملك الناصر فرج وقتل الملك الناصر في دمشق وتولية
السلطنة للخليفة العباسي ثم خلعه بعد ستة اشهر وتولية السلطنة لشيخ الملقب بالملك
المؤيد كما بسطه ابن اياس في بدائع الزهور

﴿ ترجمة دمرداش ﴾

قال في الضوء اللامع ان دمرداش قتل بالاسكندرية سنة ثمان عشرة وكان معظماً للعلماء كريماً حليماً حشماً لكن لم تكن لأملأك النار ولا للأوقاف عنده حرمة وابتنى مجلب جامعاً ثم قال والجامع الذي له مجلب كان اسسه اقبغا الهذباني الأطروشي فكماله هو ووقف عليه وقفاً جيداً اه اقول وقد تقدم الكلام على الجامع مستوفى

[سنة ٨١٦]

﴿ ذكر تولية حلب للأمر اينال الصلاني ﴾

قال السخاوي في ترجمته انه كان ممن انضم الى الملك المؤيد شيخ فوله نيابة حلب في شوال سنة ست عشرة وكان فيمن حاصر معه نوروز الى ان قتل نوروز ورجع الى ولايته مجلب [وذلك سنة ٨١٧] وكان شكلاً حسناً عاقلاً شجاعاً عارفاً بالأمور قليل الشر ثم كان ممن عصى على المؤيد هو وفايتباي نائب الشام ونائب طرابلس ونائب حماة وآل امرهم الى ان انهزموا واسروا وقتل اينال بقلعة حلب في شعبان قال ورأيت الحلبيين يشنون عليه كثيراً ولما حاصر على المؤيد لم يحصل لأحد من اهل بلده منه شر بل طلب اخذ القلعة فمضى عليه نائبها فحاصره اياماً ثم تركه وتوجه الى الشام

[سنة ٨١٨]

(ذكر تولية حلب للأمر اقبايي المؤيدي)

قال السخاوي في ترجمته ان استاذة ولاء الدوا دارية الكبرى بالقاهرة ثم نيابة السلطنة مجلب في سنة ثمان عشرة ثم خرج منها بعد يسير مختفياً على الهجن بحيث

وصل الى القاهرة في اثني عشر يوماً لكونه بلغه انه تكلم في حقه عند السلطان فأكرمه وولاه نيابة دمشق فتوجه اليها في اوائل سنة عشرين الى ان قال وله وقف على زاوية جلبان وذكره ابن خطيب الناصرية
[سنة ٨٢٠]

﴿ ذكر تولية حلب للامير قنقار القردي ﴾

قال ابن خطيب الناصرية قنقار القردي الأمير سيف الدين نائب حلب كان في صحبة الملك المؤيد حين كان المؤيد نائباً بحلب فلما تسلطن ولده امره بمائة فارس بالديار المصرية وصار من الأمراء الألو ف ثم ولده نيابة حلب في سنة عشرين وثمانمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين اقباي وجاء الى حلب ودخلها ثم جاء السلطان بعد قليل الى حلب وتوجه الى بلاد الروم وتوجه معه الأمير قنقار ثم جاء الى حلب وخلف الأمير قنقار واقباي نائب دمشق لحصار كركر ثم لما جاء قرايوسف الى جهة آمد خاف منه فرحل عن كركر وجاء الى حلب فغضب عليه السلطان وامسكه ساعة ثم اطلقه وجهزه معزولاً الى دمشق فلما توجه السلطان الى الديار المصرية اعاده مقدماً واستقر بها ثم جهزه السلطان صحبة الأمراء الذين جهزهم مع ابنه ابراهيم لأخذ البلاد القرمانية فجاء الى حلب وتوجه صحبة ولد السلطان ثم لما قضوا اربهم رجعوا ورجع قنقار صحبتهم الى الديار المصرية واستمر مقدماً الى ان توفي السلطان الملك المؤيد فهم بالركوب وادعاً الأمر فعاجله الأمير سيف الدين ططر الذي صار سلطاناً وامسكه وحبسه قبل ان يدفن السلطان وذلك في المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة ثم قتل مقبوضاً عليه في السنة المذكورة وكان اميراً كبيراً كريماً عتريماً محتشماً عنده ادب وكان من ابناء الستين او يزيد عليها رحمه الله تعالى اه

﴿ ذكر تولية حلب للامير يشبك اليوسفي ﴾

وفي هذه السنة تولى نيابة حلب الأمير يشبك اليوسفي قال السخاوي في الضوء اللامع وكان يشبك شاباً جاهلاً فاسقاً ظالماً عسوقاً طماعاً اشتراه المؤيد وهو نائب طرابلس بالف دينار كما سمعه العيني من المؤيد ثم ترقى عنده الى ان عمله شاد الشرايجناه ثم اعطاه مقدمة ثم نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ولم يشتهر عنه معروف وذكره ابن خطيب الناصرية فقال قدمه استاذاه فكان عنده حين نيابته بحلب شاد الشرايجناه فلما استقر في المملكة ولاء نيابة طرابلس ثم نقله منها الى حلب سنة عشرين وكان شاباً فارساً شهياً شجاعاً بنى بحلب مسجداً بالقرب من الشاذنجنية وجنية بالقرب منه وربة ومكتب ايتام ثم قتل بعده في المحرم سنة اربع وعشرين ونسبه بعضهم يوسفياً اه

قال في الدر المنتخب (المدرسة الشبكية براس سوق النشابين) المسمى الآن سوق الزرب (الضرب) لصيق القسطل بناها الامير يشبك اليوسفي المؤيدي نائب حلب وجعل له بها مدفناً وبه دفن بعد قتله سنة اربع وعشرين وثمانمائة ووقف عليها سوقه الذي بناه بالقرب منها اه

(سنة ٨٢١)

جسئي قر ايووسف التركماني الى الديار الحلبية وعيئه فيها

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمته. قر ايووسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركاني ملك بغداد وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة كانت بين قر ايووسف وبين قرايلك [من امراء التركمان] في نواحي الموصل وديار بكر وماردين [وقعات حتي فر قرايلك فقدم حلب وانتقل الناس من حلب خوفاً من قر ايووسف

وكان قد وصل الى عينتاب وكسب الى المؤيد يعتقد بأنه لم يدخل هذه البلاد الا طلباً لقرايلك لكونه هجم على ماردين وهي من بلاد قرايوسف فأخشن في الاسر والقتل والسبي بحيث بيم صغير بدرهمين وحرق المدينة فلما جاء قرايوسف احرق عينتاب واخذ من اهلها مالا كثيراً مصالحةً وتوجه الى البيرة فنهبها ثم بلغه ان ولده محمد شاه عصى عليه ببغداد فتوجه وحصره واستصنى امواله وعاد الى تبريز فات في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين

ذكر الاثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل

في هذا العصر

ذكر العلامة القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ في كتابه صبح الأعشى في صناعة الأنشا [١] فصولاً مهمة بين فيها الاثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل المستعمل في هذا العصر في مصر ودمشق وحلب وغير ذلك فأحببنا اثبات تلك الفصول في تاريخنا وان لا يكون خالياً منها لعلمنا ان كثيراً من النفوس تتطلع الى معرفة ذلك فنقول

قال في الجزء الرابع منه في الكلام على نيابة حلب . اما الاثمان المتعامل بها من الدنانير والدرهم والصنجة فعلى ما تقدم في دمشق من غير فرق (سيايتك بيان ذلك) ولم ترج الفلوس الجدد فيها الى الآن وانما يتعامل فيها بالفلوس القديمة

ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً (٢) واواقيه اثنا عشرة اوقية كل اوقية

(١) طبع في مصر سنة ١٣٣٢ في ١٤ مجلداً وهو كتاب جليل في صناعة الأنشا والتاريخ ورتب الممالك في ذلك العصر الى غير ذلك من الفوائد

(٢) اقول وفي اوائل القرن السابع كان الرطل بهذا المقدار ففي تاريخ ابن شداد في الكلام

ستون درهما وفي اعمالها ربما زاد الرطل على ذلك
وتعتبر مكيلائها بالمكوك في حاضرتها وسائر اعمالها والمكوك المعتبر في حاضرتها
سبع وبيات بالكيل المصري (سيأتى بيان ذلك)
واما في نواحيها وبلادها فيختلف اختلافاً متبايناً في الزيادة والنقص . قال في
مسالك الأبصار والمعتدل منها ان يكون كل مكوكين ونصف غرارة وما بين
ذلك كل ذلك تقريباً

بيان الويبة والمكوك والغرارة

قال في صبح الاعشى ان بمصر اقداحاً مختلفة المقادير والمستعمل منها بالحاضرة
القدح المصري وهو قدح صغير تقديره من الحب المعتدل ٢٣٢ درهما وكل ستة
عشر قدحاً تسمى ويبة (فتكون الويبة ٣٧١٢ درهما والمكوك كما تقدم ٧
وبيات فاذا ضربناها في ٣٧١٢ يكون الحاصل ٢٥٩٨٤ درهما هي المكوك
وقتشذ في حلب واذا كان كل مكوكين ونصف غرارة فاذا ضربنا ٢٥٩٨٤
في ٢ ونصف يكون الحاصل ٦٤٩٦٠ درهما هي الغرارة . والمكوك مكيال
(راجع القاموس) والغرارة بالكسر شبه العدل والجمع غرائر .

على بناء القلعة . وفي السنة الرابعة والعشرين وستمائة مهدت ارض الخندق الملاصق
للقلعة فوجد فيها تسعة عشر لبنة ذهباً ابريزاً كان وزنها تسعة وعشرين رطلاً بالحلي والرطل
سبعمائة وعشرون درهماً اهـ

وقد هجر التعامل بالرطل الذي يزن هذا المقدار ولا ادري متى هجر غير ان النيل
الهندي لازال يباع بالرطل الذي يزن ٧٢٠ درهماً الى زمننا هذا وعند باعة النيل ابطال
هذا الوزن ولا يوجد صنف من اصناف البضائع يباع بهذا الرطل غيره فهو الباقي
من ذلك العصر الى وقتنا هذا الا ان باعة هذا الصنف اصطالحوا الآن على ان كل
عشرة ابطال من الرطل المسمى بالعتيق الذي يزن ثمانمائة درهم بأحد عشر رطلاً فعلى
هذا صار رطل النيل ٧٢٨ درهماً وهو اصطلاح حديث مضي عليه سنون قلائل

ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش المصري سدس ذراع وهو أربعة
قرايط (سيأتي بيان ذلك)

وتعتبر ارض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية . وارض زراعتها بالفدان
الاسلامي والفدان الرومي كما في دمشق . وخراج ارض الزراعة بها كما في
دمشق . (١) واسعارها على نحو اسعار دمشق الا في الفواكه فانها في دمشق
ارخص لكثرتها بها اهـ (سيأتي بيان الاسعار وقتئذ في دمشق ومصر)

ايضاح لما اجل هنا

بيان الاثمان المتعامل بها في دمشق

قال الفلقشندي في الكلام على نيابة دمشق . اما الاثمان المتعامل بها فيها فعلى
ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها
وزناً والدنانير الافرنجية عدّاً والدراهم النقرة وزناً

بيان الاثمان المتعامل بها في الديار المصرية

قال الفلقشندي في الجزء الثالث في الكلام على الدنانير المسكوكة مما يضرب
بالديار المصرية او يأتى اليها من المسكوك في غيرها من الممالك وهي ضربان

الضرب الأول

ما يتعامل به وزناً كالذهب المصري وما في معناه

والعبرة في وزنها المثاقيل وضابطها ان كل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم من
الدراهم الآتى ذكرها . والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً . وقدر بشتين
وسبعين حبة شعير من الشعير الوسط باتفاق العلماء .

وقد كان الامير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

(١) لم يبين الفلقشندي الفدان الاسلامي والفدان الرومي وخراج ارض الزراعة في دمشق

بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالاسكندرية وهو نائب السلطنة بها يومئذ دنائير زنة كل دينار منها مثقال . على احد الوجهين (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (ضرب بالاسكندرية في الدولة الأثرافية شعبان بن حسين غز نصره) ثم امسك عن ذلك فلم تكثر هذه الدنائير ولم تشتهر ثم ضرب الامير يلبغا السالمى استادار البالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنائير زنة كل واحد منها مثقال في وسط سكته دائرة فيها مكتوب [فرج] وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف او مثقالان وربما كان نصف مثقال او ربع مثقال . الا ان الغالب فيها تقص اوزانها وكانهم جعلوا نقصها في نظير كلفة ضربها

الضرب الثاني ما يتعامل به معادة

وهي دنائير يؤتى بها من بلاد الأفرنجية والروم معلومة الاوزان كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من المصرى . واعتباره بصنح الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي خروب يرجع قليلا . وهذه الدنائير مشخصة على احد وجهيهما صورة الملك الذي تضرب في زمنه . وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين الذين بعث بهما المسيح الى رومية ويعبر عنها بالأفرنتية جمع افرنتي واصله افرنسى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة الى افرنسة مدينة من مدنها وربما قيل افرنجية واليهما تنسب طائفة الفرنج وهي مقرة الفرنسيس ملكهم . ويعبر عنه بالدوكات . وهذا الأسم في الحقيقة لا يطلق عليه الا اذا كان ضرب البندقية من الفرنجة وذلك ان الملك اسمه عندهم دوك وكان الألف والتاء في الآخر قائمان مقام النسب .

ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنائير على زنة الدنائير الافرنجية المتقدمة الذكر في احد الوجهين (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي الآخر اسم السلطان وفي

وسطه سفت مستطيل بين خطين وعرفت بالناصرية. وكثر وجدانها وصار بها أكثر المعاملات الا انهم يقصونها في الاثمان عن الدنانير الافرنجية عشرة دراهم ثم ضرب على نظيرها الامام المستعين بالله ابو الفضل العباس (او ابو العباس). حين استبد بالأمر بعد الناصر فرج ولم يتغير فيها غير السكة باعتبار انتقالها من اسم السلطان الى اسم امير المؤمنين.

ثم صرف الذهب بالدينار المصرية لا يثبت على حاله بل يعاود تارة ويهبط اخرى بحسب ما تقتضيه الحال وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما ادركناه. في التسعين والسبعائة وما حولها عشرون درهما والافرنج سبعة عشر درهما وما قارب ذلك اما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصاً في سنة ثلاث عشرة وثمانائة وان كان في الدولة الظاهرية ببيرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهما ونصفاً فيما رأيت في بعض التواريخ

الدرهم النقرة

قال في صبح الاعشى اصل موضوعها ان يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة . والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا وقدر بست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبين ثمن درهم . ومن اربع حبات من حب البر المعتدل والدرهم من الدينار نصفه وخمسه وان شئت قلت سبعة اعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم

الفلس وهي صنفان مطبوع بالسكة. وغير مطبوع

فأما المطبوع فكان في الزمن الأول الى اواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد بن فلاوون فلس لطاف يعتبر كل ثمانية واربعين فلساً منها بدرهم من النقرة على

اختلاف السكة فيها ثم احدث في سنة تسع وخمسين وسبعمائة في سلطنة حسن ايضاً فلوس شهرت بالجدد جمع جديد زنة كل فلس منها متقال . وكل فلس منها قيراط من الدرهم مطبوعة بالسكة السلطانية بخاءت في نهاية الحسن وبطل ما عداها من الفلوس وهي اكثر ما يتعامل به اهل زماننا الا انها فسد قانونها في تنقيصها في الوزن عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم وصار تكوينها غير مستدير وكانت توزن بالقبان كل مائة وثمانية عشر رطلاً بالمصري بمبلغ خمسمائة درهم ثم اخذت في التناقص لصغر الفلوس ونقص اوزانها حتى صار كل مائة واحد عشر رطلاً بمبلغ خمسمائة قلت «القائل القلقشندي» ثم استقر الحال فيها على ذلك على انه لو جعل كل اوقية فا دونها بدرهم لكان حسناً باعتبار غلو النحاس وقلة الواصل منه الى الديار المصرية وحمل التجار الفلوس المضروبة من الديار المصرية الى الحجاز واليمن وغيرهما من الاقاليم متجراً ، ويوشك ان دام هذا ان تنفذ الفلوس من الديار المصرية ولا يوجد ما يتعامل به الناس

واما غير المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر ويعبر عنها بالعنق وكانت في الزمن الاول كل زنة رطل منها بالمصري بدرهمين من النقرة فلما عملت الفلوس الجدد المتقدمة الذكر استقر كل رطل منها بدرهم ونصف وهي على ذلك الى الآن قلت ثم نفذت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلو النحاس وصار مهمها وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجدد وراج معها على مثل وزنها من النحاس لهذا البحث وذكر ما كان يتعامل به الناس في الديار المصرية

والشامية من سنة ٥٦٩ الى القرن التاسع

قال العلامة المقرئ في رسالته (النقود الاسلامية) لما زالت الدولة الفاطمية بدخول الفرس الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب

في سنة تسع وستين وخمسة قورت السكة بالقاهرة باسم المرتضي بأمر الله
 « الخليفة العباسي » وباسم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب بلاد
 الشام فرسم اسم كل منهما في وجهه . ثم لما استبد الملك صلاح الدين بعد موت
 الملك العادل نور الدين امر في شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر وضرب
 الدينار ذهباً مصرياً وابطل الدرهم الأسود وضرب الدرام الناصرية وجعلها
 من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوي فاستمر ذلك بمصر والشام الى ان ملك
 الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابي بكر محمد بن ايوب فأبطل الدرهم
 الناصري وامر في ذي القعدة من سنة ٦٢٢ بضرب دراهم مستديرة وتقدم انه
 لا يتعامل الناس بالدرهم المصرية العتق وهي التي تعرف في مصر والاسكندرية
 بالزئوف وجعل الدرهم الكامل ثلاثة اثلاث ثلثيه من فضة وثلثه من نحاس
 فاستمر ذلك بمصر والشام مدة ايام ملوك بني ايوب فلما انقرضوا وقامت الأتراك
 من بعدهم ابقوا سائر شعائهم واقتدوا بهم في جميع احوالهم واقرروا تقدم على
 حاله من اجل انهم كانوا يفتخرون بالانتماء اليهم حتى اني شاهدت المراسيم
 التي كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون وفيها بعد البسمة الملكي الصالحى
 ونحت ذلك بخطه قلاوون فلما ولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى
 الصالحى النجمى وكان من اعظم ملوك الاسلام وممن يتعين على كل ملك معرفة
 سيرته ضرب دراهم ظاهرية وجعلها كل مائة درهم من سبعين درهماً فضة خالصة
 وثلاثين نحاساً وجعل رنكه على الدرهم وهو صورة سبع فلم تزل الدرام الظاهرية
 والكاملية بديار مصر والشام الى ان فسدت في سنة ٧٨١ بدخول الدرام
 الحموية فكثرت تعنت الناس منها وكان ذلك في امارة الظاهر برقوق فلما وصل
 الامر اليه واقام الامير محمود بنده على استادارا اكثر من ضرب الفلوس وابطل

ضرب الدرهم فتناقصت حتى صارت عرضاً ينادى عليه في الاسواق بمجراج حراج
وغلّيت الفلوس الى ان قدم الملك المؤيد شيخ عز نصره من دمشق في رمضان
سنة ٨١٧ بعد قتل الامير نوروز الحافظي نائب دمشق فوصل مع السكر واتباعهم
شيء كثير من الدراهم البندقية والدراهم النوروزية فتعامل الناس بها وحسن
موقعها لبعده العهد بالدراهم فلما ضرب الملك المؤيد شيخ عز نصره الدراهم المؤيدية
في شوال منها نودى في القاهرة بالمعاملة بها في يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٨١٨
فتعامل الناس بها اه

بيان ذراع القماش في مصر

قال في صبح الاعشى واما الأتشة فأنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع
اليد واربع اصابع مطبوعة .

بيان ذراع الاراضى والدور

قال في صبح الاعشى . وقد اصطلاحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل
طوله ثلاثة اشبار بشر رجل معتدل . ولعله الذراع الذى كان يقاس به ارض
السواد بالعراق . فقد ذكر الزجاجي انه ذراع وثلاث بذراع اليد وكان ابتداء
وضع الذراع لقياس الأرضين ان زياد ابن ابيه حين ولاء معاوية العراق واراد
قياس السواد جمع ثلاثة رجال . رجلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا
متوسطاً بين ذلك واخذ طول ذراع كل منهم فجمع ذلك واخذ ثلثه فجعله ذراعاً
لقياس الأرضين وهو المعروف بالذراع الزبادى لوقوع تقديره بأمر زياد . ولم
يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبني العباس فاتخذوا ذراعاً مخالفاً لذلك كأنه اطول
منه فسمى بالهاشمي لوقوعه في خلافة بني العباس ضرورة كونهم من بني هاشم .

الأسعار في دمشق ومصر

قال في صبح الاعشى وسعر اللحم بها « بدمشق » ارخص من مصر والدجاج والاوز اغلى من مصر وكذلك السكر الا ان الفاكهة فيها ارخص من مصر بالقدر الكثير والقمح والشعير والباقلا نحو من سعر مصر وذلك كله عند اعتدال الاسعار وقال في الكلام على الاسعار بمصر . قال ابن فضل الله في مسالك الأبصار واوسط اسعارها في غالب الأوقات ان يكون الاردب القمح بخمسة عشر درهماً والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الاتموزج والارز يبلغ فوق ذلك واللحم اقل سعره الرطل بنصف درهم (رطل مصر ١٤٤ درهما) وفي الغالب أكثر من ذلك والدجاج يختلف سعره بحسب حاله لجيده الطائر منه بدرهمين الى ثلاثة . والدون منه بدرهم واحد والسكر الرطل بدرهم ونصف وربما زاد. والمكرر منه بدرهمين ونصف قلت وهذه الاسعار التي ذكرها قد ادركنا غالبها وبقيت الى ما بعد الثمانين والسبعمائة فقلت الاسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره وصار المثل الى ثلاثة امثاله واربعة امثاله .

العربان القاطنون حول حلب

قال في صبح الاعشى ان ديار آل فضل من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبة آخذين على شقي الفرات واطراف العراق (١) ثم قال ان آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل مسلم وآل علي ثم ذكر من انضاف اليهم ودخل فيهم ثم قال في الكلام على حلب والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان

(١) قدمنا في حوادث سنة ٧٣٥ خبر وفاة مهنا بن عيسى من امراء آل فضل وسيأتيك في قسم التراجم ترجمة نعيم بن جبار بن مهنا المتوفى سنة ٨٠٨ و ترجمة ولده عجل بن نعيم المتوفى

القبيلة الأولى

(بنو كلاب) قال في مسالك الابصار وم غرب اطراف حلب والروم ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعد ولا تزال تباع بنات الروم وابناءهم من سباياهم ويتكلمون بالتركية ويركبون الاكاديش وم غرب غزو ورجال حروب وابطال جيوش وم من اشد العرب بأساً واكثرهم ناساً قال ولافراط نكايتهم في الروم صنفت السيرة المعروفة «بدلهمة والبطال» منسوبة اليهم بما فيها من ملح الحديث و ملح الابطال «١» ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلمتهم ولو انقادوا لأمر واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتا الى تألف بنى كلاب هؤلاء وكان احمد بن نصير المعروف بالثري قد عاث في البلاد والأطراف واشتد في قطع الطريق فأمنه وخلع عليه واقطعه فاقادت بنو كلاب للطاعة وكان الملك الناصر قد امر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليه حفظ جعبر وما جاورها.

القبيلة الثانية

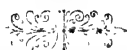
«آل بشار» قال في مسالك الابصار وديارهم الجزيرة والاحص ببلاد حلب قال والاحلاف منهم حالهم في عدم الانقياد لأمر واحد حال بنى كلاب ولو اجتمعوا لما امن بأسهم نقيم على تفرق كلمتهم وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملأى من الحذر وعيونهم وسنى من السهر وبينهم دماء وم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران . وديارهم من سنجار وما يدانيها الى البارة او قرب الجزيرة العمورية الى اطراف بغداد اه.

(١) في هامش صبح الاعشى . هي السيرة المشهورة الآن بذات الهمزة وقد طبعت اخيرا بالمطبعة الحسينية وانتشرت في ايدي العامة وهي في بابها لا بأس بها اه

تم بتوفيقه تعالى طبع الجزء الثاني من اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء *

خامس شهر صفر سنة الف وثلاثمائة وثلاثة واربعين

وويليه الجزء الثالث اوله ترتيب مملكة حلب في عهد دولة الجراكسة



☆ الفهرست ☆

صحيفة

٣	ولاية نور الدين الشهيد على حلب	٢٥	استيلاء نور الدين على دمشق وتل
	سنة ٥٤١		بأشر سنة ٥٤٩
٦	ملك نور الدين مدينة ارتاح وغيرها	٢٦	ذكر حصر حارم سنة ٥٥١
٧	انهزامه في وقعة بينه وبين صاحب	٢٨	الزلازل العظمى سنة ٥٥٢
	انطاكية	٢٩	ملك نور الدين شيزر بعد خرابها
٧	وقعة يغرى وانهزام الفرنج فيها		بالزلازل
١٠	وقعة أنب و قتل البرنس صاحب	٣١	اخبار بني متقذ اصحاب شيزر
	انطاكية وهزيمة الفرنج سنة ٥٤٤	٣٤	وصول ولد السلطان مسعود للنزول
١٩	استيلاء نور الدين على حصن افامية		على انطاكية ومجئ العادل نور
	سنة ٥٤٥		الدين الى حلب ومرضه وما جرى
٢١	انهزام نور الدين من جوسلين		بسبب ذلك
	واسر جوسلين بعد ذلك وفتح	٣٨	استيلاء الفرنج على حارم سنة ٥٥٣
	عين تاب وعزاز ودلوك ومرعش	٣٩	مرض العادل نور الدين سنة ٥٥٤
	وغير ذلك		وما جرى بسبب ذلك
٢٤	الحرب بين نور الدين وبين الفرنج	٤١	حصر نور الدين حارم سنة ٥٥٧
	بدلوك سنة ٥٤٧	٤٢	انهزام نور الدين من الفرنج سنة ٥٥٨

- ٤٤ ذكر فتحه لحارم سنة ٥٥٩
- ٤٨ عصيان غازي بن حسان صاحب
منبج على نور الدين سنة ٥٦٢
- ٥٢ ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر
سنة ٥٦٤
- ٥٤ ذكر الزلازل بالبلاد الشامية وغيرها
سنة ٥٦٥
- ٥٦ ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار
سيف الدين عليها سنة ٥٦٦
- ٥٩ اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض
الدولة العبيدية سنة ٥٦٧
- ٦٠ اتخاذ نور الدين الحمام الهوادي
- ٦١ ذكر ظفر مليح بن ايون بالروم سنة
٥٦٨
- ٦٢ ارسال نور الدين للخليفة يطلب
تقليداً له
- ٦٣ قصده بلاد فليج ارسلان واستيلائه
على مرعش
- ٦٥ وفاة العادل نور الدين الشهيد سنة
٥٦٩ وترجمته
- ٧١ آثاره الجليلة في حلب اولها المدرسة
الحلوية
- ٧٢ مدرسو المدرسة الحلوية من حين
بنائها الى سنة ٦٥٠ ثم الكلام
عليها
- ٧٥ الكلام على المدرسة العسرونية
- ٧٧ خاتناه القصر . البيارستان النوري
- ٧٨ ومن آثاره تجديد بناء الجامع الاعظم
والتوسيع فيه وهنا الكلام على الجامع
من حين تأسيسه الى زمن نور الدين
- ٨٢ نواب نور الدين مجلب وآثارهم فيها
- ٨٥ ولاية الملك الصالح اسماعيل بن
نور الدين
- ٨٦ ملك سيف الدين صاحب الموصل
البلاد الجزرية
- ٨٧ ما كان من الأمور بين صلاح
الدين وبين امراء دمشق بعد
وفاة العادل نور الدين
- ٨٩ عجي الملك الصالح الى حلب وما
جرى من الامور سنة ٥٧٠
- ٩٠ سبب قبض الخادم سعد الدين على
ابناء الداية والفتنة بين اهل السنة
والشيعة
- ٩١ ذكر قتل الرئيس ابن الخشاب

سنة ٥٧٧. ثم ولاية عماد الدين

زنكي بن مودود سنة ٥٧٨

١٢١ حصر صاحب ماردين قلعة البيرة

ومسير صاحبها مع صلاح الدين

١٢١ ذكر خروج السلطان صلاح الدين

من مصر ويحيته الى الديار الحلبية

واستيلائه على البلاد الجزرية سنة

٥٧٨

١٢٩ استيلاء صلاح الدين على تل خالد

وعيتاب وحلب سنة ٥٧٩

١٤٠ فتح صلاح الدين لحارم

١٤١ تقرير صلاح الدين لقواعد حلب

وترتيب امورها

١٤٣ الكتب التي ارسلها الى الجهات

يعلم بها استيلائه على حلب

١٤٧ رجوعه من حلب الى الشام

١٤٨ توليته اخاه الملك العادل ابا بكر

على حلب

١٥٢ وصف الرحالة ابن جبير لما مر به

من هذه الديار سنة ٥٨٠

١٦١ مجي السلطان صلاح الدين الى

حلب وتوجهه الى حران

٩١ مجي السلطان صلاح الدين من

مصر الى الشام ثم حلب وحصره

لها وعوده عنها

٩٧ ذكر الحرب بين سيف الدين غازي

صاحب الموصل وبين صلاح الدين

وغاصرة صلاح الدين حلب

١٠٠ الحرب بين هذين ايضا واستيلاء

صلاح الدين على منبج واعزاز

وغاصرته حلب

١٠٨ وثوب الحشيشية على صلاح الدين

قصد اغتياله

١١١ ابقاء حلب واعمالها للملك الصالح

سنة ٥٧٢

١١٣ ذكر قتل كمشكين وخضر الفرنج

حارم سنة ٥٧٣

١١٤ محاصرة قليج ارسلان لربعات

وانهزاه من قتي الدين عمر سنة ٥٧٥

١١٥ قصد صلاح الدين بلد ابن ليون

الأرميني سنة ٥٧٦

١١٦ وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور

الدين سنة ٥٧٧ وترجمته

١١٨ ولاية عز الدين مسعود بن مودود

٢٠١ ذكر اخذ الملك الظاهر منبج وافامية
 ٢٠٤ اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل
 ٢٠٥ ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال
 حلب سنة ٦٠٢
 ٢٠٧ قدوم الملك الأشرف الى حلب
 متوجهاً الى بلاده الشرقية سنة ٦٠٥
 ٢٠٨ الكلام على نهر حلب وعلى قناتها
 واصلاح مجراها من حيلان الى
 حلب في هذه السنة
 ٢١٦ ذكر وفاة الملك الظاهر غازي سنة
 ٦١٣ وترجمته وتولية ولده محمد
 الملقب بالملك العزيز
 ٢٢٢ آثار الملك الظاهر غازي بحلب
 الكلام على المدرسة الظاهرية
 المعروفة بالسلطانية
 ٢٢٥ المسجد الكبير في القلعة
 ٢٢٥ المدرسة الظاهرية خارج باب المقام
 ٢٢٦ المدرسة المروية
 ٢٢٧ فصد كيكاس حلب وطاعة صاحبها
 للأشرف وانهزام كيكاس سنة ٦١٥
 ٢٣١ عجائب المخلوقات رؤية التنين العظيم
 في كلنر

١٦٤ نقله الملك العادل من حلب الى مصر
 سنة ٥٨٢ وتولية حلب لولده
 الظاهر غازي وشرح اسباب ذلك
 ١٦٨ فتح البيت المقدس سنة ٥٨٣ وحمل
 المنر اليه من حلب
 ١٧١ اتصال القاضي ابن شداد بصلاح
 الدين وفتح جبله واللاذقية سنة ٥٨٤
 ١٧٦ ذكر فتح صهيون
 ١٧٨ ذكر فتح بكاس والشفر وسرمانية
 ١٨٠ ذكر فتح برزية ثم دربساك وبغراس
 ١٨٣ الهدنة مع صاحب انطاكية
 ١٨٥ وفاة الامير حسام الدين لاجين
 والامير سلجان بن جندر وآثارهما بحلب
 ١٨٦ وصية صلاح الدين لولده الظاهر
 غازي عند عودده الى حلب سنة ٥٨٨
 ١٨٧ وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩
 ١٨٨ ترجمة السلطان صلاح الدين رحمه الله
 ١٩٧ ذكر حال اولاده بعده
 ١٩٧ ذكر الحاق جبله واللاذقية بحلب
 ١٩٨ وفاة الملك العزيز ابن صلاح الدين
 صاحب مصر وحصر ولديه عمهما
 العادل في دمشق

٢٥٤ ذكر استيلاء كيقباز بن كيخسرو

على حران والرها

٢٥٥ ذكر وفاة الملك العزيز محمد صاحب

حلب وولاية ابنه الملك الناصر

يوسف سنة ٦٣٤

٢٥٧ ذكر استيلاء الحلبيين على المصرة

وحصار حماة

٠٠٠ ذكر الخطبة بحلب الى كيخسرو

ابن كيقباز وسببها

٢٥٨ عود العساكر الحلبية عن محاصرة حماة

٠٠٠ ذكر عيث الخوارزمية في البلاد

الحلبية سنة ٦٣٦

٢٦٠ وفاة الملك الحافظ ارسلان صاحب

اعزاز ونقله الى حلب سنة ٦٣٩

٢٦٠ القتال بين الحلبيين والخوارزمية

وانهزام هؤلاء سنة ٦٤٠

٢٦١ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون

صاحبة حلب سنة ٦٤٠ والكلام

على مدرسة الفردوس

٢٦٧ محاصرة الخوارزمية دمشق ثم

اقتتلهم مع العساكر الحلبية عند

بحيرة حمص وانكسارهم

٢٣٢ وفاة الملك الأفضل علي بن صلاح

الدين بسميساط ونقله الى حلب

٢٣٤ وفاة الامير سيف الدين علي بن

جندر وآثاره بحلب

٢٣٦ وصف ياقوت لحلب سنة ٦٢٦

٢٣٩ ذكر استقلال الملك العزيز بالملك

سنة ٦٢٩

٢٣٩ استيلاء العزيز على شيزر سنة ٦٣٠

٢٤٠ وفاة الملك المعظم كوكبوري صاحب

اربيل وذكر آثاره وآثار ابنه بحلب

وهي الخانقاه بالسهيمة (وراء الجامع)

٢٤٢ ترجمة الباني الاول للسهيمة علي بن

بكتكين

٢٤٣ ترجمة الباني الثاني وهو ولده

الملك المعظم كوكبوري (افراً. وتأمل)

٢٤٩ ذكر وفاة الأتابك طغرل الخادم

سنة ٦٣١ والكلام على المدرسة

الأتابكية في عملة السفاحية

٢٥١ الكلام على المدرسة الأتابكية في

عملة الجبيلة

٢٥٣ ذكر بناء قلعة المصرة

٢٥٤ وفاة الزاهر داود صاحب البيرة

٢٦٨ ذكر استيلاء الحليين على حمص
سنة ٦٤٦

٢٦٩ ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب
حلب على نصبيين وقرقيسيا

دولة الأتراك بمصر والشام

٢٦٩ قتل الملك المعظم تورانشاه وخروج
الملك عن بني ايوب في مصر
وسلطنة ابيك التركاني سنة ٦٤٨

٢٧١ استيلاء الملك الناصر على دمشق

٢٧١ مسيره الى مصر وكسره وعوده الى الشام

٢٧٣ ذكر الصلح بين المصريين والشاميين

٢٧٤ توجه الكمال بن العديم رسولا
من طرف الناصر الى الخليفة سنة ٦٥٤

٢٧٤ ذكر قتل المغزايبك التركاني اول

ملوك الأتراك في مصر سنة ٦٥٥

٢٧٥ استيلاء التتر على بغداد وانقراض

الدولة العباسية وبيان اصل التتر

٢٧٨ رسالة هولاكو ملك التتر الى الملك

الناصر صاحب حلب سنة ٦٥٧

٢٨٠ صورة الجواب من الملك الناصر

الى هولاكو

٢٨٢ ذكر سلطنة قطز وتوجه الكمال ابن

الديم الى مصر رسولا من طرف

الملك الناصر يستنجد به على التتر

٢٨٣ ماكان من الناصر يوسف صاحب

دمشق وحلب عند قصد التتر حلب

٢٨٤ استيلاء التتر على البلاد الجزرية

وزولهم الى ظاهر حلب

٢٨٤ ذكر مسير هولاكو يمشيه الى

الديار الحلبية سنة ٦٥٨

٢٨٥ استيلاء التتر على حلب ثم على

قلعتها سنة ٦٥٨

٢٨٨ ذكر ماكان من امر الملك الناصر

بعد اخذ حلب

٢٨٩ استلاء كتبنا على قلعة دمشق

٢٩٠ ذكر هزيمة التتر وقتل كتبنا

٢٩٢ ترجمة قائد التتر كتبنا وتفصيل

قتله وزيادة بيان في الوقعة المتقدمة

٢٩٤ ذكر ماكان بعد انتهاء هذه الوقعة

٢٩٥ القبض على الملك السعيد على بن

لولو صاحب حلب وعود التتر اليها

٢٩٩ ذكر كسرة التتر على حمص

والغلاء في حلب سنة ٦٥٩

صاحب تاريخ حلب
 ٣١٤ ذكر مقامة للشيخ عمر بن ابراهيم
 الرسفي يذكر فيها وقعة حلب
 ٣١٥ ذكر طرد التتر من نواحي الفرات
 ٣١٥ ذكر تولية قضاة من المذاهب
 الأربعة وسبب ذلك
 ٣١٥ ذكر دخول العساكر الى بلاد الأرمن
 ٣١٦ مسير الملك الظاهر الى انطاكية
 وبغراس وفتحها سنة ٦٦٦
 ٣١٨ ذكر مجي الملك الظاهر ببيسر
 الى حلب سنة ٦٦٨
 ٣١٨ ذكر ترتيب خيل البريديين البلاد
 المصرية والبلاد الشامية سنة ٦٦٩
 ٣١٩ ذكر اغارة التتر على عيتاب
 ورجوعهم عنها وانهزامهم من
 الملك الظاهر على الفرات
 ٣٢٣ ذكر دخول الملك الظاهر الى
 بلاد سيس سنة ٦٧٣
 ٣٢٤ ذكر مجي التتار الى البيرة وانكسارهم
 عليها سنة ٦٧٤
 ٣٢٥ ذكر انكسار السار على الباستين
 (آبستان) وفتح فيسارية

٣٠١ ذكر القبض على سنجر الحلبي
 الملقب بالملك المجاهد
 ٣٠١ نقل رأس مجي عليه السلام من
 القلعة الى الجامع الأعظم سنة ٦٥٩
 ٣٠٢ نزوح التتر عن حلب ونيابة نجر الدين
 بها ثم تغلب آقوش البرلي عليها
 ٣٠٣ ذكر اقامة خليفة عباسي في مصر
 وخليفة عباسي في حلب
 ٣٠٥ ذكر رضا الملك الظاهر على علم
 الدين سنجر الحلبي وتوليته على
 حلب وطرد آقوش البرلي منها
 ٣٠٧ ذكر اخذ آقوش البرلي البيرة
 وعوده الى حلب واخذها
 ٣٠٧ ذكر مقتل الملك الناصر يوسف
 صاحب حلب والشام وترجمته
 ٣١٠ طاعة البرلي للملك الظاهر وارسال
 سقر الرومي الى حلب سنة ٦٦٠
 ٣١١ ذكر قصد التتر الموصل واستنجد
 صاحبها بالبرلي وانهزامهما من التتر
 ٣١٢ عود البرلي الى مصر وما كان منه
 ٣١٢ ذكر ولاية علاء الدين ايدكين حلب
 ٣١٣ ذكر وفاة الكمال بن العديم

٣٢٧ ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس
سنة ٦٧٦ وآثاره بهذه البلاد
وتولية ولده الملك السعيد بركة
٣٢٩ خلع الملك السعيد واقامة اخيه
سلامش
٣٢٩ سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى
٣٢٩ وفاة آقوش الشمسى بحلب وتولية
علم الدين سنجر سنة ٦٧٩
٣٣٠ نجى النتر الى حلب وعودهم
ثم رجوعهم
٣٣٢ ذكر الوقعة العظيمة مع النتر على
حصص وانكسارهم عليها سنة ٦٨٠
٣٣٥ تولية حلب لفراسنقر سنة ٦٨١
٣٣٦ تجديد المحراب الكبير فى الجامع
الأعظم سنة ٦٨٤
٣٣٧ ذكر وفاة الملك المنصور قلاون
سنة ٦٨٩ وسلطنة ولده الأشرف
٣٣٧ ذكر عمارة القلعة سنة ٦٩٠
٣٣٨ ذكر فتوح قلعة الروم وعزل
فراسنقر عن حلب ونيابة بلبان
الطباخى سنة ٦٩١
٣٣٩ ذكر استيلاء الملك الأشرف على

قلعة بهسنى وقلعة مرعش وتل
حدون سنة ٦٩٢
٣٤٠ ذكر مقتل الأشرف خليل وسلطنة
اخيه الملك الناصر محمد سنة ٦٩٣
٣٤٠ ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على
المملكة سنة ٦٩٤
٣٤١ ذكر اسلام قازان خان ملك النتر
٣٤٢ خلع العادل كتبغا واستيلاء حسام
الدين لاجين على المملكة سنة ٦٩٦
٣٤٢ ذكر قتل الأمير نوروز وزير قازان
٣٤٣ ذكر تجريد العساكر الى حلب
ودخولهم الى بلاد سيس
٣٤٦ ذكر قتل الملك المنصور حسام
الدين لاجين واعادة الملك الناصر
محمد بن قلاون للسلطنة سنة ٦٩٨
٣٤٦ ما احتج به قازان ملك النتر فى
قصده هذه البلاد ايضا
٣٤٧ ذكر المصاف العظيم الذى كان بين
المسلمين والنتر واستيلاء النتر على
دمشق وخر وجهه منها وعزل
سيف الدين بلبان عن حلب وتوليته
الى فراسنقر للمرة الثانية سنة ٦٩٩

٣٢٧ ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس
سنة ٦٧٦ وآثاره بهذه البلاد
وتولية ولده الملك السعيد بركة
٣٢٩ خلع الملك السعيد واقامة اخيه
سلامش
٣٢٩ سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى
٣٢٩ وفاة آقوش الشمسى بحلب وتولية
علم الدين سنجر سنة ٦٧٩
٣٣٠ نجى النتر الى حلب وعودهم
ثم رجوعهم
٣٣٢ ذكر الوقعة العظيمة مع النتر على
حصص وانكسارهم عليها سنة ٦٨٠
٣٣٥ تولية حلب لفراسنقر سنة ٦٨١
٣٣٦ تجديد المحراب الكبير فى الجامع
الأعظم سنة ٦٨٤
٣٣٧ ذكر وفاة الملك المنصور قلاون
سنة ٦٨٩ وسلطنة ولده الأشرف
٣٣٧ ذكر عمارة القلعة سنة ٦٩٠
٣٣٨ ذكر فتوح قلعة الروم وعزل
فراسنقر عن حلب ونيابة بلبان
الطباخى سنة ٦٩١
٣٣٩ ذكر استيلاء الملك الأشرف على

٣٦٢ ذكر ما كان من امر قراستقر والأفرم وسيرهما الى التتر	٣٥٢ عودالتتر الى بلاد الشام سنة ٧٠٠
٣٦٤ زيادة بيان في حوادث قراستقر واحتمائه بأمر العرب مهنا بن عيسى وقصد هذا حلب وتوجهها مع امير حصص الأفرم الى بلاد العراق	٣٥٣ الاغارة على بلاد سويس سنة ٧٠١
٣٦٦ ترجمة قراستقر وآثاره بحلب	٣٥٣ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد اخرى سنة ٧٠٢
٣٦٨ تولية حلب لسيف الدين سودى وقصد التتر الرحبة ونجريد العساكر الى حلب	٣٥٧ ذكر الاستيلاء على تل حمدون سنة ٧٠٣
٣٦٩ وفاة سيف الدين سودى وآثاره بحلب وتوليتهاملاء الدين الطنبغا	٣٥٧ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سويس سنة ٧٠٥
٣٧٠ ذكر بناء الطنبغا جامعهم المسمى باسمه والكلام عليه	٣٥٨ ذكر مسير السلطان محمد بن فلاون الى الكرك واستيلاء بيبرس الجاشنكير على المملكة سنة ٧٠٨
٣٧٣ ذكر اغارة عسكر حلب على آمد	ووقع في الطبع سهواً سنة ٦٩٨
٣٧٤ الاغارة على سويس وبلاد هاسنة ٧٢٠	٣٥٩ ذكر دعوة الملك الناصر من الكرك الى دمشق ثم مصر واقامته في السلطنة وتولية حلب لسيف الدين قبجق سنة ٧٠٩
٣٧٥ ذكر عزل الطنبغا وتولية حلب لأرغون الدوادار سنة ٧٢٧	٣٥٩ وفاة قبجق وتولية حلب الى اسندمر سنة ٧١٠ ووقع سهواً ٦١٠
٣٧٥ مرور الرحالة ابن بطوطه سنة ٧٢٧ بهذه البلاد ووصفه لها	٣٦١ ذكر نقل قراستقر من نيابة السلطنة بدمشق الى حلب سنة ٧١١ ومسيره الى الحجاز واطهاره العصيان وقصده حلب
٣٨٢ ذكر وصول نهر الساجور الى حلب سنة ٧٣١ ووفاة ارغون وترجمته	

- ٣٨٤ دخول الأمير لؤلؤ القندشي لحلب
وما اتاه من المظالم سنة ٧٣٣
- ٣٨٧ ذكر عمارة قلعة جعبر سنة ٧٣٥
- ٣٨٧ توجه العساكر الحلبية لاسترجاع
مدينة سبيس
- ٣٨٨ وفاة مهنا امير العرب وآثاره في سمرقند
- ٣٨٨ العمل في شهر قلعة جعبر سنة ٧٣٦
- ٣٨٩ وفاة الأمير خضر ابن نائب حلب
الطنبغا سنة ٧٣٧
- ٣٨٩ توجه العساكر الى بلاد سبيس
- ٣٩١ ورود الامر بالمساعة عما يؤخذ
على الأغنام الداخلة الى حلب
- ٣٩٤ عود العساكر من بلاد سبيس سنة
٧٣٨ وزيادة بيان لهذه الحوادث
- ٣٩٦ ذكر فتح الباب شرقي المحراب في
الجامع الأعظم وظهور رأس سيدنا
محي عليه السلام سنة ٧٣٨
- ٣٩٨ ذكر توسيع طرق الأسواق بحلب
- ٣٩٨ وفاة بدر الدين بن زهرة نقيب
الأشراف بحلب
- ٣٩٩ قدوم تنكرز نائب الشام الى حلب
متوجهاً الى بلاد سبيس لفقد احوالها
- ٤٠٠ عزم الأمير صلاح الدين الدودار
على تحرير الأوقاف بحلب وماقاله
ابن الوردى في ذلك
- ٤٠١ ذكر عزل طرغاي وتولية طشتمر
وفتح خندروس ووفاة الامير
مغلطاي وغير ذلك سنة ٧٤١
- ٤٠٠ ذكر وفاة الناصر محمد بن قلاوون
وسلطنة ولده ابي بكر
- ٤٠٢ ذكر خلع الملك المنصور ابي بكر وتولية
ابن الملك الاشرف بك سنة ٧٤٢
- ٤٠٠ قتل الامير الطنبغا وترجمته
- ٤٠٣ وفاة الامير بدر الدين محمد وآثاره
بحلب
- ٤٠٤ ذكر ولاية ايدغمش الناصري لحلب
- ٤٠٥ ذكر ولاية طغتر لحلب سنة ٧٤٣
- ٤٠٠ ولاية علاء الدين الطنبغا المارداني
- ٤٠٦ ذكر عزل امير العرب سليمان بن مهنا
- ٤٠٠ ذكر وفاة علاء الدين الطنبغا المارداني
سنة ٧٤٤
- ٤٠٠ تمزيق ابن الوردى كتاب
فصوص الحكم
- ٤٠٧ ذكر الزلازل ببلاد حلب وخراب منيع

- ٤٠٨ وصف ابن الوردي هذه الزلازل
في رسالة
- ٤١١ زيادة بيان لحوادث الزلازل في
هذه السنة
- ٤١٢ ذكر ابتداء دولة الدلفادرية في
آبستان ومرعش سنة ٧٤٥
- ٤١٣ وفاة الامير صلاح الدين واقف
المدرسة الصلاحية بحلب
- ٤١٤ استرجاع ما بيع من املاك بيت
المال بحماة والمرة
- ٤١٥ وفاة الملك الصالح اسماعيل وسلطنة
اخيه شعبان سنة ٧٤٦
- ٠٠٠ الحرب بين الأمير طarfوش وبين
ابن دلفادر
- ٤١٦ ذكر نقل يلبغا الناصري من نيابة
حلب وتولية سيف الدين ارقطاي
- وتزايد امر ابن دلفادر
- ٤١٨ عزل الحاج ارقطاي نائب حلب
وتوليته لسيف الدين طقتمر
- الأحمدي سنة ٧٤٧
- ٤١٩ تولية حلب لبیدمر البدری وذكر
واقعة غريبة لبعض النساء
- ٤٢١ تعيين قاض مالكي لحلب سنة ٧٤٨
- ٤٢٢ عزل بيیدمر نائب حلب وترجمته
وتعيين ارغون شاه الناصري
- ٤٢٢ ذكر تعيين قاض حنبلي بحلب
- ٤٢٣ عزل ارغون شاه وشي من احواله
- ٤٢٣ تعيين نحر الدين اياز لنيابة حلب
ثم عزله
- ٤٢٤ تعيين الحاج ارقطاي
- ٤٢٥ استفحال امر قراجا ابن دلفادر
التركاني في البستان ومرعش
- ٤٢٥ وصول الطاعون الى حلب سنة
٧٤٩ واتصاله بالبلاد الشامية
والمصرية وفتكه فيها وذكر شي من
رسالة ابن الوردي التي سماها النبا
عن الوبا وما قيل في ذلك من الشعر
- ٤٢٩ ظهور انوار على قبر النبي متى وقبر
حنظلة بن خويلد وغيرهم بمنجج
- ٤٢٩ نيابة قطليجا ثم ارغون الكاملی
سنة ٧٥٠ ووفاة ارقطاي بحلب
- ٤٣١ خلع السلطان حسن وسلطنة اخيه
الملك الصالح صالح سنة ٧٥٢
- ٤٣١ نيابة الامير بييبغا اروس

٤٤٣ عود الأمير منكلي بغا لنيابة حلب
وعمارته لجامعه في باب قنسرين
سنة ٧٦٨

٤٤٤ الكلام على هذا الجامع المعروف
الآن بجامع الرومي ثم ترجمة منكلي بغا
٤٤٩ وفاء طنبغا الطويل سنة ٧٧٠
وتولية حلب لأستنبغا الأوبكري
ثم لقشتمر المنصوري ثم لأشقتمر
وترجمة قشتمر

٤٥٠ ولاية عز الدين ايدمر سنة ٧٧٣

٤٥١ بناء اشقتمر جامعه المعروف الآن
بجامع السكاكيني

٤٥٢ اتخاذ علامات خضر في رؤس الاشرف

٤٥٢ ولاية بكتمر الخوارزمي ثم اشقتمر
سنة ٧٧٥

٤٥٣ فتح مدينة ميس سنة ٧٧٦

٠٠٠ تعيين ابي الوليد ابن الشحنة لقضاء
حلب سنة ٧٧٨

٤٥٤ ما كتب على جانب خان القاضي
في محبة باب قنسرين

٤٥٤ قتل الملك الأشرف شعبان وسلطنة
ولده على سنة ٧٧٩

٤٣٢ خبر عصيان بينغا بحلب وقصده
دمشق

٤٣٤ تولية حلب للأمير ارغون الكامل
سنة ٧٥٤

٤٣٥ خلع الملك الصالح صالح وعود الملك
الناصر حسن الى السلطنة وتولية
حلب للأمير طاز ،

٤٣٦ بناء الأمير ارغون الكامل بيارستانه
وذكر وفاته والكلام على هذا
البيارستان

٤٣٨ القبض على الأمير طاز نائب حلب
وتولية الامير منجك سنة ٧٥٩

٤٣٩ تولية الامير على المارديني وترجمته

٤٤٠ قتل الملك الناصر حسن واستقرار
السلطنة للملك المنصور محمد وتولية
حلب للأمير قطلوبغا سنة ٧٦٢

٤٤١ تولية الأمير منكلي بغا سنة ٧٦٣

٤٤١ عود قطلوبغا الأحمدي لولاية حلب
ووفاته بها وتولية اشقتمر المارديني

٤٤٢ تولية الأمير جرجي الناصري

٤٤٢ انكسار الأفرنج على اياس سنة
٧٦٧

٤٥٥ تولية حلب للأمر منكلي بغالبدي
ثم لترباي

٤٥٦ عود منكلي بغانم ولاية اينال اليوسفي

٤٥٦ سلطة الملك الصالح حاجي وتولية
حلب الى يلغا الناصري

دولة الجراكسة

٤٥٧ خلع الملك الصالح حاجي وابتداء
دولة الجراكسة سنة ٧٨٤

٤٥٨ القبض على يلغا الناصري وتولية
سودون المظفري وآثار يلغا في حلب
٤٥٩ وصول تيمرلنك الى مدينة قرباغ

اعادة يلغا لنبابة حلب وعصيان
منطاش بملطية سنة ٧٨٨

٤٥٩ استعداد المصريين لمحاربة تمرلنك
سنة ٧٨٩

٤٦١ الحرب بين الظاهر برقوق وبين
منطاش المعاصي بملطية

٤٦٣ الزلازل في انطاكية وحلب

٤٦٤ عصيان يلغا الناصري نائب حلب
وقته للأمر سودون النائب السابق

واستيلائه على الشام ومصر

٤٦٥ اظهر يلغا العصيان وتولية اينال
اليوسفي على حلب

٤٦٦ ولاية الأمير كمشغا الحموي سنة ٧٩٢

٤٦٦ اطلاق الملك الظاهر برقوق
والحرب بينه وبين منطاش سنة ٧٩٢

٤٦٧ ارسال منطاش تيمتر الى حلب
نائبا ومحاصرة نائبها كمشغا

٤٦٩ ترجمة كمشغا وزيادة بيان في
الحرب بينه وبين الباقوسيين

٤٧١ استيلاء منطاش على حماة وحصص
وحجى الظاهر برقوق الى حلب

وقته الأمير يلغا الناصري سنة ٧٩٣

٤٧٢ عزل قرامرداش وتعيين الأمير جليل

٤٧٣ عود منطاش وحصص حلب سنة ٧٩٤

٤٧٣ مقتل منطاش وانتهاء فتته سنة ٧٩٥

٤٧٧ استيلاء تمرلنك على بغداد وهرب

صاحبها السلطان احمد ابن اويس

وحجبه الى حلب واستعداد المصريين

٤٧٩ وصول السلطان احمد بن اويس

الى مصر سنة ٧٩٦ واستيلاء تمرلنك

على ديار بكر والرها وخروج السلطان

برقوق مع احمد بن اويس الى دمشق

- ٤٨٠ وصول السلطان برقوق الى حلب
٤٨١ تعيين الأمير تغري بردى الى حلب
وبناء جامعته المعروف بالموازيني
٤٨٣ ما احدث في زمن تغري بردى في
الجامع الكبير
٤٨٤ تولية حلب للأمير ارغون شاه سنة
٧٩٩
٤٨٤ تعيين علاء الدين اقبغا لنيابة حلب
سنة ٨٠٠
٠٠٠ وفاة الملك الظاهر برقوق
٤٨٥ استيلاء السلطان بايزيد الثماني
على ملطية وورود الأخبار بقصده
حلب
٤٨٥ عصيان تيم نائب الشام واقبغا
الجمالى نائب حلب سنة ٨٠٢ وتعيين
دمرداش الخاصكى اليها
٤٨٦ مجيئ مقدمة تمرلنك الى نواحي
ملطية
٤٨٦ اصل تمرلنك وشي من احواله الى
ان استفحل ملكه والكتاب الذي
ارساه الى الملك الظاهر برقوق
وجواب هذا الكتاب
- ٤٩٢ الاسباب التى دعت الى الرجوع
الى هذه البلاد سنة ٨٠٣ ومجيئه
الى سيواس ثم عيتاب ثم حلب وما
فعله بهذه البلاد ثم مجلب من الفطايح
٤٩٨ اسئلة تيمورلنك والجواب عنها
من القاضي ابن الشحنة
٥٠١ توجهه الى الشام وعوده منها الى
اطراف حلب ثم رجوعه الى الشرق
ووفاته وما آل اليه امره
٥٠٤ ذكر تولية حلب للأمير دقاق
المحمدي سنة ٨٠٤
٥٠٥ ذكر تولية الأمير علاء الدين
اقبغا الأطروشى وشروعه ببناء
جامعه ووفاته بحلب سنة ٨٠٦
٥٠٦ ذكر عصيان جكم والأمير شيخ
وتغلبها على حلب ودمشق
٥٠٦ خلع الملك الناصر فرج وسلطنة
اخيه عبدالعزيز وعود الملك الناصر
الى الملك
٥٠٧ ذكر عصيان فارس بن صاحب
الباز التركمانى سنة ٨٠٦
٥١٠ تولية حلب للأمير جرگس القاسمى

٥١٨ توليتها للامير يشبك اليوسفي	٥١١ قتل حكيم الذي تسلطان بحلب وحمل رأسه الى مصر سنة ٨٠٩
٥١٩ ذكر الأثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل في هذا العصر	٥١١ تغلب تيموربغا المشطوب على حلب سنة ٨١٠
٥٢١ الأثمان المتعامل بها في دمشق ومصر وحلب وهى ضربان	٥١٢ اعادة دمرداش لياية حلب سنة ٨١١ واكمله جسامع الاطروش والكلام عليه
٥٢١ الضرب الأول مايتعامل به وزناً	٥١٥ ذكر تولية حلب للامير نوروز سنة ٨١٢
٥٢٢ الضرب الثانى ما يتامل به معادة	٥١٥ توليتها للأمر قرقاش ثم اشيخ سنة ٨١٣ وتوليتها للامير دمرداش ثم للامير يشبك سنة ٨١٥
٥٢٤ تنمة لهذا البحث وذكر ما كان يتعامل به الناس من القود في الديار المصرية والشامية من سنة ٥٦٩ الى القرن التاسع	٥١٦ توليتها للامير اينال الصصلاى سنة ٨١٦
٥٢٦ بيان ذراع القماش في مصر	٥١٦ توليتها للامير افباي المؤبدي سنة ٨١٨
٥٢٦ بيان ذراع الأراضى والدور	٥١٧ توليتها للامير فجقار القردي سنة ٨٢٠
٥٢٧ اسماء اللحم والسكر وغير ذلك في دمشق ومصر	
٥٢٧ العربان الفاطنون حول حلب	
٥٢٨ القبيلة الأولى بنو كلاب	
٥٢٨ القبيلة الثانية آل نشار	



